

obeyikan.com

ديوان
مجد الإسلام
أو « الإلياذة الإسلامية »

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : ديوان مجد الإسلام

« الإلياذة الإسلامية »

الشاعر : أحمد محرم

دراسة وتقديم : سمير إبراهيم بسيوني

إخراج فني : مركز الصفا للكمبيوتر

* رقم الإيداع : ٢٠١٠/٤٣٨٣٩

* الترقيم الدولي :

حقوق النشر محفوظة

الطبعة الأولى ٢٠١٠م

مكتبة جزيرة الورد

ميدان حلیم خلف بنك فيصل الرئيسي

شارع ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا

ت : ٢٧٨٧٧٥٧٤ م ، ٠١٠١٠٤١١٥ - ٠١٠٠٤٠٤٦

أحمد محرم

كياوا مجد الإسلام

أو

الإيالة الإسلامية

تحقيق

سمير إبراهيم بسيوني

مكتبة جزيرة الورد

oboiikan.com

التقديم أحمد محرم

١٨٧٧ - ١٩٤٥

هو شاعر مصرى من أصل تركى . ولد فى قرية إبيار من قرى الدلنجات بمحافظة البحيرة فى دلتا مصر وعاش فى دمنهور ومات فيها .
لم يتلق أحمد محرم تعليمًا منتظمًا . ولكن من الأكيد أنه اجتاز مرحلة الكتاب حيث حفظ القرآن الكريم وتعلم أصول اللغة والحساب ، وتشقّف على بعض شيوخ الأزهر . وشاعرنا محسوب على الاتجاه المحافظ البياني الذى نشأ فى فترة الوعى على يد البارودى ^(١) ، ومازال يقوى بوجود شاعر فحل من أمثال شوقي ^(٢) ولكنه فى فترة أحمد محرم كان قد أخذ فى الجمود ^(٣) ، فهو من الناحية الموضوعية لم يضيف أي كسب جديد فى المجالات التى كان يعبر عنها .

(١) يمثل هذا الاتجاه البارودى واسماعيل صبرى وعائشة التيمورية . وكان أوضح الجميع أخذًا بهذا الاتجاه هو البارودى ، وهو الاتجاه الذى اعتمد على اتخاذ الشعر العربى أنموذجًا فى فترات نضوجه منذ العصر الجاهلى وحتى العصر العباسى وفترة الأندلس . وعنى بإبراز الجانب البياني فى الشعر ، وكان هذا الأسلوب المحافظ البياني وسيلة تعبر عن حياة الشاعر الخاصة وأحاسيسه الذاتية ، ثم عن قضايا بلده ومشكلاته القومية ، مسجلًا بعض أحداث العصر التى تؤثر على مسيرة الوطن ، فشعراء هذا الاتجاه لم يحصروا أنفسهم فى الأغراض القديمة للشعر العربى ، وإنما كان أسلوبًا حيًا مشرقًا واكب التطور الذى كان يحدث فى البلاد وقتئذ .

(٢) أخذ هذا الاتجاه يقوى على يد الجيل الذى خلف البارودى الذين ساروا فى نفس الاتجاه من أمثال : أحمد شوقي ، وإسماعيل صبرى ، وحافظ إبراهيم ، ومحمد عبد المطلب ، وبقية شعراء هذا الجيل التالى من أمثال : أحمد محرم وعلى الغاياتى ومصطفى صادق الرافعى وأحمد الكاشف فكل هؤلاء الشعراء يؤمنون بالعروبة وتسيطر عليهم فكرة الجامعة الإسلامية ومن ارتبطين تبعًا لها بالتراث العربى العظيم ، ونماذج الشعرية الرائعة ، فكانوا يتخذونها مثلا أعلى للأسلوب الشعري .

(٣) يرى دكتور أحمد هيكى أنه كان يعنى بالأمور العامة ، فشعراء هذا الاتجاه يهتمون بالقضايا السياسية الداخلية أكثر مما يهتمون بالشئون الوطنية الخارجية وقد أهتموا بشعر =

أحمد محرم شاعر الوطنية المصرية

يمثل شعر أحمد محرم الوطني جزءاً كبيراً من اهتماماته . فوجوده في قرية بعيداً عن الجاه والسلطة في العاصمة جعله يحس بالأم الشعب وآماله . . . فنجدّه عندما تنكر الخديوى عباس الثانى لتعهداته أن يقف مع الحركة الوطنية ويعضدها وراح يهادن الانجليز فنجد شاعرنا يهاجمه فى جرأة وشجاعة ، ويقول :

أضرّ الناسَ ذو تاجٍ تولى فما نفع البلاد ولا أفادا
وكان على الرعية شرّ راع وأشأم مالك فى الدهر سادا
فلا هو يرتجى يوما لنفع يعزّيه الرعية والبلادا

لم يعرف أحمد محرم المهادنة ، ولا الالتواء ، فهو عندما يهجو لا يلجأ للرمز . . أو التلميح ، يقول واصفا الخديوى بالمخادعة والكذب :

كذب الملوك ومن يحاول عندهم شرفا ويزعم أنهم شرفاء
الحق منتهك المحارم بينهم والعدل وهم والوفاء هباء
رفعوا العروش على الدماء وإنما تبقى السفينة ما أقام الماء

لقد كان عداؤه للانجليز ومعاونيهم واضحا صريحا . يفضح الحكم الاستبدادى الذى يكبت الحريات ، وينادى بالثورة للتخلص من المستعمرين وأعوانهم . فلا بد من الكفاح من أجل تحقيق الحرية ، يقول :

يا أمة خاط الكرى أجفانها هبى فقد أودت بك الأحلام
هبى فما يحمى المحارم راقداً والمرء يظلم غافلا ويضام

= المناسبات الذي جرّهم إلى الخطابية فى التعبير وجرّهم تجويد الصياغة إلى عدم العناية بالافكار الدقيقة والتجارب النفسية العميقة . وهذا فضلاً عن عدم رعاية الوحدة الموضوعية وأصبحت القصيدة تجمع بين أكثر من غرض . وكان لهم كلف بجمال البيت المفرد ، وعدم النظر إلى القصيدة كبناء فنى .

هبي فما يغنى رقادك والعدا حول الحمى مستيقظون قيام
غنموا نفائسه وثم بقية ستنيّلها أيديهم الأيام
عجبا لهذا النيل كيف نعقه ويدوم منه البر والإكرام

وعندما يصدر قانون المطبوعات يثور قائلا :

صبوا المداد وحطموا الأقلاما وامحوا الصحف وانزعوا الأفهاما
أيسوس ريب الدهر منا أمة تبغى حياة المجد أم أنعاما

ويخوض أحمد محرم غمار الحياة السياسية . . فيتناول قضايا الدستور^(١)
وأحداث البرلمان ، ومشكلات الأحزاب في شعره ، فهو يرى أن الدستور تفسر
أحكامه حسب الهوى ، وفي حين آخر يستبدل بدستور مقيد للحريات . فتراه
يسخط على الدستور ، ويلعن اليوم الذي فتح فيه البرلمان ، وذلك لما رأي من
الاتجار الحزبي باسم الدستور ، والتصنع الوطني بسبب البرلمان ، ولما رأي من
استغلال المستعمر لهذه الملهاة لصرف الجهود الوطنية عن نضاله^(٢) ، يقول :

سأتبع يوم السبت ما عشت لعنة يطير بها عاد من الطير ضابح
هو اليوم يوم شام ضج نذيره ومّر به طير من النحس بارح
يقولون : نواب ودار نيابة وملك ودستور من الحق واضح
وساوس أقوام مهاذير مالهم من الرأي هاد أو من اللب ناصح

وتقوم ثورة ١٩ . . . ويتزعم سعد مطالب الأمة . . . ويتولى سعد أول
حكومة وطنية . . ولكنه لا يحس أي تغيير . . هو يعيش بين الناس البسطاء . .
الذين ذاقوا مرارة العبودية وتحكم الاجنبي في مقدراتهم . . يرى أحمد محرم أن
الظلم مازال . . والعبودية مازالت . . يقول :

(١) د. عبد الرحمن الرصيفي - تطور الشعر العربي الحديث ، دراسة وغمّاذج مختارة ، ص ٨ .

(٢) أحمد هيكمل - تطور الأدب الحديث في مصر ص ٢٩٣ .

جزى الله سعدا ، إنها شهواته طغت ريحها ، فالشر غاد ورائح
أباح حمى مصر وسودانها معا فأمعن مغتال وأوغل طامح
يسامح أعداء البلاد ويعتدى على قومه ، شر الحماة المسامح^(١)

يرى «محرم» الأحزاب السياسية في البلاد تقودها إلى الفرقة والضياع وقد
شغلتها مطامع الحكم والسلطة عن الاهتمام بأحوال الناس والبلاد ، يقول :

سائل الأحزاب ماذا عندها غير ترجاف ووهم مقلق
وتأمل هل ترى اليوم سوى دولة فوضى وحكم أخرق
فات نيرون رجال رزقوا من فنون الظلم مالم يرزق^(٢)

ويدعو لانصراف الناس عن الأحزاب ، فزعماءها يتصارعون في سبيل
الوصول إلى كرسي الحكم مهما كلفهم ذلك من تنازلات .. مشغولون بحبك
المؤامرات ، منصرفين عن أي إصلاح يعود على الشعب بالخير ، يقول :

دع الزعماء إن لهم لَدِينًا يدين بغيره الشعب الرشيد
لمن تتألف الأحزاب شتى وما هذى الصواعق والرعود
تداعوا للوغى فهو صريعا على أيديهم الوطن الشهيد

لم يهادن « أحمد محرم » الانجليز .. هاجم بضرواة رموزهم في مصر .
يقول في قصيدة له سنة ١٩٢٥ في استقبال اللورد « جورج لويد » :

عميد الغاصبين نزلت أرضا يبيد الغاصبون ولا تبیدُ
يذود الواحد القهار عنها إذا قهرت جنودك من يذودُ
أ تذكر إذ لقومك ما أرادوا وإذ لكرومر البطش الشديد
تطوف جنوده فتصيد منا ومن سرب الحماة ما تصيدُ

(١) محمد حسين - الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر - ج ٢ ص ٢٩٣ .

(٢) عبد الرحمن الرافعي - شعراء الوطنية ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

وعندما يقوم كمال أتاتورك بثورته التي قضت على آمال الكثيرين في توحيد البلاد تحت مظلة الخلافة الإسلامية ، فيتحدث « عما لقيت الخلافة من خيانات بعض الزعامات العربية الطامعة ، والمدفوعة بإغراءات الإنجليز ، وحيل الاستعمار » ، فيقول :

وما نفع الخلافة حين تمسى حديث خراقة للهازلينا
ثوت تتجرع الألام شتى على أيدي الدهاة الماكرينا
منعنا الظلم أن يطنى عليهم فخانونا وكانوا الظالمينا
نُصاب لأجلهم ونصاب منهم فإن تعجب فذلك مالفينا

ولا تقتصر مشاركة أحمد محرم بشعره في أحداث الوطن بل تتعدى إلى الهم العربي ، فعندما يبدأ النفوذ الصهيوني في التسلل إلى فلسطين ويستشهد القائد العربي « محمد بن سعيد العاص » في فلسطين سنة ١٩٢٩ عندما اتسع نطاق القتال بين العرب والصهاينة منذ حوادث البراق أو حائط المبكى ، نجد « محرم » يرثيه ، ويستنهض هم المسلمين والعرب من أجل الوقوف بجانب إخوانهم في فلسطين لمجابهة مطامع الصهيونية العالمية فيها . وقد يكون « أحمد محرم » هو من أول الشعراء الذين نبهوا إلى هذا الخطر ، يقول :

نظم المجد لأبطال الحمى ونظمت الشعر نارا ودمما
يا فلسطين ارفعي تاجيك في دولة البأس وزيدى شمما
صخراء صماء تحمي صخرة علمتها كيف تشفى الصما
أسمعت « بلفور » نجوى وعده ترقمي حزنا وتمضي ندما

ويشارك ليبيا في كفاحها ضد المستعمر الإيطالي . . فما أن يسمع عن إعدام «عمر المختار» سنة ١٩٣١ ، وهو البطل الذي كافح في سبيل تحرير بلاده ، يقول

هتف النعي فما ملكت بياني ليت النعي إلى الإمام نعاني
دُعر الخطيم وراع يثرب حائط للموت ضج لهوله الحرمان

سهم أصاب المسلمين وجال في كبد الهوى وحشاشة الإيمان
ويستمر الصهاينة في اعتداءاتهم على الفلسطينيين فيندد بهذه الانتهاكات .
وينبه العرب بما سيجره ذلك من ويلات بعد ذلك . لقد رأى أرض فلسطين
تغتصب ، والعرب لاهون عنها ، فقال مشيراً الهمم إلى خوض معركة فاصلة تنهي
هذه المهزلة :

من ذا يرى دمه أعز مكانه من أن يخضب في فلسطين الربا
وطن يُعذَّب في الجحيم وأمة أعزز علينا أن تصاب وتنكبا
إنّا لنعلم أنّ أكل لحمهم سيخوض منا في الدماء ليشرباً^(١)

هذا بالإضافة إلى شعره الإسلامي والذي لم يترك أي مناسبة دينية إلا وتحدث
عنها . . . ثم تم ذلك بديوانه عن مجد الإسلام والذي سجل السيرة العطرة
للرسول - ﷺ - عارضاً من خلالها الانتصارات الإسلامية المشرفة التي أنشأت
حضارة في وقت كان العالم كله في ظلام وهمجية .

(١) الرافعي - شعراء الوطنية ص ٢١٠ .

أحمد محرم والتأريخ للبطولات الإسلامية [١٨٧٧ - ١٩٤٥]

شهد شعرنا العربي في العصر الحديث محاولتين رائدتين خاض فيها الشعر تجربتين ثريتين ، الأولى قام بها « أحمد شوقي » لتطويع الشعر للمسرح . بدأ محاولته الأولى في مسرحية علي بك الكبير والتي كتبها وهو في باريس ١٨٩٣ . ولم تكن هذه المحاولة ناجحة فانصرف عن هذه التجربة فترة ، ثم اتجه من جديد في معالجة فن الشعر المسرحي في الفترة من ١٩٢٧ وحتى ١٩٣٢ ، فأخرج لنا : مصرع كليوباترا - مجنون ليلي - قمبيز - عنترة - الست هدى ، كما أعاد كتابة مسرحيته الشعرية الأولى « علي بك الكبير » بعد أن تفرس على هذا الفن ، متخطياً الأخطاء الفنية التي تعرض فيها للنقد عند محاولته الأولى .

« لقد كانت محاولة شوقي رغم نجاحها ، إنما كانت محاولة للتجديد في فن الشعر بعامة ، وليست محاولة للتجديد في مجال الشعر الغنائي بخاصة ، فهي تهدف إلى عمل شعر « درامي » وهو نوع من الشعر مغاير في حقيقته للشعر الغنائي . ومن هنا يمكن أن يقال : إن محاولة شوقي لم تخدم الشعر الغنائي من الناحية الفنية ، وإن خدمت الشعر العربي بوجه عام ، وفتحت أمامه ميداناً من أخصب الميادين وهو الشعر المسرحي » (١) .

وتجيء محاولة رائدة أخرى ! يقودها « أحمد محرم » ، ذلك أنه ألف عام ١٩٣٣ « ديوان مجد الإسلام » ليحكي بالشعر سيرة الرسول ﷺ منذ بداية الدعوة . إلى الغزوات والفتوحات والبطولات ، لقد أطلق بعض النقاد والأدباء على هذا العمل « الإلياذة الإسلامية » وفاتهم أن هناك فرقاً كبيراً بين ما قام به « أحمد محرم » من كتابة شعر يلتزم بوقائع تاريخية ثابتة يلقي الضوء عليها مظهرًا ما فيها من بطولات نقلت العرب من قبائل متناحرة لا حضارة لها إلى أمة في

(١) أحمد هيكل - تطور الأدب الحديث في مصر - دار المعارف القاهرة - ١٩٦٨ .

خلال سنوات معدودة قوضت أكبر امبراطوريتين في العالم آنذاك وهما فارس والروم .

هذا بعكس « العمل الملحمي » فالشعر الملحمي يكاد يكون أبسط الفنون الشعرية على الإطلاق ، هو شعر الفطرة والسذاجة في بعض معانيهما ، نشأ في طفولات الشعوب ، وامتزج بألوان تفكيرها البدائي ، وآمالها الأولى ، عبر عن حياتها التي لم تكن قد تعقدت بعد ، ولم تكن قد داخلتها معطيات التمدن والرقي ، فجاء مشبعاً بالأساطير ، والخرافات التي لانصيب لها من حقيقة الواقع سوى نزر يسير ^(١) الملحمة تتغنى بالآلهة وعظمتها ، وتؤرخ لهم ، وتنسب إليهم أعمالاً بشرية ، وتشركهم في تقرير حياة الناس .

تتمثل الملحمة فيما قام به هوميروس [٧٠٠ ق.م] بملحمته « الإلياذة ^(٢) » والأوديسة ^(٣) » ، وتعتمد في الأساس على البطولات الخيالية - وهي لا تعني بالوقائع التاريخية ، وهذا عكس ديوان « مجد الإسلام » . فرغم اتخاذه سيرة الرسول ﷺ مادة لديوانه ، وتسجيله لغزواته وانتصاراته ؛ فإنه لم يلجأ إلى الخيال بل سجل الأحداث الحقيقية التي وردت لنا من رواة ثقات . وهكذا جاءت لنا قصائد غنائية عديدة ولكنها تلتزم بموضوع واحد . كل قصيدة تعالج موضوعاً

(١) أحمد أبو حاقه - فن الشعر الملحمي - ص ١٠ - دار الشرق الجديد - ط أولى - بيروت - ١٩٦٠ .

(٢) تقع الإلياذة في ٢٤ مجلداً وتتناول حرب طروادة بين اليونان وطروادة ، والخلاف بين « أجاممنون » قائد الحملة اليونانية ، و « أخيل » مما أدى إلى تدخل صديقه باتروكلوس ، الذي حارب بدلاً من أخيل ، وارتنى درعه وقتل على يد هكتور ، ثم يصفح أخيراً عن قائد الحملة ، وينتقم من هكتور ويقتله . وتنتهي الإلياذة بوصف مؤثر لدفن هكتور .

(٣) تتغنى الأوديسة بمحاولة « تليماخوس » البحث عن أبيه « أوديسوس » وعثوره عليه ، ومحاولتهما الانتقام من العشاق الذين ضايقوا « بنيلوب » في غياب زوجها ، ثم يسترد الأب ملكه ويعيش آمناً في وطنه ، جاء فيها ذكر شعب خرافي يسكن في إفريقيا ، ويعيش على أكل زهور اللوتس التي تسبب النسيان والتراخي . أكل جنود « أوديسوس » ، هذا الطعام ، فنسوا أصدقاءهم وبلادهم مما اضطره إلى سحبهم إلى السفينة ، والعودة بهم إلى بلادهم .

معيناً من موضوعات السيرة . ويتغير الوزن والقافية من قصيدة إلى أخرى .
فإذا كنا نحسب لشوقي ريادته للمسرحية الشعرية ، فإننا نحسب لأحمد
محرم تجربته الثرية في نظم التاريخ الإسلامي في قصائد غنائية بجمعها ديوان
واحد .

سمير بسيوني
المنصورة : يناير ٢٠١٠م

تليفون : ٢٢٥٤٦١٥ / ٥٠ .
٠١٠٩٠٤٥١٤٩

obeikan.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥] .

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التحریم: ٩] .

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [التوبة: ٢٠] .

﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١] .

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١] .

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] .

oboiikan.com

في علم المغازي خيد الدنيا والآخرة

«الزهري»

كُنَّا نَعْلَمُ مَغَازِيَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

كَمَا نَعْلَمُ السُّورَةَ الْقُرْآنَ

«زين العابدين بن الحسين بن علي»

كَانَ أَبِي يَعْلَمُنَا الْمَغَازِيَ وَالسَّرَايَا

وَيَقُولُ : يَا بَنِي إِسْرَافِيلَ أَتَأْتُونَ بَشَرًا فَنَزَّلُ بِالْمَلَأَيْنِ فَلَا تُضِيعُوا ذِكْرَهَا

«إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص»

oboi.kan.com

مطلع النور الأول
من أفق الدعوة الإسلامية

obeikan.com

مطلع النور الأول من أفق الدعوة الإسلامية

املأ الأرض يا مُحَمَّدُ نورا
حجبتك الغيوبُ سِرا تجلى
عَبَّ سَيْلُ الفسادِ في كلِّ وادٍ
جِئْتَ ترمي عُبابَهُ بعُبابٍ
يُنقِذُ العالمَ الغريقَ ويحمي
زاخرٌ يَشْمَلُ البسيطةَ مدًّا
أنتَ معنى الوجودِ بل أنتَ سرٌّ
أنتَ أنشأتَ للنفوسِ حياةً
أنجبَ الدهرَ في ظلالك عصراً
كيفَ تَجْزِي جَمِيلَ صنْعِكَ دُنْيا
ولدتك الكواكبُ الزهرُ فجراً
يَصْدَعُ الغيهُبُ المُجَلَّلَ بالوحي
منطقُ القدرة التي تُرهقُ القا
كُلُّ ذَمِرٍ رَمَى النُّفُوسَ بوترٍ
خَرَّتِ العُربُ من مَشارِفِها العُليا
باتَ فيها ملكُ البَيانِ حريباً
وَأَغْمَرَ النَّاسَ حِكْمَةً وَالْدُّهُورَا
يَكْشِفُ الحُجْبَ كُلَّهَا وَالسُّتُورَا
فَتَدْفُقُ عَلَيْهِ حَتَّى يَغُورَا (١)
رَاحَ يَطْوِي سُبُولَهُ وَالْبَحُورَا
أُمَمَ الْأَرْضِ أَنْ تَذُوقَ الثُّبُورَا (٢)
وَيَعْمُ السَّبْعَ الطَّبَاقَ هَدِيرَا (٣)
جَهْلَ النَّاسِ قَبْلَهُ الْأَكْسِيرَا (٤)
غَيَّرَتْ كُلَّ كَائِنٍ تَغْيِيرَا
نَابَهُ الذِّكْرُ فِي الْعَصُورِ شَهِيرَا
كُنْتَ بَعَثاً لَهَا وَكُنْتَ نُشُورَا
هَاشِمِيَّ (٥) السَّنَا وَصُبْحاً مَنِيرَا
الْمَلَقَى وَيَكْشِفُ الدِّيَجُورَا (٦)
دَرَ عَجْزَا وَالْعَبْقَرِيَّ قُصُورَا
مِنْ حَظَايَاهُ رَدَّهُ مَوْتُورَا (٧)
تُوَالِي هُوَيَّهَا وَالْحُدُورَا
يَسْلَمُ الْجَنْدَ وَالْحَمَى وَالْثُّغُورَا (٨)

(١) غار الماء : ذهب . (٢) الثبور : الهلاك . (٣) الهدير : الصوت والغليان .

(٤) الإكسير : ما يلقي على الفضة ونحوها ليحيله إلى ذهب خالص .

(٥) نسبه إلى هاشم أحد أجداد الرسول ﷺ .

(٦) الديجور : الظلام .

(٧) الذمر : الشجاع ، والوتر : الثأر أو الظلم فيه وأكثر ما يستعمل في العداوة بسبب القتل ،

وحظاياه : جمع حظية وهي السرية المكرمة .

(٨) الحريب : السليب .

أَنْكَرَ النَّاسُ رَبَّهُمْ وَتَوَلَّوْا يَحْسِبُونَ الْحَيَاةَ إِفْكَاً وَزَوْرَا
 أَيْنَ مِنْ شَرِّعَةِ الْحَيَاةِ أَنْاسُ جَعَلُوا الْبَغْيَ شَرِّعَةً وَالفُجُورَا
 تِلْكَ أَرْبَابُهُمْ أَتَمَلِّكَ أَنْ تَنْفَعُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ أَوْ تَضْهِيرَا
 قَهْرُهَا صِنَاعَةٌ أَعْجَبُ الْأَرْضِ بَابِ مَا كَانَ عَاجِزاً مَقْهُورَا
 مَا لَدَى اللَّاتِ أَوْ مُنَاةٍ أَوْ الْعُزَّى يَ غَنَاءُ (١) لِمَنْ يَمِيسُ الْأُمُورَا
 جَاءَ دِينَ الْهَدْيِ وَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ يَحْمِي لَوَاءَهُ الْمُنْشُورَا
 ضَرَبَ الْكُفْرَ ضَرْبَةً زَلَزَلَتْهُ فَتَدَاعَى وَكَانَ خُطْباً عَسِيرَا
 جَثَمَتْ حَوْلَهُ الْحُصُونُ وَظَنَّ الْقَوْمُ ظَنَّ الْغُرُورِ أَنْ لَنْ تَطِيرَا
 هَذَا ذُو الْجَلَالِ حِصْناً فَحِصْناً بِالْحُصُونِ الْعُلَى وَسُوراً فَسُورَا
 بِالرَّسُولِ الْهَادِي وَبِالْصَّفْوَةِ الْأَمْجَادِ يَقْضُونَ حَقَّهُ الْمَوْفُورَا
 يُهْرَقُونَ التَّقْوَسَ تَلْقَى الرَّدَى الْمُهْرَاقَ مِثْلَ الْغَدِيرِ يَلْقَى الْغَدِيرَا
 إِنَّ فِي الْقَتْلِ لِلشُّعُوبِ حَيَاةً وَأَرْفَأَ ظِلُّهَا وَخَيْراً كَثِيرَا
 لَيْسَ مَنْ يَرْكَبُ الدُّنْيَةَ يَخْشَى مَرْكَبَ الْمَوْتِ بِالْحَيَاةِ جَدِيرَا
 أَمِنَ الْحَقُّ أَنْ تَصُدَّ قُرَيْشٌ عَنْ فَتَاهَا وَأَنْ تُطِيلَ النُّكِيرَا
 سَلَّ أبا جَهْلَهَا (٢) وَقَوْمَا دَعَاهُمْ فَاسْتَجَابُوا جَهَالَةً وَغُرُورَا

(١) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾ [النجم : ٢٠] مِنْ
 مَعْبُودَاتِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، كَانُوا يَسْمُون بِأَسْمَائِهَا إِلَى (عَبْد) وَالْعُزَّى وَاللَّات وَمَنَاة
 مَعْبُودَاتِ إِنَاثَ . وَكَانَتْ (الْعُزَّى) فِي الْأَعْلَى أَصْغَرَهُنَّ ، ثُمَّ أَصْبَحَتْ أَكْبَرَهُنَّ شَانَا .
 وَكَانَتْ (اللَّات) لِنَتِيفٍ ، وَ(الْعُزَّى) لِقُرَيْشٍ وَبَنِي كِنَانَةَ ، وَمَنَاةُ لِبَنِي هَلَالٍ وَقَالَ هِشَامُ :
 فَكَانَتْ (مَنَاةُ) لِهَثْدِيلٍ وَخَزَاعَةَ . فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - عَلِيَا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَهَدَمَهَا
 عَامَ الْفَتْحِ . ثُمَّ اتَّخَذُوا (اللَّات) بِالطَّائِفِ ، وَهِيَ أَحَدُثُ مِنْ (مَنَاةُ) ، وَكَانَتْ صَخْرَةً
 مَرِيعَةً ، وَكَانَ سِدْنَتُهَا مِنْ ثَقِيفٍ وَكَانُوا قَدْ بَنَوْا عَلَيْهَا بِنَاءً ، فَكَانَتْ قُرَيْشٌ وَجَمِيعُ الْعَرَبِ
 تَعُظَّمُهَا . وَبِهَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَسْمِي [زَيْدُ اللَّاتِ - تَيْمُ اللَّاتِ] . وَكَانَتْ فِي مَوْضِعٍ [مَنَاةُ]
 مَسْجِدَ الطَّائِفِ الْيَسْرِي ، فَلَمْ تَزَلْ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ أَسْلَمَتْ ثَقِيفٌ ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ -
 ﷺ - الْغَيَّةَ بْنَ شُعْبَةَ فَهَدَمَهَا ، وَحَرَّقَهَا بِالنَّارِ . ثُمَّ اتَّخَذُوا (الْعُزَّى) وَهِيَ أَحَدُثُ مِنْ
 اللَّاتِ ، اتَّخَذَهَا ظَالِمُ بْنُ سَعْدٍ ، وَكَانَتْ بِوَادِي نَخْلَةِ الشَّامِيَّةِ ، فَوْقَ ذَاتِ عَرَقٍ ،
 وَكَانُوا يَسْمَعُونَ مِنْهَا الصَّوْتِ .

(٢) هُوَ عُمَرُو بْنُ هِشَامِ بْنِ الْمَغِيرَةِ الْمَخْذُولِيُّ الْقُرَشِيُّ ، كَانَ يَعْرِفُ بِلَقَبِ (أَبِي الْحَكَمِ) فَسَمَاهُ =

أولعوا بالأذى فآلفوا رسولَ الله
كلما أحدثوا الذنوبَ كباراً
ما به نفسه فيغضبُ يرضيها
إنه الله لا سيواه ودين
يجدُ الناسَ والمقاديرَ فيه
ما زكا سابقُ من الرُّسلِ إلا
جاءه عمُّه يقولُ أترضى
ويصُّبوا عليك من صفوةِ الماءِ
قال يا عمُّ ما بُعثتُ لدنيا
لو أتوني بالتيارين لأعرضت
إن يُشِيرُوا بما علمتَ فإني
دونَ هذا دمي يُراقُ ونفسي
جلدأ على البلاءِ صبورا
وجدوه لِكُلِّ ذنبٍ غفورا
وترضيه ناعماً مسرورا
ملكَ النفسَ وأسترقَّ الشعورَا
ويرى ما عداه شيئاً يسيرا
هو أذكى نفساً وأصفى ضميرا
أن يُقيموك سيِّداً أو أميرَا؟
لِ حَيَا ماطرأ وغيثاً غزيرا
أبتغيها وما خلقتُ حصورا (١)
أريهم مطالبي والشُّقورا (٢)
لأدعُ الهوى وأعصي المشيرا (٣)
تُطعمُ الختفَ رائعاً محذورا (٤)

= المسلمون (أبا جهل) كما كان يكنى ب (ابن الحنظلية) نسبة لأمة . لما بدئ الجهر
بالدعوة كان من أشد الناس إنكارا لها وحربا عليها . وتفرغ لإيذاء النبي - ﷺ -
ومحاولة الإيقاع به ، والبطش بالمسلمين . قتل في موقعة بدر حيث أصابه ابن عفران ثم
أجهز عليه عبد الله بن مسعود .

(١) الحصور : هنا الضيق الصدر ، والهيوب : المحجم عن الشيء .

(٢) الشقور : الحاجات والأمور المتعلقة بالقلب والمهمة له ، جمع شقر .

(٣) دعه : دفعه دفعا عنيقا .

(٤) يقصد بـ « عمه » عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم ، وأشتهر بأبي طالب . ولد عام
٨٠ ق هـ ، اشتغل بالتجارة ولكنه لم يكن مسورا بسبب كثرة عياله . كفّل النبي بعد
وفاة جده عبد المطلب . وكان أبو طالب يحمي النبي ويمنع عنه إيذاء قريش . وكان
أبو طالب هو الذي عمل على نقض صحيفة قريش ، وهو الذي أشار على
الرسول - ﷺ - بهجرة أتباعه إلى الحبشة . دخل بعض العائدين من الحبشة في جواره
ليحميمهم من إيذاء قريش . ويشير الشاعر في هذه الأبيات إلى عرض قريش على أبي
طالب بأن يمنحوا محمداً - ﷺ - المال . . . أو الملك . . على أن يترك هذا الدين فيقول
لعمه : والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا
الأمر ما فعلت ، حتى يظهره الله ، أو أهلك دونه . فيقول أبو طالب : أقبل يا ابن
أخي ، فأقبل عليه ، فقال : أذهب فقل ما أحببت ، والله لا أسلمك .

المطعم بن عدى

خرج الرسول الكريم ﷺ من مكة إلى الطائف بعد موت عمه أبى طالب وتألب الكفار عليه ليدعو ثقيفاً إلى الإسلام فلقى فيه أذى شديداً . وبعث إلى المطعم بن عدى (١) يقول : « إني داخل مكة فى جوارك » فأجابه إلى ذلك . وكان يلبس السلاح هو وبنوه يحرسون لنبى ﷺ فى طوافه بالبيت . وبقي المطعم ابن عدى كافراً إلى أن مات ، وقد قال النبى ﷺ فى أسارى بدر : « لو كان المطعم بن عدى حيا ثم كلمنى فى هؤلاء التثني لتركتهم له » :

ما رأينا كالمطعم بن عديّ جافياً واصلاً هَيوباً جَسُورا (٢)
 أثر الكُفر مَلّةً وأجار الدّ ين مُستضعفاً يَدُورُ شَطِيرا (٣)
 رَأَمَ بالطائف المَقامَ فَأَعيا فائثنى يَطْلُبُ الأمانَ حَسيرا (٤)
 وَكَلَّ اللّهُ بِالنُّبُوّةِ مِنْهُ أَسْداً يَمْلأُ الفُضاءَ زَئيرا
 قائماً فى السّلاحِ يَجْمَعُ حَولِيهِ شُبوْلاً تَحْمِي الحِمى وتُمُورا
 يَمْنَعُ القُومَ أَنْ يَصْدُوا رَسولَ اللّهِ عَنِ بَيْتِهِ وَيَأْبى الخُفُورا (٥)

(١) المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف ، قرشى ، كان رئيساً لبنى نوفل فى الجاهلية . من مواقفه فى بداية الدعوة عندما نزل الرسول - ﷺ - قرب حراء قاصدا مكة بعث إلى بعض حلفاء قريش ليجيروه فى دخول مكة ، ولكنهم لم يستجيبوا ، فلما بعث إلى المطعم ، حمل سلاحه هو وأهل بيته ، وتوجهوا إلى المسجد ، وأرسل من يدعو الرسول إلى الحضور قد صلى وطاف بالبيت الحرام وصلى وعاد آمنا . وعندما أمسكت قريش بسعد بن عباد أثناء دخوله مكة معتمرا وأرادت إيذائه ، استجار بالمطعم فأجاره ، وأطلق سراحه . كما أنه واحد من الذين كانوا يمزقون الصحف التى نكمتها قريش ضد بنى هاشم - توفى عام ٢هـ - ٦٢٣ م .

(٢) الهيوب : المحجم عن الشيء .

(٣) الشطير : الغريب والبعيد .

(٤) حسيرا : كالا متعبا .

(٥) الخفور : نقض العهد والغدر .

نَقَضَ الحِلْفَ مِنْ قَرِيشٍ فَأَمْسَى أَسْلَمْتُهُ العُرَى وَكَانَ مَرِيرًا (١)
 عَجَبًا لِلغَوِيِّ يُعْطِيكَ مِنْهُ عَمَلًا صَالِحًا وَرَأْيًا فَطِيرًا (٢)
 مَا رَأَيْنَا مِنْ ظَنٍّ بِالزَّرْعِ شَرًّا فَحَمَى أَرْضَهُ وَصَانَ البَذُورَا
 لَوْ جَزَى اللَّهُ كَافِرًا أَجْرًا مَا أَحْسَنَ يَوْمًا لَخِلَّتْهُ مَأْجُورَا

(١) المرير: ما اشتد فتله من الحبال ، وحلف قريش هذا هو الذى عقده ضد بنى هاشم وعبد المطلب لإبائهم أن يخلوا بينهم وبين الرسول الكريم ليقتلوه ويؤدوا ديتهم مضاعفة . فتعاهدوا على منابذتهم وإخراجهم من مكة إلى شعب أبى طالب ومنعهم من حضور الأسواق لتجويعهم . وألا يصاهروهم أو يبيعوا لهم أو يشتروا منهم أو يقبلوا لهم صلحا إلا إذا أجابوهم إلى طلبهم ، وكتبوا بذلك صحيفة علقوها فى الكعبة فجهدوا حتى لكانوا يأكلون الخبط وورق الشجر ، وكانت مدة إقامتهم بالشعب ثلاث سنين ، وقيل: ستان . وكان الذين سعوا فى نقض هذه المعاهدة خمسة رجال منهم المطعم بن عدى ، وقيل: إنه هو الذى مزق الصحيفة .

(٢) لم يكتمل نضجه ولم يصدر عن تفكير وروية .

فى غار حراء (*)

ظلُّ مُسْتَخْفِيًّا بِغَارِ حِرَاءِ يَسْمُرُ الْقَوْمُ فِي الضَّلَالِ وَيُمْسِي
 لِلَّذِي أَطْلَعَ النُّجُومَ سَمِيرًا (١) رَاكِعًا سَاجِدًا يُسَبِّحُ مَوْلَا
 هُ وَيُزْجِي التَّهْلِيلَ وَالتَّكْبِيرَا تَهْتَفُ الْكَائِنَاتُ بِأَخْذِهَا الصَّو
 تُ تُحْيِي مَكَانَهُ الْمَهْجُورَا نَالَ مِنْهَا مَحَلَّةً لَمْ يَنْلَهَا
 صَوْتُ دَاوُدَ حِينَ يَتَلَوُ الزَّبُورَا نَبَرَاتُ قُدْسِيَّةٌ تَتَوَالِي
 نَغْمًا رَائِعًا وَتَمْضِي زَفِيرَا رَبُّ طَالَ الْخَفَاءُ وَالْدِّينُ جَهْرُ
 رَبُّ فَاجْعَلْ مَدَى الْخَفَاءِ قَصِيرَا مَاجَتْ الْأَرْضُ حَوْلَهُ وَتَجَلَّى
 اللَّهُ يَنْهَى بُرْكَانَهَا أَنْ يَفُورَا أُوْذِيَ الدِّينُ فِي الشُّعَابِ وَرَدَّتْ
 يَدُ سَعْدِ عَدُوِّهِ مَدْحُورَا (٢) رَقِمَتْ فِي الْكِتَابِ أَوَّلَ سَطْرِ
 وَأَتَمَّ الدَّمُ الْمُرَاقُ السُّطُورَا أَدْبَرَ الْقَوْمُ الْمُحْنَقِينَ فَلَوْلَا
 اللَّهُ كَادَتْ رَحَى الْوَعَى أَنْ تَدُورَا (٣) أَزْمَعَ الضَّيْفُ أَنْ يَوْمٌ سِوَاهُ
 مَنَزَلًا كَانَ صَالِحًا مَبْرُورَا (٤) حَلَّهُ الْوَحْيُ رَوْضَةً شَاعَ فِيهَا
 رَوْنَقًا سَاطِعًا وَفَاحَ عَبِيرَا

(*) جبل حراء يقع فى الشمال الشرقى لمكة على مسيرة ثلاثة أميال منها ، اشتهر بالغار الذى يعرف باسمه ، ويطلق عليه جبل النور ، لأنه مهبط الوحى الأول على الرسول - صلى الله عليه وسلم . وفيه كان يتعبد قبل البعثة .

(١) يسمرون : يتحدثون .

(٢) هو سعد بن دهب بن عبد مناف بن زهرة بن قلاب بن مره ، ويكنى أبا اسحاق وأمة حمزة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس بن قصي . وسعد أول من رمى فى الاسلام وشهد بدرًا ، وهو الذى فتح الفارسية : [وهو ابن بضع وسبعين سنة] سخر قوم من المشركين بالمسلمين وهم يصلون مستخفين فى بعض شعاب مكة فضرهم سعد بن أبي وقاص - وكان معهم - رجلا منهم بلحى بعير فشجه ، وكان أول دم أريق فى الإسلام .

(٣) محققين : من الحق وهو الغيظ والوعى الحرب .

(٤) أزمع : عزم ، ويوم : يقصد .

فى دار الأرقم بن أبى الأرقم (١)

ودعا الأرقمُ استجبْ تلك داري تَسْعُ الدِّينَ مُحَرَجاً محصورا
وافِها واجمع المصلين فيها عُصْبَةً إِنْ أَرَدْتَ أَوْ جُمُهورا (٢)
وأتى ابنُ الخطابِ يُؤْمِنُ با لِلَّهِ وَيَخْتَارُ دِينَهُ المأثورا
قال كلاً لَنْ يَعْبُدَ اللَّهُ سِـِرا وَيُرَى نُورُ دِينِهِ مَسْتورا
اخرجوا في حِمَى الكتابِ أسوداً وَأَطْلَعُوا فِي سَنَةِ النَّبِيِّ بُدورا
ذَلِكُمْ بَيْتُكُمْ فَصَلُّوا وَطُوفُوا لَا تَخَافَنَّ مُشْرِكاً أَوْ كُفُورا (٣)

(١) هو ابن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأمه أميمة بنت الحارث بن حباله بن عمير ابن غبشان من خزاعة ، ويكنى الأرقم أبا عبد الله . واسم أبى الأرقم عبد مناف ، ويكنى أسد بن عبد الله أبا جندب . كان سابع من أسلم . وداره بمكة على الصفا ، سميت دار الأرقم : دار الإسلام . توفي وهو ابن بضع وثمانين سنة ، وكان مروان بن الحكم واليا على المدينة .

(٢) كانوا تسعة وثلاثين رجلا فتموا أربعين بإسلام عمر رضي الله عنه .

(٣) عمر بن الخطاب ، أو عمرو بن هشام . فجاء عمر بن الخطاب من الغد بكرة فأسلم فى دار الأرقم ، وفرجوا منها فكبروا ، وطاقوا البيت ظاهرين وهو ابن ثقلب بن عبد العزى ابن رباح بن عبد الله بن قرط ابن رزاح بن عدى بن كعب ويكنى أبا حفص . وأمه : حنتمه بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . أسلم بعد أربعين رجلا وعشر نسوة أو خمسة وأربعين رجلا واحدى عشرة امرأة . ولد قبل الفجار الأعظم الآخر بأربع سنين ، وأسلم فى ذى الحجة السنة السادسة من النبوة وهو ابن ست وعشرين سنة . وطعنه أبو لؤلؤة المجوسى يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، ودفن يوم الأحد صباح هلالى المحرم سنة أربع وعشرين وهو ابن ثلاث وستين سنة .

إرادة قتل الرسول ﷺ وهجرته إلى المدينة

- أجمعوا أمرهم وقالوا هو القتل
كذبوا ما دم الهزبر أما
لا وربّي فإنما طلب الكفار
أن نفس الرسول أمنع جارا
ما لهم هل رمى النبي ثرابا
ذهلوا مدة فلما أفاقوا
ينفضون التراب من مس منا
أين كنا ما بالنا لا نراه
أمن الحادثات ما يذهل العا
أين وكى لقد رمانا بسحر
يا له مصعباً لو أنا أصبنا
راح في غبطة ورحنا نعانى
خبيبة تترك الجوانح حرى
- (١) يَمِيطُ الْأَذَى وَيَشْفِي الصُّدُورَا
(٢) نِيٌّ مَهَازِيرَ يُكْثِرُونَ الْهَرِيرَا
(٣) بَسْلاً وَحَاحِلُوا مُحْظُورَا
مِنْ طَوَاغِيَتِهِمْ وَأَقْوَى مُجِيرَا
أَمْ عَمَى فِي عُيُونِهِمْ مَذُورَا
أَنْكُرُوهَا دَهْيَاءَ عَزَّتْ نَظِيرَا
كُلَّ وَجْهٍ فَرْدَةً مَعْفُورَا
مَا لَا وَصَالَنَا تُحْسُ الْفُتُورَا
قَلَّ عَنْ نَفْسِهِ وَيُعْمِي الْبَصِيرَا
فَسَكِرْنَا وَمَا شَرِينَا الْخُمُورَا
هُ عَلَى غِرَةٍ لَخَرَّ عَقِيرَا (٤)
أَمَلًا ضَائِعًا وَجَدَا عَثُورَا (٥)
يَا لَهَا حَسْرَةً تُشَبُّ وَتُورَى (٦)

(١) لما علمت قريش بمبايعة وفد المدينة للرسول - ﷺ - اجتمعوا في دار الندوة ، وهي دار (قصي بن كلاب) يتشاورون ما يصنعون ، فقال قائل : نخرجه من أرضنا . فرد بعضهم إذا خرج اجتمعت حوله الجموع لما يريه من حلاوة منطقة ، وعذوبة لفظه وأشار البعض بحبسه . ورفضوا ذلك ، فقد يأتي أنصاره لتخليصه ، وتكون الحرب بين أبناء قريش . . . ثم استقروا على أن يأخذوا من كل قبيلة شابا جلدا ويجتمعون أمام داره فإذا خرج ضربه ضربة رجل واحد ، فيضيع دمه بين القبائل . فلا يقدر بنو عبد مناف على الثأر له . ويقبلون الدية . أماط الشيء أبعدته ونحاه .

(٢) الهزبر : الأسد ، ومهاذير : جمع مهذار وهو الذي يكثر من الهذر ، والهزير : صوت الكلب دون النباح .

(٤) العقير والمعقور بمعنى

(٣) البسل : الحرام .

(٦) توري : تشتعل .

(٥) جدا عثورا : حظا عاثرا .

رَبَّ آتَيْتَهُ عَلَى الْقَوْمِ نَصْرًا فِتْبَارَكْتَ حَافِظًا وَنَصِيرًا
 أَنْتَ نَجَيْتَهُ فَهَاجَرَ يَقْضِي الْـ حَقًّا لَا خَائِفًا وَلَا مَذْعُورًا
 يَوْمَ ضَجَّتْ جِبَالُ مَكَّةَ دُعْرًا وَتَمَنَّتْ هِضَابُهَا أَنْ تَمُورَا (١)
 تَتَنَزَّى أَسَىً وَتُمْسِكُهَا تَمَدُّ نَعْمًا مِنْ وَرَائِهِ أَنْ تَسِيرَا (٢)
 هِيَ لَوْلَاكَ لَارْتَمَتْ تَقْذِفُ الصَّخْرَ رَ وَتُزْجِي هَبَاءَهَا الْمُنْشُورَا
 هَاجَهَا مِنْ جَوَى الْفِرَاقِ وَحَرًّا الْـ وَجَدَ مَا هَاجَ بَيْتَكَ الْمَعْمُورَا (٣)
 كَادَ يَهْفُو فَرِذَّتُهُ مِنْكَ رُوحًا فَأَنْثَنِي رَاجِحَ الْجَلَالِ وَقُورَا
 يَا لَهَا مِنْ مُحَمَّدٍ نَظَرَاتِ زَخَرَتْ رَحْمَةً وَجَاشَتْ سَعِيرَا
 نَظَرَاتِ شَجِيَّةٌ لَا تَعْدُ الْـ أَهْلَ أَهْلًا وَلَا تَرَى الدُّورَ دُورَا
 قَالَ مَا فِي الْبِلَادِ أَكْرَمُ مِنْ مَكَّةَ عَةَ أَرْضًا وَلَا أَحَبُّ عَشِيرَا
 فَاسْكُنِي يَا هُمُومَ نَفْسِي إِنْ الدَّ هَ أَمْضَى قَضَاءَهُ الْمَقْدُورَا
 إِنِّي قَدْ نَذَرْتُ لَلَّهِ نَفْسِي وَالتَّقِيُّ الْوَفِيُّ يَقْضِي النُّذُورَا
 نَقْطَعُ الْبَيْدَ بَعْدَ صَحْبِ كَرَامِ قَطَعُوا غَارِبَ الْعُبابِ عُبُورَا (٤)

(١) تموج وتضطرب أو تجرى على الأرض كما يجرى الماء أو الدم .

(٢) تنزى : تسيل .

(٣) جوى الفراق : ألمه وشدته .

(٤) عن ابن عباس قال : قال رسول الله - ﷺ - « واللله إني لأخرج منك وإنى لأعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله ، وأكرمها على تعالى ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت » [صحيح - رواه أحمد : ٣٠٥ / ٤] وكذلك رواه النسائي والبيهقي في الدلائل : ٥١٨ / ٢ . إشارة إلى هجرة المستضعفين من المسلمين إلى أرض الحبشة وكانت الهجرة إلى الحبشة مرتين ، فكان عدد المهاجرين في المرة الأولى اثني عشر رجلاً وأربع نسوة ثم رجعوا عندما بلغهم عن المشركين سجودهم مع رسول الله - ﷺ - عند قراءة سورة النجم ، قلقوا من المشركين أشد مما عهدوا ، فهاجرو ثانية ، وكانوا ثلاثة وثمانين رجلاً ، وثمانى عشرة امرأة . وبعثت قريشا فى شأنهم إلى النجاشى مرتين الأولى عند هجرتهم ، والثانية عقيب وقعة بدر . وكان عمرو بن العاص رسولا فى المرتين ، ومعه فى إحداهما عمارة بن الوليد ، وفى الأخرى عبد الله بن أبى ربيعة المخزوميات . وفشلت قريش فى سفارتها عند النجاشى .

كم رشيد آذاه في الله غار
ضرب الصَّحْبُ في البلاد فأمسوا
في ديارٍ لدى النجاشي^(٢) غُبر
وتولَّى ولأُمُورٍ مصير
يومَ يَمشي الصَّدِّيقُ^(٣) في نوره الزا
يَنْصُرُ الحقَّ نائراً يَمْنَعُ البا
لا يُبالي غَيْظَ القلوبِ ولا يَخْ
أقبل القوم يسألون : أتحت التـ
نفضوا الهضب والجبال وشقوا الأرض
ويح أسماء^(٤) إذا يجيء أبو جهـ
صاح : أسماء أين غاب أبو بكر
قالت : العلم عنده ما عهدنا

(١) السجير : الخليل الصفي .

(٢) هو حاكم الحبشة ، وهي دولة أفريقية على البحر الأحمر بين السودان وكينيا والصومال وجيبوتي ، تتبعها جزر دهلك أمام ساحل إريتريا . عاصمتها الآن (أديس أبابا) وتسمى الآن إثيوبيا . معظم سكانها يتبعون الكنية القبطية .

(٣) هو أبو بكر الصديق ، وكان يستأذن الرسول - ﷺ في الهجرة ، فقال له : أقم فقال : يا رسول الله أن يؤذن لك ، فيقول : إني لأرجو ذلك . ثم أتى رسول الله - ﷺ - فناداه ، فقال أخرج من عندك . فقال يا رسول الله عندي ناقتان قد أعددتها للخروج . ركب النبي - ﷺ - إحداهما وهي الجدعاء والظلفا إلى غار ثور .

(٤) أسماء بنت أبي بكر الصديق - قرشية من بنى عامر ، وأخت السيدة عائشة لأبيها ، كانت تحمل الطعام إلى الرسول وصاحبه أبي بكر أثناء اختفائهما في غار حراء ولم تجد ما تشد به حملها فشقت نطاقها ، وربطت به الطعام . وسميت (ذات النطاقين) شهدت اليرموك مع زوجها الزبير بن العوام وابنها عبد الله الذي قتل في مكة عام ٧٣ هـ . فأصابها العمى من شدة الحزن عليه . ولحقت به في نفس العام . روى لها البخاري ومسلم ٥٦ حديثاً .

(٥) الأجم : م : أجمة وهي بيت الأشد ، والخدور : م (خدر) ، وخدر المرأة خباؤها ، والمعنى أنه لم تجر العادة أن يستشير الرجال لنساء .

- فرماها بلطمة تُعرض الأجدَّ يال عن ذكرها صوادف صورا (١)
قذفت قرطها بعيداً ورضت من وجوه النبی وجهاً نضيراً (٢)

(١) من الصدوف والصور ، وهما بمعنى الميل والانصراف .

(٢) رضت : بمعنى دقت أو كسرت . عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثت عن أسماء بنت أبي بكر رضی الله عنهما - أنها قالت : لما خرج رسول الله - ﷺ - أتانا نفر من قريش ، فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على الباب فخرجت إليهم ، فقالوا أين أبوك قالت : فقلت : والله لا أدرى أين أبى . قالت : فرفع أبو جهل يده ، وكان فاحشاً خبيثاً فلطم خدى لكمة خرم منها قرطى .

فى الغار الأكبر غار ثور

غار ثور (١) ، أعطاك ربك مالـم أنت أطلعت للممالك دنيا
صنته من ذخائر الله كنزاً مخفراً الحق لاجئاً يتوقى
وقفت حوله الشعوب حيارى يا حيارى الشعوب ، ويحك إن الـ
لا تخافى ، فتلك دولته العظـ جاءك المنقذ المحرر لا يتـ
ورث المالكين والرسل الهاـ الحكيم الذى يهد ويبنى
والزعيم الذى يسن ويقضى تترامى الأجيال بين يديه
ليس فى الناس سادة وعبيد (٤) كبر العقل أن يظل أسيراً

(١) جبل ثور جنوب مكة ، وعلى بعد خمسة أميال منها ، وبالقرب من قمته يوجد الغار الذى لجأ إليه النبي ﷺ وصاحبه أبو بكر فى هجرته من مكة إلى المدينة . ويرتقى إليه الصاعد على مرحلتين فى طريق صخرى متعرج . والغار نفسه عبارة عن صخرة مجوفة ذات فتحتين ، الكبرى منهما هى مدخله ، وتحجب هذا المدخل صخرتان متقابلتان . وقد قضى الرسول وصاحبه فى الغار ثلاثة أيام حتى يثست قریش من العنور عليه .
(٢) الظهير : المعين .

(٣) النير : الخشبة توضع على عنقي الثورين ليحرا ما يراد جره .

(٤) إشارة إلى قوله - ﷺ - لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى . وكان أبو بكر وبلال يستأذنون للدخول عليه فقال ادخلوا سيدنا بلالا .

خُلِقَ الكلُّ فى الحقوق سواءَ ما قضى الله أمره مبتورا (١)
 كذب الأقوياء ما ظلم الله وما كان مسرُقا أو قَتورا (٢)
 دَبَّرَ الملكَ للجميع فسوى الـ أمر فيه ، وأحكم التدبيرا
 يا نصير الضعافِ ، حرر نفوسًا تتمنى الفكاكَ والتحريرا (٣)
 ضجت الكائنات ، هل من سفير يتلافى الدُّنَى ؟ فكنت السفيرا
 رب آتيتنا هداك وأنزلـ ت علينا كتابك المسطورا
 فَلَكَ الحمد وافراً مستمراً ولك الفضل باقياً مذكورا

(١) مبتورا : مقطوعا .

(٢) انقتور : البخيل .

(٣) الفكاك : طلب الحرية .

أبو بكر وحيّة الغار^(١)

صاحب القوائم المتوج بالفر قان ، بوركتَ صاحبًا ووزيرا
أنتَ واليتهُ ، وعاديتَ فيه من توخى الأذى ، وأبدى النفورا^(٢)
أو لم تتخذ أباك عدوا وتذقه الهوان كيما يحورا ؟^(٣)
إذ يقول النبی : لا تضرب الشیء سخ وإن سبنى ، ودعه قريرا^(٤)
إنما نلت بالمساءة منه والذا مدبراً ، وشيخاً ضريرا

* * *

ليت شعري : أصبت حية واد تنفث السم ، أم أصبت حريرا ؟^(٥)

(١) أبو بكر : هو عبد الله بن أبي قحافة . وكان اسمه في الجاهلية (عبدالكعبة) فسماه الرسول - ﷺ - عبد الله . ولقبه عتيقا لجمال وجهه . وينسب إلى تيم قريش (ويلتقى هو والرسول - ﷺ - عند مره بن كعب .

(٢) واليته : ناصرته .

(٣) يحور : يرجع .

(٤) يعني مطمئنا . وأسلم أبو قحافة يوم فتح مكة . وأتى به إلى الرسول - ﷺ - فقال : ألا أفررتم الشيخ في بيته حتى كنانانية - تكرمه لأبي بكر - وأمرهم أن يغيروا شبيهه . وبإيعه ، وأتى المدينة وبقي بها حتى مات في خلافة عمر سنة أربع عشرة ، وله يوم قبض سبع وتسعون سنة .

(٥) لما انتهينا إلى الغار قال أبو بكر : والله لا تدخله حتى أدخل قبلك ، فإن كان فيه شيء أصابني دونك ، فدخل فكسحه ، فوجد في جانبه ثقباً فشق إزاره وسدها به ، وبقي منها إثنان ، فالتقهما رجله . ثم قال لرسول الله ﷺ ادخل ، فدخل . ووضع رأسه في حجرة ونام . فلدغ أبو بكر في رجله في الجحر ، ولم يتحرك مخافة أن يتبه رسول الله ﷺ فسقطت دموعه على وجه الرسول ﷺ فقال : مالك يا أبا بكر ؟ قال : لدغت ، فذاك أمي وأبي ، فقتل رسول الله ﷺ فذهب مايجده ﷺ . [فتح الباری ٧٠ / ٣٣٦ ، الرحيق المختوم : ١٨٠] .

نفثت سمها فما هز رضوى من وقار ، ولا استخف ثبيراً (١)
 خفت أن توقظ النبي فما ير ضيك أن تضعف القوى أو تخورا
 أكرم الله ركبتك لقد أعطاك سبحانه فأعطى شكورا
 أى رأس حملت يا حمل الإيمـ ان سمحاً ، والبرّ صفواً طهوراً ؟

(١) رضوى وثبير : جبلان . رضوى يقع بين المدينة وينبع ، يفصله عن جبل غزور واد ثمر به القوافل في طريقها إلى الشام ، وثبير في منطقة المشاعر بين منى وعرفات ، يقوم على سفحه مسجد (الكوثر) حيث نزلت هذه السورة على هذا الجبل فأقيم المسجد .

سراقة بن مالك يُريد قتل النبي ﷺ (*)

جعل كفار قريش لمن يقتل النبي ﷺ أو يأسره مائة ناقة فذهب سراقة في أثره، قال سراقة - بعد أن ساخت قوائم فرسه مراراً وبعد أن اعتذر إلى النبي الكريم ﷺ : يا محمد إني لأعلم أنه سيظهر أمرك في العالم وتملك رقاب الناس، فعاهدني على أن تكرمني إذا جئتكم يوم ملكك . فأمر عامر بن فهيرة - وقيل : أبا بكر - فكتب له العهد الذي طلب - أسلم بالجرعانة ﷺ . قال له النبي ﷺ عند منصرفه : « كيف بك يا سراقة إذا تسورت بسواري كسرى » ، وقد ألبسه عمر إياهما في خلافته لما فتحت بلاد فارس .

اتق الله يا سراقة وانظر هل ترى الأمر هيناً ميسوراً ؟
أم تظن الجواد تمسكه الأرز وتلوى عنانه مسحوراً ؟
أم هو الله ذو الجلال رماء يمسك الشر راكضاً مستطيراً ؟
غرك القوم ، فانطلقت ترجيه خسيساً من الجزاء حقيراً
وضح الحق ، فاعتذرت وأولا ك الرسول الأمين فضلاً كبيراً

(*) قال ابن شهاب : وأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلحي ، أن إياه أخبره أنه سمع «سراقة» يقول جاءنا رسل كفار قريش ، يجعلون في رسول الله ﷺ وأبى بكر دية كل واحد لمن قتله أو أسره فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي نى مدلح ، وأقبل رجل منهم ، فقال : يا سراقة ، إني قد رأيت أسوداً بالساحل ، أراها محمداً وأصحابه . قال سراقة : فعرفت أنهم هم . فقلت : إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا . ثم لبث في المحبس ساعة ، ثم قمت وأخذت فرسى ورمحي . ودفعت فرسى تقرب بي حتى دوت منهم ، فعثرت بي فرسى فخررت عنها ، فقممت فأوهيت يدي على كنانتي ، فاستخرجت منها الأزام ، فاستقممت بها أضرهم أم لا ، فخرج الذي أكره ، فركبت فرسى ، وعصيت الأزام ، تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت ، وأبو بكر يكثر الالتفات ، ساخت يدا فرسى في الأرض ، حتى بلغت الركبتين ، فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت ، فلم تكد تخرج يديها . فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عثاني « غبار » ساطع في السماء ، فاستقممت =

فزت بالعهد فاغتنمه وأبشر بسواري كسرى فديت البشيرا
 قل لأهل النياق : أوتيت أجرى جللا ، فابتغوا سوای أجيرا
 ليس من رام رفعة أو سناء مثل من رام ناقة أو بغيراً

= بالأزلام ، فخرج الذى أكره ، فناديتهم بالأمان ، فوقفوا، فركبت فرسى حتى
 جئتهم، ووقع فى نفسى حين لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ
 فقلت له إن قومك جعلوا فيك الدية . وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم ، وعرضت
 عليهم الزاد والمتاع . فلم يزرأنى ، ولم يسألانى ، وإلا أن قالا ... أخف عني .
 فسألته أن يكتب لى كتاب أمن ... القصة [عيون الأثر ١/ ٢٢٤ - ٢٢٥] .

بريدة بن الحصيب وأصحابه يأتون بعده

وَأَتَى بَعْدَهُ بُرَيْدَةُ ^(١) يَرْجُو
يَرْكَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَيَطْوِي الْبَيْدَ
فِي رِجَالٍ مِنْ صَحْبِهِ زَعَمُوا الْإِغْرَاءَ
آثَرُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَفَازُوا
أَسْلَمُوا وَأَرْتَأَى بُرَيْدَةُ رَأْيًا
قَالَ مَا يَنْبَغِي لِمَثَلِ رَسُولٍ
كَيْفَ تَمْشِي بِلَالٍ لَوَاءٍ وَقَدْ أُو
لَيْسَ لِي مِنْ عِمَامَتِي وَمِنْ الرَّم
اخْفَقِي يَا عِمَامَتِي وَاعْلُ يَا رَم
وَمَشَى بِاللَّوَاءِ بَيْنَ يَدَيْهِ
أَنْ يَنَالَ الْغِنَى وَكَانَ فَقِيرًا
غُبْرًا سُهْلَهَا وَالْوُغُورَا
نُصْحًا وَاسْتَحْسَنُوا التَّغْرِيرَا
وَأَرْتَضَوْهَا تَجَارَةً لَنْ تَبُورَا
الْمَعْيَا وَكَانَ حُرًّا غَيْرَا
لِلَّهِ أَنْ يَأْلُوَ الْبِلَادَ ظُهُورَا
تَيْتَ مِنْ رَبِّكَ الْمَقَامَ الْأَثِيرَا؟
حَ عَذِيرٌ إِذَا التَّمَسْتَ عَذِيرَا
حَيٍّ فَقَدْ خَفْتُ أَنْ تَعُودَ كَسِيرَا
يَتَلَقَّى السَّنَا الْبَهِيَّ فَخُورَا

(١) هو بريدة بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج بن سعد بن رزاح بن عدى بن سهم بن مازن ابن الحارث بن سلامان بن أفضى . ويكنى « أبا عبد الله » وأسلم حين مر به رسول الله ﷺ للهجرة حين انتهى إلى « الغميم » حيث أسلم هو ومن معه ، وكانوا زهاء ثمانين بيتا ، فصلى رسول الله ﷺ العشاء فصلوا خلفه . وأقام بريدة في بلاد قومه فلم يشهد بدرا ، ثم هاجر إلى المدينة وغزا مع المسلمين حتى قبض النبي ﷺ وفتحت البصرة ، ومُصرت فتحول إليها ثم خرج منها غازيا إلى « خراسان » في خلافة عثمان فلم يزل بها حتى مات سنة ثلاث وستين في خلافة يزيد بن معاوية [سير أعلام النبلاء : ٤٦٩/٢ ، الطبقات : ٢٢٠/٤ ، ٨/٩ و ٣٦٩] .

فى خيمة أم معبد (*)

ما حديثٌ لأمّ معبدَ تستسئ فقيه ظمأى النفوسِ عذباً نغيرا
سائل الشاة كيف درّت وكانت كزة الضرع لا تُرجى الدرورا؟
بركات السّمح المؤمل يقري أمّ الأرض زائراً أو مـزورا
مظهر الحقّ للنبوّة سبحا نك ربّاً فرد الجلال قديرا

(*) هى عاتكة بنت خلف بن معبد ربيعة بن أصرم . نزل عندها ركب الرسول ﷺ يريدون القرى . عن أبى سليط قال مرّ الركب بأم معبد الخزاعية وهى لا تعرفهم . فقال لها : يا أم معبد هل عندك من لبن ؟ قالت لا والله . وإنّ الغنم لعازية . قال : فما هذه الشاة التى أرى ؟ قالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم . قال : أتأذنين فى حلابها ؟ قالت : لا والله ما ضربها من فحل فشأنك بها ، فدعا بها فمسح ظهرها وضرعها ، ثم دعا بإناء يربض « يروى » الرهط ، فحلب فيه فملأه ، فسقى أصحابه تمللا بعد نهل . ثم حلب فيه آخر ، فغادره عندها وارتحل .

فلما جاء زوجها عند المساء ، قال : يا أم معبد : ما هذا اللبن ، ولا حلوبة فى البيت ، والغنم عازية « موجودة فى المرعى البعيد » قالت : لا والله ، إلا أنّه مرّ بنا رجل ظاهر الوضأة ، مبتلع الوجه ، فى أشفاره وطف « طويل شعر الأجفان » وفى عينيه دمع « شدة سواد العينين ، سعتها » ، وفى صوته صحل « غير حاد » غصن بين الغصنين ، لا تشفأ من طول ، ولا تقتحمه من قصر ، لم تعب شجله « ضخم بطن » ولم تزره صلعة (صغر رأس) ، كأنّ عنقه إبريق فضة ، إذا صمت فعليه البهاء وإذا نطق فعليه وقار ، له كلام كخرزات النظم ، أزين أصحابه منظرا ، وأحسنهم وجها ، أصحابه يحفون به ، إذا أمر ابتدروا أمره وإذا نهى اتفقوا عند نهايته . قال : هذه والله صفة صاحب قريش ، ولو رأيت لاتبعته ، ولا اجتهدن أن أفعل . [عيون الأثر : ٢٢٨ / ١] .

فى قباء (*)

يا حياة النفوس جئت قُباءَ جيئةَ الروحِ تَبْعُثُ المقبوراً
ارفع المسجدَ المباركَ وأصْنَعْ لِبَرايا صَنِيعَكَ المشكوراً (١)
معقل يعصم النفوس ويأبى أن يميل الهوى بها أو يجوراً (٢)
أوصها بالصلاة فَهِيَ عِلاجُ أو سِياجٌ يذودُ عنها الشُّروراً (٣)
غَرَسَ اللهُ دَوْحَةَ الدِّينِ قَدِماً وقَضاهَا أرومةً وجذوراً (٤)
لو أردتَ النُّصارَ لم تَحْمِلِ الأحـ جارَ تُوْهي القُوى وتَحْنِي الظُّهوراً (٥)
أرأيتَ ابنَ ياسرٍ كيف يَبْنِي أرأيتَ المُشيعَ الشَّمِّيرَ (٦)
أرأيتَ البَنَاءَ يَسْتَبِقُ القَو مَ صَعُوداً وَيَزْدَهِيمُ سُؤْراً (٧)

(*) ذكر البخارى عن الزهرى عن عروة أنه رضي الله عنه نزل فى بنى عمرو بن عوف بقباء . وأقام فيهم بضع عشرة ليلة . وأسس مسجد قباء فى تلك الأيام .
قال ابن اسحاق : فأقام رسول الله ﷺ بقباء فى بنى عمرو بن عوف أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ، وأسس مسجده ، ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة .
وقال عبد الله بن إدريس عن محمد بن اسحاق : إن بنى عمر بن عوف يزعمون أنه قام فيهم ثمانى عشرة ليلة .

- (١) البرايا : الخلق .
- (٢) يأبى : يرفض ، يجورا : يظلم .
- (٣) يذود : يدافع ويحمى .
- (٤) الأرومة : الأصل ، دوحه : الشجرة الكبيرة .
- (٥) كان ﷺ يحمل الحجر العظيم فيسأله أحد أصحابه أن يتركه له فيقول - لا - خذ مثله - وتوهى : تضعف . النصار : الذهب .
- (٦) هو عمار بن ياسر رضي الله عنه ، أسس النبى المسجد وأمه هو ، والشمير : الماضى فى الأمور المجرب .
- (٧) السؤور : الوثوب والارتفاع .

رَأَيْتَ الْفَحْلَ الْأَبْيَّ جَنْيْبًا فِي يَدِ اللَّهِ وَالْهَزِيرَ الْهَاصُورَا (١)
يَنْصَبُ النَّحْرَ لِلْحَجَارَةِ وَالطَّيِّبِ مِنْ يُغَيِّرُ الْحَلَى وَيُغْرِي النُّحُورَا
مَا بَنَى مِثْلَهُ عَلَى الدَّهْرِ غَرْ رَاحَ يَبْنِي خَوْرُنْقًا أَوْ سَدِيرَا (٢)
يَجِدُ الْحَقُّ فِي الْبِنَاءِ حُصُونًا وَيَرَى الطَّيْرُ فِي الْبِنَاءِ وَكُورَا (٣)

(١) الجنيب والمجنوب : ما يقاد من الخيل ونحوها . والهزير: الأسد .

(٢) انغر : من لم يجرب الأمور ، والخورنق والسدير : قصران للنعمان بن المنذر.

(٣) إشارة إلى قول الشاعر في بعض الأبنية العظيمة .

شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْسًا فَلِلطَّيْرِ فِي ذُرَاهِ وَكُورُ

وهو لعدي بن زيد العبادي في ديوانه ص ٨٨ .

حي بنى عمرو بن عوف

نزل النبي ﷺ في قباء على كثوم بن الهمد (١) كبير بنى عمرو بن عوف، وهم من الأوس ، وكان الموضع الذى بنى فيه المسجد مربداً له .

بُورِكَ الْحَيِّ حَيْكُم يَا بَنِي عَمْرٍو
كُنْتَ فِيهِ الضَّيْفَ الَّذِي يَغْمُرُ الْأَنْدَ
مَا رَأَتْ مِثْلَكَ الدِّيارُ وَلَا حَيًّا
كَرِهُوا أَنْ تَبِينَ عَنْهُمْ فَقَالُوا
قُلْتُ بَلْ يَثْرِبُ انْتَوَيْتُ وَمَا أَلْ
قَرِيَةَ تَأْكُلُ الْقَرَى وَتُرِيهَا
طَرَبْتُ نَاقَتِي إِلَى لَابَتَيْهَا
رَحْمَةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ
رَوِ بْنِ عَوْفٍ وَلَا يَزَلُ مَمْطُورًا
فَسَ الدُّورَ نَعْمَةً وَحَبُورًا
مَا لَكَ الْقَوْمُ فِي الضَّيْفِ نَظِيرًا
أَمَلًا أَزْمَعْتَ عَنَّا الْمَسِيرَا؟ (٢)
فَقَيْتُ نَفْسِي بِغَيْرِهَا مَأْمُورًا
كَيْفَ تَلْقَى الْبَلَى وَتَشْكُو الدُّورَا (٣)
فَدَعُوا رَحْلَهَا وَخَلُّوا الْجَرِيرَا (٤)
أَلْ عَوْفٍ كَبِيرِكُمْ وَالصَّغِيرَا

(١) هو كَثُومُ بْنُ هَدْمِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ الْخَارِثِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَرَسِ ، أَسْلَمَ قَبْلَ مَقْدَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَلَمَّا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ نَزَلَ عَنْده . وَنَزَلَ عَنْده أَيْضًا جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ، وَالْمُقَدِّدُ بْنُ عَمْرِو . وَخَبَّابُ بْنُ الْأَرَثِ . . وَكَثِيرٌ غَيْرُهُمْ . وَتَوَفَّى قَبْلَ بَدْرِ .

(٢) تَبِينَ : تَبَعْدَ ، أَزْمَعْتَ : عَزَمْتَ ، أَمَلًا : يَقَالُ مَلَّ الشَّيْءُ ؛ أَيْ : زَهَدَ فِيهِ .

(٣) الدُّورُ : الْهَلَاكُ .

(٤) الْجَرِيرُ : الزَّمَامُ .

من قباء إلى المدينة

- أَقْبِلْ فَتِلْكَ دِيَارُ يَثْرَبَ تَقْبِلُ يَكْفِيكَ مِنْ أَشْوَاقِهَا مَا تَحْمِلُ^(١)
 طَالَ التَّلَوُّمُ وَالْقُلُوبُ خَوَافُ يَهْفُو إِلَيْكَ بِهَا الْحَنِينُ الْأَطُولُ^(٢)
 الْقَوْمُ مُذْ فَارَقْتَ مَكَّةَ أَعَيْنُ تَأْبَى الْكَرَى وَجَوَانِحُ تَتَمَلَّمُ^(٣)
 يَتَطَلَّعُونَ إِلَى الْفَجَاجِ وَقَوْلُهُمْ أَفَمَا يُطَالِعُنَا النَّبِيُّ الْمُرْسَلُ؟^(٤)
 أَقْبَلْتَ فِي بَيْضِ الثِّيَابِ مُبَارِكَا يُزْجِي الْبَشَائِرَ وَجْهُكَ الْمُتَهَلِّلُ^(٥)
 يَا طَيْبَ مَا صَنَعَ الزُّبَيْرُ وَطَلْحَةَ وَلَصَنَعُكَ الْأَوْفَى أَجَلُ وَأَفْضَلُ^(٦)
 خَفَّ الرِّجَالُ إِلَيْكَ يَهْتَفُ جَمْعُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ فَرَحًا أَخْفُ وَأَعْجَلُ^(٧)
 هِيَ فِي رِكَابِكَ مَا بِهَا مِنْ حَاجَةٍ إِلَّا إِلَيْكَ وَمَا لَهَا مُتَحَوِّلُ^(٨)
 هَجَرْتَ مَنَازِلَهَا بِيَثْرَبَ وَأَنْتَحَتْ أُخْرَى بِمَكَّةَ دُورَهَا مَا تُؤْهَلُ^(٩)
 وَفِدَانُ هَذَا مِنْ وَرَائِكَ يَرْتَمِي عَجَلًا وَهَذَا مِنْ أَمَامِكَ يَنْسِلُ^(١٠)
 أَنْظِرْ بَنِي النَّجَارِ حَوْلَكَ عُكْفَا يَرِدُونَ نُورَكَ حِينَ فَاضَ الْمَنْهَلُ^(١١)

(١) يثرب : هو اسم المدينة قبل أن يهاجر إليها الرسول ﷺ .

(٢) التلوم : التمتك والانتظار .

(٣) الكرى : النوم . تتململ : تتوجع من طول الانتظار كانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه ﷺ حتى يردهم حر الظهيرة .

(٤) الفجاج : جمع فج وهو الطريق الواسع .

(٥) قال ابن شهاب ، أخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام ، فكسا الزبير الرسول ﷺ ، وأبا بكر ثياباً بيضاء .

(٦) ينسل : يسرع . وكان دخوله يوم الاثنين .

(٧) أقام الرسول بقباء أربعة أيام فإذا كان اليوم الخامس أرسل إلى بني النجار أخواله فجاؤا متقلدين سيوفهم ، فسار نحو المدينة وهم حوله وأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فجمع بهم في المسجد وكانوا مائة رجل ، وهؤلاء غير الذين لقوه حيث خرج زهاء خمسمائة من الأنصار حتى انتهوا إليهما ، فقالت الأنصار: انطلقوا آمنين مطاعين . فأقبل رسول الله ﷺ وصاحبه بين أظهرهم .

لَمْ يُنْزِلُواكَ عَلَى الْخُؤُولَةِ وَحَدَّهَا كُلُّ الْمَوَاطِنِ لِلنَّبِوَةِ مَنَزَلُ
 نَزَلُوا عَلَى الْإِسْلَامِ عِنْدَكَ إِنَّهُ نَسَبٌ يَعْمُ الْمُسْلِمِينَ وَيَشْمَلُ
 مَا لِلدِّيارِ تَهْزُهَا نَشَوَاتُهَا أَهْيَ الْأَنَاشِيدِ الْحَسَانُ تُرْتَلُ (١)
 رَفَّتْ نَضَارَتُهَا وَطَابَ أَرِيجُهَا وَتَرَدَّدَتْ أَنْفَاسُهَا تَتَسَلَّلُ (٢)
 فَكَأَنَّمَا فِي كُلِّ مَغْنَى رَوْضَةٍ وَكَأَنَّمَا فِي كُلِّ دَارٍ بَلْبَلُ
 هُنَّ الْعِذَارَى الْمُؤْمِنَاتُ أَقْمَنُهُ عِيدًا تَحْيِيهِ أَمَلَاتُكَ مِنْ عَلِ
 فِي مُوَكَّبٍ لِلَّهِ أَشْرَقَ نَوْرُهُ فِيهِ ، وَقَامَ جَلَالُهُ بِتَمَثُّلِ
 جَمَعَ النَّبِيِّينَ الْكَرَامَ فَآخَذُ بِيَدِ الْإِمَامِ وَعَائِذُ يَتَوَسَّلُ (٣)
 يَمْشِي بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ مُسَلِّمًا وَجَبِينَهُ بِفَهْمِ النَّبِيِّ مَقْبَلِ
 إِيَّاهُ بَنِي النَّجَارِ إِنَّ مُحَمَّدًا لِأَشَدُّ حُبًّا لَلَّتِي هِيَ أَجْمَلُ (٤)
 خَلُّوا سَبِيلَ اللَّهِ مَا لِرَسُولِهِ عَمَّا أَعَدَّ مِنَ الْمَنَازِلِ مَعْدِلِ
 ذَهَبَتْ مَطَيَّتُهُ فَقِيلَ لَهَا قِفِي هَذَا مَنَاخُكَ لَسْتَ مِّنْ يَّجْهَلِ

(١) خرج النساء والعذارى يضربن بالدفوف فخرج إليهم رسول الله ﷺ فقال : « أتحبونني ، فقالوا : أئى والله . قال : وأنا والله أحبكم » (كررها ثلاث مرات) ومما قيل فى ذلك :
 نحن جوار من بنى النجار يا حبذا محمد من جار

(٢) رفت : برقت وتلاذت .

(٣) عائذ : لاجئ .

(٤) عن عبد الله بن الزبير أن رسول الله ﷺ قدم المدينة فاستناخت به راحلته بين دار جعفر ابن محمد بن على وبين دار الحسن بن زيد . فأتاه الناس ، فقالوا يا رسول الله : المنزل ، فانبعثت به راحلته ، فقال : دعوها فإنها مأمورة ، ثم خرجت به حتى جاءت موضع المنبر فاستناخت ثم تحللت ، وثم عريش كانوا يعرشونه ويعمرونه ويتبردون فيه ، فنزل رسول الله ﷺ عن راحلته فيه فأوى إلى الظل ، فأتاه أبو أيوب ، فقال : يا رسول الله إن منزلى قريب . فأنقل رحلك إلى ، قال : نعم ، فذهب برحله إلى المنزل ، ثم أتاه رجل فقال : يا رسول الله : اين تحمل ؟ قال : إن الرجل مع رحله حيث كان . وثبت رسول الله ﷺ فى العريش اثنتى عشرة ليلة حتى بنى المسجد [حديث صحيح رواه البيهقى فى الدلائل : ٥٠٩/٢] انظر البداية والنهاية ١٩٨/٣ .

النَّاسُ فِي طَلَبِ الْحَيَاةِ وَهَاهُنَا
أَعْطَى أَبَا أَيُّوبَ رَحْلَكَ وَأَحْمَدِي
وَدَعَى الزَّمَامَ لِأَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ
لَمَّا حَمَلْتَ الْحَقَّ أَجْمَعَ وَالْهَدَى
يَتَنَافَسُ الْأَنْصَارُ فِيكَ وَمَا دَرَوْا
هِيَ كَيْمِيَاءُ الْحَقِّ لَوْلَا أَنَّهَا
دُنْيَا مِنَ الْعَجَبِ الْعَجَابِ وَدَوْلَةٌ
أَرَأَيْتَ أَهْلَ الْكَهْفِ لَوْلَا سِرْهَا
شُكْرًا أَبَا أَيُّوبَ فُزْتَ بِنِعْمَةٍ
مَا مِثْلُ رِفْدِكَ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا
لِلَّهِ دَارُكَ مِنْ مَحَلَّةٍ مُؤْمِنٍ
سِرُّ لَهَا خَافٍ وَكَثْرُ مُقْفَلٍ
مِنْ أَمْرِ رَبِّكَ مَا يَجِيءُ وَيَفْعَلُ
فَالِإِلَهِ بَعْدَ اللَّهِ أَمْرُكَ يُوَكَّلُ^(١)
أَمْسَى بِحَبْلِ اللَّهِ حَبْلُكَ يُوصَلُ
لِمَنِ الْمَفَازُ وَأَيُّهُمْ هُوَ أَوَّلُ
تَهْدِي الْعُقُولَ لَخَلَّتْهَا لَا تُعْقَلُ
يَهْوِي النُّضَارُ بِهَا وَيَعْلُو الْجَنْدَلُ^(٢)
هَلْ كَانَ يَكْرَمُ كَلْبَهُمْ وَيَجِلُّ؟^(٣)
فِيهَا لِنَفْسِكَ مَا تُرِيدُ وَتَسْأَلُ^(٤)
رِفْدٌ يُضَاعَفُ أَوْ عَطَاءٌ يُجْزَلُ^(٥)
نَزَلَ الْحِمَى فِيهَا وَحَلَّ الْمَعْقَلُ

(١) اسعد بن زرارته هو ابن عُدُس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار يكنى أبا أمامة . وأمه « سعاد » ويقال « الفُرَيْعَة » بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن الأبرج ، وكان أول من أسلم من الأنصار ، ثم لقيه الستة نفر هو سادسهم ، وكان يصلى بالناس فى مسجد بناه فى مريد سهل وسهيل ابني رافع بن أبى عمرو ، توفى فى شوال على رأس تسعة أشهر من الهجرة . ودفن بالبقيع وهو الذى أخذ زمام راحلة الرسول ﷺ فكانت عنده [ابن هشام : ٤٩٤/١ ، زاد المعاد : ٥٥/٢ ، الرحيق المختوم : ١٩٣] .

(٢) النضار : الذهب ، والجندل : الصخر .

(٣) جاءت قصتهم فى سورة الكهف من القرآن الكريم ، ويبجل : يعظم .

(٤) أبو أيوب الأنصارى واسمه : خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد بن عوف بن غنم وأمه زهراء بنت سعد بن قيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن الحارث بن الخزرج شهد العقبة مع السبعين من الأنصار . وأخى الرسول ﷺ بينه ومصعب بن عمير ، ونزل الرسول ﷺ عنده حين رحل من قُباء إلى المدينة . وشهد المشاهد كلها توفى سنة اثنتين وخمسين . وقبره بأصل حصن القسطنطينية . [تهذيب الكمال : ٦٦/٨ ، سير أعلام النبلاء : ٤٠٢/٢ ، الطبقات : ٤٤٩/٣] .

(٥) الرfid العطاء والصلة ، والجزل الكثير .

نَزَلَ النَّبِيُّ بِهَا فَحُلَّ فِنَاءَهَا مَجْدٌ يُقِيمُ وَسُودُّ مَا يَرَحُلُ
 مَجْدُ النَّبُوَّةِ فِي ضِيَاةٍ مَاجِدٍ سَمَحَ الْقَرَى يُسَدِّي الْجَزِيلَ وَيَبْذُلُ (١)
 وَسِعَتْ جِفَانُ الْمُطْعَمِينَ جِفَانُهُ كَرَمًا فَمَا يَأْبَى وَلَا هِيَ تَبْخُلُ (٢)
 أَضْفَى عَلَى السَّعْدِينَ بُرْدَ سَمَاحَةٍ فَاهْتَزَّ جُودُهُمَا وَأَقْبَلَ يَرْفُلُ (٣)
 جَذْلَانِ مُحْتَفِلًا يَقْرَبُ مِنْهُمَا لَهُ مَا يَرْضَى وَمَا يَتَقَبَّلُ
 جَعَلَ الْقَرَى سَبَبًا إِلَى رِضْوَانِهِ وَالْبِرُّ وَالْإِيمَانُ فِيمَا يَجْعَلُ

(١) القرى : ما يقدم للضيف ، الجزيل للكثير .

(٢) روى زيد بن ثابت أنه قال : أول هدية اهديت رسول الله ﷺ حين نزل دار أبي أيوب أنا جئت بها قصعة فيها خبز مثرود بلبن وسمن فقلت : أرسلت هذه القصعة أُمى . فقال : بارك الله فيك ودعا أصحابه فأكلوا ، ثم جاءت قصعة سعد بن عباد : ثريد وعراق لحم ، وما كانت من ليلة إلا وعلى باب رسول الله ﷺ الثلاث والأربعة يحملون الطعام وكانت جفنة « سعد » تدرر معه في بيوت أزواجه ، وكان مقامه في دار أبي أيوب سبعة أشهر . [البداية والنهاية : ١٩٨/٣] .

(٣) هما سعد بن عباد ، وأسعد بن زرارة على قاعدة التغليب .

جفنة أم زيد بن ثابت

كان أول طعام أهدى إلى النبي ﷺ في المدينة - قال زيد له : هذه قصعة أمي ؟
فقال : بارك الله فيها (*) .

يا زيدُ من صنع الثريدَ وما عسى
بعثتك أمك تبتغي في دينها
شكر النبي لها وأطلق دعوةً
أطيب بتلك هدية يسعى بها
لو أنها وزنت بدنيا قيصر
هي إن عيت بوصفها ما يُجتنى
ما في جهادك أم زيد ربةٌ
شرع سربيل الحروب وما اكتسى

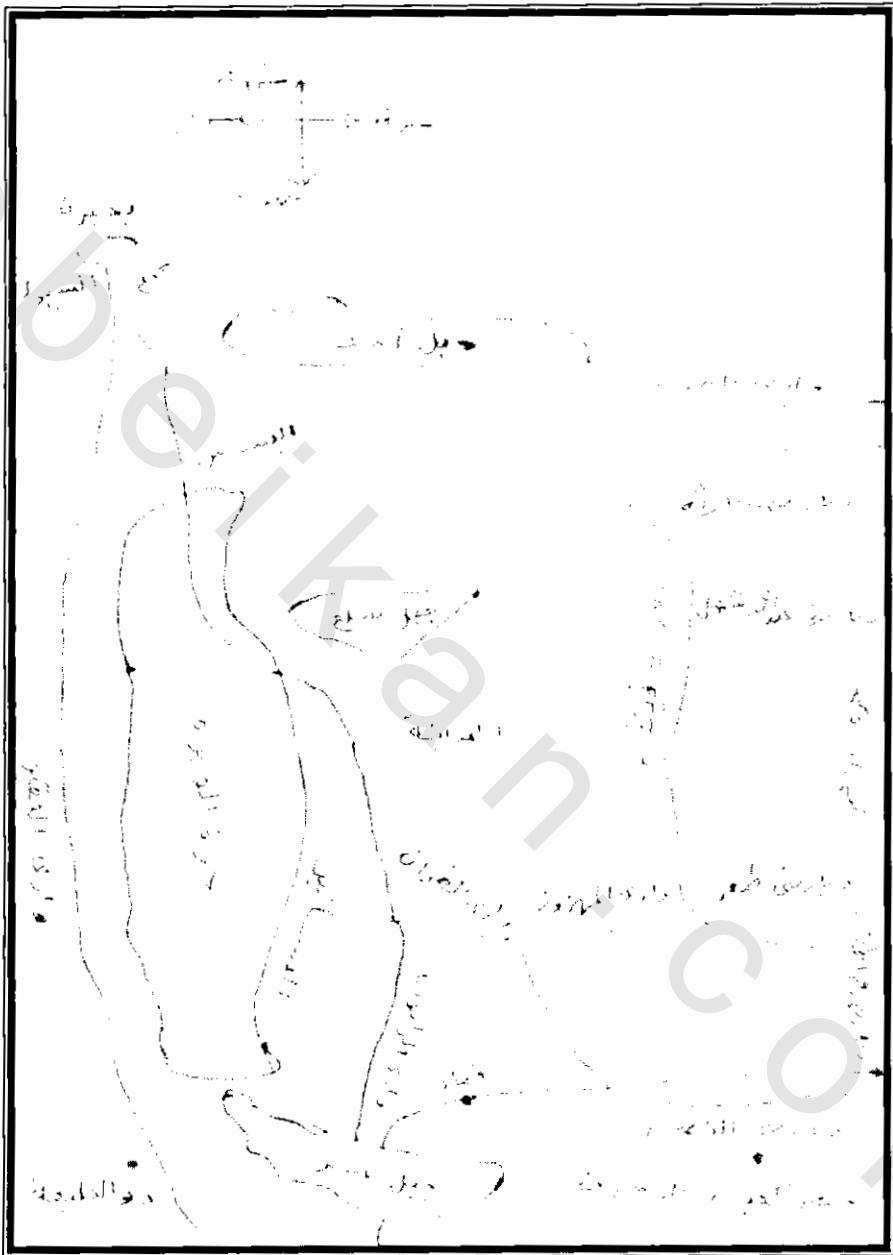
ترجو بما حملت يداك وتأمل
ما يبتغي ذو الهمة المتعمّل
صعدت كما شقّ الفضاء مُجلجلُ
في الله ساعٍ بالجلال مُظللُ
رجحت وأين من الخضمّ الجدول ؟ (١)
من نعمة الإسلام لا ما يؤكل
نار الوغى احتدمت وأنت الجحفلُ (٢)
من سابغات الخير من يتسربلُ (٣)

(*) أول هدية أهديت إلى رسول الله ﷺ حين نزل دار أبي أيوب جاء بها زيد بن ثابت ،
وهي قصعة فيها خبز مشرود بلبن وسمن . قال زيد للرسول ﷺ أرسلت هذه القصعة
أمي فقال : بارك الله فيك . ودعا أصحابه فأكلوا .

(١) الخضم : البحر - والجدول : النهر الصغير .

(٢) الوغى : الحرب ، الجحفل : الجيش الكبير .

(٣) شرع : سواء .



مساكن قبائل يثرب عند الهجرة

المهاجرون فى ضيافة الأنصار

يا معشر الأنصار هل لي عندكم
عندي لشاعركم تحية شاعر
تنميه في دنيا البيان روائع
الثاويات على هدى من ربها
شغلت بها الدنيا وما هي بالتي
تأبى القرار بكل وإد مُمحل
حسان أبلغ من يقول وليس لي
أنتم قضيتم للنبي ذمامه
وصنعتهم الصنع الجميل كرامة
فعرفت موضعكم وكيف سما بكم
وأذعته نبأ لكم ما مثله
القوم قوم الله ملء دياركم

ناد يَضُمُّ النابغين ومحفل
يَسِمُ القوافي وسمه يَتَنَخَّلُ (١)
منها رواكد ما تَرِيمُ وجُفَل (٢)
والسَّابحات السَّائحات الجُوَل
تُعْنى بدنيا الجاهلين وتُشغَل
وتحلُّ بالوادي الذي لا يُمحَل
منه إذا ادَّعتِ المصاقع مَقُول (٣)
ونصرتم الحق الذي لا يُخذَل
لمهاجرين هم الفريق الأمثل
مجد لكم في المسلمين مؤثَّل (٤)
نبأ يُذاع ولا حديث يُنقل
وكأنهم بديارهم لم يرحلوا (٥)

(١) يتنخل : يختار .

(٢) ما تريم : ما تبرح وما تزول .

(٣) ادعت : انتسبت ، والمصاقع : جمع مصقع ، البليغ : العالى الصوت لا يرتج عليه فى كلامه ، والمقول هنا من أسماء اللسان .

(٤) المجد المؤثَّل : العالى .

(٥) أخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار فى دار أنس بن مالك ، وكانوا تسعين رجلا ، نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار ، أخى بينهم على المواساة ، ويتوارثون بعد الموت دون ذوى الأرحام إلى حين وقعة بدر ، فلما أنزل الله تعالى ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥] . رد التوارث إلى الرحم دون عقد الأخوة . وروى عن أبى هريرة قال : قالت الأنصار للنبي ﷺ أقسم بيننا وبين إخواننا النخيل قال : لا فقالوا : فكفونا المؤنة ، ونشرككم فى الثمرة . قالوا سمعنا وأطعنا . =

الدينُ يعطفُ والسماحةُ تحتفي والحبُّ يرعى والمروءةُ تكفل
والله يشكرُ والتبىُّ بغبطةٍ والشركُ يصعقُ والضلالةُ تذهل
دينُ الهدى والحقُّ في أعراسه والجاهليةُ في الماتمِ تُعول
إن هالها الحدثُ الذي نُكبتَ به فلسوف تُنكبُ بلذي هو أهول
زولي مُعطلةُ العقولِ فمنَ قضى أن البصائرَ والعقولُ تُعطلُ
ألقي السِّلَاحَ فما لخصمكِ دافعُ ودعي الكِفَاحَ فما لجندكِ موئلُ (١)

= [صحيح البخارى - باب : إذ قال اكفى مؤنة النخل ، فتح البارى : ٣٢٧/٤ - ح ٢٠٤٩ و ٢٢٩٣ و ٣٧٨١ و ٣٩٣٧ و ٥٠٧٢ و ٥١٤٨ و ٥١٥٣ و ٥١٦٧ و ٦٠٨٢ و ٦٣٨٦ ، صحيح مسلم ح : ٢٥٢٩ سنن أبى داود : ح : ٢٩٢٦ ، الأدب المفرد : ح : ٥٦١ ، سند أبى يعلى : ٣٦٦/٤ .

(١) قام الرسول ﷺ بعقد معاهدة أزاح بها ما كان بينهم من حزازات فى الجاهلية ومن أهم بنودها :

أ - أنهم أمة واحدة من دون الناس ؛ المهاجرون من قريش ، وكل قبيلة من الأنصار على ربهم [على حالهم قبل الإسلام] يتعاقون بينهم ، وهم يقدرون عانيهم [أسيرهم] بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

ب - لا يتركون مفرحاً [المثقل بالدين والعيال] بينهم أن يعطوه بالمعروف فى قضاء أو عقل .

ج - يكونون على من بغى منهم ، أو ابتغى دسيئة [عطية] ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين .

د - لا يقتل مؤمن مؤمناً فى كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن . وأن ذمة الله واحدة يجبر عليهم أدانهم .

هـ - وإن سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم .

و - إن المؤمنين يئى [يمنع ويكف] بعضهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله .

ح - لا يجبر مشرك مالا لقريش ، ولا نفس ، ولا يحول دونه على مؤمن .

ط - وإنه من اعتبط [قتله بدون جناية] مؤمناً قتلاً فإنه قود به إلا أن يرضى ولى المقتول .

ى - وإنه لا يحل لمؤمن أن ينصر محدثاً ، ولا يؤويه ، وأنه من نصره ، أو آواه فإن =

أَزْرَى بِكَ الْفِشْلُ الْمَبْرَحُ وَارْتَمَى
السَّهْلُ يَصْعَبُ إِنْ تَوَاكَلَتِ الْقُوَى
أَرْسَى الْمَعَاقِلِ مُؤْمِنٌ لَا نَفْسُهُ
هَذَا النَّذِيرُ فَإِنْ أُبَيَّتْ سِوَى الْأَذَى
عَلَقْتَ بِمَقْتَلِكِ السَّهَامُ وَمَا عَسَى
اللَّهُ أَكْبَرُ كُلُّ زُورٍ يَنْقُضِي

بِحُمَاتِكَ الْقَدْرُ الَّذِي لَا يَفْشَلُ
وَالصَّعْبُ إِنْ مَضَتْ الْعِزَائِمُ يَسْهَلُ
تَهْفُو وَلَا إِيمَانُهُ يَتَزَلْزَلُ
فَالْأَرْضُ بِالدِّمِّ لَا مُحَالَةَ تُغْسَلُ
يَبْقَى الرَّمْيُ إِذَا أُصِيبَ الْمَقْتَلُ
مَرَّ السَّحَابُ وَكُلُّ إِفْكٍ يَبْطُلُ

= عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل .

ل - وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء ، فإنّ مردّه إلى الله - عزّ وجل - وإلى محمد ﷺ .

م - إن من تبعنا من اليهود فإن له النصر والأسوة ، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم .

مسجد المدينة

- المسجد الثاني يُقامُ بيثربِ ومحمدُ الباني يَجِدُّ وَيَعْمَلُ (١)
 عَمَّارُ أَنْتَ لَهَا وَلَيْسَ بِبَالِغِ عَلَيْهَا الْمَرَاتِبُ مَنْ يَكِلُ وَيَكْسَلُ (٢)
 إِنْ يَثْقُلِ الْعِبَاءُ الَّذِي حُمِّلَتْهُ فَلَمَّا يُحْمَلُ ذُو التَّبَاعَةِ أَثْقَلُ (٣)
 مَاذَا بَلَغْتَ مِنَ السَّنَاءِ عَلَى يَدِ أَذْنَى أَنْامِلِهَا السَّمَاءُ الْأَعْزَلُ (٤)
 مَسَحَتْهُ ظَهْرًا مِنْكَ طَالَ مُنِيفُهُ حَتَّى تَمَنَّى لَوْ يَكُونُكَ يَذْبُلُ (٥)
 هَذَا رَسُولُ اللَّهِ فِي أَصْحَابِهِ لَا يَشْتَكِي نَصَبًا وَلَا يَتَمَهَّلُ (٦)
 يَأْتِي وَيَذْهَبُ بَيْنَهُمْ فَمُلِّثُمْ بِالتُّرْبِ يَغْشَى وَجْهَهُ وَمُكَلَّلُ (٧)
 مِنْ كُلِّ قَوَامٍ عَلَى أَثْقَالِهِ سَامٍ لَهُ ظَهْرٌ أَشْمٌ وَكَلْكَلُ (٨)
 مَا كَانَ أَحْسَنَهَا مَقَالَةً رَاجِزِ لَوْ كَانَ يَعْرِفُ حُكْمَهَا الْمُتَمَثِّلُ (٩)

(١) كان بناء المسجد في المكان الذي بركت فيه ناقة الرسول ﷺ ، واشتراه من غلامين يتيمين كانا يملكانه . وأسهم في بنائه بنفسه فكان ينقل اللبن والحجارة ، ويقول اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة وكان يقول :

هذا الحمالُ لا حمال خبير هذا أبر ربنا وأطهر

وكان الصحابة يرددون :

لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلل

(٢) كان الرجل يحمل لبنة لبنة وعمار بن ياسر يحمل لبنتين لبنتين فقال له الرسول الكريم ﷺ : « أَلَا تَحْمِلُ كَمَا يَحْمِلُ أَصْحَابُكَ » . قال : لبنة عنى يا رسول الله ولبنة عنك ، فنفض ﷺ التراب عن رأس عمار ومسح ظهره .

(٣) التباعة : الرغبة .

(٤) السناء : المجد والشرف . والسماك الأعزل : اسم نجم .

(٥) يذيل اسم جبل في بلاد العرب ، والمنيف : العالى .

(٦) النصب : التعب .

(٧) المكمل : المحفوف بالنور .

(٨) الكلل : الصدر .

(٩) كان عثمان بن مظعون رضي الله عنه إذا حمل اللبنة يجافى بها عن ثوبه لئلا يصيبه التراب . فإن =

هَتَفَ الْإِمَامُ بِهَا فَرَّاحَ يُعِيدُهَا ثُمَّ انْثَنَى مُتَلَطِّفًا يَتَنَصَّلُ
 عَمَّارُ يَا لَكَ إِذْ تُلَامُ وَيَا لَهُ مِنْ ذِي مُحَافَظَةٍ يَلُومُ وَيَعْدِلُ
 هَجَّتْ ابْنَ مَظْعُونٍ فَأَقْبَلَ غَاضِبًا حَنَقًا يَجِيشُ كَمَا يَجِيشُ الْمَرْجَلُ (١)
 وَلَقَدْ يَحِيدُ عَنِ التُّرَابِ إِنَاقَةً مَنْ لَا يَحِيدُ عَنِ الضَّرَابِ وَيَنْكُلُ
 مَهْلًا أَبَا الْيَقْظَانِ قَرْنُكَ بَاسِلٌ وَأَخْوَكُ فِي جِدِّ الْوَعَى لَا يَهْزِلُ (٢)
 وَلِئِنْ أَهَابَ اللَّهُ يَأْلَمُ مُحَمَّدٌ صُونُوا الْحِمَى لَهُوَ الْأَشَدُّ الْأَبْسَلُ
 السَّيْفُ يَعْجَزُ أَنْ يَنَالَ غِرَارُهُ مَا لَيْسَ يَعْجَزُ أَنْ يَنَالَ الْمَعْوَلُ (٣)

= أصابه شيء من التراب نفذه ، فنظر إليه على بن أبي طالب كرم الله وجهه وأنشد بفاكهه .

لا يستوى من يعمر المساجدا يدأب فيها قائماً وقاعدا

ومن يرى عن التراب حائدا

فسمعه عمار بن ياسر وأخذ يردد قوله وهو لا يدرى من يعنى به ، فغضب عثمان وأغلظ له القول . وكان معه حديدة قال : لتكفن أو لأضربنك بها .

(١) الحقن : الغيظ ، يجيش : يتحرك ، الرجل : القدر إذا فار ماؤه .

(٢) كنية عمار ، وقرن الرجل : كفؤه ومن يقاومه فى الشجاعة وغيرها ، والباسل : الشجاع .

(٣) غرار السيف : حده .

أبو بكر يؤدي ثمن الحائط الذي أدخل في المسجد

أراد النبي ﷺ أن يضم إلى المسجد حائطاً ليتيمين من الأنصار كانا في كفالة أسعد بن زرارة - وقيل : معاذ بن عفراء - وهما سهل وسهيل ، وقد عرض أبو أيوب الأنصاري أن يؤدي الثمن إليهما فأبى النبي ﷺ ، وابتاع الحائط بعشرة دنانير أدت من مال أبي بكر الصديق .

وقال الغلامان : نهبه لك يا رسول الله فأبى ، وأراد رجال من الأنصار أن يعوضوهما عن الحائط فلم يكن سوى أداء الثمن .
وجاء أنه ﷺ وضع اللبنة الأولى في المسجد ، ثم دعا أبا بكر فوضع لبنته ، وهكذا فعل عمر وعثمان بن عفان ، وقيل : إن المراد بذلك ترتيب الخلافة (١) .

إِيَّاهُ أَبَا بَكْرٍ ظَفِرَتْ بِصَفْقَةٍ شَتَّى مَغَانِمُهَا لِمَنْ يَتَأَمَّلُ الْقَوْمُ عِنْدَ إِبَائِهِمْ وَسَخَائِهِمْ لَوْ يَبْذُلُونَ نَفْسَهُمْ لَمْ يَحْفَلُوا لَا يَقْبَلُونَ لِحَائِطٍ ثَمَنًا وَلَا اللَّهُ يَطْلُبُهُ لِنَصْرَةِ دِينِهِ قَالُوا أَمِنَّا يَا مُحَمَّدُ يُبْتَغَى مَا لَيْسَ يَخْلُقُ بِالْأَبَاءِ وَيَجْمَلُ؟ إِنَّا لَعَمْرِ اللَّهِ نَعْرِفُ حَقَّهُ وَنُعِزُّ مِلَّتَهُ الَّتِي نَتَمَلَّلُ (٢)

(١) من حديث أنس : ... ثم إنه أمر ببناء المسجد فأرسل إلى ملا بني النجار فجاؤوا ، فقال : يا بني النجار ثامنوني حائطكم هذا ، فقالوا : لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله . قال : فكان فيه ما أقول لكم ، كانت فيه قبور المشركين ، وكانت فيه خرب ، وكان فيه نخل . فأمر رسول الله بقبور المشركين فنبشت ، وبالحرب فسويت ، وبالنخل فقطع . قال فصفوا النخل قبل المسجد . قال : وجعلوا غصادتي حجارة . قال : جعلوا ينقلون ذاك الصخر وهم يرتجزون ورسول الله ﷺ معهم يقولون :

اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

البخاري - مناقب الأنصار - ج : ٣٩٣ ، وطريقة ح : ٢٣٤ ، ٢٧٧٩ .

(٢) تملل الملة دخل فيها .

نُعْطِي الْيَتِيمِينَ الْكِفَاءَ وَإِنْ هُمَا
خُذْ مَا أَرَدْتَ فَلَنْ نَبِيعَكَ مَسْجِدًا
هُوَ رَبُّنَا إِنْ نَالْنَا رِضْوَانَهُ
إِيَّهَ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلُكَ مُطَرِّقٌ
لَا بَدَّ مِنْ ثَمَنِ يَكُونُ أَدَاؤُهُ
لَوْلَا الرِّسُولُ وَمَا يُعَلِّمُ قَوْمَهُ
وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَمَا لِقَضَائِهِ
الْحَقُّ مَا شَرَعَ النَّبِيُّ وَبَاطِلٌ
لَا بَدَّ مِنْ ثَمَنِ وَلَسْتَ بِوَاجِدٍ
أَمْرَ الرِّسُولِ بِهِ فِدُونُكَ أَدَّهَ
يَا بَاذِلَ الْأَمْوَالِ نِلْتَ بِبَذْلِهَا
أَتَبِعْتَ نَفْسَكَ مَا مَلَكَتْ فَمَهْجَةٌ
أَبَا وَنَتَّبِعُ الَّتِي هِيَ أَنْبَلُ (١)
يَدْعُوهُ فِيهِ مُكَبَّرٌ وَمَهْلَلٌ
فَلَنَا الْمَثُوبَةُ وَالْجِزَاءُ الْأَكْمَلُ
يَأْبَى وَأَنْتَ بِمَا يُرِيدُ مُوَكَّلٌ
حَكَمًا يُطَاعُ وَشِرْعَةً مَا تُهْمَلُ
جَهْلُ الْمَحِجَّةِ ظَالِمٌ لَا يَعْدِلُ
رَدٌّ وَلَا فِي غَيْرِهِ مُتَعَلَّلٌ
مَا يَدْعِي الْمَرْتَابُ وَالْمَتَأَوَّلُ
فِي الْقَوْمِ مَنْ يَضِحُّ الصَّوَابُ فَيَغْفَلُ (٢)
وَلَأَنْتَ صَاحِبُهُ الْكَرِيمُ الْمَفْضَلُ
مَا لَمْ يَنْلُ فِي الْمُسْلِمِينَ مُمَوَّلٌ
تَنْهَالُ طَيْعَةً وَكَفَّ تَهْطَلُ (٣)

(١) كفاء الشيء ما يساويه .

(٢) بضح : مضارع وضع .

(٣) كان أبو أمامة أسعد بن زرارة يجمع بمن يليه في مسجد له ، فكان رسول الله ﷺ يصلي فيه ، ثم إنه سأل أسعدا أن يبيعه أرضا متصلة بذلك المسجد كانت في يده ليتيمين في حجره يقال لهما « سهل وسهيل » ، إينا « رافع بن عمرو » فعرض عليه أن يأخذها ويغرم عنه لليتين ثمنها ، فأبى رسول الله ﷺ ذلك . وابتاعها منهما بعشرة دنانير أداها من مال أبي بكر .

بلال يؤذن للصلاة

أَذَّنْ بِلَالٌ لِسُكِّ الْوَلَايَةِ لَمْ تُتَحَ
 اللَّهُ أَلْبَسَكَ الْكَرَامَةَ وَأَصْطَفَى
 يَا طَوْلَ مَا عُدَّتْ فِيهِ فَلَمْ تَمِلْ
 أَحَدٌ إِلَهُكَ مَا كَذَبْتَ وَمَا لِمَنْ
 أَرْنِي يَدَيْكَ أَفِيهِمَا لِأُمِيَّةَ
 لَلْسَيْفِ سَيْفُ اللَّهِ أَهْوَلُ مَوْقِعاً
 لَكَ فِي غَدِ دَمِهِ إِذَا التَّقَتِ الظُّبَى
 أَذَّنْ فَإِنَّ الدِّينَ قَامَ عَمُودُهُ
 هَبَّطَ الْجَزِيرَةَ فَاحْتَوَى أَطْرَافَهَا
 فَكَأَنَّمَا طَرَدَ السَّوَانِمَ ضَيْغَمٌ
 لِسَوَاكَ إِذْ تَدْعُو الْجُمُوعَ فَتَقْبِلُ
 لَكَ مَا يُحِبُّ الْمُؤْمِنُ الْمُتَوَكِّلُ
 تَبْغِي الَّتِي اتَّبَعَ الْغُفَاةُ الْمَيْلُ (١)
 يَرْجُو النَّجَاةَ عَلَى سِوَاهُ مُعَوَّلُ
 وَرَدُّ مِنَ الْمَوْتِ الذُّعَافِ مُثْمَلُ؟ (٢)
 مِنْ صَخْرَةٍ تُلْقَى وَحَبْلٌ يُفْتَلُ
 تَحْتَ الْعِجَاجَةِ وَالرِّمَاحُ الذُّبُلُ (٣)
 وَرَسَتْ جَوَانِبُهُ فَمَا يَتَقَلَّقَلُ (٤)
 وَأَنْسَابٌ فِي أَحْشَائِهَا يَتَغَلَّغَلُ
 وَكَأَنَّمَا ذَعَرَ الْحَمَائِمَ أَجْدَلُ (٥)

* * *

(١) هو بلال بن رباح ، ويكنى أبا عبد الله ، وكان من مؤلدى السراة ، وأسم أمه حمامة . وكانت أمه لبعض بنى جُمَح . شهد المشاهد كلها . خرج فى ولاية عمر بن الخطاب إلى الشام وتوفى بها سنة ٢٠ هـ .

(٢) الموت الذعاف : السريع ، والمثمل : المنقح .

(٣) قتل بلال رضي الله عنه أمية بن خلف يوم بدر فهناه الصديق بقوله :

هنيئاً ، رادك الرحمن خيراً لقد أدركت ثأرك يا بلال

والظبي : السيوف ، والعجاجة : كدرة الجو وغبار المعركة ، والذبل : الرماح الطويلة .

(٤) قال ابن سعد [الطبقات : ٣٨٩/٩] : أخبرنا محمد بن عبيد الطفاقي ، والفضل بن

دكين قالا : حدثنا المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن ، قال : أول من أذن بلال .

(٥) السوائم : جمع سائمة ، الماشية تذهب فى المراعى . والضيعم : الأسد . والأجدل : الصقر .

خَفَّ الرِّجَالُ إِلَى الصَّلَاةِ وَإِنَّ
عَنْتَ الْوَجْوهُ فَرَاعِجٌ مُتَخَشِعٌ
صَلُّوا بَنِي الْإِسْلَامِ خَلْفَ نَبِيِّكُمْ
اللَّهُ أَيَّدَكُمْ بِهِ وَأَمَدَّكُمْ
أَثَرْتُمْ السَّنَّ السَّوِيَّ فَجَدُّكُمْ
هَلْ يَسْتَوِي الْجَمْعَانِ هَذَا صَاعِدٌ
يَتَأَلَّفُونَ عَلَى الْهَوَى وَقُلُوبُهُمْ
نَصْرٌ عَلَى نَصْرٍ وَفَتْحٌ بَعْدَهُ
إِنَّ أَمْرًا جَمَّحَتْ بِهِ أَهْوَاؤُهُ
الْحَقُّ بَابُ اللَّهِ هَلْ مِنْ دَاخِلٍ

لَأَجَلٌ مَا تُصِفُ الصَّفُوفُ الْمُثَلُّ
يَخْشَى الْإِلَهَ وَسَاجِدٌ مُتَبَتِّلٌ (١)
وَحُذُوا بِمَا شَرَعَ الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ
مِنْهُ بَنُورٌ سَاطِعٌ مَا يَأْفَلُ
يَعْلُو وَجَدٌ ذَوِي الْعِمَايَةِ يَسْقُلُ (٢)
يَبْنِي وَهَذَا سَاقِطٌ يَتَهَيَّلُ
شَتَّى يَظَلُّ شَعَاعُهَا يَتَزَيَّلُ
فَتْحٌ يَغِيظُ الْمُشْرِكِينَ مُحَجَّلٌ (٣)
مِنْ بَعْدِ مَا وَضَحَ الْهُدَى لِمُضَلَّلُ
طُوبَى لِمَنْ يَغِي الْفَلَاحَ فَيَدْخُلُ (٤)

(١) عنت : خضعت .

(٢) الجد : الحظ .

(٣) قال محمد بن عمر : شهد بلال بدرا وأحدًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ فلما قبض رسول الله ﷺ جاء إلى أبي بكر فاستأذنه في الخروج إلى الشام ليرابط في سبيل الله . فقال أبو بكر : أشدك الله يا بلال ، وحُرمتي وحقي ، قد كبرت سني وضعفت ، واقترب أجلي ، فأقام بلال حتى توفي أبو بكر ، ثم جاء إلى عمر ، فقال مثل ما قال لأبي بكر ، فأذن له ، فخرج إلى الشام فلم يزل بها حتى توفي ودفن بدمشق سنة ٢٠ هجرية وهو ابن بضع وستين سنة في خلافة عمر بن الخطاب . [الطبقات : ٩ / ٣٩٠] .

(٤) عن جابر بن عبد الله أن عمر كان يقول : أبو بكر سيدنا ، وأعتق سيدنا . وقال بلال لأبي بكر حين توفي رسول الله ﷺ : إن كنت إنما اشتريتني لنفسك فأمسكني ، وإن كنت اشتريتني لله فذرني وعمل الله .

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

كانت المؤاخاة ^(١) بعد بناء مسجد المدينة - وقيل : وهو يُبنى - وكان المراد منها إزالة الوحشة وشد الأزر في سبيل الدعوة الإسلامية ، وكانت توجب أن يرث كل أخ أخاه دون ذوى الأرحام ، فلما عز الإسلام وقويت شوكته أبطل هذا الحكم بقوله تعالى : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ [الأنفال: ٧٥] ، وكان نزول هذه الآية الشريفة في وقعة بدر ، ولم يكن قد عمل بهذا الحكم قبل ذلك . وكانت المؤاخاة بعد الهجرة بخمسة أشهر ، وقيل غير هذا .

عن زيد بن أبي أوفى قال : دخلت على رسول الله ﷺ في مسجد المدينة ، فجعل يقول : « أين فلان ، أين فلان » . فلم يزل يتفقدهم ويبعث إليهم حتى اجتمعوا عنده فقال : « إني محدثكم بحديث فاحفظوه وعوه وحدثوا به من بعدكم ، إن الله تعالى اصطفى من خلقه خلقا » ، ثم قرأ ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٥] قال : « وإني أصطفى منكم من أحب أن أصطفيه وأواخى بينكم كما آخى الله تعالى بين ملائكته . قم يا أبا بكر » فقام فجثا بين يديه الشريفتين ؛ فقال : « إن لك عندى يداً الله يجزيك بها ، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذتكَ ، فأنت منى بمنزلة قميصى من جسدى » . وحرك قميصه بيده ؛ ثم قال : « ادن يا عمر » فدنا ؛ فقال : « قد كنت شديد البأس علينا يا أبا حفص فدعوت الله أن يعزبك الدين أو بأبى جهل ففعل الله ذلك بك وكنت أحبهما إلى الله ، فأنت معى فى الجنة ثالث ثلاثة من هذه الأمة » . وآخى بين المهاجرين والأنصار فجعلهم أخوين أخوين .

وكانوا خمسين من هؤلاء ومثلهم من هؤلاء . وقيل : كانوا تسعين . وكانت المؤاخاة فى دار أنس بن مالك ، وهى دار أبى طلحة زوج أم أنس ، واسمه زيد ابن سهل .

(١) قال ابن سيد الناس : كانت المؤاخاة مرتين ، الأولى بين المهاجرين وبعضهم وبعض قبل الهجرة على الحق والمواساة ، آخى بين أبى بكر وعمر ، وبين حمزة وزيد بن حارثة ، وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف ، وبين الزبير وابن مسعود ، وبين عبيدة بن الحارث وبلال ، وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبى وقاص ، وبين أبى عبيدة وسالم مولى أبى حذيفة ، وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله ، وبين على ونفسه . والثانية بعد بنائه المسجد ، وقيل والمسجد يبنى ، وقال أبو عمر بعد قدومه المدينة بخمسة أشهر وكانت بين المهاجرين والأنصار .

فلا محالة من حُبٍّ وإِشَارِ
 حُيِّيتَ من أُسْرَةٍ بُورَكَتْ من دَارِ
 يَدْعُو البَنِينَ فَلَبُّوا غَيْرَ أَغْمَارِ (١)
 وَأَسْتَحْصِدَ الحَبْلُ من شَدٍّ وإِمْرَارِ (٢)
 يَحْمِي الذَّمَّارَ وَيَرعى حُرْمَةَ الجَارِ
 وَليس يُعْطِيه إِنْ أُعْطِيَ بِمَقْدَارِ
 وَيَبْذُلُ المَالَ فِي يُسْرِ وإِعْسَارِ
 فِي صُورَةِ الفَرْدِ فَانْظُرْ قُدْرَةَ البَارِي
 يَا عُصْبَةَ اللَّهِ من صَحْبٍ وَأَنْصَارِ (٣)
 بَيْنَ القَبَائِلِ دِينَ الجَهْلِ والعَارِ
 دُنْيَا صَفَّتْ بَعْدَ أَقْدَاءٍ وَأَكْدَارِ
 تَشْقَى النُّفُوسُ بَدَاءً مِنْهُ ضَرَّارِ
 يُومِي إِيكُمْ بِأَمَالٍ وَأَوْطَارِ (٤)
 تَطْغَى عَلَى أُمِّ شَتَّى وَأَقْطَارِ
 وَلَنْ أَسْأَلَ مِنْهُمْ كُلَّ جَبَّارِ
 رَمَى الضَّعَافَ بِأَنْيَابٍ وَأَظْفَارِ
 أَقْطَارُهَا بَيْنَ آثَامٍ وَأَوْزَارِ (٥)
 إِذَا تَكَشَّفَ عَنْ وَجْهِ لَهَا عَارِ
 تَسْتَفْرِغُ الكِبَرَ مِنْ هَامٍ وَأَبْصَارِ
 هَلْ يَخْلُقُ اللَّهُ قَوْمًا غَيْرَ أَحْرَارِ
 بِوَاحِدٍ غَالِبِ السُّلْطَانِ قَهَّارِ

هِيَ الْأَوَاصِرُ أَدْنَاهَا الدَّمُ الْجَارِي
 الْأُسْرَةُ اجْتَمَعَتْ فِي الدَّارِ وَاحِدَةً
 مَشَى بِهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ خَيْرُ أَبٍ
 تَأَكَّدَ الْعَهْدُ مِمَّا ضَمَّ أُلْفَتَهُمْ
 كُلُّ لَهُ مِنْ سَرَاةِ الْمُسْلِمِينَ أَخٌ
 يَطُوفُ مِنْهُ بِحَقٍّ لَيْسَ يَمْنَعُهُ
 يَجُودُ بِالدِّمِ وَالْأَجَالِ ذَاهِلَةً
 هُمْ الْجَمَاعَةُ إِلَّا أَنَّهُمْ بَرَزُوا
 صَاحَ النَّبِيِّ بِهِمْ كُونُوا سَوَاسِيَةً
 هَذَا هُوَ الدِّينُ لَا مَا هَاجَ مِنْ فِتْنٍ
 رَدُّوا الْحَيَاةَ فَمَا أَشْهَى مَوَارِدَهَا
 الْجَاهِلِيَّةُ سُمٌّ نَاقِعٌ وَأَذَى
 تَأَهَّبُوا إِنْ دِينًا قَامَ قَائِمُهُ
 أَمَا تَرَوْنَ رِيَّاحَ الشَّرْكِ عَاصِفَةً
 لَنْ أَتْرَكَ النَّاسَ فَوْضَى فِي عَقَائِدِهِمْ
 أَكَلَّمَا مَلَكَ الْأَقْوَامَ مَالِكُهُمْ
 الشَّرُّ غَطَّى أَدِيمَ الْأَرْضِ فَارْتَكَسَتْ
 أَخْفَى مُحَاسِنَهَا الْكِبْرَى فَكَيْفَ بِكُمْ
 لَأُنْزِلَنَّ ذَوِي الطُّغْيَانِ مَنَزَلَةً
 ظَنُّوا الضَّعَافَ عَيْدًا بِئْسَ مَا زَعَمُوا
 مَا غَرَّهُمْ إِذْ أَطَاعُوا أَمْرَ جَاهِلِهِمْ

(١) غير أعمار : غير حاقدين .

(٢) استحصد : قوى ، والإمرار : القتل .

(٣) سواسية : سواء .

(٤) الأوطار : الحاجات ، ويومي : يشير .

(٥) أديم الأرض : وجهها ، ارتكس : الرجل والشئ انتكس .

يَرْمِي العروش إذا استعصت وَيُعْثُهَا
بُعْثُ الْحَقِّ يَهْدِي الجامحين كما
أَدْعُو إِلَى اللَّهِ بِالآيَاتِ وَاضِحَةً
فَمَنْ أَبَى فِدْعَائِي كُلُّ ذِي شُطْبٍ
اللَّهُ أَكْبَرُ هَلْ فِي الْحَقِّ مَعْتَبَةٌ
أَلَمْ يَكُنْ أَخَذَ المِيثَاقَ مِنْ قَدَمِهِ
إِنَّ الْإِلَى اتَّخَذُوا الْأَصْنَامَ آلِهَةً
يَسْتَكْبِرُونَ عَلَى مَنْ لَا شَرِيكَ لَهُ
رَاحُوا يُجْلَوْنَهَا مِنْ سُوءِ مَا اعْتَقَدُوا
لِكُلِّ قَوْمٍ إِلَهٌ يُؤْمِنُونَ بِهِ
النَّارُ أَعْظَمُ سُلْطَانًا وَمَقْدَرَةً
سُبْحَانَهُ مِنَ إِلَهٍ شَأْنُهُ جَلُّ
لَا تُكْشِفَنَّ عَنِ الْأَبْصَارِ إِذْ عَمِيَتْ
مَا لِلْسَرَّاحِينَ بُدٌّ مِنْ مِصَارِعِهَا
ضُمُّوا الْقَوَى إِنَّهَا دُنْيَا الْجِهَادِ بَدَتْ
لَا بُدَّ مِنْ غَارَةِ الْحَقِّ بِأَسْلَةِ
خَيْرِ الذِّخَائِرِ أَبْقَاهَا وَلَنْ تَجْدُوا
لَا تَنْقُضُوا الْعَهْدَ إِنَّ اللَّهَ مُنْزِلُهُ
قَالُوا عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ إِنْ بَنَّا
أَخِيْتَ بَيْنَ رَجَالٍ يَصْدُقُونَ إِذَا
جُنُودُ رَبِّكَ إِنْ قُلْتَ أَعْصِفُوا عَصَفُوا
مِنْ كُلِّ مُنْغَمِسٍ فِي النَّفْعِ مُرْتَجِسٍ

مَبْثُوثَةٌ فِي جَنَاحِي عَاصِفٌ ذَارٌ (١)
يَهْدِي الحيارى شُعَاعُ الكوكبِ السَّارِي
تَهْدِي الغَوِيَّ وَتَهَيَّ كُلُّ كَفَّارٍ
مَاضِي الرِّسَالَةِ فِي الْهَامَاتِ بَتَّارٌ (٢)
لَمْسْتَخَفٌ بِعَهْدِ اللَّهِ غَدَّارٌ
فَمَا الْمَقَامُ عَلَى كُفْرٍ وَإِنْكَارٍ
عَلَى شَفَا جُرْفٍ مِنْ أَمْرِهِمْ هَارٍ
وَيَسْجُدُونَ عَلَى هُونٍ لِأَحْجَارٍ
وَاللَّهُ أَوْلَى بِإِجْلَالٍ وَإِكْبَارٍ
مَا يَبْتَغِي إِلَهُ مِنْ إِيْمَانٍ فُجَّارٍ
فِي رَأْيِ عِبَادِهَا أَمْ خَالِقُ النَّارِ
يَهْدِي النَّمُوسَ بِآيَاتٍ وَأَثَارٍ
مَا أَسْدَلَ الْجَهْلُ مِنْ حُجْبٍ وَأَسْتَارٍ
إِذَا انْتَضَتْ سَطَوَاتِ الضَّيْغِ الضَّارِي (٣)
أَشْرَاطُهَا وَتَرَاى زَنْدُهَا الْوَارِي
وَجَحْفَلُ مِنْ جُنُودِ اللَّهِ جَرَّارٍ
كَالْعَهْدِ يَرْعَاهُ أَخْيَارٌ لِأَخْيَارٍ
عَلَى لِسَانِ رَسُولٍ مِنْهُ مُخْتَارٍ
مَا اللَّهُ يَعْلَمُ مِنْ عَزْمٍ وَإِصْرَارٍ
زَلَّتْ قُوَى كُلِّ خِدَاعٍ وَخِتَارٍ (٤)
يَرْمُونَ فِي الْحَرْبِ إِعْصَارًا بِإِعْصَارٍ (٥)
وَكُلُّ مُنْبَجِسٍ بِالْبَاسِ قَوَّارٍ (٦)

(١) عاصف ذار : من ذرت الريح إذا هاجت التراب .

(٢) الشطب : الطرائق في السيف ، والبتار : القاطع .

(٣) السراحين : الذئاب ، والضايغ الضاري : الأسد المفترى .

(٤) الختار : الغدار .

(٥) الإعصار : الريح العاتية تثير السحاب ، أو التي يكون فيها برق ورعد .

(٦) ارتجست السماء : رعدت ، والسحاب صوت . وانبجس الماء ونحوه تفجر ، والنقع :

الغبار يثور من حدة المعركة .

اليهود والمنافقون

لما أخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار دعا اليهود وصالحهم على ترك الحرب والأذى ، لا يحاربهم ولا يؤذيهم ، ولا يعينون عليه أحداً ، وإن دهمه عدو ينصرونه ، ثم أقرهم على دينهم وأموالهم . فلما انتشر الإسلام كرهوا ذلك فانتقضوا ، وفى ذلك نزل قوله تعالى : ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران: ١١٨] ولما نزلت ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ ﴾ الآية [البقرة: ٢٤٥] - قال قائلهم - حى بن أخطب فى رواية: يستقرضنا ربنا ، وإنما يستقرض الفقير الغنى . فأنزل الله تعالى: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ الآية [آل عمران: ١٨١] - وكانوا يسألون النبي ﷺ عن الروح ويقولون له : مم خلق الله - انسب لنا ربك - يريدون تعجيزه وإثارته . وكان من عظمائهم وأحبارهم حى ، وأبو ياسر ، وجدى بنو أخطب ، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع ، وكعب بن الأشرف ، وعبد الله بن صوريا ، ولبيد بن الأعصم ، وشاس بن قيس ، وعبد الله بن سلام ، وكان حى ابن أخطب عظيم بنى النضير ، وهو أبو السيدة صفية أم المؤمنين ﷺ ، كانت من سبايا النبي ﷺ فى غزوة خيبر بعد قتل أبيها وزوجها كنانة بن الربيع ، جعلها النبي ﷺ عند أم سليم - أم أنس - حتى اهتدت وأسلمت ثم أعتقها وتزوجها ، وقد انضم المنافقون من أهل المدينة إلى اليهود ، وكان عبد الله بن أبى ابن سلول كبيرهم ، كان من أعظم أشراف أهل المدينة ، وكانوا يريدون تتويجه ملكاً عليهم؛ فلما ظهر الحق على يد الرسول الكريم ﷺ خاب أمله ، وعظم غيظه وحقده . والمنافقون قوم من اليهود ^(١) دخلوا فى الإسلام لما قوى أمره خشية القتل وبقي هواهم مع قومهم .

دعا فأجابوا والقلوب صَوَادِفُ وقالوا اسْتَقَمْنَا وَالْهَوَى مُتَجَانِفُ ^(٢)

(١) ليس كلهم من اليهود .

(٢) المتجانف: المائل .

مَضَى الْعَهْدُ لَا حَرْبَ تُقَامُ وَلَا أذَى
لَهُمْ دَمَهُمْ وَالْدِّينُ وَالْمَالُ مَا وَقَوْا
سِيَّاسَةً مِنْ لَا يَخْدَعُ الْقَوْلُ رَأْيَهُ
رَسُولٌ لَهُ مِنْ حِكْمَةِ الْوَحْيِ عَاصِمٌ
يُسَالِمُ مِنْ أَحْبَابِهِمْ وَسَرَاتِهِمْ
يَغِيظُهُمُ الْإِسْلَامُ حَتَّى كَأَنَّمَا
إِذَا هَتَفَ الدَّاعِي بِهِ اهْتَجَّ نَاقِمٌ
إِذَا مَا تَرَدَّى فِي الضَّلَالَةِ جَاهِلٌ
يَقُولُونَ قَوْلَ الزُّورِ لَا عَلِمَ عِنْدَنَا
لَهُمْ مِنْ سَنَا التَّوْرَةِ هَادٍ وَلِلْعَمَى
دَنَا الْحَقُّ مِنْ بُهْتَانِهِمْ وَرَمَى بِهِمْ
عَنَا ابْنُ أَبِيٍّ مِنْ هَوَى التَّاجِ لَا عَجْ
جَرَى رَاكِضًا مِلَّةَ الْعَنَانَيْنِ فَاتَتْحَى
فَمَا مِثْلُهُ فِي مَشْهَدِ الْإِفْكِ فَارْحٌ
ظَنُونَ يُعَفِّيهِمَا الْيَقِينُ وَدَوْلَةٌ
يُهَيَّبُ بِأَضْغَانِ الْيَهُودِ يَشُبُّهَا
وَمَا بَرَحَ الْحَبْرُ السَّمِينُ يَغْرُهُمْ

يُرَامُ وَلَا بَغْيٌ عَنِ الْحَقِّ صَارِفُ
فَإِنْ غَدَرُوا فَالْسَّيْفُ وَافٍ مُسَاعِفُ
وَلَا يَزْدَهِيهِ بَاطِلٌ مِنْهُ زَائِفُ
وَمِنْ نُورِهِ فِي ظُلْمَةِ الرَّأْيِ كَاشِفُ
رِجَالًا لَهُمْ فِي السَّلَامِ رَأْيٌ مُخَالِفُ
هُوَ الْمَوْتُ أَوْ عَادَ مِنَ الْخُطْبِ جَارِفُ
وَأَعْوَلَ مَحْزُونٌ وَأَجْفَلَ خَائِفُ (١)
فَمَا عُذْرُ مَنْ يَأْبَى الْهُدَى وَهُوَ عَارِفُ؟
كَفَى الْقَوْمَ عِلْمًا مَا تَضُمُّ الْمَصَاحِفُ
رُكَّامٌ عَلَى أَبْصَارِهِمْ مُتَكَائِفُ
إِلَى الْأَمَدِ الْأَقْصَى هَوَى مُتَقَاذِفُ
وَطَافَ بِهِ مِنْ نَوَةِ الْمُلْكِ طَائِفُ
لَهُ قَدْرٌ أَلْقَى بِهِ وَهُوَ رَاسِفُ (٢)
وَلَا مِثْلُهُ فِي مَشْهَدِ الْحَقِّ آسِفُ
مِنْ الْوَهْمِ تَذَرُوهَا الرِّيحُ الْعَوَاصِفُ (٣)
عَدَاوَةٌ قَوْمٍ شَرُّهُمْ مُتَضَاعِفُ
وَيَأْكُلُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ مَا يُصَادِفُ (٤)

(١) أجفل : انزعج أو هرب مسرعا .

(٢) رسف الرجل : مشى مشى المقيد .

(٣) يعفيها : يحوها ، من عفت الريح المنزل .

(٤) هو مالك بن الصلت من أحبارهم . كان يبغض النبي ﷺ بغضا شديداً . ويلبس على اليهود فيأخذ أموالهم ، قال له ﷺ : « تشدك الله ، أليس في التوراة أن الله يبغض الجبر السمين ، إنك الجبر السمين ، سمت من المال الذي يطعمك اليهود » فغضب والتفت إلى عمر قائلاً : ما أنزل الله على بشر من شيء . فكان هذا كفرًا منه بموسى ومحمد وغيرهما من الأنبياء والمرسلين وعلم اليهود فترعوا عنه الرئاسة وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف .

- أَعَدُّوا لَهُ الْمَرْعَى قَرَّاحَ مُهَبَّلًا كَظَنُّكَ بِالْخَنْزِيرِ وَاتَاهُ عَالِفٌ (١)
 يَنْوُو بِجَنْبِيهِ وَيَرْتَجُ مَاشِيًا إِذَا اضْطَرَبَتْ مِنْهُ الشَّوَى وَالرَّوَانِفُ (٢)
 رَمَاهُمْ بِهَا عَمِيَاءَ لَمْ يَرْمِ مَعَشَرًا بِأَمْثَالِهَا أَحْبَارُهُمُ وَالْأَسَاقِفُ
 فَقَالُوا غَوَى ابْنُ الصَّلْتِ وَانْفَضَّ جَمْعُهُمْ يُرِيدُونَ كَعْبًا وَهُوَ خَزْيَانُ كَاسِفٌ (٣)
 رَمَى الصَّادِقُ الْهَادِي لَفِيفَةً نَفْسِهِ بِصَادَعَةٍ تَنْشَقُّ مِنْهَا اللَّفَافُ (٤)
 فَأَمَّا لَبِيدٌ فَاسْتَعَانَ بِسِحْرِهِ رُوَيْدًا أَخَا هَارُوتَ تِلْكَ الطَّرَائِفُ (٥)
 أَعْنَدُكَ أَنْ السَّحَرِ لِلَّهِ غَالِبٌ تَأْمَلْ لَبِيدٌ أَيَّ مَهْوًى تُشَارِفُ (٦)
 وَشَاسُ بْنُ قَيْسٍ هَاجَهَا جَاهِلِيَّةٌ تَطِيرُ لِذِكْرِهَا الْحُلُومُ الرَّوَاجِفُ (٧)

(١) المهبل : الكثير اللحم .

(٢) الشوى : اليدان والرجلان والأطراف . والروانف : أسافل الآلية للقاتم .

(٣) أى : كعب بن الأشرف ، وتولى رئاسة اليهود بعد خلعههم مالك بن الصلت لكفره .

(٤) اللفاف : جمع لفيفة ما يلف به الرجل وغيره والمعنى ظاهر ، والصادعة : من صدع بالحق ؛ إذا جهر به ؛ أى : أن قول الرسول قد كشف أمره أمام قومه .

(٥) لبيد بن الأعصم ، قيل : إنه عمل سحرًا للنبى ﷺ اتخذ له مثالا على صورته من شمع - وقيل : من عجين - ثم غرز فيه إحدى عشرة عقدة . وكان للنبى ﷺ خادم يهودى حمل شيئًا من شعره الشريف إلى لبيد فصنع السحر ، ووضعوه فى بئر ذروان ونزل جبريل فأنخب النبى فأرسل عليا وعمار بن ياسر فاستخرجاه من البئر .

(٦) شارف الرجل الشيء اطلع عليه من فوق .

(٧) شاس بن قيس : كان شيخًا يهوديًا عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين ، شديد الحسد لهم . مرَّ يومًا على الأنصار وهم مجتمعون يتحدثون فغاضه ما رأى من الفتهم بعد ما كان بينهم من العداوة ، فقال : قد اجتمع ملا بنى قيله بهذه البلاد ، والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم من قرار ، ثم أمر فتى من اليهود فقال له : اعمد إليهم فاجلس معهم ، ثم اذكر يوم بعثت - يوم الحرب التى كانت بينهم - و ما كان فيه وأنشدتهم ما كانوا يتقاولون به من الأشعار . ففعل ، فتكلم القوم عند ذلك ، وتنازعوا وتفاخروا ، وثاروا نفوسهم فتأهبوا للقتال . ونادى هؤلاء يا للأوس ، وهؤلاء يا للخزرج . ثم خرجوا وقد أخذوا السلاح واصطفوا للقتال ؛ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم ؛ فقال : «يا معشر المسلمين الله الله ، أبعدوى الجاهلية وأنا بين =

يُقَلَّبُ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْجِ الثَّرَى وَقَدْ وَشَجْتُ فِيهِ الْعُرُوقُ الْعَوَاطِفُ
يُذَكِّرُهُمْ يَوْمَ الْبُعَاثِ وَمَا جَنَّتْ رِقَاقُ الْمَوَاضِي وَالرِّمَاحُ الرِّوَاعِفُ (١)
غَلَّتْ نَخَوَاتُ الْقَوْمِ مِمَّا اسْتَفْزَهُمْ وَرَاجَعَهُمْ مِنْ عَازِبِ الرَّأْيِ سَالِفُ (٢)
وَحَفَّوْا يُرِيدُونَ الْقِتَالَ فَردَّهُمْ نَبِيٌّ يَرُدُّ الشَّرَّ وَالشَّرُّ زَاحِفُ
دَعَاهُمْ إِلَى الْحُسْنَى فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ يُعَانِقُ بَعْضًا وَالْدمُوعُ ذَوَارِفُ (٣)
أَتَى ابْنُ سَلَامٍ يُؤَثِّرُ الْحَقَّ مِلَّةً وَيَنْظُرُ مَا تَأْتِي النُّفُوسُ الْعَوَازِفُ (٤)

= أظهركم بعد أن هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به ؛ وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر وألف بين قلوبكم « فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم ، فبكوا وعانق الرجال من الأوس الرجال من الخزرج ، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كيد « شمس بن قيس » . فأنزل الله تعالى في « شمس بن قيس » ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ [آل عمران: ٩٩] [الرحيق المختوم ص ٢٥٤ ، عيون الأثر : ١ / ٢٦٠].

(١) رقاق المواضي : هي السيوف . والرواعف : الدم إذا سال ، وبُعَاث : موضع في الجنوب الشرقي من المدينة . وفيه حصن للأوس . ويوم بُعَاث كانت فيه حرب بين الأوس والخزرج في الجاهلية . وفي أخبار عائشة . رضى الله عنها : . . وعندها جاريتان تغنيان بما قيل يوم بُعَاث « قال قيس بن الخطيم .

ويوم بُعَاث أسلمنا سيوفنا إلى نسب فيجذم غسان ناقب

[البخارى في العيدين : ٢ ، ح : ٩٤٩ ، مسلم : في العيدين : ٤ ، ح : ٨٩٢] .

(٢) عازب : غائب .

(٣) ذوارف : من ذرف الدمع إذا سال .

(٤) جاء النبي إلى دار أبي أيوب فأسلم وكنتم إسلامه عن اليهود ، ورجع فقال : لقد علموا أني سيدهم وابن سيدهم . وأعلمهم وابن أعلمهم . فادعهم فاسألهم عنى قبل أن يعلموا إسلامي فإنهم إن يعلموا إسلامي قالوا منى ما ليس فى . فاخبتنى يا رسول الله قبل أن يدخلوا عليك . فأرسل إليهم فجاؤوا وقال لهم : « يا معشر يهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنى رسول الله حقاً وأنى جئتكم بحق ، أسلموا » . قالوا : ما نعلمه ، فأعادها عليهم ثلاثاً وهم يجيبونه كذلك ، قال : « فأى رجل فيكم ابن سلام » قالوا : سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا ، قال : « أرأيتم إن شهد أنى رسول الله وآمن بالكتاب الذى أنزل على تؤمنوا بى » . قالوا حاشى الله ما كان =

تَسْلَلُ يَسْتَخْفِي وَأَقْبَلَ قَوْمُهُ
فَقِيلَ اشْهَدُوا قَالُوا عَرَفْنَاهُ سَيِّدًا
هُوَ الْمَرْءُ لَا نَأْبَى مِنَ الدِّينِ مَا ارْتَضَى
فَلَمَّا رَأَوْهُ خَارِجًا يَنْطُقُ الَّتِي
ظَنَنَّا بِهِ خَيْرًا وَلَا خَيْرَ فِي أَمْرِي
ظَلَمْنَاهُ لَمْ يُوصَفْ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ
تَرَامَوْا بِالْقَابِ إِذَا مَا تَتَابَعْتَ
أَهَابَ أَبُو أَيُّوبَ رَدُوا حُلُومَكُمْ
وَقَالَ الرَّسُولُ اسْتَشْعِرُوا الْحِلْمَ إِنَّمَا
أَتُؤْذُونَ عَبْدَ اللَّهِ أَنْ يَتَّبِعَ الْهُدَى
أَهَذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا
تَوَلَّوْا غَضَابًا مَا تَثُوبُ نَفُوسُهُمْ
يُذِيعُونَ مَكْرُوهُ الْحَدِيثِ وَمَا عَسَى
إِذَا بَعَثُوا مِنْ بَاطِلِ الْقَوْلِ فِتْنَةً

وَلِلُّؤْمِ مِنْهُمْ مَا تَضُمُّ الْمَلَا حِفُّ
تَجَلُّ مَسَاعِيهِ وَتَعْلُو الْمَوَاقِفُ
وَلَا نَدْعُ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ آلِفُ
هِيَ الْحَقُّ قَالُوا عَائِرُ الرَّأْيِ عَاسِفُ
أَبُوهُ أَبُو سُوءٍ عَلَى الشَّرِّ عَاكِفُ
فَمَاذَا لَهُ إِنْ أَخْطَأَ الرُّشْدَ وَاصِفُ؟
تَتَابَعَ سُؤْيُوبُ مِنَ الذَّمِّ وَاكِفُ (١)
أَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ تَلْقَى الْمَآزِفُ (٢)
يَسُودُ وَيَسْتَعْلِي الْحَلِيمُ الْمُلَاطِفُ (٣)
فِيَا وَيْحَهُ مِنْ مُؤْمِنٍ مَا يُقَارِفُ (٤)
أَهَذَا الَّذِي يَجْنِي الْعَقِيدُ الْمَحَالِفُ (٥)
وَلَا تَرَعَوِي أَحْقَادُهُمْ وَالْكَتَائِفُ (٦)
يَقُولُونَ وَالْفُرْقَانُ بِالْحَقِّ هَاتِفُ
تَلْقَفُهَا مِنْ صَادِقِ الْوَحْيِ خَاطِفُ

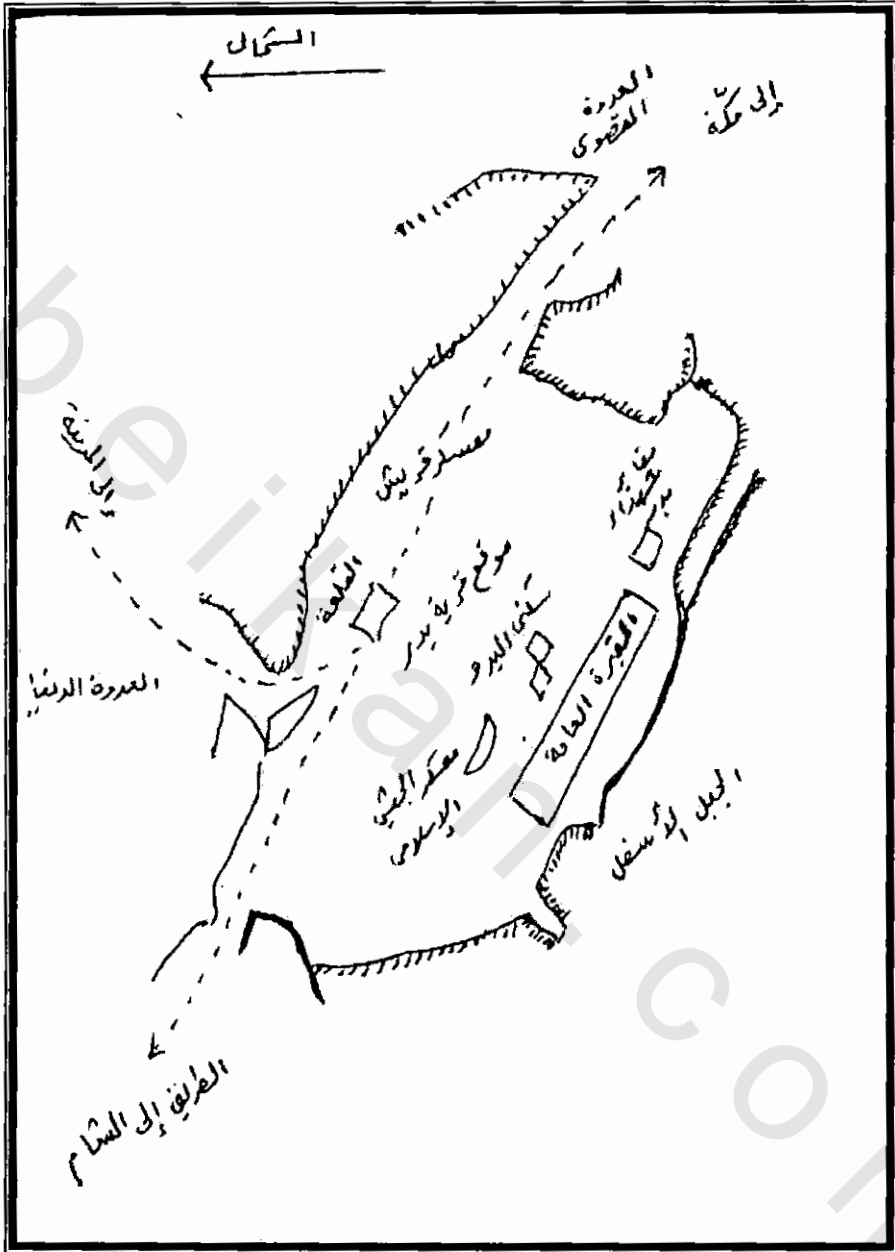
= ليسلم . فدعاه : « يا ابن سلام أخرج عليهم » ، فخرج : إليهم فقال : يا معشر اليهود : ويلكم اتقوا الله . والله الذي لا إله إلا هو ، إنكم لتعلمون أنه رسول الله حقا ، وإنه جاء بالحق . فقالوا : كذبت ، أنت شربنا وابن شربنا ، فأخرجهم رسول الله ﷺ ، ونزلت في ذلك ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَّا وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنْ أَلَّا اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأحقاف : ١٠] رواه البخاري من حديث عبد العزيز بن صهيب . العوازف : جمع عازف ، وهو المنصرف .

- (١) تراموا باللقاب : الألقاب المكروهة يتناوب بها القوم ، والشؤيوب : الدفعة من المطر ، وواكف : من وكف إذا سال .
(٢) المآزق : الأقدار .
(٣) استشعروا : استشعر الرجل الشيء جعله شعاره .
(٤) قارف الذنب : خالطه .
(٥) المحالف : المعاهد والمعاهد .
(٦) تثوب : تاب ورجع بعد ذهابه . والكتائف : جمع كتيفة وهي السخيمة والحقد .

يشايعهم فى القوم كلُّ منافقٍ إلى كل ذى مشنوءةٍ هو دالف (١)
 شديد الأذى يبدى من القول زخرفُ وكالسم منه ما توارى الزخارف
 زحالفُ سوءٍ ما يكفُ دبيبها وأهون شيء أن تدب الزحالف (٢)
 أقاموا على ظلم كأن لم يكن لهم من العدل يومًا لا محالة آزف (٣)
 لكل أناس يعكفون على الأذى معاطب من أخلاقهم ومتالف
 رويد يهود هل لها فى حصونها من البأس إلا ما تظن السّلاحف ؟
 يظنون أن لن ينسف الله ما بنوا ولن يثبت البنيان والله ناسف
 سيلقون بؤسًا بعد أمن ونعمة فلا العيش فيّاح . ولا الظلُّ وارف (٤)

* * *

-
- (١) المشنوءة - البغض والعداوة - دالف : ساع .
 (٢) الزحالف : دواب صغار لها أرجل تمشى شبه النمل .
 (٣) آزف : من أزف بمعنى قرب .
 (٤) الفيّاح : الواسع ، ووارف الظل : اتسع وظال وامتد .



خريطة غزوة بدر

غزوة بدر الكبرى

كان عدد الغزوات ثلاثين غزوة شهد النبي ﷺ تسعاً وعشرين منها ، وغاب عن واحدة هي غزوة مؤتة ، فأما التي شهدناها فهي : غزوة ودان - العشيرة - سفوان - بدر الكبرى - بنى سليم - بنى قينقاع - السويق - قرقرة الكدر - ذى أمر - بحران - أحد - حمراء الأسد - بنى النضير - ذات الرقاع - بدر الآخرة - دومة الجندل - بنى المصطلق - الخندق - بنى قريظة - بنى لحيان - ذى قرد ، الحديبية - خيبر - وادى القرى - عمرة القضاء - حنين - الطائف - تبرك - فتح مكة . وقد استثنى الناظم من هذه الغزوات ما لا مجال فيه للقول .

كان خروج المسلمين لغزوة بدر يوم السبت قال ابن هشام لثمان ليال خلون منهوقال ابن سعد لاثنتى عشرة ليلة خلت منه . أما الحرب فكانت يوم الجمعة صبيحة سبعة عشر من رمضان وهو الشهر التاسع عشر بعد الهجرة ، وكان عددهم ٣١٣ وقيل ٣١٤ وقيل ٣١٥ رجلاً ، وكان عدد الكفار ٩٥٠ وقيل : ألفاً قتل منهم ٧٠ وأسر ٧٠ رجلاً ، فأما المسلمون فقد استشهد منهم ١٤ رجلاً ستة من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار .

ما للنفوس إلى العَمَايةِ تَجَنُّحُ؟ أَتَظُنُّ أَنَّ السِّيفَ عَنْهَا يَصْفَحُ؟ (١)
داوَيْتَ بِالْحَسَنِى فَلَجَّ فِسادُها ولديكَ إِنْ شِئْتَ الدَّواءُ الْأَصْلَحُ؟ (٢)
الإِذْنَ جَاءَ فَقُلْ لِقَوْمِكَ أَقْبِلُوا بِالْبَيْضِ تَبَرَّقُ وَالصَّوْفِ تَضْبَحُ؟ (٣)

(١) تجنح : تميل .

(٢) الخطاب للرسول الكريم ﷺ .

(٣) كانت الآيات التي نزلت بمكة تحض على الصبر واحتمال الأذى ، فلما قويت شوكة الإسلام بعد الهجرة نزلت الآيات بالقتال . وكان مبدؤها فى الثانى عشر من شهر صفر من السنة الثانية وأولها ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩] وقيل : إن الآية الأولى هي ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَمَوَالِيَهُمْ﴾ [التوبة: ١١١] . وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، =

أَفِطْمَعُ الْكُفَّارُ أَلَا يُؤَاخِذُوا
أَمْنُوا نِكَالَكَ فَاسْتَبَدَّ طُغَاتُهُمْ
لَا يَسْتَحُونَ وَلَوْ تَأَذَّنَ رَبُّهُمْ
أَمْلِي لَهُمْ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا الْمَدَى
مِنْ نَاقِضٍ عَهْدًا وَمِنْ مُتَمَرِّدٍ
لَمَّا اسْتَقَامَ الْأَمْرُ لَاحَ بِشِيرُهَا
ظَمِئْتُ سَيُوفَكَ يَا مُحَمَّدٌ فَاسْقُهَا
فَجَّرَ يَنْابِيعَ الْفُتُوحِ فَرِيْهَا
الظَّنُّ أَوْرَدَهَا الْغَلِيلَ وَإِنَّهُ
الْيَوْمَ تُورِدُهَا الدَّمَاءَ فَتَرْتَوِي
الْمُشْرِكُونَ عَمُوا وَأَنْتَ مُوَكَّلٌ
خُذْهُمْ بِبَاسِكَ لَا تَرْعَكَ جُمُوعُهُمْ
ضَلُّوا السَّبِيلَ وَفِي يَمِينِكَ سَاطِعٌ
هَفَّتِ الْعَشِيرَةُ إِذْ نَهَضَتْ تُرِيدُهَا

بَلْ غَرَّهْمَ حِلْمٌ يُمَدُّ وَيُفْسَحُ
أَفَكُنْتَ إِذْ تُزْجِي الزَّوْاجِرَ تَمْزَحُ؟
عَرَفُوا الْيَقِينَ وَأَوْشَكُوا أَنْ يَسْتَحُوا
أَلَوَى بِهِمْ خَطْبٌ يَجْلُ وَيَفْدَحُ (١)
يُمَسِّي عَلَى دِينِ الْغَوَاةِ وَيُصْبِحُ
غُرٌّ سَوَافِرُ مِنْ جَبِينِكَ تُلْمَحُ
مِنْ خَيْرٍ مَا تُسْقَى السُّيُوفُ وَتُنْضَحُ (٢)
مَا تَسْتَبِيحُ مِنَ الْبِلَادِ وَتَفْتَحُ
لَأَشَدُّ مَا تَجِدُ السُّيُوفُ وَأَبْرَحُ (٣)
وَتَرُدُّهَا نَشْوَى الْمُتُونِ فَتَفْرَحُ
بِالشَّرْكِ يُمَحِّي وَالْعِمَايَةَ تُمَسِّحُ
فَلَأَنْتَ إِنْ وَزَنُوا الْكِتَابَ أَرْجَحُ
يَهْدِي النَّفُوسَ إِلَى الَّتِي هِيَ أَوْضَحُ
وَالْعِيرُ دَائِبَةٌ تَشْطُ وَتَنْزَحُ (٤)

= وحسابهم على الله تعالى . وكان الصحابة يأتون النبي بمكة بين مضروب ومشجوج
فيقول : « اصبروا فإنني لم أؤمر بالقتال » . والضح : صوت الخيل (دون الصهيل - أو
عدوها . والصوافن : الخيل) .

(١) أملى له : أمهله وطول له ، ألوى بالرجل وبالشئ : ذهب به .

(٢) تنضح : بمعنى تسقى .

(٣) الغليل : حرارة العطش .

(٤) العشيرة موضع لبنى مدليج بينبع ، خرج إليها النبي ﷺ في جمادى الأولى وليلالي من
جمادى الآخرة من السنة الثانية من الهجرة ، وذكر ابن هشام أنها كانت في جمادى
الآخرة على رأس ستة عشر شهرا في ١٥٠ وقيل في ٢٠٠ رجل من المهاجرين ،
واستعمل على المدينة أبا سلمة ابن عبد الأسد يريد عيرا لقريش سارت من مكة إلى
الشام للتجارة كانت ألف بعير تحمل ما قيمته خمسون ألف دينار . وكان قائدها أبو سفيان
ابن حرب ومعه مخزومة بن نوفل ، وعمرو بن العاص ، فلم يدركها النبي ﷺ . فلما =

- تَمْشِي مَوَاقِرَ فِي غَوَارِبِهَا الْعُلَى أَمْوَالُ مَكَّةَ فَهِيَ مِيلُ جُنْحُ (١)
عُدَّ بِاللَّوَاءِ وَقُلَّ لِحِمَزَةٍ إِنَّهُمْ رَهْنٌ بِمُرْزَمَةٍ تَسَحُّ وَتَدْلُجُ (٢)
تَهْوِي غَدَاةَ الرُّوعِ فِي طُوفَانِهَا مُهْجُ الْفَوَارِسِ وَالْمَنَائِيَا تَسْبَحُ (٣)
هَذَا الْفَتَى الْفَهْرِيُّ أَقْبَلَ جَامِحاً يَغْزُو الْمَدِينَةَ وَالْمُضَلَّلُ يَجْمَعُ (٤)
وَلَّى يَسُوقُ السَّرْحَ لَوْ لَمْ تُؤْلِهِ سَعَةً لَصَاقَ بِهِ الْمَضَاءُ الْأَفِيحُ (٥)
دَعَا فَإِنْ لَهُ بِمَكَّةَ مُشْهَداً يُرْضِيكَ وَالشَّهْدَاءُ حَوْلَكَ تُطْرَحُ (٦)
ذَهَبَ ابْنُ حَرْبٍ فِي تِجَارَةِ قَوْمِهِ وَلَسَوْفَ يَعْلَمُ مَنْ يَفُوزُ وَيَرْبِحُ (٧)

= عادت من الشام خرج إليها ، قيل : إنها كانت سبباً لوقعة بدر ، وكان اللواء في العشيرة لحمزة بن عبد المطلب ، وفي هذه الغزوة عقدت معاهدة بين الرسول الكريم ﷺ وبين بني مدلج . وكانوا حلفاء بني ضمرة . وفيها كنى رسول الله ﷺ علياً بـ "أبا تراب" ، حين وجده نائماً هو وعمار ابن ياسر ، وقد علق به تراب . فأيقظه عليه السلام برجله . وقال له : مالك يا أبا تراب . وتشط : تبعد .

(١) مواقر : محملة أحمالاً ثقيلة .

(٢) رهن بمُرْزَمَةٍ : من أُرْزِمَ الرعد إذا اشتد صوته ، والمراد غارة أو وقعة هذه صفتها ، تدلج : يقال : سحابة تدلج إذا كانت كثيرة الماء ، وأصله أن يمشى الرجل أو غيره متقبض الخطو لثقل حمله .

(٣) الروع بمعنى الحرب وأصله الفرع .

(٤) الفتى الفهري : هو كرز بن جابر الفهري ، كان من رؤساء المشركين أغار على سرح من الإبل والمواشي كان بالمدينة بعد رجوع النبي ﷺ من العشيرة بليال . فخرج ﷺ يطلبه . فلما بلغ سفوان - موضع من ناحية بدر - فاته كرز ، وكان اللواء بيد علي بن أبي طالب - أسلم كرز وصحب وأمر على سرية ، وقتل في فتح مكة ﷺ .

(٥) الأفيح : الواسع .

(٦) إشارة إلى إسلام كرز بن جابر واستشهاده .

(٧) كان أبو سفيان يتجسس أخبار النبي ﷺ ، فلما علم بخروجه مع جيش أرسل ضمضم ابن عمرو الغفاري يستنفر قريشاً بمكة ، واستأجره بعشرين مثقالاً على أن يأتي مكة ويجدع أنف بعيره ، ويشق ثوبه من قبل ومن دبر ثم يصرخ ببطن الوادي على بعيره . اللطيمة اللطيمة - هي العير تحمل الطيب واليز - أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد ، إنكم إن أصابها لن تفلحوا أبداً ، الغوث ، الغوث فنفر الناس وتخلف أبو لهب .

نَسْرٌ مَضَى مُتَصَيِّدًا وَوَرَاءَهُ يَوْمٌ تُصَادُ بِهِ النُّسُورُ وَتُذْبَحُ
بَيْنَا يَحِيدُ عَنِ السَّهَامِ أَصَابَهُ نَبَأٌ تُصَابُ بِهِ السَّهَامُ فَتُجْرَحُ
بَعَثَ ابْنُ عَمْرٍو مَا لَكُمْ مِنْ قُوَّةٍ إِنْ مَالَكُمْ أَمْسَى يُلْمُ وَيُكْسَحُ (١)
وَاهَا قَرِيشُ إِنَّهُ الدَّمُ ، فَاعْلَمُوا مِنْ دُونِ بِيضَتِكُمْ يِرَاقُ وَيَسْفَحُ
تَرِدُونَ بَرْدَ الْأَمْنِ وَالنَّارِ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا حَطَبٌ تُشَبُّ وَتُقَدَحُ
إِنْ كُنْتُ لَمْ أَفْصَحْ لِحَطَبِ هَالِنِي فَسَلُوا بَعِيرِي إِنَّهُ هُوَ أَفْصَحُ
وَاخْذُوا النَّصِيحَةَ عَنْ قَمِيصِي إِنَّهُ لِأَجَلٍ مِنْ يَعِظُ النَّيَامَ وَيَنْصَحُ
إِنِّي صَدَقْتُكُمْ الْبَلَاغَ لَتَعْلَمُوا وَجِبَالُ مَكَّةَ شُهَدَاءُ الْأَبْطَحُ
جَفَلْتُ نَفُوسَ الْقَوْمِ حَتَّى مَا لَهَا لُجْمٌ تَرُدُّ وَلَا مِقَاوِدُ تَكْبَحُ (٢)
وَأَبَى أَبُو لَهَبٍ مَخَافَةَ مَا رَأَتْ فِي النَّوْمِ عَاتِكَةَ فَمَا يَتَزَحْزَحُ (٣)

(١) يكسح : يؤخذ كله .

(٢) جفلت : انزعجت .

(٣) نفر الناس للقتال وتخلف أبو لهب لرؤيا رأتها عاتكة ابنة عبد المطلب عمة النبي ﷺ (مختلف في إسلامها) بعثت عاتكة إلى أخيها العباس ، فلما جاءها قالت بعد أن أوصته بالكتمان خوفاً من كفار قريش : رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا آل غدر إلى مصارعكم في ثلاث ، فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبينما هم حوله رأيت بعيره مثل به على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها . ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها . ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلها منها فلقه .

قال العباس : إنها لرؤيا عظيمة اكتمتها . وخرج فلقي الوليد بن عقبة وكان صديقاً له فذكرها واستكتمه ، فذكرها الوليد لأبيه ، فتحدث بها وفشا الحديث . ومرو العباس على أبي جهل وهو في رهط من قريش يتحدثون بهذه الرؤيا فقال له : يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا . فلما رجع قال له أبو جهل : يا بني عبد المطلب متى حدث فيكم هذه النبوة ؟ أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ؟

جاء ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة بعد هذه الرؤيا بثلاثة أيام وفعل ما فعل فكان ذلك مصداقاً لها - بعث أبو لهب مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وكان له أربعة آلاف =

وأرى أُمِيَّةَ لو تَأَخَّرَ حَيْنُهُ لَرَأَهُ عُقْبَةُ ثَاوِيًا مَا يَبْرَحُ (١)
يَرْمِيهِ بِالْهَذَرِ الْقَبِيحِ يَلُومُهُ وَيَسُومُهُ الْخُلُقَ الَّذِي هُوَ أَقْبَحُ
غَشَاهُ سَعْدٌ رَوْعَةً مَا بَعْدَهَا لِلذَّوِيِ الْمَخَافَةِ فِي السَّلَامَةِ مَطْمَحُ (٢)
نَفَرُوا يُرِيدُونَ الْقِتَالَ وَغَرَّهُمْ عَبَثُ اللَّوَاتِي فِي الْهُوَاجِ تَنْبِيحُ (٣)
عَنَّتْ بِهَجْوِ الْمُسْلِمِينَ وَإِنِّهَا لِأَضْلُ مِنْ يَهْجُو الرِّجَالَ وَيَمْدَحُ
الضَّارِبَاتُ عَلَى الدَّفُوفِ فَإِنْ هُمْ ضَرَبُوا الطُّلَى فَالِنَادِبَاتُ النُّوحُ (٤)
تِلْكَ الْمَاتَمُ مَا تَزَالُ تُقَالُهَا تَمْشِي الْوَيْدُ بِهَا الْمَطَايَا الطَّلَحُ (٥)

= درهم دينًا عليه ثم عجز عن أدائها فجعلها أجرًا له - وقد قتل العاص في غزوة بدر بيد عمر بن الخطاب .

(١) هو أُمِيَّة بن خلف ، أراد التخلف وكان شيخًا ثقيلاً فجاءه عقبة بن أبي معيط وهو جالس مع قومه بمجمره فيها بخور ثم وضعها بين يديه وقال له : استجمر فأثما أنت من النساء . وكان أبو جهل هو الذي دعا عقبة إلى ذلك ، ومن قول أبي جهل لأُمِيَّة : إنك سيد أهل الوادى فإن تخلفت تخلفوا - فتجهز وخرج وكان سبب تثبطه ما ذكره البخارى فى الصحيح من حديثه مع سعد بن معاذ وأبى جهل بمكة وقول سعيد له : إني سمعت رسول الله ﷺ إنه قاتلك . قال ابن سيد الناس : والمشهور أن النبى قال ذلك لأخيه أبى بن خلف بمكة قبل الهجرة . وهو الذى قتله النبى ﷺ بعد ذلك يوم أحد بحريته ، وهذا أيضا لا يتنافى مع خبر سعد . [عيون الأثر - ١/ ٢٩٤] . والحين : الموت ، والثاوى : المقيم .

(٢) سعد بن معاذ ، قدم مكة معتمراً فنزل على أُمِيَّة كما كان ينزل هو عليه بالمدينة فى طريقة إلى الشام ، فأخبره أن النبى ﷺ سيقتله - والمراد جند النبى ﷺ - فكان هذا سبب خوفه وكراهته للخروج .

(٣) خرجت قريش ومعها النساء يضربن على الدفوف ويغنين بهجو المسلمين ، وكان من زعمائهم أبو جهل . وعتبة وشيبة ابنا ربيعة . وحكيم بن حزام (أسلم بعد ذلك) وأبو البختري بن هشام ، وزمعة بن الأسود ، والنضر بن الحارث . والعباس بن عبد المطلب - وأبى بن خلف ، ونبیه ومنبه ابنا الحجاج . وكان حامل لوائهم السائب بن يزيد (أسلم) .

(٤) الطلى : الاعناق أو أصولها جمع طلية أو طلاة .

(٥) الوئيد : المشى فى بطاء . وطلحت المطايا : أعيت .

أَخَذُوا السَّلَاحَ وَقَدْ أَغَارَ لِأَخْذِهِمْ جُنْدٌ بِآيَاتِ الْكِتَابِ مُسَلَّحٌ
 فِيهِمْ مِنَ الْأَنْصَارِ كُلُّ مُشِيعٍ يَمْضِي إِذَا نَكَصَ الْبِرَاعُ الزُّمْعُ (١)
 كَانُوا عَلَى عَهْدٍ مَضَى فَأَتَمَّهُ لِلَّهِمْ عَهْدٌ أَبْرُ وَأَسْمَحُ (٢)
 سَعْدٌ يُهَيِّبُ بِهِمْ وَسَعْدٌ قَائِمٌ تَحْتَ اللَّوَاءِ بِسَيْفِهِ يَتَوَشَّحُ (٣)
 مَا أَصْدَقَ الْمَقْدَادَ حِينَ يَقُولُهَا حَرَّى وَبَعْضُ الْقَوْلِ نَارٌ تَلْفَحُ (٤)
 إِنَّا وَرَاءَكَ يَا مُحَمَّدٌ نَبْتَغِي مَا اللَّهُ يُعْطِي الْمُتَّقِينَ وَيَمْنَحُ (٥)
 لِسْنَا بِقَوْمِ أَخِيكَ مُوسَى إِذْ أَبَوْا إِلَّا الْقُعُودَ وَسَبَّةً مَا تُضْرَحُ (٥)
 هَذَا عَلَيَّ فِي اللَّوَاءِ وَمُصْعَبٌ وَالتَّصْرُ فِي عِطْفَيْهِمَا يَتَرَنِّحُ (٦)

(١) البراع : الجبان ، والزمع : الضعيف .

(٢) خرج الأنصار في هذه الغزوة ولأول مرة لأنهم حين بايعوا النبي ﷺ بالعقبة قالوا له : إنا براء من ضمانك - أي مناصرتك - إلا أن تكون في دارنا - فلما كانت غزوة بدر أراد معرفة ما عندهم فقال سعد بن معاذ سيد الأوس كما قال المقداد بن عمرو الملقب بابن الأسود : يا رسول الله إمض لما أمرك الله فتنحن معك . لسنا نقول لك ما قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة : ٢٤] ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك ، إلى آخر ما قال . فسر النبي يقول سعد ، ونشطه ذلك ، ثم قال : سيروا وأبشروا ، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأنني الآن أنظر إلى مصارع القوم .

(٣) الأول : سعد بن عباد كان يأتي دور الأنصار يحضهم على الخروج ، وقد لدغته ضفدعة حية فتخلف وقال النبي : « لئن كان سعد لم يشهدنا (الغزوة) لقد كان عليها حريصاً » ثم ضرب له بسهمه وأجره ، والثاني سعد بن معاذ ، وتوشح بسيفه : تقلد به .

(٤) لفحته النار : أحرقته .

(٥) ضرح الشيء : دفعه ونحاه .

(٦) عقد النبي ﷺ لواء أبيض ودفعه إلى مصعب بن عمير ، وكان أمامه ﷺ رايتان سوداوان إحداهما مع علي بن أبي طالب ، والثانية مع سعد بن معاذ . وقيل : مع الحباب بن المنذر قال ابن سعد : كان لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير ولواء الخزرج مع الحباب ابن المنذر ، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ . وعن ابن عباس أن النبي ﷺ أعطى عليا الراية وهو ابن عشرين سنة ، ولبس النبي ﷺ درعه (ذات الفضول) وتقلد سيفه (العضب) .

حَمَلًا لَوَائِيهِ فَلَوْ صَدَحَ الْهَدْيُ فِي مَشْهَدٍ جَلِيلٍ لِأَقْبَلِ يَصْدَحُ
هَذَا رَسُولُ اللَّهِ مَنْ يَكُ مُؤْمِنًا فَإِلَيْهِ إِنَّ طَرِيدَهُ لَا يُفْلِحُ
الْمَوْتُ فِي يَدِهِ وَعِنْدَ لَوَائِهِ رِيحُ الْجِنَانِ لِمَنْ دَنَا يَسْتَرْوِحُ (١)
إِنْ يَمْلِكِ الْمَاءَ الْعَدُوُّ فَقَدْ هَمَى سَيْلٌ جَرَى شَوْبُوهُ يَتَبَطَّحُ (٢)
هِيَ دَعْوَةُ الْهَادِي الْأَمِينِ وَنَفْحَةُ تَمْنٍ يَسُوقُ الْغَيْثَ فِيمَا يَنْفَحُ
مَكْرُ الْحَبَابِ بِهِمْ فَغَوَّرَ مَاءَهُمْ وَالْمَكْرُ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ أَنْجَحُ (٣)
نَبِيٌّ عُمَيْرُ سَرَاةٍ قَوْمِكَ إِنْهُمْ زَعَمُوا الْمَزَاعِمَ وَالْحَقَائِقُ أَرْوَحُ (٤)
نَبَتْهُمْ الْخَبَرَ الْيَقِينَ وَصَفَّ لَهُمْ بَأْسَ الْأَلَى جَمَعُوا لَهُمْ وَتَبَجَّحُوا
وَأَذْكَرَ سَمِيكَ إِذْ يَقُولُ مُحَمَّدٌ أَرْجِعْ عُمَيْرُ فَدَمْعُهُ يَتَسَحَّحُ (٥)
أُذُنَ النَّبِيِّ لَهُ فَأَشْرَقَ وَجْهَهُ وَلَقَدْ يُرَى وَهُوَ الْأَحْمُ الْأَكْفَحُ (٦)

(١) استروح الشيء تشممه .

(٢) سبق المشركون المسلمين إلى الماء ببدر فلقى الأولون عناء، ودعا النبي ﷺ فانهمرت السماء فشربوا واختزنوا واغتسلوا وصلوا ، وصلح موقع الجيش وكانت الأرض هشة تسوخ فيها الأقدام ، تبطح السيل : اتسع في البطحاء وسال عريضاً .

(٣) الحباب بن المنذر أشار على النبي ﷺ أن ينزل بالجيش عند أقرب ماء من القوم ففعل وأمر بالقلب فغورت . وبنى حوضاً على القلب الذي نزل عليه كما رأى الحباب فعطش الكفار عطشاً شديداً ووهنت قواهم .

(٤) عمير بن وهب الجمحي (أسلم بعد ذلك) أرسلته قريش ليرى كم عدد المسلمين فجال بفرسه حول العسكر وعاد يقول: يا معشر قريش ، البلايا تحمل المنايا ، رجال يثرب تحمل الموت الناقع ، ألا ترونهم خرساً لا يتكلمون؟؟ يتلمظون تلمظ الأفاعي ، لا يريدون أن يقبلوا إلى أهلبيهم ، زرق العيون كأنهم الحصى تحت الحجف : ليس لهم منعة إلا سيوفهم .

(٥) عمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص ، خرج للغزو مع المسلمين وكان عمره ست عشرة سنة فأمر النبي ﷺ برده لصغر سنه فبكى فأذن له في القتال .

(٦) الأحم والأكفح كلاهما بمعنى الأسود .

- بَطْلٌ مِنَ الْفَتِيَانِ يَحْمِلُ فِي الْوَغَى مَا يَحْمِلُ الْبَطْلُ الضَّلِيعُ فِيرْزُحُ (١)
 قُلْ يَا حَكِيمُ فَمَا بَعْتَبَةَ رِيبَةٍ مَوْلَى الْعَشِيرَةِ لَلْمُهِمِّ يُرْشَحُ (٢)
 نَصَحَ الرِّجَالَ فَرَدَّهُمْ عَنْ نَصَحِهِ نَشَوَانُ يَمْلَأُهُ الْغُرُورُ فَيُطْفَحُ (٣)
 رَبِّ اسْقِهِ بِيَدِ النَّبِيِّ مَنِيَّةً بِعَذَابِكَ الْأَوْفَى تُشَابُ وَتُجَدِّحُ (٤)

(١) الضليع : القوى الشديد الأضلاع . والرازح الهالك هزالا .

(٢) حكيم بن حزام ، لما سمع مقالة عمير بن وهب أتى عتبة بن ربيعة وقال ؛ يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها المطاع . هل لك أن تذكر بخير إلى آخر الدهر . قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس وعليك أن تحمل دم عمرو بن الحضرمي الذي قتله عبد الله بن واقد في سرية بن جحش وتعوض على الناس ما أصاب المسلمون من الغنائم فإنك ذو مال كثير وقريش لا تريد سوى ذلك ، فقبل عتبة وركب جملا له أحمر طاف به على القوم وهو يقول : يا قوم أطيعوني ، على دم الحضرمي وما أخذ من العير ، أنشدكم الله في الوجوه التي تضيء ضياء المصابيح (يعني وجوههم) أن تجعلوها أندادا لهذه الوجوه التي كأنها عيون الحيات (يعني وجوه الأنصار) يا قوم اعصوها اليوم برأسي وقلوا : جبن عتبة .

(٣) هو أبو جهل ، بعث عتبة إليه حكيم بن حزام يبلغه رأيه فغضب وأفسد على الناس نصحه قائلا . انتفخ والله سحره (رثته) حين رأى محمدا وأصحابه ، والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد . وما بعته ما قال ، ولكنه قد رأى محمدا وأصحابه أكلة جزور ، وفيهم ابنه قد تخوف عليه . وبعث إلى عامر ابن الحضرمي يقول : هذا حليفك عتبة يريد الرجوع بالناس ، فاطلب أنت بدم أخيك . فجاء عامر وكشف عن دبره وحشا التراب على رأسه وصرخ : واعمره . واعمره .

فثارت النفوس ، وأخفق المسعى . وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة . فلما بلغ عتبة قول أبي جهل : « انتفخ والله سحره » قال : سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره : أنا أم هو ، ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها في رأسه ، فما وجد في الجيش بيضة تسعة من عظم هامته ، فلما رأى ذلك اعتجر (اعتم على رأسه بثوب) على رأسه بيرد له .

رأى النبي ﷺ عتبة وهو يطوف على جملة ينصح الناس . فقال ﷺ : « إن يكن في أحد من القوم خير ففى صاحب الجمل الأحمر ، إن يطيعوه يرشدوا » .

(٤) تجدح : تخلط .

- إيه أبا جهل نصرت بفارس^(١) يلقى المنية منه أغلب شيع^(١)
 أرداه حمزة عند حوض محمد^(٢) فانظر أتقدم أم تحيد وتكفح^(٢)
 رام الورود فما انثنى حتى ارتوت^(٣) من حوض مهجته المنايا القمح^(٣)
 جد البلاء وهب إعصار الردى^(٤) يرمي بأبطال الوغى ويطوح^(٤)
 نظر النبي فضج يدعو رب^(٥) لا هم نصرك إنا لك نكدح^(٥)
 تلك العصابة ما لدينك غيرها^(٦) إن شد عاد أو أغار مجلح^(٦)
 لولا تقيم بناءه وتحوط^(٧) لعفا كما تغفو الطلول وتمصح^(٧)
 لا هم إن تهلك فما لك عابد^(٨) يغدو على الغبراء أو يتروح^(٨)
 جاشت حميته وقام خليله^(٨) دون العريش يذود عنه وينضح^(٨)

(١) هو الأسود المخزومي كان شرساً سىء الخلق . قال : أعاهد الله لأشرين من حوضهم (المسلمين) أو لأهدمنه ، أو لأموتن دينه ، ثم أقبل فضربه حمزة بن عبد المطلب فوق صريعاً ، ولكنه زحف إلى الحوض ليصدق في يمينه ، فقتله حمزة في الحوض . وهو أول قتيل من المشركين في بدر . [الشيع] المقاتل أو الجاد في الأمر .

(٢) كفح بمعنى جن .

(٣) يقال إبل قمح ؛ أى : رافعة الرؤوس ، غاضة العيون . وهذا إذا رويت من الماء .

(٤) يكدح : يسعى ويعمل .

(٥) المجلح - المقدم من جلع السبع على القوم إذا حمل عليهم .

(٦) تمصح : من مصحت الدار إذا اندرس أثرها .

(٧) تروح : سار في الرواح ؛ أى : العشى ، وفي الأبيات إشارة إلى دعاء النبي ﷺ ربه بقوله : «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها في الأرض» وجعل يهتف بربه عز وجل : «اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم نصرك» ويرفع يديه إلى السماء حتى سقط الرداء عن منكبيه . وجعل أبو بكر يلتزمه من ورائه ، ويسوى عليه رداءه . ويقول مشفقاً عليه من كثرة الابتهاال : يا رسول الله بعض مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك . [رواه مسلم في الجهاد - ح ١٧٦٣ ، والترمذى في التفسير : ح ٣٠٨١ ، وأحمد : ٣٠ / ١ و ٣٢ و ١١٧] .

(٨) خليله - أبو بكر ، والعريش الذى أشار سعد بن معاذ بينائه للنبي ﷺ ليشرق منه على المعركة ، وينضح : يدافع .

- وَتَغَوَّلَتْ صُورَ الْقِتَالِ فَأَقْبَلَا والأَرْضُ مِنْ حَوْلَيْهِمَا تَتَرَجَّحُ (١)
 فِي غَمْرَةٍ ضَمِنَ الْحِفَافُ لِقَاحَهَا فالْحَرْبُ تَسْدَحُ بِالْكُفَاةِ وَتَرْدَحُ (٢)
 اسْتَبَقَ نَفْسَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ وَقِفْ إِنْ ضَجَّ مِنْ دَمِكَ الزَّكِيُّ مُصِيحُ (٣)
 أَعْرِضْ عَنْ ابْنِكَ إِنْ مَوْتَكَ لِلَّذِي حَمَلَ الْحَيَاةَ إِلَى الشُّعُوبِ لَمُتْرَحُ (٤)
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ حِينَ يَقُولُهَا وَالْحَرْبُ تَعَصِفُ وَالْفَوَارِسُ تَكْلَحُ (٥)
 اللَّهُ لَا وَلَدٌ أَحَبُّ وَلَا أَبٌ مِنْهُ فَايْنُ الْمُنْتَأَى وَالْمَنْزَحُ؟ (٦)
 أَفَمَا رَأَيْتَ أَبَا عُبَيْدَةَ ثَائِرًا وَأَبُوهُ فِي يَدِهِ يُتَلُّ وَيُسْطَحُ (٧)
 بَاطِلٌ تَخْطُرُ أَمْ تَخْطُرُ مُصْعَبُ صُلْبُ الْقِرَا ضَخْمُ السَّانِمِ مُكْبِحُ (٨)
 أَرَأَيْتَ إِذْ هَزَمَ النَّبِيُّ جُمُوعَهُمْ فَكَأَنَّمَا هَزَمَ الْبِغَاثُ الْمَضْرَحُ (٩)
 هِيَ حِفْنَةٌ لِلْمَشْرِكِينَ مِنَ الْحَصَى خَفَّ الْوَقُورُ لَهَا وَطَاشَ الْمَرْجَحُ (١٠)
 مِثْلُ الثَّمِيلَةِ مِنْ مُجَاجَةٍ نَافِثٍ وَكَأَنَّمَا هِيَ صَيِّبٌ يَتَبَذَّحُ (١١)

- (١) وتغولت : تلونت ، وترجح : تهتز .
 (٢) تسدح من سدحت المرأة . وردحت : إذا أكثرت من النسل وثبتت . والكفامة : جمع كمي ، والكمي : الشجاع .
 (٣) يشير إلى عزم أبي بكر على مبارزة ابنه عبد الرحمن لما طلب المبارزة وكان لا يزال على الشرك ثم أسلم في هدنة الحديبية .
 (٤) مترح : محزن .
 (٥) تكلح : تكشر في عبوس .
 (٦) المنتأى : محل البعد ، والمنزح : من نزح إذا بعد .
 (٧) أبو عبيدة بن الجراح حمل عليه أبوه وكان مع المشركين ليقتله فأعرض عنه فطارده ، فقتله أبو عبيدة . ويتل ويسطح بمعنى يصرع .
 (٨) المصعب : الفحل ومن الجمال ما لم يركب ، وصلب القرا : شديد الظهر ، ومكبج : شامخ . والبيت في وصف أبي عبيدة .
 (٩) البغاث : ضعاف الطير ، والمضرح : الصقر الطويل الجناح .
 (١٠) المرجح : الحليم ، والبيت يشير إلى أن النبي ﷺ رمى المشركين بحفنة من الحصى فلم يبق منهم رجل إلا نال عينيه منها ، ثم انهزموا «وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى» [الأنفال: ١٧] .
 (١١) الثميلة : البقية . والصيب : المطر ، وتبذح السحاب : أمطر .

- (١) تهفو كما هفت البروق اللّمح
 تهوي مُجلجلة تلّهب أعين
 (٢) منها وتَقذف بالعواصف أجنح
 للخيّل حممة تُراع لهولها
 (٣) صيد الفوارس والعِتاق القرح
 حيزوم أقدم إنما هي كرة
 (٤) عَجلى تُجاذبك العنان فتمرح
 جبريل يضرب والملائك حوله
 (٥) صف تُرض به الصفوف وتُرضح
 تلك الحصون المانعات بمثلها
 (٦) تُدرى المعازل واحصون وتُذرح
 للقوم من أعناقهم وبنانهم
 (٧) نار تُريك الداء كيف يُبرح
 جفت جذور الجاهلية والتوى
 (٨) هذا النبات الناضر المُسترشح
 طفق الثرى من حولها لما ارتوى
 (٩) من ذوب مهجتها يجف ويلح
 ومن الدم المسفوح رجس موبق
 (١٠) ومُطهر يلد الحياة ويلقح
 أودى بعتبة والوليد وشيبة
 (١١) وأمية القدر الذي لا يُدرح

(١) كتيبة : قطعة من الجيش، تهفو . تسرع ، وفى البيت وما بعده إشارة إلى إمداد الله المسلمين بالملائكة فى غزوة بدر ﴿ إِذْ تَسْعِيُونَ رَبِّكُمْ فَاسْتَجَابْ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴾ [الأنفال: ٩] .

(٢) مجلجلة : مرعدة ، وأجنح : جمع جناح .

(٣) القارح من الخيل الذى شق نابه وطلع .

(٤) حيزوم : اسم فرس جبريل .

(٥) ترضح : تكسر .

(٦) تدرى وتذرح بمعنى .

(٧) كانت الملائكة تضرب أعناق المشركين وبنانهم ﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاصْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال: ١٢] والمبرح : المؤلم .

(٨) استرشح النبات : طال .

(٩) ييلح : ييس .

(١٠) موبق : مهلك .

(١١) عتبة بن ربيعة . برز للقتال فجاءه فتية من الأنصار فقال . إنما أريد أكفائي من قريش . ونادى مناديهم يا محمد أخرج إلينا أكفأنا فأمر بعبدة بن الحارث وحمزة وعلى رضي=

وهوى أبو جهل ونوفل وارعوى بعد اللجاج الفاحش المتوقّع (١)
 لما رأى الغازي المظفر رأسه أهوى يكبر ساجداً ويسبح (٢)
 في جلده من رجز ربك آية عجب تفسر للبيب وتشرح (٣)
 تلك السطور السود ضم كتابها أبهى وأجمل ما يرى المتصفح

= الله عنهم فقتل على الوليد ، وقتل حمزة عتبة . وتبادل عبيد وشية ضربتين أثرتا فيهما
 فكر حمزة وعلى فأجهزا على شية . ثم احتملا عبيدة ومنح ساقه يسيل وكانت الضربة
 فى ركبتيه فأفرشه النبي ﷺ قدمه الشريفة فوضع خده عليها وقال له ﷺ : « أشهد أنك
 شهيد » ، قال عبيدة : وددت والله لو أن أبا طالب كان حياً ليعلم أننا أحق منه بقوله :
 ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل
 ثم قال :

فإن يقطعوا رجلى فأنى مسلم أرجى به عيشاً من الله عالياً
 والبسنى الرحمن من فضل منه لباساً من الإسلام غطى المساويا
 مات ﷺ من هذه الضربة فهو من شهداء بدر ويقصد الوليد بن عتبة وشية بن ربيعة
 وأمية بن خلف الذى قتله بلال . وإلى هذا سبقت الإشارة فى القصيدة الثانية من الديوان
 بهذه الأبيات :

أرنى يدك ، أفهما لأمية ورد من الموت الذعاف مثل ؟
 لل سيف سيف الله أهول موقعاً من صخرة تلقى وحبل يفتل
 لك فى غد دمه إذا التقت الظبى تحت العجاجة والرماح الذبل
 لا يدرح : لا يدفع .

(١) أبو جهل ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح . ومعوذ بن عفراء من الأنصار وأجهز عليه
 ابن مسعود ، ونوفل بن خويلد ، قال النبي ﷺ : « من له علم بنوفل بن خويلد ؟ » ،
 قال على : أنا قتلته فكبر ﷺ وقال : « الحمد لله الذى أجاب دعوتى فيه » فإمّا لما التقى
 الصفان نادى نوفل بصوت رفيع : « يا معشر قريش ، اليوم يوم الرفعة والعلا ، فقال
 النبي ﷺ : « اللهم أكفنى نوفل بن خويلد الفاحش المتوقع » . المراد به أبو جهل لعنه
 الله وهو المسمى فرعون هذه الأمة على لسان الرسول الكريم ، وارعوى : كف .
 (٢) لما جرى للنبي ﷺ برأس أبى جهل سجد لله شكراً ، وقال : « الحمد لله الذى أعز
 الإسلام وأهله ، الله أكبر ، الحمد لله الذى صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب
 وحده » .

(٣) الرجز : العذاب ، وقد وجد فى جسد أبى جهل آثار سود كثائر ضرب السياط .

- (١) إن لم يُغَيَّبْ في جهنم بعدها
 أدركتَ حقك يا بلال فَبُورِكتْ
 وَافَ المطارَ ووالِ يا ابنَ رِواحةِ
 هذا ابنُ حارثةٍ يَطُوفُ مُبَشِّراً
 لما تَرَدَّدَ في البلادِ صَداكُما
 فكأنَّ كُلاً مُعْرِسٌ وكأُنْما
 قُلْ يا أبا سُفْيَانَ غَيْرَ مُلَوِّحٍ
 يَبِضُّ على بُلُقٍ تَساقُطُ حولِها
 ذَهَبُوا وأخْلَفَهُم رَجاءُ زُلْزُلُوا
 أَكْذاكُ تَخْتَلِفُ الزُّرُوعُ فَناضِرٌ
 القومُ غَاطَظَهُم الصَّحِيحُ فزَيَّفُوا
 خَطأَ الزمانَ فَشا قُلُذُ بصوابِهِ
 جاءَ الإمامُ العَبْقَرِيُّ يُقِيمُها
- فَلَمَنْ سِوَاهُ في جَهَنَّمَ يُضْرَحُ (١)
 يَدُكَ التي تَرَكْتَ أُمِّيَّةً يُشْبَحُ (٢)
 زَجَلَ الحِمامِ إذا يَطِيرُ وَيَسْجَحُ (٣)
 بالنَّصْرِ يُخْزِي الكافِرِينَ وَيَفْضَحُ
 أَمَسْتَ قُلُوبَ المُسْلِمِينَ تُرَوِّحُ
 مِنْهُ وَمِنْكَ مُهْنِيٌّ وَمُرْقِحُ (٤)
 فَالنَّصْرُ يَخْطُبُ وَالسَّيْفُ تُصْرَحُ (٥)
 سَوْدٌ مُذَمِّمَةٌ تُسَافُ وَتُرْمَحُ (٦)
 فِيهِ فِزَالٌ كَمَا يَزُولُ الضَّحَضُحُ (٧)
 ضَافِي الظَّلَالِ وَذَابِلُ يَتَصَوِّحُ
 وَمِنَ الْأُمُورِ مُزَيِّفٌ وَمُصَحِّحُ
 وَأَنْظَرُ كِتَابِ الخَلْقِ كَيْفَ يُنْقَحُ
 سُنَّتًا مُبَيِّنَةً لِمَنْ يَسْتَوْضِحُ

(١) يضرح : يدفع أو ينحى أو يقبر .

(٢) أمية بن خلف قتله بلال ، وكان يعذبه ليرده عن دين الله ، ويشبح : يشق ويفعل به كالجلد المشبوح .

(٣) سبحت الحمامة سجعت ، وفى البيت وما بعده إشارة إلى إرسال عبد الله بن راحة إلى أهل العالية ، وزيد بن حارثة إلى أهل السافلة لإخبارهم بالنصر .

(٤) أعرس الرجل بأهله بنى عليها - ومرجح : من رفحه ؛ أى قال له : بالرفاء والبنين .

(٥) هو أبو سفيان بن الحارث بن هشام لما سأله عمه أبو لهب عن خبر قريش قال : هلم إلى عندي الخبر ، والله ما هو إلا أن لقينا القوم ، فمنحناهم أكتافنا ، يقتلوننا كيف شاؤوا ، ويأسروننا كيف شاؤوا ، وإيم الله مع ذلك ما لمت الناس ، لقينا رجالا بيضا على خيل بلق ، فغضب أبو لهب .

(٦) تساف وترمح : تطعن بالسيوف وبالرماح .

(٧) الضحضح : السراب .

مصرع أبي جهل (*)

ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح ، ومعوذ بن عفراء من الأنصار ، وأجهز عليه ابن مسعود . . وكان سيف ابن مسعود كليلاً فقال له أبو جهل : خذ سيفي فاحترز رأسى به ففعل . . وقال له وهو يعلو صدره ليحن رأسه : لقد ارتقيت يا رويعى الغنم مرتقى صعباً ، لو غير أكار قتلنى (الأكار الزراع وكان الأنصار أهل زرع) وقد أعطاه النبى ﷺ سيفه .

سَقَيْتَ دُعَافَ المَوْتِ فَأَشْرَبُ أَبَا جَهْلٍ
هُوَ السَّيْفُ لَوْلَا الجَبْنُ لَمْ يَمْضِ حَدُّهُ
لَمْ يَرْضَ فِي جِدِّ الكَرْهَةِ بِالْهَزْلِ
شَهِدْتُ الوَغَى تَبَغْيِي عَلَى الضَّعْفِ رَاحَةً
لِنَفْسِكَ مِنْ حَقْدِ مُذِيبٍ وَمِنْ غِلٍّ
أَفْرَعُونَ إِنْ تَجْهَلُ فَلَنْ تَجْهَلَ الوَغَى
فَرَاعَيْنَهَا مِنْ ذِي شَبَابٍ وَمِنْ كَهْلٍ (١)
وَفَاتَكَ مَا نَالَ الرَّوْيَعِيُّ مِنْ فَضْلِ
أَصَابَكَ فِيهَا مَا أَصَابَكَ مِنْ أَذَى
وَجَاءَكَ مَشْبُوباً حَمِيَّتُهُ تُغْلِي (٢)
سَقَى السَّيْفُ عَفْواً مِنْ دَمٍ لَكَ طَيِّعٌ
فَمِنْ مُرْتَقَى صَعْبٍ إِلَى مُسْتَقَى سَهْلٍ
دَعِ الْهَزْلَ يَا ابْنَ الحَنْظَلِيَّةِ إِنَّهُ
هُوَ الْجِدُّ كُلُّ الْجِدِّ لَوْ كُنْتَ ذَا عَقْلٍ (٣)

(*) جاءت هذه القصيدة فى الصورة بعد القصيدة الآتية .

(١) كان النبى ﷺ يقول عن أبى جهل : إن لكل أمة فرعوناً ، وإن فرعون هذه الأمة أبو جهل ، قتله الله شر قتله ، قتله أبناء عفراء وقتله الملائكة ، وتدافه ابن مسعود « أى : أجهز عليه . » إنه فرعون هذه الأمة .

(٢) عندما قتلاه انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه . فقال : أيكما قتله ؟ فقال كل واحد منهما : أنا قتلتة . قال : هل مسحتما سيفكما ؟ قالا : لا . فنظر فى السيفين فقال : كلاكما قتله . وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح ، ومعاذ بن عفراء [رواه مسلم

عن يحيى عن يوسف بن الماجشون]

(٣) هو أبو جهل [ابن الحنظلية]

هِيَ اللَّاتُ وَالْعُزَّىٰ أَضَلَّتْكَ هَذِهِ وَزَادَتْكَ هَذِي مِنْ ضَلَالٍ وَمِنْ خَبَلٍ (١)
 مَضَى جَارُكَ الْمَافُونُ خَزْيَانٌ وَأَنْقَضَتْ حِبَالُكَ فَانْظُرْ هَلْ تَرَى الْآنَ مِنْ حَبَلٍ (٢)
 لَقَدْ كُنْتَ تَرْجُو أَنْ تَرَى الْهَبْلَ الَّذِي رَضِيتَ بِهِ رَبًّا يَفُوزُ وَيَسْتَعْلَى
 أَصَبْتَ ابْنَ مَسْعُودٍ (٣) سَنَاءً وَرَفْعَةً وَبَاءَ عَدُوَّ اللَّهِ بِالْخِزْيِ وَالذِّلِّ
 فَخَذَ سَيْفَهُ ، ثُمَّ أَرْفَعَ الصَّوْتَ شَاكِرًا فَمَا بَعْدَ مَا أَعْطَاكَ رِيكَ مِنْ سَوَّلِ

* * *

(١) كان المسلمون يقولون في هذه الواقعة : الله مولانا ولا مولى لكم ، وكان أبو جهل يقول لنا العزى ولا عزى لكم .

(٢) تمثل إبليس في صورة سراقه بن مالك للمشركين وقال لهم : لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم ، وكانت يده في يد الحارث بن هشام أحى أبى جهل ، فلما رأى الملائكة انتزع يده من يده ، ثم نكس على عقبيه ، فقال له الحارث : يا سراقه أتزعم أنك جار لنا ؟ قال : إنى برىء منكم ، إنى أرى ما لا ترون ، إنى أخاف الله رب العالمين فتشبث به الحارث وقال : والله لا أرى إلا خفافيش يثرب . قال الحارث : ما علمت أنه الشيطان إلا بعد أن أسلمت . .

لما قُتِلَ رؤساء المشركين قال أبو جهل : يا قوم لا يهولنكم قتل من قتل ، فواللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمداً وأصحابه بالحبال . . لا تقتلوهم ولكن خذوهم باليد . . .

(٣) عن ابن عقبة ان عبد الله بن مسعود وجد أبا جهل مقنعا في الحديد ، وهو منكب لا يتحول ، فظن أنه قد أثبت ، فتناول قثم سيفه فأسله وهو منكب لا يتحرك ، فرفع سابقة البيضة عن قفاه فضربه ، فوقع رأسه بين يديه ، ثم سلبه ، فلما نظر إليه إذا هو ليس به جراح ، وأبصر في عنقه خلدرا ، وفي يديه وكتفيه كهية آثار السياط فأتى النبى ﷺ فقال : ذاك ضرب الملائكة

صدي الواقعة في مكة

لما ترامت أنباء الواقعة إلى مكة فرح المسلمون كثيراً ، وحزن المشركون حزناً شديداً فأقيمت المآتم وجز النساء شعورهن ، وكان ممن عاد إليها من بدر أبو سفيان ابن الحارث بن هشام ، وقد تقدم ذكره في الملحمة الحائية . فلما أنبأ عمه أبا لهب بما رأى وقال : لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق . . قال أبو رافع ^(١) مولى رسول الله ﷺ : تلك والله الملائكة . . فضربه أبو لهب في وجهه ضربة شديدة ، قال : وثأورته فاحتمله وضرب به الأرض وبرك عليه ، فأخذت السيدة (لبابة) عموداً فضربت به رأسه فشجته شجة منكورة . وقالت : استضعفته أن غاب سيده ، فولى ذليلاً . ولم يعيش بعد هذه الضربة سوى سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته . قال الطبري في تاريخه : « العدسة » قرحة كانت العرب تشاءم بها . ويرون أنها تعدى أشد العدوى ، فلما أصابت أبا لهب تباعد عنه بنوه ، وبقي بعد موته ثلاثاً لا تقرب جنازته ولا يدفن . فلما خاف أهله السُّبة في تركه ، حفروا له ثم دفعوه بعود في حفرته ، وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه . ويروى أن عائشة - رضی اللہ عنہا - إذا مرت بموضعه ذلك غطت وجهها . .

وَضَحَّ الْيَقِينُ لِمَنْ يَرَى أَوْ يَسْمَعُ وَلَقَلَّما تُجَدِّي الظُّنُونُ وَتَنْفَعُ
النَّصْرُ حَقٌّ وَالْمُنْبَيُّ صَادِقٌ وَالْوَيْلُ لِلْمَغْرُورِ مَاذَا يَصْنَعُ
اخْشَعُ أبا لهبٍ فَإِنْ تَكُ ذَا عَمَى فَجِبَالُ مَكَّةَ وَالْأَبَاطِحُ خُشَعُ
مولى رسول الله يُضْرَبُ مَا جَنَى ذَنْباً وَلَمْ يَكْ كَاذِباً يَتَشَبَّعُ
هِيَ يَا أبا لهبٍ كَتَائِبُ رَبِّهِ نَزَلَتْ تُدَلُّ الْكَافِرِينَ وَتَقْمَعُ
أَخَذَتْ لُبَابَةَ لِلضَّعِيفِ بِحَقِّهِ وَمَضَى الْجَزَاءُ فَأَنْتَ عَانٍ مُوجَعُ ^(٢)

(١) كان غلاماً للعباس بن عبد المطلب ، وقد أسلم هو والعباس وأم الفضل وزوجه وكان العباس يهاب قومه ، ويكره خلافهم فكان يكتم إسلامه .

(٢) هي أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب ، وأخت السيدة ميمونة أم المؤمنين وكانت =

وَشَفَّتْهُ مِنْكَ بَضْرِبَةً مَا أَقْلَعْتُ
قَالَتْ بَغَيْتَ عَلَيْهِ وَاسْتَضَعَفْتُهُ
مَا بِالْعَمُودِ وَلَا بِرَأْسِكَ رَيْبَةً
حَيْثُ أُمُّ الْفَضْلِ تِلْكَ فَضِيلَةُ
اللَّهِ أَهْلَكَهُ بَدَاءَ مَالِهِ
تَمْضِي الْبِشَائِرُ جَوْلًا وَتَجُولُ فِي
أَمْسَى الْمُكَائِرُ بِالرِّجَالِ مُبَغِّضًا
أَكَلْتَهُ صَاعِقَةَ الْعَمُودِ وَإِنَّمَا
هُمْ غَادِرُوهُ ثَلَاثَةٌ فِي دَارِهِ
رَجَمُوهُ لَوْ كَرِهَ السَّفَاهَةُ فَارْعَوَى
مَا أَكْثَرَ الْبَاكِينَ مِلَّةَ جُفُونِهِمْ
جَزَّ النِّسَاءُ شُعُورَهُنَّ وَغُودِرَتْ
رَجَعْنَ مَكْرُوهَ الْعَوِيلِ عَلَى أَسَى
وَالْمُسْلِمُونَ بِنِعْمَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ
اللَّهُ أَكْبَرُ لَا مَرَدٍّ لِحُكْمِهِ

حَتَّى رَمَتْكَ بَعْلَةً مَا تُقْلِعُ (١)
أَنْ غَابَ سَيِّدُهُ وَعَزَّ الْمَفْزَعُ
إِنَّ الْغَوِيَّ بِمَثَلِ ذَلِكَ يُرَدُّ
فِيهَا لَكَ الشَّرْفُ الْأَعَزُّ الْأَمْنَعُ
شَافَ وَلَا فِيهِ لَاسٍ مَطْمَعُ
دَمُهُ السُّمُورُ فَجِلْدُهُ يَتَمَزَّعُ
يُجَفِّي عَلَى قُرْبِ الْمَزَارِ وَيُقْطَعُ
أَكَلْتَهُ سَبْعَ بَعْدَ ذَلِكَ جُوعُ (٢)
لَا الدَّارُ تَلْفِظُهُ وَلَا هُوَ يَنْزِعُ (٣)
مَا سَاءَ مَهْلِكُهُ وَهَالِ الْمَصْرَعُ
لِلْجَمْعِ بِالْبَيْضِ الْبَوَاتِرِ يُصَدَّعُ
لِلْحَزَنِ مِنْهُنَّ الدَّمُوعُ الْهَمْعُ
وَالْبَيْتُ يَشْدُو وَالْحَطِيمُ يُرْجَعُ
فِيهَا لِكُلِّ مُوَحَّدٍ مُسْتَمْتَعُ
هُوَ رَبُّنَا وَإِلَيْهِ مَنَا الْمَرْجَعُ

* * *

= من السابقات إلى الإسلام .

- (١) أصيب بعد هذه الضربة بالعدسة وهي قرحة خبيثة كانت العرب تشاءم بها وتخاف عدواها أشد الخوف . فتباعد عنه أهله وبنوه حتى مات .
- (٢) الليالي السبع التي مات بعدها .
- (٣) بقى بعد موته ثلاثة أيام لا يقرب أحد منه ، فلما خافوا السبة فى تركه حفروا له ثم دفعوه ببعض الأعواد فى حفرة ، وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه .

سواد بن غزية حليف بنى النجار

كان من أفراد الجيش فى هذه الغزوة ، فرآه النبى ﷺ خارجا عن الصف وهو يعدل الصفوف ، وكان بيده قدح يعدل به القوم ، فطعنه فى بطنه بالقدح . . . وقال له : « استو ياسواد » فقال : يا رسول الله أوجعتنى ، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدنى . فأعطنى القصاص فكشف الرسول الكريم عن بطنه ، وقال : « استقد » (أى خذ قودك وهو القصاص) فاعتنقه سواد وقبل بطنه الشريف . فقال : ما حملك على هذا يا سواد ؛ قال : يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك ، فدعا له رسول الله - ﷺ - بخير .

يوم بدر ، وأنت أعلى مقاما إن ذكرنا من بعدك الأيام ما ذكرنا بك القواضب يقطى أنت أيقظتها شعوبا نياما غرقت فى الظلام لا تحسب البغى ذميما ولا الفسوق حراما تكره العدل فى الحقوق وترضى حين يأبى ساداتها أن يقاما استقم يا سواد فى الصف واعلم أن للجيش فى الحروب نظاما يا لها يا سواد طعنة سهم صادفت منك أريحيها هماما لو يريد الأذى بها لم تطقها من يعاف الأذى ويأبى العراما (١) عدل الصف فاستوى وقضى الأمر على شرعة الهدى فاستقاما إنها شرعة لربك يمضيها فتهدى الشعوب والأقواما تمنع المرء ذا البراءة أن يؤذى ، وتحمى الضعيف من أن يضاما وترى القوي يذعن للحق ويبغى بجانبه اعتصاما قلت أوجعتنى وقد جئت بالحق وبالعدل رحمة وسلاما القصاص القصاص إنى أراه يا إمام الهداة أمرا لزاما

(١) العرام : الشدة .

قال : هذا بطنى لبطنك كفء
طابت النفس يا « سواد » وعاد الآ
واعتنقت الرسول بعد شكاة
وابتدرت البطن المطهر لثما
هاهنا العدل والسماحة والإحسان
أدب الله عبده وهده
أى دين كدينه فى علاه
أرأيت الضعاف فى كل أرض
حرموا الطيبات بغيا وظلما
رب إن شئت للشعوب حياة
ابعث النور فى الممالك يهدى

فاستقد ، إن للضعيف ذماما
ن بردا ما كان منها ضراما (١)
فاعتنقت الخلال غرا وساما
فابتدرت الخيرات شتى عظاما
، أعظم بهذا المقام مقامما
واصطفاه للمتقين إماما
أى قوم كالمسلمين القدامى
كيف أمسوا للأقوياء طعاما ؟
واستحلوا الذنوب والآثاما
فابعث المسلمين والإسلاما
كل شعب غوى ، ويمحو الظلاما

* * *

أصحاب القلب

كانوا أربعة وعشرين رجلاً هم ^(١) : عتبة بن ربيعة ، أمية بن خلف ، أبو جهل بن هشام ، عبيدة والعاص ولدا أبي أحيحة ، سعيد بن العاص بن أمية ، حنظلة بن أبي سفيان ، الوليد بن عتبة ، الحارث بن عامر ، طعيمة بن عدى ، نوفل بن عبد ، وزمعة وعقيل ابنا الأسود ، العاص بن هشام أخو أبي جهل ، أبو قيس بن الوليد ، نبيه ومنبه ابنا الحجاج السهمي ، على بن أمية بن خلف ، عمرو بن عثمان عم طلحة أحد العشرة ، مسعود بن أبي أمية أخو أم سلمة ، قيس بن الفاكه بن المغيرة المخزومي ، الأسود بن عبد الأسد أخو أبي سلمة ، أبو العاص ابن قيس بن عدى السهمي ، أمية بن رفاعة .

أمر النبي ﷺ بهم فألقوا في القلب إلا أمية بن خلف فإنه انتفخ في درعه فملاها فذهبوا ليحركوه فتزابل - تقطعت أوصاله - فألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة . فهم أربعة وعشرون إذا استثنيناه . جاء النبي ﷺ إلى القلب بعد ثلاثة أيام ثم وقف على شفيره وأخذ ينادى زعماءهم بأسمائهم ، ويقول : « هل وجدتم ما وعد الله ورسوله حقاً فإني وجدت ما وعدني الله حقاً » . وفي رواية أنه قال لهم : « بشس عشيرة كنتم لنييكم ، كذبتُموني وصدقني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وقاتلتُموني ونصرني الناس » .

جلس عمير الجمحي مع صفوان بن أمية بن خلف بالحجر فتذاكرا ما أصاب قريشاً يوم بدر وذكر أصحاب القلب ومصابهم فقال صفوان : والله ما في العيش خير بعدهم ، فقال عمير : صدقت أما والله ولولا دين على ليس له

(١) روى عن طريق البخاري ، قال : حدثني عمر بن خالد ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو إسحاق ، قال : سمعت البراء قال : جعل النبي - ﷺ - على الرماة يوم أحد عبد الله ابن جبير ، فأصابوا منّا سبعين . وكان النبي - ﷺ - وأصحابه يوم بدر أصاب من المشركين أربعين ومائة : سبعين أسير ، وسبعين قتيلا . [عيون الأثر ١/ ٣٤١ - البداية والنهاية : ٢٩٢/٣ ، الرحيق المختوم : ٢٤٣] .

عندى قضاء ، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى لكنت أتى محمداً حتى أقتله ، وإن لي فيهم علة - ابنى أسير فى أيديهم ، فاغتنمها صفوان وقال له : على دينك أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالى أوامسيهم ما بقوا ، فتعاقدا على ذلك ، وأخذ عمير سيفه فشحذه وسمه ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ، ودخل به عمر على النبى ﷺ وهو أخذ بحمالة سيفه فى عنقه فقال ﷺ : « أرسله يا عمر ، إدن يا عمير ، ما الذى جاء بك » ، قال : جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم ، يعنى ولده وهباً . قال : « فما بال السيف ؟ » قال : وهل أغنت السيوف عنا شيئاً ؟ قال النبى : « بل قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحجر ... » وذكر له ما كان بينهما ، فقال عمير : أشهد أنك رسول الله الحمد لله الذى هدانى للإسلام .

قال النبى لأصحابه حين أسلم عمير : « فقهوا أخاكم فى دينه ، وأقرئوه القرآن ، وأطلقوا له أسيره » ، ففعلوا وأسلم ابنه رضى الله عنهما . كان صفوان يقول لأهل مكة بعد خروج عمير إلى المدينة ، أبشروا بوقعة تنسيكم وقعة بدر .

أسلم صفوان رضى الله عنه عند تقسيم غنائم حنين بالجعرانة حين أعطاه النبى ﷺ وأدياً مملوءاً من النعم ، وكان يسمى سيد البطحاء .

تلك عقبى البغى فانظر كيف عادا؟ يا له من مصعب ألقى القيادا
أرأيت القوم شرراً ، وأذى ؟ ورأيت القوم ناراً ورمادا ؟
غيبوا فى حفرة مسجورة تخمد الدنيا وتزداد اتقادا (١)
ملئت رعباً ، وزيدت روعة من عذاب كان ضعفاً ثم زادا
قف عليها ، وتبين ما بها هل ترى إلا انتفاضاً وارتعادا ؟
يا لهم إذا زعموا أصنامهم تعجز الله كفاحاً جلادا
جل ربي ، لم يغادر بأسه أنفسهم منهم ، ولو يترك عتادا
خاصموا الله ، وعادوا جنده وأرى الأصنام أولى أن تعادى

(١) مسجورة : موقدة .

هى غرتهم فضلوا وعتوا
 حلقوا بالأمس فى طغيانهم
 عظة فى التُّرب كانت فتنة
 كل هنيئاً من قليب قرم
 طال منك الصَّوم ، واشتدَّ الطَّوى
 جربوا الحرب ، وجاؤوا فلقوا
 سمعوا الصوت ، وما من ناطقٍ
 يا رسول الله هم فى شأنهم
 صدق الوعد ، فكلُّ موقنٌ
 أنكروا الحق ، وراموا غيره
 هكذا من يعبدُ الطاغوت ، لا
 جلَّ ربى وتعالى . إنه
 ارفعى يا دولة الحقِّ العمادا
 أى حقَّ ذلَّ فى سلطانه ؟
 إن لله سيوفاً خذُماً
 بعث الأسطول فى آياته
 قُوَّة أرسلها من أمره
 إن كلَّ الخير يا صفوان فى
 دع عميرٍ لا تهجه ، واتُّد
 أخذ السَّيف صقيلاً مرهقاً
 ظلَّ يسقيه ، وما أدراه هل
 واستحبوا الكفر بغياً وعنادا
 ثم بادوا فى مهاويهِ وبادا
 وعذابٌ كان شراً وفسادا
 يبلعُ الكفار مثنى وفردى (١)
 فخذِ القوم التهاما وازدرادا (٢)
 غمما جلى ، وأموالاً شدادا
 يخبر السائل منهم حين نادى
 غمرة تطغى ، وبلوى تتمادى
 يا له منهم يقيئاً لو أفادا
 فكأنَّ الله لا يجزى العبادا
 يتقى ربَّاً ، ولا يرجو معادا
 بالغ من كلِّ أمرٍ ما أرادا
 وأقيمى يا طواغيت الحدادا
 أى زورٍ عزَّ فى الدنيا وسادا؟
 وجنوداً لا يملئون الجهادا (٣)
 جائلاً يعبى الأساطيل اصطيادا
 تفتحُ الدنيا ، وتحتلُّ البلادا
 مهلكِ القوم ، فلا تعدُّ الرشادا
 إنَّ للعاقل فى الأمرِ اتئادا
 يأخذُ الأبطال والبيض الحدادا
 كان سُمًّا ما سقاه ، أم شهادا؟ (٤)

(١) القمر : الشديد الشهوة للحم .

(٢) الطوى : والجوع .

(٣) خذما : قاطعة .

(٤) شهادا : جمع شهد .

كره الحق ، فلمَّا جاءه نبذ الحقد ، وأصفاه الودادا
 من حديث أنبأ الله به حير من حدث عنه فأجادا
 قال : أسلمتُ لربى وكفى بالسبيل السَّمح دينا واعتقادا
 اقرأ القرآن ، واتبع هديَّه يا عمير الخير إن ذو الغي حادا
 إنه النور الذى يجلو العمى إنه السرُّ الذى يُحيى الجمادا

* * *

أين يا صفوان ما أملتَه ؟ أين ما حدثت تستهوى السَّوادا ؟ (١)
 يا لها داهية طارت بها أعقب الجو ، وقد كانت نآدا (٢)
 لا تظنَّ الجود دينا يُشتَرى ستري الجود المصَفَّى والجوادا
 ستراه واديا من نعم يعجزُ الآمال سعيًا وارتدادا
 هو من فيض العُباب المرتقى يتَقَصَّى الأرض مدًا واطرادا
 الرسولُ السَّمحُ ، والمولى الذى يسعُ الأجيال برا وافتقادا
 اقترح ما شئت واطمع لا تخف من ندى كفيه نقصًا أو نفادا
 حبذا الموثل فيما تتقى من أذى الدهر وما أعلى المصادا
 سببٌ لله من يعلق به لم يخف ضيمًا ، ولم يخش اضطهادا

* * *

(١) السواد : العدد الكثير ، ومنه السواد الأعظم .

(٢) الأعقب : جمع عقاب . والنآد : الداهية العظيمة .

شهداء بدر ﷺ (*)

استشهد من المسلمين في هذه الواقعة المباركة أربعة عشر مجاهدا ستة من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار ، فالأولون هم : عبدة بن الحارث بن عبد المطلب ، مهجع مولى عمر بن الخطاب ، عمير بن أبي وقاص ، عاقل بن بكير الليثي ، صفوان بن بيضاء الفهري ، ذو الشمالين عمير ، وقيل : الحارث ، وقيل : عمر بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعي ، وأما الأنصار فهم : عوف بن عفراء وأخوه شقيقه معوذ بن عفراء ، وحارثة بن سراقة ، ويزيد بن الحارث بن قيس بن مالك ، ورافع بن المعلى ، وعمير بن الحمام بن الجموح ، وسعد بن خيثمة ، ومبشر بن عبد المنذر رضى الله عنهم أجمعين .

طُف بالمصارع واستمع نجواها والثم بأفياء الجنان ثراها (١)
ضاع الشذى القدسي في جنباتها فانشق وصف للمؤمنين شذاها (٢)
حلل يروع جلالها ومنازل من نور رب العالمين سناها (٣)
ضمت حُماة الحق ما عرف امرؤ عزا لهم من دونه أو جاها

(*) ذكر ابن إسحاق فيمن قتل يوم بدر مع المشركين ممن كان مسلما ، ولكنه خرج معهم تقية ؛ لأنه كان فيهم مضطهدا قد فتنوه عن إسلامه جماعة منهم : الحارث بن زمعة بن الأسود ، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة ، وعلى بن أمية بن خلف ، والعاص بن منبه ابن الحجاج قال : وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ٩٧] . [سيرة ابن هشام : ١٩٤ / ٢ ، البداية والنهاية : ٢٩٢ / ٣] .

(١) الأفياء : الظلال .

(٢) ضاع : فاح وانتشر .

(٣) حلل : جمع حلة - محلة القوم .

الطالعين به على أعدائه
 الخائضين من الخطوب غمارها
 الباذلين لدى الفداء نفوسهم
 ما آثروا فى الأرض إلا دينه
 سلكوا السبيل مسددين تضيئه
 قومٌ هم اتخذوا الشهادة بغيةً
 همٌ فى حمى الإيمان أول صخرة
 حملت جبال الحق فى دنيا الهدى
 تؤتى الممالك والشعوب حياتها
 ذهبت تُرفرف فى مسابح عزها
 تجرى الرياح الهوج طوع قضائها
 طاف الغمام مهلاً بظلالها
 شهداء بدرٍ أنتم المثل الذى
 علمتم الناس الكفاح فأقبلوا
 أما الفداء فقد قضيتم حقه
 من رام تفسير الحياة لقومه
 لولا الدماء تراق لم نر أمةً
 أدنى الرجال من المهالك من إذا
 وأَجَلٌ من رفع الممالك مظهرًا
 كم أمةٍ لم توق عادية الردى

موتًا إذا نشروا الجنود طواها
 المصطلين من الحروب لظاها
 يبغون عند إلههم محياها
 دينا ولا عبدو سواه إلهها
 آى الفصل يتبعون هداها (١)
 لا يبتغون لدى الجهاد سواها
 فسل الصخور : أما عرفن قواها ؟
 بيضًا شواحق ما تنال ذراها
 وتقيم من أمجادها وعلاها
 ومضت يفوت مدى النور مداها
 وتخافها فتعيد عن مجراها (٢)
 فسقته من بركاتها وسقاها
 بلغ المدى بعد المدى فتنهاى
 ملء الحوادث يدفعون أذاها
 وجعلتموه شريعة نرضاها
 قدم الشهيد يُبين عن معناها
 بلغت من المجد العريض منهاها
 عرضت منايا الخالدين أباهها
 بانٍ من المهج السماح بناها
 لولا الذى اقتحم الردى فوقهاها

(١) الفصل : القرآن الكريم .

(٢) الهوج : الشديدة التى لا تستوى فى هبوبها . جمع هوجاء .

تسمو الشعوب بكل حر ماجد
 ما أكرم الأبطال يوم تفيأوا
 راحوا من الدم في مطارف أشرقت
 لو أنهم نشروا رأيت كلومهم
 ليسوا وإن وردوا المنية للألى
 هم عند ربك يُرزقون فحيهم
 الله باركها ببدر وقعة
 منعت ذمار الحق حين أثارها
 بخل الزمان ، فكنت من شعرائها
 كم دولة للشرك زلزل عرشها
 في دولة للمسلمين ، تشوقهم
 ياويح للأمم الضعاف : أتُنقضى
 أممٌ هوالك ، ما لمست جراحها
 لم أدر إذ ذهب الزمان بريحها
 إن الذى خلق السهام لمثلها

وجبت عليه حقوقها فقضاها
 ظلل المنايا يبتغون جناها
 حمر الجراح بها فكن حلاها (١)
 تدمى ، كأنك فى القتال تراها (٢)
 غمر البلى ورآدهم أشباها
 وصف الحياة لأنفس تهواها (٣)
 كل الفتوح الغر من جدواها
 وحثمت لواء الله حين دعاها
 لو شاء ربى كنت من قتلاها
 بدماء بدر واستبيح حماها
 أيامها ، وتهزهم ذكراها
 دنيا الشعوب وما انقضت بلواها
 إلا بكى وبكى من جراها
 ماذا من القدر المتاح دهاها ؟
 جمع المصائب كلها فرماها

* * *

(١) مطارف : جمع مطرف ، وهو الرداء المعلم .
 (٢) جاء فى الأثر الشريف : «أنا شهيد على هؤلاء (الشهداء) ، وما من جريح يجرح فى الله
 إلا بعثه الله يوم القيامة يدمى جرحه ، اللون لون الدم والريح ريح المسك » . الكلام :
 الجروح .

(٣) يشير إلى قوله تعالى ﴿ وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَانًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾
 [آل عمران: ١٦٩] .

ذكرى هذه الغزوة المباركة

نظمت هذه القصيدة للحفلة التى أقامتها جماعة إحياء مجد الإسلام بالقاهرة،
إجلالا لهذه الذكرى الإسلامية المجيدة فى اليوم السادس والعشرين من شهر
رمضان المعظم سنة ١٣٥٨هـ ، وقد رأى الناظم إثباتها هى والقصيدة التى تليها .

تعلموا كيف تبنى مجدها الأمم	وكيف تمضى إلى غاياتها الهمم
تعلموا وخذوا الأنبياء صادقة	عن كل ذى أدب بالصدق يتسم
أمن يقول ، فما ينفك يكذبكم	كمن إذا قال لم يكذب له قلم ؟
لكم على الدهر منى شاعر ثقة	تقضى الحقوق وترعى عنده الذمم
تعلموا يا بنى الإسلام سيرته	جددوا ما محا من رسمها القدم
الله أكبر هل هانت ذخائره	فما لكم مقتنى منها ومغتنم ؟
بل أنتم القوم طاح المرجفون بهم	وغالهم من ظنون السوء ما زعموا
ماذا تريدون من ذكرى أوائلكم	أكل ما عندكم أن تحشد الكلم
لسنا بأبنائهم إن كان ما رفعوا	من باذخ المجد يمسى وهو منهدم
إن تذكروا يوم بدر فهو يذكركم	والحزن أيسر ما يلقيه والألم
سن السبيل لكم مجداً ومأثرة	فلا يد نشطت منكم ولا قدم
غاز يصول بجند من وساوسه	وقائد ماله سيف ولا علم
حيوا الغزاة قياما وانظروا تجدوا	وفودهم حولكم يا قوم تزدحم
ثم انظروا تارة أخرى تروا لهبا	فى كل ناحية للحرب يضطرم
حيوا الملائكة الأبرار يقدمهم	جبريل فى غمرات الهول يقتحم
الأرض ترجف رعبا والسماء بها	غيظ يظل على الكفار يحتدم
هم حاربوا الله لا يخشون نقمته	فى موطن تتلاقى عنده النقم

مَنْ جانب الحق أردته عمايته
 الدين دين الهدى تبدو شرائعه
 ما فيه عند ذوى الألباب منقصة
 يحيى النفوس إذا ماتت ويرفعها
 لا شئ أعظم خزيًا أو أشد أذى
 دين تصان حقوق العالمين به
 ضل الألى تركوا دستورهم سفها
 دعا النبى فلبى من قواضيه
 حرى الوقائع ، غرثى لا كفاء لها
 تجرى المنايا دراكا فى مساليها
 قواضب الله ما نامت مضاريها
 يرمى بها كل جبار ويقصمه
 الجيش منطلق الغارات مستبق
 الله ألف بين المؤمنين ، فهم
 كروا سراعا ، فللأعمار مصطرع
 من كل أغلب يمضى الحتف معتزما
 حران يحسب إذ يرمى بمهجته
 للحق نشوته فى نفس شاربه
 وأظلم الناس من ظن الظنون به
 طال القتال ، فما للقوم إذ دلفوا
 وقام بالسيف دون الليث صاحبه
 ماذا يظن أبو بكر بصاحبه ؟

وأحزم الناس من بالحق يعتصم
 ييضا تكشف عن أنوارها الظلم
 ولا به من سجايا السوء ما يصم
 إذا تردت بها الأخلاق والشيم
 من أن يطاع الهوى أو يعبد الصنم
 ويستوى عنده السادات والخدم
 فلا الدساتير أغتتهم ولا النظم
 بيض مطاعمها الماثورة الخدم
 إن جد ملتهب ، أو شد ملتهم
 كما جرى السيل فى تياره العرم
 عن الجهاد ، ولا أزرى بها سأم
 إن ظن من سفه أن ليس ينقسم
 والبأس محتدم والأمر مكتتم
 فى الحرب والسلم صف ليس ينقسم
 تحت العجاج ، وللأقدار مصطدم
 إذا مضى فى سبيل الله يعتزم
 نشوان يزداد سكرًا أو به لم
 وليس يشربه إلا امرؤ فهم
 ما كل ذى نشوة فى الناس متهم
 إلا البلاء وإلا الهول يرتكم
 يذود عنه ، وعزّ الليث والأجم
 إن الرسول حمى للجيش أو حرم

أمن النفوس إذا احتاجت مخاوفها
هل يعظم الخطب ، يرميه امرؤ درب
راع الكتائب واستولت مهابته
دعا فماجت سماء الله وانطلقت
لا هم غوثك ، إن الحق مطلبنا
تلك العصاة ما لله إن هلك
جاء الغياث فدين الله منتصر
جنى على زعماء سوء ما اجتروا
ما الجاهلية إلا نكبة جلل
هذى مصارعها تجرى الدماء بها
هذا أبو الحكم انجابت عمايته
ماذا لقيت أبا جهل وكيف ترى
هذا القليب لكم فى جوفه عبر
ذوقوا العذاب أليما فى مضاجعكم
لا تجزعوا ، واسمعوا ماذا يقال لكم
الشرك يعول والإسلام مبتسم
يا قومنا إن فى التاريخ موعظة
لنا من الدم يجرى فى صحائفه

والمستغاث إذا ما اشتدت الغمم
أفضى الجلال إليه وانتهى العظم ؟
على القواضب تلقاه فتحتشم
كتائب النصر ملء الجو تنتظم
وأنت أعلم بالقوم الألى ظلموا
فى الأرض من عابد للحق يلتزم
على اللواء ودين الشرك منهزم
وحاق بالمعشر الباغين ما اجترموا
تردى النفوس وخطب هائل عمم
وتشتكى الهون فى أرجائها الرمم
لما قضى السيف وهو الخصم والحكم
آيات ربك فى القوم الذين عموا ؟
لا اللوم ينفعكم فيها ولا الندم (١)
ما فى المضاجع إلا النار والحمم
فما بكم تحت أطباق الثرى صمم
سبحان ربى له الآلاء والنعم
وإنه لللسان صادق وفم
شيخ يحدثنا أن الحياة دم

* * *

الذكرى الثانية

نظمت للحفلة التي أقامها المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة

١٣٦٠ هـ .

ويؤمن بأن البغى شتى غوائله
جحافلها العظمى وولت جحافلها
فأقصر من أعدائه من يطاوله
لأصلب من صم الجلاميد سائله
عليه يد البانى وتنبو معاوله
ولا ترهبوا الطاغوت فالله خاذله
من الشرك دين أهلك الناس باطله ؟
فأنتم مناياه وهذى مقاتله
وإما بحد السيف ، لا خاب حامله
براهينه أعناقهم ودلائله
أعاصيره نارا ، وتغلى مراجله
فيالك من جند طوى الجو جافله
شآيبه نورا ، وينهلّ وابله
سواه عدو كاذب البأس هازلّه
فمن ذا يناويه ؟ ومن ذا يصاولة ؟
فخابت أمانيه وأعيت وسائله
سوى ما ارتضت أخلاقه وشمائله
يرى دمه من حقه ، فهو باذله

على ذكرها فليعرف الحق جاهله
هى الغزوة الكبرى هوى الشرك إذ رمت
وأصبح دين الله قد قام ركنه
بنته سيوف الله بالعزم إنه
تكلّ قوى الجبار عما تقيمه
أهاب رسول الله بالجنّد أقدموا
أما تنظرون الأرض كيف أظلمها
خذوه ببأس لا تطيش سهامه
علينا الهدى ، إما بآيات ربنا
إذا أنكر القوم البراهين أخضعت
مضى البأس بدرى المشاهد ترمى
وضج رسول الله يدعو إلهه
تنزل يزجى النصر تنساب من عل
أحيزوم أقدم إنه الجند لن يرى
هو الله يحمى دينه ويعزه
تمزق جيش الكفر وانحل عقده
وما برسول الله إذ ناله الأذى
نبى يحب الله حبّ مجاهد

يعظمه فى نفسه ويطيعة
 كذلك كان المسلمون الألى مضوا
 صدفنا عن المثلى فأصبح أمرنا
 يجالذ من يبغي الحياة عدوه
 بنا من عوادى الدهر كل مسلط
 قضينا المدى ما تستقيم أمورنا
 عجبت لقومى عطل الدين بينهم
 يحبونه حب الذى ضل رأيه
 صلاة وصوم يركض الشر فيهما
 وكيف يقوم الدين ما بين أمة
 سلام علينا يوم يصدق بأسنا
 ويوم تكون الأرض تحت لواءنا
 أنمشى بطاء ، والخطوب تنوبنا
 ألا همة بدرية تكشف الأذى
 ألا أمة تنهى النفوس عن الهوى
 ألا دولة للحق تسلك نهجه
 إذا نحن نرشد ولم نتبع الهدى

وما يقض من أمر له فهو قابله
 فيالك عصرا يبعث الحزن زائله
 إلى غيرنا نهذى به وهو شاغله
 فيا لعدو لم يجد من يجادله
 مكائده مبيثوثة وحبائله
 وهل يستقيم الأمر عاليه سافله ؟
 وجنوا به ، والجهل شتى منازله
 فقاطعه منهم سواء وواصله
 حثيثا تهز المشرقين صواهله
 إذا عطلت آدابه وفضائله
 فيمضى بنا فى كل أمر نحاوله
 فليس عليها من لواء يماثله
 سراعا ، وعادى الشر ينقض عاجله ؟
 وتشفى من الهم الذى احتاج داخله ؟
 وتصغى إلى القول الذى أنا قائله ؟
 وتمشى على آثاره ما تزايله ؟
 فلا تنكروا يا قوم ما الله فاعله

غزوة بنى قينقاع

كان خروج النبي ﷺ وأصحابه إلى هذه الغزوة في منتصف شوال من السنة الثانية للهجرة ، وكان بنو قينقاع أول من نقض العهد وغدر من اليهود ، فأظهروا البغى والحسد بعد وقعة بدر .

قدمت امرأة من العرب بجلب لها لبيعه بسوق بنى قينقاع ، وجلست إلى صائغ منهم فجعل جماعة من سفهائهم يراودونها عن كشف وجهها وهى تأبى ، فعمد الصائغ إلى أطراف ثوبها فعقده إلى ظهرها - وقيل : خله بشوكة وهى لا تشعر- فلما قامت انكشفت سوانتها فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وشد اليهود على المسلم فقتلوه . فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود .

جمعهم النبي ﷺ بعد ذلك وقال لهم : « يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما أنزل بقريش من النعمة (يريد وقعة بدر) وأسلموا فإنكم قد عرفتم أنى مرسل . تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله تعالى إليكم » .

قالوا : يا محمد ، أترانا مثل قومك ، لا يغرنك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب ، إنا والله لو حاربناك لتعلمن أننا نحن الناس .

كانوا أشجع اليهود وأكثرهم أموالا ، وأشدهم بغيا ، فلما قالوا ذلك أنزل الله ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْلَبُونَ ﴾ الآية [آل عمران: ١٢] وقوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ ﴾ الآية [الأنفال: ٥٨] (*) .

(*) قرر الرسول ﷺ محاربتهم لنقضهم العهد وغرورهم . فاستخلف على المدينة « أبا لبابة ابن عبد المنذر ، وأعطى لواء المسلمين حمزة بن عبد المطلب ، وسار بجنود الله إلى بنى قينقاع . وحاصر حصونهم وكان ذلك يوم السبت للنصف من شوال السنة الثانية هـ . ودام الحصار خمس عشر ليلة . فنزّلوا على حكم رسول الله ﷺ . فى رقابهم وأموالهم ونسائهم وذريتهم . فأمر بهم فكفوا .

ألح المنافق « عبد الله بن سلول على رسول الله ﷺ أن يصدر عنهم العفو ، فقال يا =

ردُّوا بنى قينقاع الأمر إذ نزلا
 نقضتم العهد معقودا على دخل
 مازال شيطانكم بالغيط يقدحه
 هاجت وقائع بدر من حفيظتكم
 أنكرتون على الإسلام بهجته
 دين الهدى يا بنى التوراة يشرعه
 لا تدعوا أنكم منها بمعتصم
 جاء النبين بالفرقان وارثهم
 رأى النفوس بلا هاد ، فأرسله
 هلا سألتم أحاكم حين يبعثها
 إن أنتى رامها فى عزها سفها
 لا يبلغ العرض منها حين تمنعه
 هيهات هيهات ، أمسى خطبكم جللا (١)
 لعاقدا ما نوى غشا ولا دخلا (٢)
 بين الجوانح حتى شب واشتعل
 ونهت منكم الداء الذى غفلا (٣)
 والله أطلعه من نوره مثلا ؟
 للناس من شرع الأديان والمللا
 واق ولا تطمعوا أن تتركوا هملا
 سبحان من نقل الميراث فانتقلا
 يهدى الشعوب ويشفى منهم العللا
 هوجاء يعصف فيها الشر ما فعلا ؟
 لتؤثر الموت مما سامها بدلا
 من خيفة العار حتى تبلغ الأجلا

= محمد أحسن فى موالى - وكان بنو قينقاع حلفاء الخزرج . فأبطأ عليه رسول الله ﷺ
 فكرر ابن أبى مقلته ، فأعرض عنه ، فأدخل يده فى جيب درع رسول الله ﷺ فقال له
 رسول الله ﷺ أرسلنى ، وغضب حتى رأوا لوجهه ظللا ، ثم قال : ويحك !
 أرسلنى . . ولكن المنافق مضى على إصراره ، وقال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن فى
 موالى اربعمائة حاسر ، وثلاثمائة دارع ، قد منعونى من الأحمر والأسود ، تحصدهم
 فى غزاة واحدة ، وإنى امرؤ أخشى الدوائر فوهبهم له ، وأمرهم أن يخرجوا من المدينة ،
 فخرجوا إلى أذرعات بالشام . فقل أن لبثوا فيها حتى هلك أكثرهم .

وقبض رسول الله ﷺ منهم أموالهم ، فأخذ منها ثلاث قسى ودرعين وثلاث أسياف
 وثلاثة رماح ، وخمس غنائمهم . وكان الذى تولى جمع الغنائم محمد بن سلمة [زاد
 المعاد : ٧١/٢ - ٩١ - ابن هشام : ٤٧/٢ - ٤٩ ، الرحيق المختوم : ٢٥٦ و ٢٥٧] .

(١) جللا : عظيما .

(٢) الدخل : المكر والخديعة .

(٣) الحفيظة : الغضب .

- وقد يكون لها من ربها رصد
مازال بالدم حتى ظل سافحه
ما غركم بقضاء الله يرسله
لقد دعاكم إلى الحسنى فمال بكم
قلتم رويداً فإننا لا يصاب لنا
لسنا كقومك إذ يلقون مهلكهم
يا ويلكم حين ترتج الحصون بكم
كم موئل شامخ العرنين يعجبكم
أمسى عبادة منكم نافضاً يده
نعم الخليف غدرتم فانطوى حنقاً
ما كان كابن أبي فى جهالته
مضى على الحلف يرعى معشراً غدرأ
لا تذكروا الدم ، إن السيف منصلت
- إذا رماه بعيني غاضب جفلا (١)
يجرى على دمه مسترسلا عجلا
على يدى بطل أعظم به بطلا ؟
من طائف الجهل داع يورث الخبلا
كفو إذا ما التقى الجمعان فاقتلا
على يدىك ، وإذ يعطونك النفلا (٢)
ترجو الأمان وتبدي الخوف والوجلا
يود يومئذ لو أنه وألا (٣)
فانبت من عهده ما كان متصلا (٤)
يرجو الآله ، ويأبى الزينغ والزلا (٥)
إذ راح شيطانه يرخى له الطولا (٦)
أهون بكم معشراً لو أنه عقلا
فى كف أبيض يدمى البيض والأسلا (٧)

(١) جفل : أسرع متزعجاً .

(٢) النفل : الغنيمة .

(٣) وألا : طلب النجاة أو اتخذ له موئلا ، شامخ العرنين كناية عن العزة ، والمعنى : كم من عزيز يلجأ إليه يطلب النجاة فى هذا اليوم .

(٤) كانوا حلفاء عبادة بن الصامت ، وعبد الله بن أبى ابن سلول . فتبرأ عبادة منهم وقال: يا رسول الله ، أتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار - وبقي عبد الله ابن أبى على حلفه لهم ، وفيه نزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥١] إلى قوله ﴿فَإِنْ حِزْبُ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦] وانبت: انقطع .

(٥) اخنق : الغيظ - الزينغ : الضلال .

(٦) الطول : اللبل الطويل .

(٧) المنصلت: السيف الصقيل الماضى ، والأبيض : الرسول الكريم . والبيض : السيوف ، والأسل : الرماح .

وجانبوا الحرب ، إن الله خاذلكم
مشى الرسول وجند الله يتبعه
يهفو إلى الموت مشتاقاً ، ويطلبه
لو غيبته المواضى فى سرائرها
يخال فى غمرات الروع من مرج
أهاب حمزة بالأبطال فانطلقوا
عجبت للقوم ، طاروا عن مواقعهم
مضوا سراعاً إلى الآطام واجفة
طال الحصار ، وظل الحتف يرقبهم
أفنوا من الزاد والماعون ما ادخروا
من كل ذى سغب لو قال واحده
لا يملكون لأهليهم وأنفسهم
ظلت وسوسهم حيرى تجول بهم
حتى إذا بلغ المكروه غايته
ولن تروا ناصراً يُرجى لمن خذلا
من كل مقدمة يغشى الوغى جذلاً (١)
بين الخميسين لا نكساً ولا وكلاً (٢)
ألقى بمهجته يرتاد مدخلا
لولا الرحيق المصفى شارباً ثملاً (٣)
وانساب منطلقاً يهديهم السبلاً (٤)
ما ذاق هاربهم سيفاً ولا رجلاً
يخال أمنعها من ضعفه طللاً (٥)
حران يشجيه ألا ينقع الغللاً
واحتال أشياخهم فاستفدوا الحيلاً (٦)
كلنى ليعلم ما فى نفسه أكلاً (٧)
إلا العذاب وإلا الظن والأمل
فى مجهل يتردى فيه من جهلاً
وهال كل غوى الرأى ما حملاً

(١) المقدمة : الشجاع ، والجدل : الفرع ، والوغى : الحرب .

(٢) الخميس الجيش يؤلف من خمس فرق : المقدمة ، والقلب ، والميمنة ، والميسرة ، والساقة ، والنكس : من لا خير فيه من الرجال . والوكل : العاجز يكل أمره إلى غيره .

(٣) الغمرات : الشدائد ، والروع : الفزع والمراد به الحرب ، والشم : السكران والمراد أنه يستقبل أهوال الحرب بسرور وفرح حتى لنحسبه ثملاً .

(٤) لجأوا إلى حصونهم فسار النبي ﷺ إليهم ، وكان لواؤه بيد عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وحاصرهم .

(٥) الآطام : الحصون .

(٦) الماعون : كل ما ينتفع به من منافع البيت .

(٧) السغب : الجوع .

تضرعوا يسألون العفو مقتدرا أعطى النفوس حياة من سماحته
لو شاء طاح بهم قتلا فما ملكوا ما الظن بابن أبى حين يسأله
أما رأوه جريحاً لو يصادفه زالوا عن الدور والأموال وانكشفوا
هو الجلاء لقوم لا حلوم لهم ساروا إلى أذرعات (٤) ينزلون بها
بادوا بها ، وتساقوا في مصارعهم يلوم بعض على ما كان من سفه
أهل المعازل ، هدتهم مدمرة رمى بها من رسول الله متئد
هل دولة الحق إلا قوة غلبت ؟

يجود بالعفو إن ذو قدرة بخلا فكان أكرم من أعطى ومن بذلا (١)
من بعد مهلكهم قولاً ولا عملاً من الأناة وفضل الحلم ما سألأ ؟ (٢)
حمامه لم يجد من دونه حولاً ؟ (٣)
عن السلاح ، وراحوا خضعاً ذللاً ساؤوا مقاماً وساؤوا بعد مرتحلاً
نكدًا مشائيم ، لا طابت لهم نزلاً سوء العذاب ومكروه الأذى نهلاً (٥)
بعضاً ، فمن يقترب يسمع لهم جدلاً تمضى ، فلا معقلاً تُبقى ولا جبلاً
لا يأخذ الناس حتى ينبذوا الرسل فافتح بها الأرض أو فامسح بها الدولا

- (١) سألوا النبي ﷺ بعد أن طال الحصار خمس عشرة ليلة ، ولم يبق لديهم ما يأكلون أن يخلى سبيلهم على أن يجلو بنسائهم وذرائعهم وأن يكون له المال والسلاح .
- (٢) قيل : إن النبي ﷺ أمر بقتلهم بعد خروجهم من الحصون فكلمه عبد الله بن أبى فيهم وألح عليه . وأنه أدخل يده في جيب درعه الشريفة يسأله أن يعفو عنهم . وأنه ﷺ قال له : « خذهم لا بارك الله لك فيهم » ، وأمر بإجلالهم فتولى عبادة بن الصامت الأمر .
- (٣) قيل : إنه جاء إلى منزل الرسول الكريم ﷺ قبل خروجهم من الحصون يسأله في إقرارهم فحجب عنه ، فأراد الدخول فدفعه بعض الصحابة فصدم وجهه الحائط فشجه فانصرف مغضباً . الحول : اسم من التحول والانتقال .
- (٤) أذرعات بلد بالشام .
- (٥) لم يحل الحول حتى هلكوا بدعوة الصادق الأمين « خذهم ، لا بارك الله لك فيهم » .

غزوة السويق

كانت فى اليوم الخامس من ذى الحجة فى العام الثانى من الهجرة بعد بدر بشهرين .

نذر أبو سفيان بعد وقعة بدر ألا يمَس النساء والطيب حتى يغزو النبى ﷺ ، ثم إنه خرج فى مائتى راكب من مشركى قريش ليسر يمينه فتزل على مسافة بريد من المدينة ، وأتى بنى النضير ليلا يريد دار « حى بن أخطب » أحد رؤسائهم فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له . فجاء إلى « سلام بن مشكم » سيدهم وصاحب كنزهم فأذن له ، واجتمع به ، ثم خرج إلى أصحابه فبعث رجالا منهم إلى المدينة فحرقوا نخلا بها ، ووجدوا رجلا من الأنصار - قيل : إنه « معبد بن عمرو » ، وحليفاً لهم - الأنصار - فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين . فخرج النبى ﷺ يطلبهم فى مائتى من المهاجرين والأنصار واستعمل على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر فجعل أبو سفيان وأصحابه يخفون للهرب بإلقاء جرب - جمع جراب - السويق فيأخذهم المسلمون ، وذهبوا فلم يدركوهم ، وبلغ رسول الله « قَرْقَرَةَ الكُدْر » ثم انصرف راجعا . السويق : القمح أو الشعير يقلى ثم يطحن .

تأنَّ ابنَ حرب لست فى مثلها جلدا قصارك أن تتردَّ حرَّان أو تردى (١)
هى الغارة الحرى ، فإن شئت فانطلق وإن شئت فاقعد واتخذ مضجعا بردا
جلا السيف فى بدر لعينك ما جلا وأبدى لك النصر المؤزر ما أبدى (٢)
حلفت لئن لم تأت طيبة غازيا لتجتنبنَّ الطيب والخردَّ الملدا (٣)
أتغزو رسول الله أن هدَّ بأسه من الكفر سدا ما رأى مثله سدا ؟
كذلك وعد الله ، لو كنت مؤمنا لأيقنت أن الله لا يخلف الوعدا

(١) القصارى : الجهد والغاية . الحران : العطشان والمقصود المغيظ ، وتردى : تهلك .

(٢) النصر : المؤزر البالغ الشديد .

(٣) الخرد : الأبقار والخفرات من النساء ، والملد : الناعمات .

جری طیرکم نحسًا بیدر ولن تروا
 أمضك وجد متلف من محمد
 رویدًا هداك الله ، إنك لن ترى
 أراك غررت القوم إذ رحت مُوجفًا
 ذهبت تقود الجند يا لك قائدًا
 تحاول نصرًا من حیّ بن أخطب
 رُددت عن الباب الذی جئت طارقًا
 وما نلت خیرًا إذ أتیت ابن مشكم
 بعثت على النخل الرجال ، فلم تدع
 شبت بهم نارًا ترامی لهیبها
 فوارس راحوا خفیة فی سیوفهم
 یصیبونها شتی الجنی ، وكأنما
 تولّوا سراعًا بعد مقتل معبد
 علیها من الغر الميامین فتية
 دعاها الرسول المجتبی فكأنما
 مضى ومضوا إثر السراحین ترعى
 فلما رأى الجدد استطار ولم یجد

لکم ما عبدتم غیره طائرًا سعاد
 ولست أبا سفیان إن لم تزد وجدًا (١)
 له فی الوغی إن هجته للوغی ندًا
 تخادعهم عن حلقة لم تكن جدا (٢)
 ویالللألی سیقوا إلى یثرب جندا
 وصاحبه هیهات زدت المدى بعدا
 فیالك سهمًا ما ملکت له ردا
 وکنت امرأ أعمی الهوی لا یرى رشدًا
 لنفسک عزًا تبتغیه ولا مجدًا
 بعینک یبکی الضال أو یضحك الرندا (٣)
 فما وجدوا سیفًا ، ولا صادفوا غمدًا
 یصیبون من أعدائهم معشرًا لدا (٤)
 وصاحبه والخیل تتبعهم جردًا (٥)
 تبادر ورد الموت تلتمس الخلدا
 دعا عاصفًا صعبًا یهد القوی هدا
 إلى شیخها مذعورة تتقی الأسدا (٦)
 من الأرض یهوی فی مساربها بدًا

(١) مضه الأمر وأمضه أحزنه حزنا بالغاً .

(٢) أوجف الرجل الفرس ونحوه جعله یجف ؛ أى : یعدو ویسرع .

(٣) الضال والرند : نوعان من الشجر البری . والأول السدر .

(٤) لدًا : من اللدد وهو شدة الخصومة .

(٥) جردا : من الجرد وهو قصر الشعر . صفة محمودة فی الخیل .

(٦) السراحین : یرید بالسراحین المشركین وشیخهم أبو سفیان .

يصيح بجند السوء ألقوا بزادكم وفروا خفافاً ، لا يكن أمركم إذا (١)
وطاروا شعاعاً للسويق وراءهم ركامٌ إلى أعداء أربابهم يهذى (٢)
هم رفدوهم كارهين ، ولو وفوا بأيانهم كانوا لأسيافهم رفدا (٣)
إليك ابن حرب إن للحرب جذوة إذا هيجت ذا نجدة زادها وقدا (٤)
هي النصر أو عاد من الموت واقعٌ بكل كميٍّ ، لا مفرٍّ ، ولا معدى (٥)
فررت تخاف الفقد في حومة الوغى بأيدي الألى يستعذبون بها الفقدا
أفى الحق أن لا تعبد الله وحده وتسجد للعزى تكون لها عبدا ؟
سبيلان شتى أنت لابد عالمٌ إذا ما استبنت الرشد ، أيهما أهدي
رجعت مغيظاً ، لم تنل وتر هالك ولم تشف غيظاً من ذويك ولا حقدا
تصدُّ قريشٌ عنك مما كذبتها ومنيتها ، يا طوب همك لو أجدى
قل الحق ، ما للعالمين سكينه على الأرض حتى يعبدوا الواحد الفردا

* * *

-
- (١) إذا : الإلاد الداهية والأمر المنكر الفظيع .
(٢) شعاعا : متفرقين ، الركام : الشيء المتراكم بعضه فوق بعض .
(٣) رفده : أعطاه وأعانه ، الرفد العطاء .
(٤) الجذوة : القطعة من الجمر لا تنطفىء حتى تصير رماداً .
(٥) معدى : مصدر ميمي من عدا الأمر إذا جوزه وانصرف عنه .

غزوة أحد (*)

كانت فى شوال من السنة الثالثة - وأحد جبل من جبال المدينة .
لما أصاب قريشاً يوم بدر ما أصابها مشى عبد الله بن أبى ربيعة وعكرمة بن
أبى جهل ، وصفوان بن أمية إلى أبى سفيان وإلى من كان له تجارة فى العير التى
كانت سبباً للوقعة - وكانت لا تزال موقوفة فى دار الندوة - يحرضون على الحرب
وأن يجعل ربح التجارة لتجهيز الجيش ، فقال أبو سفيان : أنا أول من يفعل
وينو عبد مناف معى ورضى القوم ، وكان الربح خمسين ألف دينار ، وقيل :
خمسة وعشرين ألفاً . ونزلت ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٦] . وكان جيش المشركين ثلاثة
آلاف مقاتل من قريش والحلفاء والأحباش . وكان جيش المسلمين من ألف مقاتل
فيهم مائة دارع . ولا يوجد فرسان . واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم على
الصلاة بمن بقى فى المدينة .

أدأبك أن تريد المستحيلاً ؟ تأمل أيها المولى قليلاً
لبثت تعالج الداء الدخيلاً وتضممر فى جوانحك الغليلاً^(١)
وما يجديك لآعجه فتيلاً

(*) كان قبلها غزوة « ذى أمر » وهى أكبر حملة عسكرية قادها رسول الله ﷺ فى المحرم
سنة ٣ هـ . حيث خرج فى أربعمائة وخمسين مقاتلاً . واستخلف على المدينة عثمان
ابن عفان . وكانت ضد بنى ثعلبة ومحارب حيث تجمعوا يريدون الإغارة على المدينة ولما
علموا بسير المسلمين تفرقوا فى رؤوس الجبال . ووصل المسلمون إلى الماء المسمى بـ « ذى
أمر » فأقاموا هناك صفراً كله أو قريباً من ذلك . ثم رجع إلى المدينة .
ثم حدث بعد ذلك غزوة بحران فى ربيع الآخر ٣ هـ ، وسرية زيد بن حارثة فى جمادى
الآخرة ٣ هـ .

(١) الغليل : الغيظ والحقد .

أما تنفكُ تذكر يوم بدر ؟ وما عاينت من قتل وأسر ؟
وراءك ، إنها الأقدار تجسرى بنصر للنبي وراء نصر
وكان الله باحسنى كفيلا

أبا سفيان دع صفوان يبكى وعكرمة يطيل من التشكى
وقل للقوم فى بر ونسك نهيت النفس عن كفر وشرك
وآثرت المحجة والسيلا^(١)

أراك أطعتهم وأبيت إلا سبيل السوء تسلكه مدلا^(٢)
تريد محمداً ، وأراه بسلا رويدك يا أبا سفيان : هلا^(٣)
أردت لقومك الحسن الجميلا ؟

قريش لم تزل صرعى هواها وعير الشؤم لم تحلل عراها
أجل عينيك ، وانظر ما عساها تسوق من الجنود إلى وغاها ؟
فقد حملت لكم أسفا طويلا

دعا صفوان شاعره فلبى وكان يسومه شططا فيأبى
أحل له الهجاء وكان خبا أحب من الخيانة ما أحبا^(٤)
يريد العيش محتقرا ذليلا

(١) المحجة : جادة الطريق والمراد الدين الحق .

(٢) المدل : الواثق بنفسه وبما لديه .

(٣) البسل : الحرام والمراد الممتنع .

(٤) قال صفوان لأبى عزة : يا أبا عزة إنك رحل شاعر فأعنا بلسانك . ولك على إن رجعت
أن أغنيك ، وإن أصبت أجعل بناتك مع ناتي ، قال : إني عاهدت محمدا حين أطلقنى
فيمن أطلق من أسارى بدر ألا أظاهر عليه أحدا ، فقال صفوان : بل أعنا بلسانك يا أبا
عزة فخرج هو ومسافع يستنفران الناس .

والشطط : مجاوزة القدر فى كل شيء ، والخب : الخداع .

يذمُّ محمداً ويقول نكرا ولولا لؤمه لم يأل شكرا
تغمّد حقه وجزاه شرا وأمسى عهده كذباً وغدرا
وإن له لمنقلباً وبيلاً (١)

ألم يئن عليه إذ الأسارى تكاد نفوسها تهوى حذارا ؟
تطوف به مولهة حيارى تود لو أنها ملكت فرارا
وهل يُعطى عدو الله سولا ؟

جبير أكان عمك حين أودى كعم محمد شرقاً ومجدا ؟
أحمزة أم طعيمة كان أهدى ؟ رويدك يا جبير أتيت إذا (٢)

وإن قضاء ربك لن يحولا
أراد فما لوحشياً محيد ولا لك مصرف عما يريد
أليس لحمزة البأس الشديد فما يُغنى فتاك وما يفيد ؟
تبارك ربنا رباً جليلاً

تولوا بالكتائب والسرايا وساروا بالحرائر والبغايا
منايا قومهم جلبت منايا فسيرى فى سبيلك يا مطايا

ولا تدعى الرسيم ولا الذميلاً (٣)

(١) يأل: يقصر فى الشكر ، تغمّد حقه : أنكره . وأصل المعنى ستر الشئ وإخفاؤه ،
والويل : الشديد السوء . ظفر النبي ﷺ به فى وقعة حمراء الأسد فأمر عاصم بن ثابت
بقتله ، وحمل رأسه إلى المدينة .

(٢) جبير بن مطعم بن عدى دعا غلامه وحشياً . وقال له : اخرج بحربتك مع الناس ،
فإنك إن قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة بن عدى (قتله حمزة فى وقعة بدر)
فأنت عتيق ، وإذا : فظليعا .

(٣) كان عددهم ثلاثة آلاف رجل ، وخرجت النساء مع المشركين بالدفوف ، ويقول
ابن الجوزى : وساروا بالقيان والدفوف والمعازف والخمور والبغايا . والكتائب والسرايا :
الجيوش ، والرسيم والذميل : نوعان من سير الإبل والأول أسرع .

ويا خيل اركضى بالقوم ركضا وجوبى للوغى أرضاً فأرضاً
لعل الناقم الموتور يرضى نشدتك فانفضى البيداء نفضا
ووالى فى جوانبها الصهلا

ويا هند اندبى القتلى ونوحى وزيدى ما بقومك من جروح
وراءك كل منصلت طموح تُهيجُ بأسه ريح الفتوح
وراءك فتية تأبى النكولا (١)

وراءك نسوة للحرب تُزجى ترجُ دفوفها الأبطال رجاً
وتلك خمور عسكرك المرجى وكان الغى بالجهلاء أحجى (٢)
كذلك يطمس العقولا

رأيتِ الرأى شؤماً أى شؤم وما تدرى يمينك أين ترمى
لعمرك إنه لرسيس هم تغلغل منك بين دمٍ ولحم (٣)
فيا ابنة عتبة اجتنبى الفضولا

أعن جسد الرضية بنت وهب يُشقُّ القبر يا امرأة ابن حرب
ويُقطعُ بالمدى فى غير ذنب ليُفدى كل مأسور بإرب
فيا عجباً لقول منك قила (٤)

هى الهيجاء ليس لها مردُّ فمن يك هازلاً ، فالأمر جدُّ

(١) هند زوج أبى سفيان . كانت ممن خرج مع الجيش من النساء يكيّن قتلى بدر ويحرضن على القتال وترك الفرار ، والمتصلت هنا الماضى فى الأمور ، والنكول : النكوص والجن .

(٢) أحجى : أخلق .

(٣) رسيس الهم وغيره ما يثبت منه .

(٤) لما بلغ المشركون الأبواء أشارت هند عليهم بنش قبر أم النبى ﷺ وأخذ جثمانها . قالت : فإن أسر منكم أحد فديتم كل أسير يارب من آرابها - الإرب الجزء - فأبوا خيفة أن ينش بنو بكر قبور موتاهم .

لبأس الله هنداً أشدُّ له جند وللکفار جند

وإن لجنده البطش المهولا

سيوف محمد أمضى السيوف وأجلب للمعاطب والحتوف (١)
إذا هوت الصفوف على الصفوف وأعرض كلُّ جبار مخوف

مضت ملء الوغى عرضاً وطولا

أرى السعدين (٢) قد دلفا وهذا على بالحسام العضب لاذا
وحمزة جدّ معتزماً فماذا ؟ ومن للقوم إن أمسوا جزاذا ؟

وطار حماتهم فمضوا فلولاً

وفى الأبطال فتیان رقاق بأنفسهم إلى الهيجا اشتياق
لهم فى الناهضين لها انطلاق دعا داعى الجهاد فما أطاقوا

بدار السلم مثوى أو مقيلاً (٣)

أعادهم النبى إلى العرين شبولاً سوف تصلب بعد لين
يضمنُ بها إلى أجل وحين رعاك الله من سمح ضنين

يسوس الأمر يكرهأن يعولا (٤)

(١) الحتوف : جمع حتف وهو الموت .

(٢) السعدين : سعد بن معاذ ، وسعد بن عباد . ودلفا : تقدما ، والحسام العضب :
السيف القاطع - ولأذ : لجأ ، وجزاذا : قطعاً ، وفلولاً : منهزمين .

(٣) عرض النبى ﷺ جيشه بعد أن عسكر بالشيخين - أطمان أو جبلان - فوجد فيه جمعاً من
الفتيان لم يبلغوا الخامسة عشرة . وقيل : الرابعة عشرة من العمر ، فردهم وأجاز رافع
ابن خديج من دونهم لما قيل له : إنه يحسن الرماية ، وقال سمرة بن جندب لزوج أمه :
أقبل رافع وأرد وأنا أصرعه فبلغت مقالته النبى ﷺ فقال : « تصارعا » ، فصرع سمرة
صاحبه فأجازه ، والمثوى : المقام .

(٤) يعولا : عال فى الحكم جار ومال عن الحق . وعاله الأمر شق عليه وثقل .

وقيل لرافع نعم الغلام إذا انطلقت لغايتها السهام
تقدم أيها الرامى الهمام إذا الهيجاء شب لها ضرام

فأمطرهاك سهامك والنصولا (١)

ونادى سمرة أبرد مثلى ويقبل صاحبى وأنا المجلى (٢)
أصارعه فإن أغلب فسؤلى وكيف أذاذ عن حق وعدل ؟

وأمنع أن أصول وأن أجولا ؟

وصارعه فكان أشد أسرا وأكثر فى المجال الضنك صبرا (٣)
وقيل له : صدقت فأنت أخرى بأن تردّ الوغى فتتال نصرا

ألا أقبل فقد بليت القبولا

أعبد الله ما لك من خلاق فعب بالناكثين ذوى النفاق
كفالك من المخافة ما تلاقى ومالك من قضاء الله واق

وإن أمسيت للشعرى نزيلا (٤)

أبيت على ابن عمرو ما أرادا وشر القوم من يأبى الرشادا (٥)
نهاك ، فلم تزد إلا عنادا ألم يسمع فريقتك حين نادى

(١) النصولا : نصل السهم حديدته . والنصول جمع .

(٢) المجلى : الأول من خيل السباق ، وأذاذ : أدفع .

(٣) الأسر : الخلق بخاء مفتوحة ، وشدة الأسر من صفات القوة . والضنك : الضيق .

(٤) عبد الله بن أبى ابن سلول - رجع ومن معه من المنافقين وكانوا ثلاثمائة رجل وهو يقول :
عصانى وأطاع الولدان ومن لا رأى له ، سيعلم - لا ندرى علام نقتل أنفسنا ؟؟ ارجعوا
أيها الناس . والخلاق : النصيب الوافر من الخير ، وقيل ما يكسب الإنسان هذا النصيب
من أفعاله الممدوحة . والناكثين : الغادرين ، والشعرى : نجم .

(٥) عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر رضي الله عنه ، انطلق فى أثر المنافقين يريد ردهم ويقول
لهم : يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونيكم فلم يطيعوه فقال : أبعدكم الله ،
سيغنى الله تعالى عنكم نبيه .

أطيعوا الله واتبعوا الرسولا ؟

يقول : نشدتكم لا تخذلوه وموثق قومكم لا تنقضوه
رسول الله إلا تنصروه فإن الحق ينصره ذووه

ألا بعداً لمن يبغي الغلولا (١)

تجلّى نور ربك ذى الجلال وهز الشعب صوت من بلال
بلال الخير أذنّ فى الرجال فهبوا للصلاة من الرجال

وقاموا خلف سيدهم مثولا (٢)

علا صوت الأذنين ، فأى معنى لمن هو مؤمن أسمى وأسنى ؟ (٣)
إله الناس فرد لا يثنّى تأمل خلقه إنساً وجناً

فلن تجد الشريك ولا الميثلا

أجل - الله أكبر لا مرأى فهل سمع الألى كفروا النداء ؟
أظن قلوبهم طارت هباء فلا أرضاً تطيق ولا سماء
جلال الحق أورثهم ذهولا

سرى الصوت المردد فى الصباح فضج الكون : حى على الفلاح
تلقى صيحة الحق الصراح فقام يصيح من كل النواحي
يسبح ربه غب ارتياح ويحمده بألسنة فصاح (٤)
تعطفت الجبال على البطاح وكبرت المدائن والضواحي

(١) الغلول : الخيانة .

(٢) مضى ﷺ حتى نزل الشعب من أحد فصف المسلمين وحانت صلاة الصبح والمسلمون
يرون المشركين فأذن بلال رضي الله عنه للصلاة وصلى النبي ﷺ بأصحابه .

الرحال : جمع رحل وهو هنا بمعنى المشوى أو المنزل أو ما يكون مع الرجل من الأثاث .
ومثول جمع مائل ؛ أى : قائم .

(٣) الأذنين : المؤذن .

(٤) غب بمعنى بعد .

وأوبت البحار مع الرياح وصفق كل طير بالجنح (١)
كتاب الحق ما للحق صاح يُرتل في الغدو وفي الرواح
فقل للناس من ثمل وصاح شريعة ربكم ، ما من براح

فمن منكم يريد بها بديلا ؟

ألا طابت صلاتك إذ تقام وطاب القوم إذ أنت الإمام
أقمها يا محمد فهي لام تساقط حولها الجئن العظام (٢)
بها يتخطف الجيش اللهم وليس كمثلهما جيش يرام (٣)
قضاها الله ، فهي له ذمام وذاك نظامها ، نعم النظام
يوطد من بنى ، وهي الدعاء ويصعد بالذرى ، وهي السنام
نهضت لها ، وما هبّ النيام وبادرها الميامين الكرام
مقام ما يطاوله مقام ودين من شعائره السلام

يصون لواءه جيلا فجيلا

هُدى الأجيال يخطب في الهداة ويأمر بالجهاد وبالصلاة (٤)
وبالأخلاق غرا طيبات مُلقى الوحي والإلهام هات
وصف للناس آداب الحياة وكيف تكون دنيا الصالحات

(١) التأويب هنا ترجيع الصوت ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ [سبا: ١٠] .

(٢) اللام جمع لامة وهي الدرع ، والجئن جمع جنة وهي هنا ما يتقى به من السلاح .

(٣) الجيش اللهم : العظيم .

(٤) خطب ﷺ أصحابه عند صلاة الصبح يحثهم على الجهاد والصلاة ومن قوله في هذه الخطبة : « ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله تعالى إلا وقد أمرتكم به ، ولا أعلم من عمل يقربكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه ، لن تموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها لا ينقص منه شيء وإن أبطأ عنها ، فاتقوا الله ربكم وأجملوا في طلب الرزق ، لا يحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية الله ، والمؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد إذا اشتكى تداعى إليه سائر جسده ، والسلام عليكم » .

وخذهم بالنصائح والعظات مضیئات المعالم مشرقات
شعوب الأرض من ماض وآت عيالك ، فاهدهم سُبُل النجاة
إذا ضلّت دهاقين الثقات وأمسى الناس أسرى التُّرّهات (١)
وخف ذوو الحلوم الراسيات فأصبحت الممالك راجفات

أقمت الأرض تكره أن تمیلا

ألا برز الزبير فأى وصف حوارى الرسول يفى ويكفى ؟
برزت لخالد حتفًا لحثف تصد قواه عن كبرٍ وزحف
وتدفعه إذا ابتعث الرعیلا (٢)

ألم تره وعكرمة استعداً ؟ فأما جدّت الهیجاء جدا
بنى لهما رسول الله سدا ومثلک يُعجز الأبطال هذا
ويترك كل ممتنع مهیلا (٣)

لمن يرث الممالك لا سواه أعد القائد الأعلى قواه
وبثّ الجيش أحسن ما تراه تعالى الله ليس لنا إله
سواه فوالله ودّع الجهولا

رماة النبيل ما أمر النبىُّ فذلك ، لا یکن منكم عصیٌ (٤)

(١) الدهاقين : الذين لهم قوة التصرف من كبار الرجال ، والترهات : الخرافات .

(٢) أقبل خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل فى طليعة خيل المشركين ، فأمر الزبير بن العوام أن يذهب على رأس قوة من المسلمين فيقف بإزائه . وأرسل جماعة من أصحابه ليكونوا فى جانب آخر وقال « لا تبرحوا حتى أؤذنكم ولا يقاتلن أحد منكم حتى أمره بالقتال » ، والرعبل التطعة من الخبل .

(٣) المهبل من الرمل ونحوه ما انهال .

(٤) كان الرماة خمسين رجلا أمر النبى ﷺ عليهم عبد الله بن جبير وقال : « انضح الخيل عنا بالنبل ، لا يأتونا من خلفنا ، واثبت مكانك إن كانت لنا أو علينا لا نؤتين من قبلك » . وفى رواية : « إن رأيتمونا تتخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم ، وإن رأيتمونا نقتل فلا =

إذا زالت الشم الجثى^١ وكان لها انطلاق أو مضى^(١)

فكونوا فى أماكنكم حلولا

رماة النبل ردوا الخيل عنا وإن نهلت سيوف القوم منا

فلا تتزحزحوا ، فإذا أذنا فذلك ، إن للهيجاء فنا

تلقنه الجهاذة الفحولا^(٢)

تلق أبا دجانة باليمين حسامك من يد الهادى الأمين^(٣)

وخذه بحقه فى غير لين لتنصر فى الكريهة خير دين

يرف على الدنى ظلا ظليلا

نصيبك نلته من فضل ربّ قضاء لصادق النجدات ضرب^(٤)

= تغيشونا ، ارسقوهم بالنبل فإن الخيل لا تقدم على النبل ، إنا لا نزال غالبين ما مكثم مكانكم ، اللهم إنى أشهدك عليهم .

(١) الشم الجثى : الجبال الرواسى كأنها فى صورة من يجثو ؛ أى : يجلس على ركبته أو يقوم على أطراف أصابعه .

(٢) الجهاذة : جمع جهذ وهو الناقد البصير .

(٣) أخرج سيفنا مكتوباً فى إحدى صفحاته :

فى الجبن عار وفى الإقبال مكرمة والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

ثم قال : « من يأخذ هذا السيف بحقه » ، فقام إليه رجال فأمسكه عنهم . وكان من

جملتهم على بن أبى طالب قام ليأخذه فقال : « اجلس » ، وعمر فأعرض عنه ، والزبير

(وطلبه ثلاث مرات) فكذلك ، وقام أبو دجانة فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال :

« تضرب به فى وجه العدو حتى ينحنى » ، قال : أنا آخذه بحقه فدفعه إليه وأبو دجانة

هو سماك بن خرشة أخو بنى ساعدة . وأخذ عصاة له حمراء فعصب بها رأسه .

وقالت الأنصار : أخرج أبو دجانة عصاة الموت . فجعل لا يلقى أحدا من المشركين إلا

قتله . قال ابن اسحاق : قال أبو دجانة : رأيت إنسانا يحمش الناس حمشا شديدا

(يحرضهم على القتال) فعمدت إليه ، فلما حملت عليه السيف ولول . فأكرمت سيف

رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة .

(٤) الضرب : الضرب من الرجال الماضى فى الأمور .

تخطى القوم من آل وصحب فكان عليك عضباً فوق عضب

تبخرت وامض مسنوناً صقيلاً (١)

أبا سفيان لا يقتلك هما ولا يذهب بحلمك أن تذما (٢)

أحين بعثتها شراً وشؤماً أردت هوادة ، وطلبت سلماً ؟

مكانك لا تكن مذلاً ملولاً (٣)

من الداعى يصيح على البعير أمالى فى الفوارس من نظير (٤)

أرونى همة البطل المغير إلى - فما بمثلئ من نكير (٥)

أنا الأسد الذى يحمى الشبولا

تحده الزبير وفى يديه قضاء خف عاجله إليه

رمى ظهر البعير بمنكبيه وجرعه منيته عليه

فأسلم نفسه وهوى قتيلا

ألا بعدا لطلحة حين يهذى فيأخذه على شر أخذ (٦)

(١) كان أبو دجانة يختال عند الحرب ، وقال النبى وقد رآه بين الصفين : « إنها لمشية يبغيها

الله إلا فى مثل هذا الموطن » .

(٢) نادى عند اصطفاف القوم : يا معشر الأوس والخزرج خلوا بيننا وبين بنى عمنا وننصرف .

عنكم فشتموه أشد الشتم .

(٣) الذل : القلق الضجور .

(٤) خرج رجل من المشركين على بعير يدعو للبراز فأحجم عنه الناس وقام إليه الزبير فوثب

حتى استوى معه على البعير ثم عانقه فاقتلا فوق ظهره فوق وقع المشرك ووقع عليه الزبير

فذبحه . فأنى عليه النبى ﷺ وقال : « لكل نبى حوارى ، وإن حوارى الزبير ، وقال لو

لم يبرز إليه الزبير لبرزت إليه » [البخارى : ح ٢٨٤٦ و ٣٧١٩ ، مسلم : ح ٢٤١٥ .

(٥) نكر الرجل الآخر نكيراً جهله ولم يعرفه .

(٦) طلحة بن أبى طلحة - من بنى عبد الدار - حامل لواء المشركين - طلب المبارزة وجعل

يهذى بكلام ، منه : يا أصحاب محمد زعمتم أن قتلاكم إلى الجنة وأن قتلانا إلى النار -

وفى رواية : إنكم تزعمون أن الله يعجلنا بسيفكم إلى النار ويعجلكم بسيفونا إلى الجنة =

أصيب بقسورى البأس فذَّ يُعدُّ لكل طاغى النفس مؤذ (١)

يعالج داءه حتى يزولا

أمن فقد إلى فقد جديد ؟ لقد أضحى السواء بلا عميد
بصارم حمزة البطل النجيد هوى عثمان إثر أخ فقييد

وأم الكفر ما برحت ثكولا (٢)

أبى شر الثلاثة أن يريعا فخرٌ على يدى سعد صريعا (٣)

ثلاثة إخوة هلكوا جميعا وراح مسافع لهم تبيعا (٤)

رمت يد عاصم سماً نقيعا تورّد جوفه فجرى نجيعا (٥)

وجاء أخوه يلتمس القريعا فأورّد نفسه وزداً فظيعا (٦)

وإن لربك الفضل الجزيلا

رميتهما فظلا يزحفان يجران الجراح وينزفان (٧)

= فهل أحد منكم يعجلنى بسيفه إلى النار ، أو أعجله بسيفى إلى الجنة ، كذبتم واللات والعزى - خرج إليه على بن أبى طالب فقتله .

(١) القسورى نسبة إلى القسور وهو الأسد .

(٢) لما سقط لواء المشركين بعد قتل طلحة أخذه أخوه عثمان فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه حتى انتهى إلى مؤثره .

والصارم : السيف القاطع ، والشكول من الثكل ، وهو الفقد والهلاك .

(٣) لما قتل عثمان بن أبى طلحة أخذ اللواء أخوه أبو سعيد بن أبى طلحة فرماه سعد بن أبى وقاص فأصاب حنجرته فقتله ، يريع بمعنى يرجع . صريعا : قتيلا .

(٤) مسافع بن طلحة بن أبى طلحة الذى قتله على بن أبى طالب كرم اله وجهه - أخذ اللواء بعد أبى سعيد فرماه عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح فقتله .

(٥) تورده بمعنى ورده ، النجيع : ما كان إلى لسواد من الدم ، أو هو دم الجوف .

(٦) أخو مسامع الحارث بن طلحة أخذ اللواء بعد أخيه فرماه عاصم رضي الله عنه فقتله .

القريع هنا : المقارع .

(٧) كان كل واحد من مسافع والحارث بعد أن رماه عاصم يأتي أمه سلافة ، ويضع رأسه فى =

وخلفهما من الدم آيتان هما للكفر عنوان الهوان
 ترى الرأسين مما يحملان على الحجر المذمم يوضعان
 أمن ثديي سلافة يرضعان ؟ تقول وقلبها حرّان عان
 على الجود بالمائة الهجان لمن يأتي بهامة من رمانى (١)
 فواظمأى إلى بنت الدنان تدار بها على فودّعانى
 وموتا ، إن للقتلى ذحولا (٢)

دعاة اللات والعزى أنيبوا فليس لصائح منكم مجيب
 وليس لكم من الحسنى نصيب لربّ الناس داع لا يخيب
 ودين الحق يعرفه اللبيب وما يخفى الصواب ولا يغيب
 رويدا إن موعدكم قريب وكيف بمن يصاب ولا يصيب ؟
 سليبُ النفس يتبعه سليب أما يفنى الطعين ولا الضريب
 لواء ليس يحمله عسيب عليه من مناياكم رقيب (٣)
 كفاكم - ياله حملا ثقيلا (٤)

رمى بالنبل كل فتى عليم فردّ الخيل دامية الشكيم (٥)

= حجرها فتقول له : يا بنى من أصابك فيقول : سمعت رجلا يقول : خذها وأنا ابن
 أبى الأفلح ، فنذرت إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر وجعلت بمن
 يجيء به مائة من الإبل .

(١) الهجان : الخالصة .

(٢) بنت الدنان هى الخمر ، والذحول : جمع ذحل ، وهو الثار .

(٣) عسيب اسم جبل .

(٤) تتابع القتل فى حملة اللواء فتمزق المشركون .

(٥) حملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات وهى تنضح بالنبل فترجع مغلولة ،
 وحمل المسلمون عليهم فحمى القتال .

والشكيم جمع شكمة وهى حديدة اللجام فى فم الفرس .

- بنضح مثل شؤبوب الحميم
وصاحت هند في الجمع الأثيم
ألا بطل يذب عن الحرير
فهاجت كل ذات حشى كريم
وتذكر طارقا دأب المليم
وأين مكانهن من النعيم
زعمن الشرك كالدين القويم
رمى الأبناء وانتظم البعولا
من البطل المعصَّب يختليها
بأبيض تتقيه ويعتريها
لها من حده وال يليها
- (١) يشب على فراغة الجحيم
(٢) تحرّض كل شيطان رجيم
ويضرب بالمهند فى الصميم ؟
(٣) تبث الشجو فى الهذر الذميم
(٤) يسىء ويدعى لأب كريم
(٥) ومن جرثومة الحسب القديم ؟
لهنّ الويل من خطب عميم
- رقاباً ما يمل الضرب فيها ؟ (٦)
وتكره أن تراه ويشتهيها
وينتزع الحكومة من ذويها

(١) شؤبوب الحميم : الماء الحار .

(٢) قامت هند زوج أبى سفيان فى النسوة اللاتى معها لما حميت الحرب فأخذن الدفوف
يضربن خلف الرجال ويقلن .

ويها بنى عبد الدار ويها حماة الأدبار ضرباً بكل بتار

ثم ينشدن :

نحن بنات طارق نمشى على لنمارق مشى القطا النوازق

والمسك فى المفارق والدر فى المخانق أن تقبلوا نعانق

ونفرش النمارق أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

وكان النبى ﷺ إذا سمع ذلك يقول : « اللهم بك أحول ، وبك أصول ، وفيك أقاتل ،
حسبى الله ونعم الوكيل » .

(٣) حشى كريم : جريح ، والشجو : الحزن والألم .

(٤) ادعى إليه : انتسب .

(٥) جرثومة : أصل .

(٦) هو أبو دجانة ، كان له عصاة حمراء يعصب بها رأسه فى الحرب فسميت عصاة الموت ،
جعل لا يلقى أحداً إلا قتله بالسيف الذي أخذه من رسول الله ﷺ ، وكان يشحذه
بالحجارة كلما كل ، فمارال يضرب به حتى انحنى وصار كأنه منجل .
يختليها يجزها أو ينزعها تشبيهاً لها بالخلا لرتب إذا فعل به ذلك .

بررت أبا دجانة إذ تريها وحي الموت تطعمه كريها (١)
 صددت عن السفية تزدريها وتكرم سيفك العف النزيها (٢)
 تولول للمنية تتقيها فايها يا ابنة الهيجاء إيها
 نجوت ولو رآك له شبها مضى العضب المشطب يتضيها (٣)
 حياة مناجز ما يتغيها إذا شهد الكريهة يصطليها
 فأرسلها دمًا وهوى تليلا (٤)

* * *

(١) وحي الموت : الوحي السريع .

(٢) هند سمعها أبو دجانة تحرض على القتال أشد التحريض فحمل عليها بسيفه يظنها رجلا

فولولت فأعرض عنها إكراما لسيف رسول الله ﷺ .

(٣) العضب المشطب : السيف به خطوط من أثر الضرب .

(٤) التليل : الصريع .

مقتل حمزة رضي الله عنه

أبلى حمزة رضي الله عنه في موقعة أحد بلاء حسناً ، وكان يقاتل بين يدي النبي ﷺ بسيفين ، ويقول : أنا أسد الله ، وقد أصيب ببضع وثمانين جراحة ما بين ضربة بسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم .

قتله وحشى الحبشى مولى جبير بن مطعم بن عدى ، قال وحشى : إني لأنظر إلى حمزة يهد الناس بسيفه حتى عثر فانكشفت الدرع عن بطنه فهزرت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثنيته (موضع تحت السرة وفوق العانة) .

خرج النبي ﷺ يلتمس حمزة فوجده ببطن الوادى وقد بقر بطنه ومثل به ، فلم يكن أوجع لقلبه الشريف مما رأى وقال : « لن أصاب بمثلك أبداً ، وما وقفت قط موقفاً أغيظ لى من هذا ، رحمة الله عليك كنت فعولاً للخيرات ، وصولاً للرحم » ، ثم قال : جاءنى جبريل فأخبرنى أن حمزة مكتوب فى السموات السبع : حمزة أسد الله وأسود رسوله . [سير ابن هشام ٣/ ٣٩ و ٤٠] ثم صلى عليه وعلى إخوانه من الشهداء وأمر بدفنهم ، وقيل : إنه أمر بدفنهم بدمائهم وثيابهم فلم يغسلوا ولم يصل عليهم (١) .

جعلت هند زوج أبى سفيان ومن معها من نساء المشركين يثلن بقتلى المسلمين يجدعن آذانهم وأنوفهم ويتخذن منها القلائد ، وقد بقرت هند بطن حمزة وأخرجت كبده فلاكتها ولم تستطع أن تسيغها فألقته من فيها ، وكانت قد نذرت أن تأكلها إذا قتل ، وقيل : إن وحشياً هو الذى بقر بطنه وجاءها بكبده فأعطته

(١) قال ابن إسحاق : وحديثى من ولا أنهم عن مقسم عن ابن عباس ، قال : أمر رسول الله ﷺ فسُجِّىَ حمزة ببردة ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات ، ثم أتى بالقتلى يوضعون إلى حمزة فصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة . [ابن هشام فى السيرة : ٣/ ٤٠ ، هذا غريب وسنده ضعيف . قال السهيلي . ولم يقل به أحد من علماء الأنصار .

ثيابها وحليها ووعدته أن تدفع له عشرة دنانير إذا رجعت إلى مكة . وجاء بها إلى مصرع حمزة فجذعت أنفه وقطعت أذنيه ، ثم جعلت من ذلك كالسوار في يديها ، وقلائد في عنقها .

صاحبُ السيفين ماذا صنعنا ؟ ودعَّ الصفيين والدنيا معا
غاب عن أصحابه ما علموا أى دار حل لما ودعنا
غاب عن أعينهم فى غمرة سد غول الهول منها المطلعا
طلبوه ، وتنادى جمعهم نكبة حلت ، وخطب وقعا
يارسول الله - هذا حمزة أترى عيناك منه المصرعا ؟
إنه عمك إلا أذننا قطعت منه وأنقأ جدعا
إنه عمك فانظر بطنه كيف شقوه ، وعاثوا فى المعى ؟
كبد الفارس ، ماذا فعلت أين طاحت ؟ من قضى أن تنزعا ؟
نذر هندى ، لولا أنها لم تسغها أكلتها أجمعا (١)
طفقت تمضغ من أفلاذها علقما مرأً وسمًا مُنقعا (٢)
كلما همت بها تدفعها ملء شذقيها أبت أن تُدفعها
نذرت يوم أبيها نذرها علها تشفى الفؤاد الموجعا
جاء وحشى فضجَّت فرحا ويك ، إن الأرض ضجت فزعا
تبذلن الحلى والمال على أن جناه جاهليًا مفظعا
ياله ياهند جرحًا داميًا ضاق عنه الصبر مما اتسعا
أفما أبصرت رُكنى أحد حين سال الجرح كيف انصدعا ؟

(١) ساغ الطعام وأساغه وهو أجود سهل مدخله فى الحلق .

(٢) أفلاذها : جمع فلذ ، وهى القطعة من الكبد ونحوها ، والسم المنقع : المريب .

وأبو سفيان ماذا هاج ؟ أفما يزمع أن يرتدعا ؟ (١)
 غره فى يومه ما غره إن عند الغد سرا مودعا
 يطعن الليث ويفرى شدقه حين ألقى جبهه فاضطجعا
 لو رآه يتحدّى نفسه لرآها كيف تهوى قطعاً (٢)
 يذكر العزى ويدعو هبلاً ويحه من ذاكر ، ماذا دعا ؟ (٣)
 أسد الله رماه ثعلب ياله من حادث ، ما أبدعا
 أخذته عثرة مزوودة ضجت الدنيا لها تدعو لعا (٤)
 زالت الدرغ فغشى بطنه دافق من دمه فادّرعاً
 حربى ظمأى أصابت مشرعا كان من خير وبرّ مترعا (٥)
 جزع الهادى لها نازلة جلّت عليا قريش جزعا
 تلك رؤياه وهذا سيفه لا رعى الرحمن إلا من رعى (٦)

(١) جعل أبو سفيان يضرب بزح الرمح فى شدة حمزة بعد قتله ويقول : ذق عقق : أى ذق
 جزاء مخالفتك لقومك يا عاق - وقد مر به الحليس سيد الأحابيش وهو يفعل ذلك فقال :
 يا بنى كنانة ، هذا سيد قريش يفعل بآبن عمه ما ترون ، فقال أبو سفيان : اكتمها عني
 فإنها زلة ، ويزمّع : المراد منها هنا يريد .

(٢) تحدى الشيء تعمده ، والرجل باراه فى فعله ونازعه الغلبة .

(٣) لما قتل حمزة نادى أبو سفيان : اعل هبل ، فقال النبى ﷺ : « قم يا عمر فأجبه فقل : الله
 أعلى وأجل ، لا سواء ، قتلانا فى الجنة ، وقتلاكما فى النار » ، فقال أبو سفيان إنكم
 تزعمون ذلك ، لقد خبنا إذاً وخسرنا ، إن لنا العزى ولا عزى لكم ، فقال النبى ﷺ :
 « والله مولانا ولا مولى لكم » . [عن ابن عائذ وغيره - عيون الأثر : ٢ / ٢٧] .

(٤) مزوودة بمعنى مذعورة ، ولعاً أو لعاً لك : كلمة تقال عند العثرة ، وهى دعاء
 بالانتعاش .

(٥) المشرع : المورد والمنزح المملوء .

(٦) قبل خروج النبى ﷺ إلى أحد رأى رؤيا قصها على سعد بن معاذ وأسيد بن حضير
 وسعد بن عبادة رضي الله عنهم فقال : « رأيت بقرًا تذبح ورأيت فى باب سيقى ثلماً =

ثلثة هدَّتْ من الكفر حمى زعم الكفار أن لن يفرعا (١)
 بورك المضجع والقوم الألى وسَدُّوا فيه الشهيد الأروعا (٢)
 مثل القوم به من بغيهم ما نهاهم دينهم أو منعوا (٣)
 ليس للأخلاق إلا دينُها يؤثر المثلى ، ويهدى من وعى
 وعد الإسلام خيراً من عفى إن حسن العفو مما شرعا
 سائل اللاتى تقلَّدن الحلّى من جلود من رآها خشعا

= (هو ذو الفقار) ورأيت أنى أدخلت يدي فى درع حصينة وأنى مردف كبشاً ، فأما البقر فناس من أصحابى يقتلون ، وأما الثلم الذى رأيته فى سيفى فهو رجل من أهل بيتى يقتل ، وأما الدرع الحصينة فالمدينة ، وأما الكبش فإنى أقتل كبش القوم « (هو طلحة ابن أبى طلحة حامل لواء المشركين الذى قتله على بن أبى طالب كرم الله وجهه) . صحيح : رواه البيهقى فى الدلائل : ٢٠٤ / ٣ و ٢٠٥ وأحمد : ٢٧١ / ١ . وسيفه اسمه « ذو الفقار » بفتح الفاء ، سُمى بذلك لأنه كانت فيه حفر صفار حسان والسيف المفقّر الذى فيه حزوز مطمئنة عن منته .

وعن أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال : رأيت فى المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب وصلى إلى أنها البعثة ، أو هجر ، فإذا هى المدينة يثرب . ورأيت فى رؤى هذه أنى هزرت سيفاً ، فانقطع صدره ، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ، ثم هزرت أخرى فعاد أحسن ما كان ، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين . ورأيت فيه أيضاً بقراً والله خيراً . فإذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد وإذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصدق الذى أتانا بعد يوم بدر . متفق عليه : البخارى : ح ٣٦٢٢ ، ٣٨٩٧ و ٧٠٣٥ . ومسلم ح : ٢٢٧٢ / ٢٠ .

(١) فرع الجبل ونحوه علاه .

(٢) الأروع من يعجبك بحسنه وجهارة منظره ، أو بشجاعته ، وقيل : هو الشهم الذكى الفؤاد .
 (٣) ممن مثل بهم من شهداء المسلمين : عبد الله بن جحش رضى الله عنه بدعوة دعاها على نفسه قبل وقعة أحد وهى : اللهم ارزقنى غداً رجلاً شديداً بأسه فيقتلنى ثم يأخذنى فيجده أنفى وأذننى فإذا لقيتك قلت : يا عبد الله فيم جدد أنفك وأذنك فأقول : فيك وفى رسولك فتقول : صدقت (هو ابن أميمة بنت عبد المطلب) قتله أبو الحكم بن الأحنس بن شريق ثم قتل كافراً فى وقعة أحد .

أهـى كـالـلؤلؤ ، أم أبهى سنًا من غواليه وأسمى موضعا ؟
 بوركتُ - إنى أراها زُلفًا رفع الله بها من رفعا (١)
 لن يفوت الكفرَ منها ذابح لا يبالى أى جلد مزعا
 يا لريب الدهر ما أفدحه حادثًا نكرًا ورزءًا مفجعا
 رجع الذكر به مؤتنفًا ولقد أشفقت أن لا يرجعا
 شغل الأهل عن الأهل فيا عجبًا للدهر ماذا صنعا ؟
 أفما أبصر إلا لاهيًّا أو معنى بالأمانى مولعا ؟
 اذكروا يا قوم من أمجادكم ما نسيتم ، رب ذكر نفعا

* * *

(١) زُلفا : جمع زلفة وهى القربة والمنزلة .

الرَّمَّة

لما قتل أصحاب لواء المشركين واحداً بعد واحد انهزموا ، وتبعهم المسلمون يضعون فيهم السلاح ويتهبون الغنائم ، فألقى نساؤهم الدفوف وذهبن إلى الجبل كاشفات سيقانهن صارخات مولولات ففارق الرمة أماكنهم ونهاهم أميرهم عبد الله بن جبير رضى الله عنه فتركوه ، وانطلقوا يبتدرون الغنائم إلا فريقاً منهم دون العشرة ثبتوا معه فى أماكنهم .

نظر خالد بن الوليد إلى قلة من بقى فى الجبل من الرمة فكر بالخييل ومعه عكرمة بن أبى جهل فحملوا على هذه البقية فقتلوها ومثلوا بأمرها .

وخرجت أحشاؤه « عبد الله بن جبير » لكثرة ما طعن بالرماح .

وأحاط المشركون بالمسلمين ، وقد شغلوا بالنهب والأسر ووضعوا السيوف فيهم فنفروا فى كل وجه انتقضت صفوفهم فاختلفوا ، وصار يضرب بعضهم بعضاً وهم لا يعلمون - وقيل : إن منادياً منهم قال : يا عباد الله أخراكم - يريد - احترزوا من جهة أخراكم - فعطفوا على أخراهم يقتل بعضهم بعضاً وهم لا يشعرون .

وذهب طائفة منهم إلى المدينة فأقامت ثلاثة أيام ثم رجعت وانطلق بعضهم إلى ما فوق الجبل ، ورجعت طائفة أخرى فاختلفت بالمشركون ، فلم يتميزا فأنزل الله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٥] . روى البخارى عن عائشة قالت : لما كان يوم أحد هزم المشركون هزيمة بينة . فصاح إبليس : أى عباد الله أخراكم أى احترزوا من ورائكم ، فرجعت أولاهم فاجتلدت هى وأخراهم ، فبصر حذيفة فإذا هو بأبيه « اليمان » ، فقال : أى عباد الله أبى أبى . قالت : فوالله ما احتجزوا عنه حتى قتلوه ، فقال حذيفة : يغفر الله لكم . قال عروة : فوالله ما زالت فى حذيفة بقية خير حتى لحق بالله .

[البخارى : ٥٣٩/١ و ٥٨١/٢ ، فتح البارى : ٣٥١/٧ و ٣٦٢ و ٣٦٣
 وذكر غير البخارى أن رسول الله - ﷺ - أراد أن يديه . فقال حذيفة : تصدقت
 بديته على المسلمين . فزاد ذلك حذيفة خيرا عند النبى ﷺ] .
 [الرحيق المختوم : ٢٧٩] .

ثبت النبى ﷺ لما تفرق أصحابه وصار يقول : « إلى يا فلان ، إلى يا فلان ،
 أنا رسول الله » ، والنبى يأتيه من كل ناحية ، والله يصرفه عنه ، وثبت معه
 جماعة من أصحابه واستمر أبو طلحة بين يديه - وكان رامياً مجيداً - ينشر كنانته
 ويقول : نفسى لنفسك الفداء ، ووجهى لوجهك الوقاء ، ومازال ﷺ يرمى عن
 قوسه الكتوم (التى لا يسمع لها صوت) حتى صارت شظايا .

أئن تولت جنود الشرك مدبرة	خف الرماة وظنوا الأمر قد وجبا ؟
كأنهم والرّعان الشم تقذفهم	سيل تدفق فى شؤبويه صببا (١)
يخالهم من يراهم ساعة انطلقوا	سهامهم حين جاش البأس فالتهبوا
ردّوا على ابن جبير رأيه ومضوا	إلا فريقاً رأى ما لم يروا فأبى
أصابها خالد منهم وعكرمة	أمنية لم تصب من ذى هوى سببا
فاستنفرا الخيل والأبطال وانطلقا	فى هبوة تزدهى الأرماح والقضبا
هم خلّفوا رمم القتلى مطرحة	وغادروا الجند جند الله والسلبا
طاروا إلى جبل راس على جبل	ما اهتز مذ قام من ضعف ولا اضطربا
قال الرسول فأعطاه مقالته	وما سوى نفسه أعطى ولا وهبا
توزعوه فلو أبصرت مصرعه	أبصرت فى الله منه منظراً عجبا
طعن وضرب يعاف البأس عندهما	سلاح من طعن الأبطال أو ضربا
سلوا حشاه فظلت من أسنتهم	تموج فى الدم يجرى حوله سربا (٢)

(١) الرعان: أنوف الجبال ، والجبال بجملتها ، والشم: الطوال ، والثؤبوب: الدفعة من المطر .

(٢) سربا : سائلا .

تتابع القتل يجتاح الألى معه
 تلك الدماء التى سالت على أحد
 ظلمتها - ما لشيء مثل ربتها
 لم يبق سهم ولا رام يُسدده
 وكرت الخيل تردى فى فوارسها
 المسلمون حيارى - كيف يأخذهم
 حلوا الصفوف وجالوا فى مغائهم
 تنكرت صور الهيحاء واتخذت
 خرساء صماء تُعمى عن معالمها
 مُغبرة الجو ما زال الخفاء بها
 ترى الليوث وإن كانوا ذوى رحم
 يعدو على مهجة الضرغام صاحبه
 هذا البلاء لقوم مال غافلهم
 قال : اثبتوا فتولوا ، ما عصى أحد
 أمر من الله مرجو عواقبه
 إن النبى ليمضى الأمر فى وضح
 مسدد الرأى ، ما تهفو الظنون به

لولا المناقب لم يترك لهم عقبا
 لو أنبت الدم شيئا أنبتت ذهبها
 وإن تخطى المدى أو جاوز الرتبا
 تغيب الوابل الهطال واحتجبا (١)
 بعد الفرار فأسمى الأمر قد حزبا (٢)
 بأس العدو ، أما ردوه فانقلبوا ؟
 ما ظنَّ عسكريهم شرًّا ولا حسبا
 من الأعاجيب أثوابًا لها قشبا (٣)
 عين البصير وتُعى الحاذق الدريا
 حتى تقنّع فيها الموت وانتقبا
 لا يتقى بعضهم بعضًا إذا وثبا
 ولا يجاوزه إن ظفّره نشبا
 عن رأى سيدهم إذ يُحكم الأربا (٤)
 منهم ، ولكن قضاء واقع غلبا
 يقضيه تبصرة للقوم أو أدبا
 من حكمة الله يجلو نوره الريا
 الخير ما اختار ، والمكروه ما اجتنبنا

(١) الوابل : المطر الكثير .

(٢) ردت الفرس : رجعت الأرض بحوافرها ، وحزب الأمر : اشتد . وهو يتعدى فيقال :
 حزه الأمر .

(٣) قشبا : جديدة .

(٤) الأرب : جمع أربة وهى العقدة التى لا تنحل حتى تحل .

للسلم والحرب منه حازم يقظ يُعَيّ الدهاة ، ويُردى الجحفل اللجبا (١)
إن الذى زين الدنيا بطلعته حابى العروبة فيه ، واصطفى العربا (٢)

* * *

(١) يردى : يهلك ، والجحفل اللجب : الجيش الكثير العدد .
(٢) حاباه : نصره واختصه ومال إليه .

زياد بن عمار^(١) رضى الله عنه

كان من أعظم أبطال هذه الغزوة ، ثبت بين يدي النبي ﷺ يتلقى السهام دونه ويدافع القوم عنه حتى أثقلته الجراح فسقط ، فأمر النبي ﷺ أصحابه وقال : «أذنوه مني» ، فأفرشه قدمه الشريفة فمات وخده عليها .

أكان يزيد بأسك إذ تصاب ؟ زيادة ذلك لعجب العجاب
تكاثر الجراح ، وأنت صلب يهابك في الوغى من لا يهاب
قوى تنصب ممنعة حثائاً وللدن في مواقعها انصباب
ترد الهندوانيات ظمأى يخادعها عن الرى السراب
تريد محمداً والله واق فترجع ، وهى محنقة غضاب

(١) صحة الاسم : عمار بن زياد بن السكّن وهو ابن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل ، قُتل يوم أحد شهيدا وبه أربعة عشر جرحا ، وهو الذى وسّده رسول الله - ﷺ - قدمه ، وقال : ادن منى ، فدنا منه ، فما زال متوسداً لقدم رسول الله ﷺ حتى مات . ولا عقب له . ولقد انقرض ولد السكّن بن رافع بن امرئ القيس فلم يبق منهم أحد إلا امرأتان لمنطور بن سعد بن حسين بن عامر بن يزيد بن السكّن ، تزوجتا فى الأنصار فولدت فيهم .

(*) عن أنس بن مالك ؛ أن رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد فى سبعة من الأنصار ، ورجلين من قريش ، فلما رهقوه قال : « من يردهم عنا وله الجنة ، أو هو رفيقى فى الجنة ؟ » فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل ، ثم رهقوه أيضا . فقال : « من يردهم عنا وله الجنة ؟ أو هو رفيقى فى الجنة ؟ فتقدم رجل من الأنصار ، فقاتل حتى قتل . فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه : « ما أنصفنا أصحابنا » وكان آخر هؤلاء السبعة « عمار بن يزيد بن السكّن ، قاتل حتى أثبتته الجراح ، فسقط ثم فاءت إلى رسول الله - ﷺ - فئة من المسلمين ، فأجهضوا الكفار عن عمار ، وأذنوه من رسول الله - ﷺ - فوسده قدمه ، فمات وخده على قدم رسول الله ﷺ [ابن هشام : ٨١/٢ ، صحيح مسلم : باب غزوة أحد ، ح : ١٧٨٩ ، الرحيق المختوم : ٢٨١] .

زيادة دونه سور عليه
 وما بمحمد خوف المنايا
 ولكن جلّ منزلة وقدرًا
 هوى البطل المغامر واضمحت
 فتى صدقت مشاهده فظلت
 وهى منه الأديم ، فلا أديم
 تمزقت الصحائف من كتاب
 تلقاه برحمته ، وروّت
 أياى الله يجعلها ثوابًا
 أهاب محمد أدنوه منى
 على قدمى ضعوا لئليث رأسًا
 ففاضت نفسه نورًا عليها
 عباب تنطوى الآفاق فيه
 مضى سعدًا عليه من الدرارى
 تلقته الملائك بالتحايا
 وزخرفت الجنان ، وقيل : هذا
 من النفر الألى احتضنوه باب
 ولا فى سيفه خُلّق يعاب
 فبرّ رجاله ووفى الصحاب
 قواه ، وخارت الهمم الصلاب
 تعاوره القواضب والحراب
 وأعوزه الإهاب فلا إهاب
 طواه فى صحائفه الكتاب
 غليل جراحه السور العذاب
 لكل مجاهد - نعم الثواب
 فذلك صاحبي المحض اللباب
 أحاذر أن يعفّره التراب
 وماج الجو وامتدّ العباب
 ويغرق فى جوانبه السحاب
 ومن بركات خالقه حباب
 منضرة تحب وتستطاب
 مآبك - إنه نعم المآب

مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ (*) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قاتل مصعب بن عمير رضى الله عنه قتالا شديداً فى هذه الغزوة .
وصنع الأعاجيب بين يدى رسول ﷺ يدافع عنه ويقيه بنفسه ، ولما قطعت يده اليمنى فسقط اللواء وهو يجاهد المشركين أخذه بيده اليسرى ، وبقي يعمل بين يدى الله ويدى رسوله ، فلما قطعت يده اليسرى وسقط اللواء جثا عليه وضمه بعضديه إلى صدره ثم دأب على القتال حتى قتله عبد الله بن قميئة يظنه النبى ﷺ ، ثم رجع إلى المشركين يقول : قتلت محمداً ، وذلك بعد أن أقبل على المسلمين وهو يقول : أين محمد لا نجوت إن نجا ، وفى رواية : أن قاتل مصعب هو أبى بن خلف .

هو مرثى الأبطال ، مالك دونه متحزح ، فاصبر له يا مصعب

(*) هو مصعب ابن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد البر بن قصي ويكنى « أبا محمد » .
وأُمّه خُناص بنت مالك بن المُضَرَّب بن دهب بن عمير بن جُحير بن عبد بن معيص بن عامر بن لُؤى . أسلم . وكنم إسلامه خوفاً من أمه وقومه . فبصره « عثمان بن طلحة »
فأخبر أمه وقومه فأخذوه وحبسوه حتى خرج إلى الحبشة فى الهجرة الأولى ثم رجع متغير الحال قد حرج ؛ يعنى : غلط ، فكفّت أمه عنه من العذل . وكان قبل إسلامه ما بمكة فتى من قریش أنعم عند أبويه نعيماً منه . خرج الهجرتين بأرض الحبشة . وقتل بأحد عن أربعين سنة أو يزيد [الطبقات : ١٠٧/٣ أو ما بعدها - سير أعلام النبلاء : ١٤٥/١]

(*) وقف عليه رسول الله ﷺ وهو فى بُردة مقتول ، فقال : لقد رأيتك بمكة وما بها أحد أرق خلّة ، ولا أحسن لحّة منك ، ثم أنت شعثُ الرأس فى بُردة . ثم أمر به يُقْبَرُ .
عن عبد الله ابن الفضل بن العباس قال : أعطى رسول الله - ﷺ - يوم أحد مصعب بن عمير اللواء فقتل ، فأخذه ملك فى صورة مصعب فجعل رسول الله - ﷺ - يقول له فى آخر النهار : تقدّم يا مصعب ، فالتفت إليه الملك ، فقال : لست بمصعب . فعرف رسول الله - ﷺ - أنه ملك أيد به .

ولقد صبرت تخوض من أهواله
ترمى بنفسك دون نفس محمد
تبغى الفداء ، وتلك سنة من يرى
دع من يعرض على الحياة فإنه
ما اختار نصرة دينه أو رأيه
ما هذه المثل التى لا تنتهى ؟
طاح الجهاد به شهيداً صادقاً
إيمان حر لا يبالى كلما
يرسو ، وأهوال الوقائع عصّف
إن يضربوه ففارس ذو نجدة
كم هارب يخشى بواذر بأسه
الموت فى وثباته يجرى دمًا
سقطت يده ، وما يزال لواؤه
لو يستطيع لمدّ من أهدايه
يمناه أم يسراه أعظم حرمة
جارى منيته ، فكل يرمى
حتى دعاه الله يرحم نفسه
إن كان ذلك من أعاجيب الوغى
إنّ أمراً كره الجهاد فلم يفز

ما لا يخوض الفارس المتلب (١)
وتقيه من بأس العدى ما ترهب
أن الفداء هو الذمام الأوجب
غاو يضلّل ، وُدعى يكذب
من لا يرى أن الفداء المذهب
هذا هو المثل الأبرّ الأطيب
أوفى بعهد إلهه يتقرب
ركب العظام أن يهول المركب
تذرو الفوارس ، والمنايا وثب (٢)
ما انفكّ يطعن فى النحور ويضرب
ويخاف منه مشيعاً ما يهرب
والموت فى نظراته يتلهب
فى صدره يحنو عليه ويحذب
سبباً يشد به إليه ويجذب
أم ساعده وصدرة والمنكب ؟
فى شأنه جللا ، وكل يدأب
فأجاب يلتمس القرار ويطلب
فالبخل بالدم فى المحارم أعجب
بالموت فى غمراته لمخيّب

(١) تلبب الرجل للحرب تحزم وتشمر .

(٢) تذرو : ترمى .

المؤمنون والمنافقون

لما ذهب ابن قمئة يقول : إني قتلت محمداً ، جاء أبو سفيان إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد أن كان من أمره ما كان فقال : أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمداً. قال عمر : لا وإنه ليسمع كلامك الآن - قال : أنت أصدق عندى من ابن قمئة وأبر .

قال قوم من المؤمنين ^(١) : إن كان محمد قد قتل أفلا تقاتلون على دين نبيكم وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقوا الله شهداء ، وقال ثابت بن الدحداح رضى الله عنه : يا معشر الأنصار إن كان محمد قد قتل فإن الله حى لا يموت ، قاتلوا على دينكم فإن الله مظفركم وناصركم ، وفى هؤلاء نزل قوله تعالى : ﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [الاحزاب: ٢٣] .

هال بعض المؤمنين الأمر فظلوا حيارى ، ولكن الله ثبت قلوبهم وحفظ عليهم إيمانهم فلم يزلوا ولم يمسكوا عن القتال .

يقول أبو سفيان أودى محمد قتيلا ، ويأبى الشيخ إلا تماديا ^(٢) فلما أراد الحق أقبل سائلا فأبدى له الفاروق ما كان خافيا

(١) هو أنس بن النضر ؛ قال : ما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ ثم قال اللهم إني اعتذر إليك عما صنع هؤلاء - يعنى المسلمين - وأبرا إليك عما صنع هؤلاء - يعنى المشركين - ثم تقدم فلقبه « سعد بن معاذ » فقال : أين يا أبا عمر ؟ فقال أنس : وها لريح الجنة يا سعد . إني أجده دون أحد ثم مضى فقاتل حتى قتل ، فما عرف حتى عرفته أخته بعد نهاية المعركة بيناته ، وبه بضع وثمانون ما بين طعنة برمخ ، وضربة سيف ، ورمية بسهم . [زاد المعاد : ٩٦-٩٣/٢ البخارى - كتاب المغازى ، حديث : ٤٠٤٨ ، وطرفة : ٢٨٠٥] .

(٢) أودى : هلك .

وقال له : لا يعمل صوتك إنه
كذلك ظن القوم إذ طاح مصعب
وربعت قلوب المؤمنين فأجفلوا
وزلزل قوم آخرون فأدبروا
يقولون ما نبغى وهذا نبينا
فما أقبلوا حتى انبرت أم أيمن
تدافعهم غضبي وتحشو ترابها
تقول ارجعوا ، ما بالمدينة منزل
ليسمعه من جاء بالحق هاديا (١)
فرحوا سكارى يكثرون الدعاويا
يخافون من بعد انبى الدواهيا (٢)
سراعاً يجرون الظبي والعواليا (٣)
تردى قتيلاً ؟ ليته كان باقيا
وقد جاوز الغيظ الحشا والتراقيا (٤)
تعقر منهم أوجها ونواصيا
يبارك منكم بعد ذلك ثاويا

(١) من حديث البراء : « . . وأشرف أبو سفيان ، فقال : أفى القوم محمد ؟ فقال رسول الله ﷺ لا تُجيبوه . فقال : أفى القوم ابن أبي قحافة ؟ .

قال : لا تجيبوه . فقال : أفى القوم ابن الخطاب ؟ ثم قال أبو سفيان - إن هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا . فلم يملك نفسه ، فقال : كذبت يا عدو الله ، أبقي عليك الله ما يخذلك . . . » .

[البخارى - كتاب المغازى - ح : ٤٠٤٣ ، وطرفة ٣٠٣٩] .

(٢) ربعت : من الروع وهو الفزع وأجفل : انزعج .

(٣) هؤلاء هم المنافقون الذين رجع بهم عبد الله بن أبي بن سلول إلى المدينة وكانوا ثلاثمائة رجل ، وكان جيش المسلمين كله في هذه الغزوة ألف رجل . وقد بقى من المنافقين قوم آخرون فى أحد لم يتبعوا ابن أبي . قالت طائفة منهم : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا فنزلت ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي يُبُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ [آل عمران : ١٥٤] الآية وقال بعضهم : لو كان نبياً ما قتل فارجعوا إلى دينكم الأول وفي ذلك أنزل الله ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] وقال جماعة : ليت لنا رسولا إلا عبد الله بن أبي ليأخذ لنا أمائاً من أبى سفيان ، يا قوم إن محمداً قد قتل فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم . والظبي : السيوف ، والعوالي : الرماح .

(٤) لما رجع من رجع إلى المدينة لقيتهم أم أيمن حاضنة النبى ﷺ ، وجعلت تحشو التراب فى وجوههم وتقول لبعضهم : هاك المغزل فاغزل به . وهلم سيفك - أى أعطنيه . [الرحيق المختوم : ٢٩١] .

أمن ربكم يا قوم تبغون مهربا فيا ويحكم إذ تتقون الأعاديا
 ألا فانصروا الدين القويم وجاهدوا جهادا يرينا مصرع الشرك داميا
 فمن خاف منكم أن يعود إلى الوغى فذا مغزلى ، وليعطنى السيف ماضيا
 لك الخير ، لو تدرين ما قال معتب لأرسلت شؤبوبا من الدمع هاميا (١)
 جزى الله ما قدمت يا أم أيمن من الخير تقضين الحقوق الغواليا (٢)
 تطوفين بالجرحي ، تواسين شاكيا يمجُّ دمًا منهم ، وتسقين صاديا (٣)
 سعى بك من إيمانك الحق دائب يفوت المدى الأقصى إذا جدَّ ساعيا

(١) قيل : إن معتب هذا هو الذى قال : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا .
 والشؤبوب : الدفعة من المطر ، وهاميا : سائلا .

(٢) هى بركة ابنة ثعلبة ، ورثها الرسول ﷺ عن أبيه - وفى أقوال عن أمه - اعتقها حين تزوج خديجة بنت خويلد ، تزوجت من عبيد بن زيد من بنى الحارث بن الخزرج . فولدت له أيمن ، وقتل عبيد يوم حنين ، فتزوجت زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبى مولى خديجة بنت خويلد . وكانت قد وهبته إلى رسول الله - ﷺ - فأعتقه . وولدت له أسامة . قال محمد بن عمر . وقد حضرت أم أيمن أحدا . وكانت تسقى الماء وتداوى الجرحي ، وشهدت خيبر . وتوفيت فى أول خلافة عثمان . [سير أعلام النبلاء للذهبي ٢/٢٢٣ وما بعدها - الإصابة لابن حجر ٨/ ١٧٠ ، الطبقات : ١٠/ ٢١٢ وما بعدها] .

(٣) كانت أم أيمن من جملة نساء المؤمنين اللاتي كن يسقين الجرحي فى هذه الغزوة وعدتهن أربع عشرة امرأة ، ومنهن عائشة وفاطمة بنت النبى ﷺ ، وأم سليم ، وأم عمارة المازنية عن النبى - ﷺ - قال عن أنس : « ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر ، وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدَم سوقها تنقران القرب على متونها تفرغانه فى أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملأنها ، ثم تجيئان تفرغانه فى أفواه القوم ، ... » [البخارى : ح : ٢٩٠٢ - ٢٨٨٠ - ٣٨١١ - ٤٠٦٤] ، يميج : يسيل ، والصادى : العطشان .

عجبت لمن يرميك ماذا بدا له ؟ أطاشت يده ، أم رمى منك غازيا (١)
 ألم ير هنداً يرحم السيف ضعفها فيصدف عنها وإفر البر وافيا ؟ (٢)
 تورّع عنها مؤمن ليس دينه كدين حباب ، به كان غاويا
 جزاه بها سعد إساءة ظالم فأمسى رسول الله جذلان راضيا
 وإذا أنزل الله النعاس فأمسكت جوانح لولا الله ظلت نوازيا (٣)
 كذلك إيمان النفوس إذا رست قواعده أمست ثقالا رواسيا
 ينام الفتى ، والموت يلمس جنبه ويرجع عنه واهن الظفر واهيا (٤)
 بجانبه حتى إذا جاء يومه فأبعد شيء أن يرى منه ناجيا
 فما استطعت فاجعل من يقينك جنة كفى ييقين المرء للمرء واقيا
 هوت من عيون الهاجعين سناتها ولاحت عيون الحرب جمرًا روانيا

(١) رماها حبان بن العرقه وهى تسقى الجرحى بسهم فأصابها فوقعت وانكشفت فأغرق في الضحك ، وشق ذلك على النبي ﷺ فدفع إلى سعد بن أبى وقاص سهمًا لا نصل له وقال : « ارم به » فوقع السهم فى نحر حباب فوق مستلقيا حتى بدت عورته فضحك رسول الله - ﷺ - حتى بدت نواجذه [السيرة الحلبية : ٢٢/٢ - الرحيق المختوم : ٢٩١]. قال النبي ﷺ ، « استقاد لها سعد ، اللهم استجب لسعد إذا دعاك » ، فكان مجاب الدعوة .

(٢) هند زوج أبى سفيان - إشارة إلى ما كان من أمر أبى دجانة معها حين أراد ضربها وهو يظنها رجلا فولولت فعرفها وعف عنها ، ويصدف عنها يميل .

(٣) أنزل الله النعاس على المؤمنين تثبيتاً لهم ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنًا نُعَاسًا يَفْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ [آل عمران : ١٥٤] الآية فهو خاص بالمؤمنين دون المنافقين ، عن الزبير بن العوام روى قال : لقد رأيتنى مع رسول الله ﷺ يوم أحد حين اشتد علينا الخوف وأرسل علينا النوم فما منا أحد إلا وذقته فى صدره . النوازي : النوازع ، أو التى تثب .

(٤) وهن وهى معناهما ضعف .

وهبَّ أمير الغيل يدفع دونه ويولع بالفتك الليوث الضواريا (١)
 يزلزل أبطال الكريهة مقدما ويصرعهم في حومة البأس ، داميا
 توالى جراحات الكتوم فأسأرت بهم أثرا من ساطع الدم باديا (٢)
 تضنُّ بنجواها وتكتم صوتها ليخفى من الأسرار ما ليس خافيا
 تظلُّ شظاياها تطاير حوله وللرمي ألهب يواليه حاميا (٣)
 هو القائد الميمون ، ما خاض غمرة فغادرها حتى يرى الحق عاليا
 أبا طلحة انظر كيف يرمى وجاره قضاء على القوم المناكيد جاريا
 ويأسعد لا ترفق بقوسك وارمها سهامًا أصابت من يد الله باريا (٤)

(١) أمير الفيل : الرسول الأعظم ﷺ . الليوث الضوارى هى الأسد والمراد الشجعان من أصحابه .

(٢) الكتوم : قوس النبی ﷺ . وأسأرت : بمعنى أبطت .

(٣) الألهب : الاجتهاد فيما هو الشأن . وهو من الفرس العدو حتى يثير الغبار أو يخرج من حافره نار ، وقيل : إنه جمع اللهب وهو الغبار الساطع .

(٤) سعد بن أبى وقاص قال : اجلسنى رسول الله ﷺ أمامه فجعلت أرمى وأقول : اللهم سهمك فارم به عدوك ، ورسول الله يقول : «اللهم استجب لسعد ، اللهم سدد رميته وأجب دعوته» ، حتى إذا فرغت من كنانتي نثر ما فى كنانته - قيل إن سعدا رمى فى ذلك اليوم ألف سهم ورسول الله يقول له عند كل سهم : «إرم فداك أبى وأمى» ، وكان الرسول ﷺ يفتخر به ويقول : «سعد خالى فليرنى امرؤ خاله» - كان من بنى زهرة قوم أمة آمنه . عن هاشم بن هاشم السعدى قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : سمعت سعد ابن أبى وقاص يقول نكل لى النبی ﷺ كنانته يوم أحد ، فقال : ارم فداك أبى وأمى [البخارى ، ح : ٣٧٢٥ و ٤٠٥٥] .

(*) وعن ابن شداد قال : سمعت عليا يقول : « ما سمعت النبی ﷺ يجمع أبويه لأحد غير سعد [البخارى ح : ٢٩٠٥ و ٤٠٥٨] .

(*) وعن أبى عثمان قال : لم يبق مع النبی ﷺ فى بعض تلك الأيام التى قاتل فيهن رسول الله ﷺ غير طلحة وسعد عن حديثهما . [البخارى : ٣٧٢٢ و ٤٠٦٠ - مسلم ح : ٢٤١٤] .

ودونك فاضرب يا سهيل نحورهم ودعنى أصف للذس تلك المرائيا (١)
وعينك فاحمل يا قتادة عائداً بمن لا ترى من دونه لك شافيا (٢)
ألا لَيْتَنِي أدركت أم عمارة فألثم منها موطئ النعل جاثيا (٣)

(١) قتادة بن النعمان الأوسى ، بايع النبي ﷺ على الموت فى أحد وثبت معه حتى انكشف الناس عنه . وهو من المشهورين بالرماية .

(٢) قتادة بن النعمان الأوسى ، قال : كنت تقى السهام بوجهى دون وجهه ﷺ فكان آخرها سهمان ندرت معه حدقتى فأخذتها يدي وسعيت بها إليه فلما رآها فى كفى دمعت عيناه وقال : «اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك» ، وردّها إلى موضعها وقال : «اللهم اجعلها أحسن عينيه وأحدهما» فكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى . وهو : ابن زيد بن عامر ابن سواد بن ظفر ، وأمه أنيسة بنت قيس بن عمرو بن عبيد بن مالك بن عمرو بن عامر ابن غنم بن عدى بن النجار من الخزرج ، وكان يكنى أبا عمر . وقيل أب عبد الله . شهد العقبة مع السبعين من الأنصار ، وشهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها مات سنة ثلاث وعشرين وهو يومئذ ابن خمس وستين رضى عليه عمر بن الخطاب .

[تهذيب الكمال : ٢٣ / ٥٢٠ ، سير أعلام النبلاء : ٢ / ٣٣١ ، الطبقات : ٣ / ٤١٨ و ٤١٩] .

(٣) أم عمارة المازنية واسمها نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مندول بن عمر بن غنم من بنى مازن بن النجار . وأمها الرباب بنت عبد الله بن حبيب بن زيد بن ثعلبة بن زيد مائة بن حبيب بن عبد حارثة بن غَضْب بن جُشْم بن الخزرج . وهى أخت عبد الله بن كعب . شهدت عقد النبي ﷺ - والبيعة له ليلة العقبة . زوج زيد بن عاصم ، قالت : خرجت يوم أحد لأنظر ما يصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء أسقى به الجرحى فأنتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو فى أصحابه والدولة والريح للمسلمين فلما انهزموا انحزرت إليه فقامت أباشر القتال ، وأدْبُ عنه بالسيف وأرمى بالقوس حتى جرحت ، جرحت اثنتى عشر جرحا بين طعنة برمح ، أو ضربة بسيف . ورؤى على عاتقها جرح أجوف له غور فقيل لها : من أصابك بهذا ؟ قالت : ابن قمئة . لما ولى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول : دلونى على محمد فلا نجوت إن نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير فضربنى هذه الضربة وضربته ضربات ولكن عذر الله كان عليه درعان ، قال النبي ﷺ : «ما التفت يمينا ولا شمالا يوم أحد إلا رأيتها تقاتل دونى» [أورده الواقدي ص ٢٦٨ وما بعدها - وانظر الإصابة : ٨ / ٢٦٥ . وكان زوجها فى غزوة أحد : غزوة بن عمرو ، ومعها ابنها : عبد الله وحبيب] .

وأشهد من حول النبی بلاءها
وأجعل من وجهی وقاء لوجهها
ویالیت أنى قد حملت جراحها
تفیض على الجرحى حنانا ، وتصطلى
كذلك كان المسلمون وهذه
إذا الحادثات السود عباً عابها
مناقب للدنيا العریضة هزة
لها من معانى الخلد كلٌ بدیعة
ووا أسفى إن لم تجد من شیوخهم
إذا ما رأیت الهدم للقوم دیننا
وأنشدها فى الله هذى القوافیا
إذا ما رماها مشرك من أمامیا
وكنت لها فى المأزق الضنك فادیا
من الحرب ما لا یصطلى اللیث عادیا
سجایا اللواتى كن فیهم دراریا
كففن البلیا ، أو كشفن الدیاجیا
إذا ذكرت ، فلیشد من كان شادیا
فیالیت قومى یفهمون المعانی
حفیظا یلقأها ، ولم تُلَف واعیا
فوارحمتا فیهم لمن كان بانیا (١)

* * *

عبد الله بن جحش رضى الله عنه (*)

هو من أعظم أبطال غزوة أحد ، استشهد فيها على يد أبى الحكم ابن الأخنس بن شريق الذى قتل كافراً قبل انتهائها ، وكان عبد الله من جملة الشهداء الذين مثل بهم المشركون ونساؤهم ، ومن حديثه أنه دعا على نفسه قبل الغزوة فقال : فعن سعيد بن المسيب ، قال أن رجلاً سمعه يقول قبل يوم أحد : اللهم إذا لاقوا هؤلاء غداً فإنى أقسم عليك لما يقتلونى ويُبْقروا بطنى ويجدعونى ، فإذا قلت لى : لم فعل بك هذا ؟ فأقول اللهم فيك . فلما التقوا فعلوا ذلك به . [أسد الغابة : ٣ / ١٩٤ ، الإصابة : ٤ / ٣٥ ، الطبقات : ٣ / ٨٤] .

أبشر ، فذلك ما سألت قضاء رب هداك ، فكنت عند هداه
أثرته ورضيت بين عباده من صالح الأعمال ما يرضاه
قتلوك فيه تردُّهم عن دينه صرعى وتمنع أن يباح حماه
وبغوا عليك فعذبوا الجسد الذى ما للكرامة والنعيم سواء
هى دعوة لك ما بسطت بها يداً حتى تقبل واستجاب الله
ولقد رأيت حمى الجهاد فصف لنا ذاك الحمى القدسى كيف تراه ؟
ماذا جزاك الله من رضوانه وحباك فى الفردوس من نعماه ؟
ماذا أعبد لكل برٍّ متَّقٍ غوت النفوس فما أطاع هواه ؟

(*) هو ابن رباب بن يَعْمَر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمه ، ويكنى « أبا أحمد » . وأمه : أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي . أسلم قبل دخول رسول الله - ﷺ - دار الأرقم . هاجر إلى احبشة المرة الثانية . قتله فى أحد أبو الحكم بن الأخنس بنشرى الثقفى ، ودفن وحمة - خاله - فى قبر واحد . وكان ابن بضع وأربعين سنة . وولى تركته لرسول الله - ﷺ - فاشترى لابنه مالا بخير . [الطبقات : ٣ / ٨٤] .

أرأيت عبد الله كيف بلغته شرقاً مدى الجوزاء دون مداه ؟ (١)
دمك المظهر لو أُتيح لهالك أعيا الأساة شفاؤه لشفاه (٢)
صوت يهيب لكل شعب غافل طوبى لمن رزق الهدى فوعاه
معنى التفوق فى الحياة ، فمن أبى إلا الصدود فما درى معناه
الأمر رهن الجدد ، ليس بنافع قول الضعيف ، لعله وعساه
تشقى النفوس ، ولا كشقوة خاسر لا دينه استبقى ولا دنياه
والمرء يرغب فى الحياة وطولها حتى يكون الموت جُلّ مناه

* * *

أوتيت نصرّاً يا محمد ساطعاً يبقى على ظلم العصور سنه (٣)
لك من دم الشهداء بأس لم يقم فى الأرض دينك عاليّاً لولاه
ما تنقضى لإمام حقّ قوة إلا تزيد على الزمان قواه

* * *

(١) الجوزاء : نجم فى السماء .

(٢) الأساة : جمع آس وهو الطبيب .

(٣) السنّا : الضوء .

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

هذا إمام الدين فى أعلامه
يحمى حقيقته بقوة بطشه
شيخ الجهاد يود كل مجاهد
على اللواء يقيمه بحدوده
المصلحون على الزمان سيوفه
عرفوا الجهاد به ، ومنه تعلموا
غضبت قريش أن جفا أصنامها
يغزو فوارسهم ويقتل جمعهم
ويرى المحجة كل غاى منهم
ويتوب جاهلهم إلى دين الهدى
دلفوا إليه ، وظن أكذبهم منى
أكذاك ينخدع الغبى وهكذا
مهلا أبى لقد ركبت عزيمة

والدين معتصم ببأس إمامه
ويصون بيضته بحد حسامه
لو كان يدعى فى الوغى بغلامه
ويُبَيِّن المأثر من أحكامه
وجنوده فى حربه وسلامه
ما صح من دستوره ونظامه
ووفى بعهد إلهه وذمامه
حتى يدين مرامهم لمرامه
فيكف عن طغيانه وعُرامه
والنور من دين العمى وظلامه
أن قد سقته يداه كأس حمامه
يتخبط المفتون فى أوهامه
وأردت صرحاً لست من هدامه (١)

(١) أبى بن خلف ، أقبل يقول: أين محمد ، لا نجوت إن نجا ، فاعترضه رجال من المسلمين فأمرهم النبى ﷺ أن يخلوا طريقه وتناول حربة من بعض أصحابه (الحارث بن الصمة . أو الزبير بن العوام) فخدشه بها فى عنقه خدشاً كبير احتقن الدم فقال : قتلنى والله محمد فقالوا: ذهب والله فؤادك - أو ذهب والله عقلك - إنك لتأخذ السهام من أضلاعك فترمى بها فما هذا ؟ والله ما بك من بأس ، إنما هو خدش لو كان بعين أحدنا ما ضره . فقال : واللات والعزى لو كان هذا الذى بى بأهل ذى المجاز - سوق من أسواق الجاهلية كان عند عرفة - أو لو كان بريعة ومضر - أو بأهل الأرض . لما توا - كان يقول =

صَرح بِنَاهُ اللهُ أَوَّلَ مَا بَنَى
 لَا يَبْلُغُ الْبَانِي ذِرَاهُ ، وَلَا يُرَى
 مَهْلًا أَبَى فَإِنْ جَهِلْتَ مَكَانَهُ
 أَقْدَمَ فَخَذَهُ طَعْنَةً مِنْ بَاسِلٍ
 تِلْكَ الْمَنِيَّةُ يَا أَبَى سُقَيْتِهَا
 خَدَشَ كَوَقَعَ الظُّفْرُ ، أَوْ هُوَ دُونَهُ
 أَبَى أَيْنَ الْعُودُ وَالْعَلْفُ الَّذِي
 أَذْهَبَ لَكَ الْوِيلَاتُ مِنْ مَتَمَرِدٍ
 لَكَ مِنْ قَتِيلِ الْكَبْشِ أَشَامُ صَاحِبِ
 أَخَذَ النَّبَى بِضَرْبَةٍ كَانَتْ لَهُ
 وَلَمَنْ تَقْدَمُ فَوْقَ صَهْوَةِ عَائِرٍ
 هُوَ فِي الْحَفِيرَةِ دُونَ حَصْنِ مُحَمَّدٍ

وَأَطَالَ مِنْ عَرْنِينِهِ وَسَنَامِهِ
 فِي الدَّاعِمِينَ بِنَاءَهُمْ كِدْعَامِهِ
 فَانْهَضَ إِلَيْهِ إِنْ اسْتَطَعْتَ وَسَامِهِ
 يَغْتَالُ عِزْمَ الْلَيْثِ فِي إِقْدَامِهِ
 فَانْظُرْ إِلَى السَّاقِي وَرَوْعَةِ جَامِهِ
 لَمْ تَشْتَكِ وَتَضْجُ مِنْ آلامِهِ ؟
 أَعْدَدْتَهُ وَجَعَلْتَهُ لَطْعَامِهِ ؟
 عَادَى إِلَهُهُ وَلَجَّ فِي آثَامِهِ
 يُلْقَى إِلَى غُولِ الرَّدَى بِزَمَامِهِ (١)
 حَتْفًا يَمِزُقُ لَحْمَهُ بِعِظَامِهِ
 أَشَقَى وَأَخِيبَ أَخَذَ بِلِجَامِهِ (٢)
 جِثْمَ الْحِمَامِ عَلَيْهِ قَبْلَ قِيَامِهِ

= للنبي بمكة : يا محمد إن عندى العود - يعنى فرساً له - أعلفه كل يوم فرقا (مكيا)
 يسع اثني عشر مداً) من ذرة سأقتلك عليه ، كان أبى من أسارى بدر ثم أطلق - مات
 وهم قافلون به إلى مكة بسرف - وقيل ببطن رابغ - لم يقتل النبي ﷺ أحداً بيده الشريفة
 قبل أبى ولا بعده .

(١) هو ابن قمئة . خرج إلى غنمه بعد الواقعة فوافاها على ذروة الجبل فأخذ يعترضها .
 وشد عليه كبشها فنطحه نطحة أداره بها من شاطئ الجبل فتقطع - وفي رواية - فسلط الله
 عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى جعله قطعة قطعة .

(٢) هو عثمان بن عبد الله بن المغيرة - أقبل على فرس أبلق وعليه لامة كاملة قاصداً رسول
 الله ﷺ وهو متوجه للشعب قائلاً : لا نجوت إن نجا فوقف الرسول الكريم ﷺ وعثر
 بعثمان فرسه في إحدى الحفر فمشى إليه الحارث بن الصمة فقتله وأخذ درعه ومغفره .
 وأقبل عبيد الله بن جابر العامري يعدو فضربه الحارث فجرحه . واحتمله أصحابه فوثب
 أبو دجانة وذبحه .

ألقى القضاء عليه من أثقاله مترامياً ينصبُّ في أجرامه (١)
أرداه بآبن الصِّمَّةَ البطل الذي أعيأ الردى المحتال فضُّ صمامه (٢)
يغشاه سيف العامري فيثني ودم الجريح يبسُ حرَّ أوامه (٣)
سلمت يداك أبا دجانة من فتى وسُمُ المنية من حلَّى صمصامه
أحسنْتَ ذبح المشركين فأشبهوا ما يذبح الجزار من أنعامه
ياويلهم إذ يقذفون نبيهم بحجارة تهوى هوى سهامه (٤)

(١) أجرامه : جمع جرم بكسر الجيم ، فهي تعنى الأجسام الثقيلة .

(٢) صمامه : صمام القارورة ونحوها سدّادها ، وهو هنا على الاستعارة .

(٣) الأوام : العطش الشديد ، وقيل : هو حر العطش .

(٤) لم يبق مع الرسول ﷺ سوى اثنين من القرشيين ، ولم يتوان المشركون في انتهاز الفرصة

فرماه « عتبة ابن أبي وقاص » بالحجارة ، فوقع لشقه وأصيبت رباعيته اليمنى السفلى ،

وكلمت شفته السفلى وتقدّم إليه « عبد الله بن شهاب الزهري » فشجّه في جبهته ،

وجاء « عبد الله بن قَمَته » فضرب على عاتقه بالسيف ضربة عنيفة شكا لأجلها أكثر من

شهر ، إلا أنه لم يتمكّن من هتك الدرعين ، ثم ضرب على وجته ﷺ ضربة عنيفة

كالأولى ، حتى دخلت حلقتين من حلق المغفر في وجته . وقال : خذها وأنا ابن قَمَته

فقال رسول الله وهو يمسح الدم من وجهه : أقمأك الله . وقد استجاب الله . فعن ابن

عائذ أنّ ابن قَمَته انصرف إلى أهله فخرج إلى غنمه فوافها على ذروة جبل ، فدخل

فيها ، فشدّ على تيسها ، فنطحه نطحه أرداه من شاطئ الجبل ، فتقطع [فتح الباري :

٣٧٣/٧] وعند الطبراني : فسَلَطَ الله عليه تيس الجبل فلم يزل ينطحه حتى قَطَعَهُ قِطْعَةً

قطعة [فتح الباري : ٣٦٦/٧] وفي الصحيح أنه - ﷺ - كُسِرَتْ رباعيته ، وشُجَّ في

رأسه ، فجعل يَسْلُتُ الدم منه ، ويقول : « كيف يفلح قوم شجّو وجه نبيهم ، وكسوا

رباعيته ، وهويدهوهم إلى الله . فأنزل الله عزّ وجل ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ

عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٨] . وفي رواية الطبراني ، أنه قال : اشتد

غضب الله على قوم دموا وجه رسوله [ثم مكث ساعة ، ثم قال : اللهم اغفر لقومي

فإنهم لا يعلمون . انظر : [فتح الباري : ٣٧٣/٧ ، الرحيق المختوم : ٢٨١ ، مسلم :

باب غزوة أحد ، ح : ١٧٩٠ و ١٧٩١ و ١٧٩٢ ، البخاري ؛ ح : ٤٠٦٩ و ٤٠٧٠

و ٤٥٥٩ و ٧٣٤٦] .

كسروا عوارضه وشجوا وجهه
يجرى الدم المدرار من متهلل
لا يعجب الكفار من مسفوحه
ما ظنهم بالله يؤثر عبده
لن يستطيع سوى الضلالة مذهباً
لم يخذلوه ولم تفته كرامة
صبرُ المشمر للجهاد على الأذى
هذا مقام محمد في قومه
القادة الهادون من أتباعه
الله أرسله طبيباً شافياً
الأمر بان ، فأين يلتمس الهدى
ركبُ النبي إلى المدينة عائد

من كل غارٍ جدّ في إجرامه
طلق المحيّا في الوغى بسّامه
فلقد جرى من قبل في إلهامه
بالبالغ الموفور من إنعامه ؟
من ليس بالمصروف عن أصنامه
هم عند نصرته ، وفي إكرامه
خلق يتمّ المجد عند تمامه
هل لامرئ في الدهر مثل مقامه ؟
والسادة البانون من خدّامه
للعالم الوحشى من أسقامه
من ضلّ بين حلاله وحرامه ؟
يمشى به جبريل في أعلامه (١)

(١) لما انتهت الواقعة ركب النبي ﷺ فرسه عائداً إلى المدينة والمسلمون حوله . وكان أكثرهم جرحى ، فلما كانوا بأصل أحد قال لهم « اصطفوا حتى أثنى على ربى عز وجل » ، فوقفوا صفوفاً ووقف النساء خلفهم وقال : « اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت . ولا باسط لما قبضت ، ولا هادى لمن أضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا معطى لما منعت ولا مانع لما أعطيت ، ولا مقرب لما أبعدت ، ولا مبعد لما قربت اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك » اللهم أنى أسألك النعيم المقيم الذى لا يحول ولا يزول ، اللهم إنى أسألك العون يوم العيلة ، والأمن يوم الخوف ، اللهم إنى عائذ بك من شر ما أعصتنا ، وشر ما منعنا ، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه فى قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين ، اللهم توفنا مسلمين ، وأحيينا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ، ويصدون عن سبيلك ، واجعل عليهم رجزك وعذابك ، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب ، إله الحق .

[رواه البخارى فى الأدب المفرد ، ح : ٦٩٩ والإمام أحمد فى مسنده : ٤٢٤/٣ ، =

يتوسط الجرحى تسيل دماؤهم
ويمدُّ فوق المؤمنين جناحه
أدين مسنون الجهاد ، وذقن فى
شمت اليهود وأرجف النفر الألى
قالوا ، أصيب محمد فى نفسه
ما تلك منزلة النبى ، فإنما
جلت مطالبه ، فراح يريده
لو أن قتلى الحرب كانوا عندنا
هاجوا من الفاروق غضبة واثق
فدعا : أيترك رأس كل منافق
قال النبى : وكيف تقتل مسلما
صلى عليك الله من متحرج
سمح الشريعة والحلال مسدد

فوق الحصى من خلفه وأمامه
يقضى لهن الحق من إعظامه
وهج الجلاد الحق حرَّ ضرامه
طبع النفاق قلوبهم بختامه
ورجاله ، وأصيب فى أحلامه
يؤتى النبى النصر عند صدامه
ملكا يدوم جلاله بدوامه
ما هدَّ هالكهم ذوى أرحامه
بالله لا يصغى إلى لوأمه
فى القوم يؤذينا بسوء كلامه ؟
أفما تخاف الله فى إسلامه ؟
جمُّ الأناة يعف عن ظلامه (١)
فى نقضه للأمر أو إبرامه

* * *

= والرحيق المختوم : ٢٩٥] .

ولما وصل المسلمون إلى المدينة أظهر اليهود والمنافقون الشماتة والسرور . وكان من سىء ما قالوا : ما محمد إلا طالب ملك ما أصيب بمثل هذا نبى قط ، أصيب فى بدنه وأصيب فى أصحابه ، لو كان الذين قتلوا عندنا ما قتلوا . فقال عمر للنبى ﷺ : أتأذن لى فى قتل هؤلاء المنافقين ؟ قال : دأليس يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله ، إنى نهيت عن قتل المسلمين » .

(١) تحرج : جانب الحرج . وهو الإثم .

غزوة حمراء الأسد

هو مكان على ثمانية أميال من المدينة ^(١) ، وكان الخروج إلى هذه الغزوة يوم الأحد سادس عشر شوال فى السنة الثالثة من الهجرة ، على أثر رجوع المسلمين من غزوة أحد ، دعا إليها النبى ﷺ بعد صلاة الصبح ، وأمر ألا يخرج معه أحد ممن تخلف عن أحد ، وكانت جراحه وجراح الذين أصيبوا معه فى هذه الغزوة لا تزال كما كانت ، فلم يتخلف أحد منهم ، وسبب الخروج إلى حمراء الأسد أن عبد الله بن عمرو المزنى جاء إلى الرسول الكريم وأخبره أن أبا سفيان يريد الرجوع إلى المدينة بمن معه ليستأصل من بقى من أصحابه ، وأن المشركين يحرضونه على القتال ولما بلغ المسلمون حمراء الأسد أقبل معبد بن أبى معبد الخزاعى إلى رسول الله ﷺ فأسلم فأمره أن يلحق بأبى سفيان فيخذه ، ولما رجع . . . ، ولما رجع معبد الخزاعى من عند النبى ﷺ إلى أبى سفيان بالروحاء وصف له بأس المسلمين وقوة جيشهم ، ثم نهاه عن القتال ، فانصرف خائفاً إلى مكة ^(٢) .

أقبلوا أو فاتقوا سوء المرد ربض الموت بحمراء الأسد ^(٣)
 غاظكم أن لم تنالوا مأرباً فتمادى الغيظ واشتد الحسد ^(٤)
 كيف ينجو من رمى من قومكم كل جبار ، فأمسى قد همد
 لم لا تُزجى السبايا ، فترى مردفات تشكى مما تجد ^(٥)

(١) معجم البلدان: ٣٤٦/٢ .

(٢) قال معبد بن أبى معبد الخزاعى لأبى سفيان : محمد وأصحابه قد تحرقوا عليكم ، وخرجوا فى جمع لم يخرجوا فى مثله . وقد ندم من كان تخلف عنهم من أصحابهم . فقال : ما تقول؟ فقال : ما أرى أن ترتحل حتى يطلع أول الجيش من وراء هذه الأكمة فقال أبو سفيان : والله لقد أجمعتنا الكرة عليهم لنستأصلهم . قال : فلا تفعل ، فإنى لك ناصح . فرجعوا على أعقابهم إلى مكة .

[ابن القيم الجوزية - فقه السيرة ص ١٩١] .

(٣) ربض : أقام .

(٤) المأرب : الحاجة .

(٥) المردفات : المحمولات خلف الراكب .

لا تدعها يا ابن حرب جذوة تتلظى من قريش في الكبد (١)
يا ابن حرب أطمئ النار التي شبهها أبطال بدر وأحد
كل حرب خمدت نيرانها منذ حين . وهى حرى تتقد
لا تطلع صفوان وانبذ رأيه لا تطعه مرشداً يأبى الرشد (٢)
ارجعوا ، فاستأصلوا أعداءكم تلك عز الدهر ، أو مجد الأبد

(١) يقصد سفيان بن حرب .

(٢) هو صفوان بن أمية ابن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمح ، وأمه : صفية بنت معمر ابن حبيب بن وهب ابن حذافة بن جُمح ، نهى أبا سفيان ومن معه عن الحرب ، وقال : يا قوم لا تفعلوا فإنى أخاف أن يجمع عليكم محمد من تخلف عن الخروج إلى أحد ، فارجعوا والدولة لكم ، إني لا آمن إن رجعتم أن تكون الدولة عليكم ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال : « أرشدكم صفوان وما كان برشيد » . « حدث مالك بن أنس عن ابن شهاب : أنه بلغه أن نساء كن في عهد النبي ﷺ - يُسلمن بأرضهن غير مهاجرات وأزواجهن حين أسلمن كفار . منهم ابنة الوليد بن المغيرة وكانت تحت صفوان بن أمية ، فأسلمت يوم الفتح ، وهرب زوجها صفوان من الإسلام . فبعث له الرسول - ﷺ - ابن عمه وهب بن عمير برداء الرسول ﷺ أماناً لصفوان ودعاء إلى الإسلام ، وأن يقدم عليه . فإن رضى أمراً ، وإلا سيره شهرين . فلما قدم صفوان على الرسول - ﷺ - بردائه ناداه على رؤوس الأشهاد ، فقال : يا محمد إن هذا وهب بن عمير جاءني بردائك ، يزعم أنك دعوتني إلى القديم عليك ، فإن رضيت أمراً وإلا سيرتني شهرين . فقال رسول الله - ﷺ - انزل أبا وهب . قال : لا والله لا أنزل حتى تبين لي ، فقال بلى لك تسير أربعة أشهر ، فخرج الرسول - ﷺ - قبل هوازن بحنين فأرسل إلى صفوان يستعيره أداة وسلاحاً كان عنده ، قال صفوان : طوعاً أو كرها . قال : بل طوعاً . فأعاره السلاح والأداة التي كانت عنده . وخرج صفوان مع الرسول - ﷺ - وهو كافر . فشهد حنيناً والطائف وهو كافر ، وامرأته مسلمة ، فلم يفرق رسول الله - ﷺ - بينه وبين امرأته ، حتى أسلم صفوان واستقرت امرأته عنده بذلك النكاح .

مات صفوان في خلافة معاوية . ولم يغز مع رسول الله .

[الاستيعاب لابن عبد البر : ٧١٩ ، سير أعلام النبلاء : ٥٦٥/٢ ، المغازي للواقدي :

٨٥٣ ، الطبقات : ١١١/٦] . .

- حاربوا الله ، وزيدوا شططاً
حاربوه ، وانصروا أصنامكم
يا ابن عمرو هات من أنبيائهم
لك أذن من رسول الله فى
شاوّر الصديق فيهم ودعا
إنها الهيجاء يا خير الورى
ارفع الصوت ، وأذن بالوغى
أدع من خاض المنايا ، واصطلى
- إنها فتنه فيمن جحد (١)
لا تبالوا من قواه ما حشد (٢)
ما رأيت عينك من هزل وجد (٣)
حد غضب يتقّيه كل حد (٤)
يسأل الفاروق ما رأى الأسد ؟ (٥)
مالنا منها ، ولا للقوم بد (٦)
يا بلال الخير أذن واقتصد (٧)
جذوة الأمس ، وأمسك لا تزدد

* * *

- نفر القوم خفاً ما ونى منهم الجرحى ، ولا استعفى أحد (٨)

- (١) الشطط : الجور .
(٢) حشد : جمع .
(٣) قال عبد الله بن عمرو المزنى للنبي ﷺ : إنه سمع المشركين يقولون لأبى سفيان : لا محمداً ولا الكواعب أردفتن ، بش ما صنعتن أرجعوا .
(٤) الغضب : السيف القاطع .
(٥) دعا النبي أبا بكر وعمر ، وحدّثهما بما قال عبد الله بن عمرو ليعرف رأيهما ، فقالا : يا رسول الله اطلب القوم ، لا يقتحمون على الذرية .
(٦) الهيجاء : الحرب ، والورى : الناس .
(٧) أمر النبي بلالا أن يؤذن فى المسلمين بالخروج للحرب ، وأن يقعد المتخلفون عن أحد .
قال - ﷺ - لا يخرج معنا إلا من شهد القتال . فقال له عبد الله بن أبى : أركب معك؟ قال : لا . [الرحيق المختوم : ٢٩٧ ، البداية والنهاية : ٤ / ٣٩٧ - فقه السيرة : ١٩١] .

- (٨) كان منهم الذى به تسع جراحات ، وهو أسيد بن حضير ، ومثله عقبة بن عامر ، والذى به عشر ، وهو خراش بن الصمة ، والذى به بضع عشرة جراحة . وهو كعب بن مالك وعشرون ، وهو عبد الرحمن بن عوف ، وبضع وسبعون ، وهو طلحة بن عبيد الله الذى قطعت أصبعه ، فشلت بقية أصابع يده اليسرى ، ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٧٢] ونوى : ضعف .

دعوة الحق ، استفزت جابرا
جاء يشكو : كيف يُنفى دمه
لم أغب عن أحد لولا أبى
فاز بالرضوان إذ خلفنى
ومضى قبلى شهيداً ، فأنا
أنعم الله عليه ، فشفى
سار فى الجيش ، وخلقى همه
فزت يا جابر فأنعم وابتهج

فاستفزت هبرزياً ذا لبد (١)
وهو الله يُربى ويعد ؟
يا رسول الله واجد النكد (٢)
فى قوارير كثيرات العدد (٣)
أبتغى الزلفى لدى الفرد الصمد (٤)
ما يعانى من تباريح الكمد (٥)
يصطليه من تولى وقعد
أفلح الوالد ، واستعلى الولد

ذهب السكب حثيثاً ، فأنجرد
يحمل الويل لقوم غرهم
زعموا الحق حديثاً يُفترى

يحمل البأس ، ترامى فاطرد (٦)
من ذويهم كل شيطان مُرد (٧)
ورضوا بالشرك ديناً يعتقد

(١) جابر بن عبد الله ، جاء إلى النبى ﷺ متغيثاً للخروج ، ولم يكن قد شهد أحدًا ، فقال : يا رسول الله يغما تخلفت عن أحد لأن أبى خلفنى على سبع - وقيل تسع - أخوات لى ، وقال : يا بنى إنه لا ينبغى لى ولا لك أن تترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ، ولست بالذى أوترك ساجدها مع رسول الله ، لعل الله يرزقنى الشهادة ، فتخلف على أخواتك فبقيت فيهن ، واستأثر هو بالشهادة فاذن لى يا رسول الله ، فأذن له ولم يأذن لغيره من المتخلفين . والهبرزى : الأسد ، لبد : جمع لبدة وهى شعر زبرة الأسد [الرحيق المختوم : ٢٩٧ ، البداية والنهاية : ٣٩٧/٤] .

(٢) الجد : النكد : الحظ السيء .

(٣) القوارير : كناية عن النساء .

(٤) الزلفى : القربى .

(٥) يعانى : يلاقى من آلام الحزن .

(٦) السكب : اسم فرس من خيل الرسول ﷺ خرج عليه فى هذه الغزوة وعليه الدرع والمغفر ، ولم يكن فى الجيش يومئذ فرس سواه ، وأنجرد : أسرع ومضى لا يلوى على شىء .

(٧) مرد بمعنى عتا وتكبر وجاوز الحد .

وَمَارُوا فِي النَّطَاسَى الَّذِي يَصْلَحُ الْأَمْرُ إِذَا الْأَمْرُ فَسَدَ (١)
 سَاحِرَ آتَا ، وَأَتَا شَاعِرَ مَا رَأَوْا مِنْ سَحَرِهِ ، مَاذَا قَصْدُ ؟ (٢)
 سَطَعَ النُّورُ لِمَنْ يَأْبَى الْعَمَى فَعَلَى عَيْنِيهِ يَجْنَى مَنْ يَصْدُ

مَنْ رَأَى الضَّعْفَ عَلَى الضَّعْفِ انْطَوَى فَلِذَا الْقُوَّةَ وَالْعِزْمَ الْأَشَدَّ ؟
 حَمَلَ الْجَرْحَ عَلَى الْجَرْحِ فَتَى مَوْجِعَ الْكَاهِلِ ، مَهْدُودَ الْكُتْدِ (٣)
 إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ أَشْهَدُ رَافِعًا غَزْوَةَ الْحَمْرَاءِ فِي الْقَوْمِ الشَّهْدِ
 أَلْقَاهُ عَنْ مَنْكَبٍ لَوْ مَادَ مِنْ هَضْبٍ رَضَوَى كُلَّ عَالٍ لَمْ يَمْدِ (٤)
 مَا لَحِقَ اللَّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ لَا يَبَالِي غَيْرِهِ فِيمَا اعْتَمَدَ
 إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ مَا أَصْدَقَهَا هِمَّةَ صَمَاءٍ تَأْبَى أَنْ تَهْدَ
 يَا أَبَا سَفِيَّانٍ أَنْصَتَ وَاسْتَمَعَ ثُمَّ أَنْصَتَ وَاتَّئِدَ ، ثُمَّ اتَّئِدَ
 إِنْ تَرَدَّ خَيْرًا فَهَذَا مَعْبِدُ أَوْ لَمْ يَنْبِئْكَ أَنَّ الْأَمْرَ إِذَا ؟ (٥)

(١) تَمَارَى فِي الشَّيْءِ شَكَّ ، وَالنَّطَاسَى : الطَّبِيبُ وَالْعَالِمُ وَالْمُرَادُ بِهِ النَّبِيُّ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ .

(٢) هَكَذَا كَانُوا يَقُولُونَ ، وَقَصْدُ الشَّاعِرِ وَاصِلُ عَمَلِ الْقَصَائِدِ .

(٣) الْكُتْدُ : مَجْتَمَعُ الْكَتِفَيْنِ أَوْ الْكَاهِلِ ، أَوْ هُوَ مَا بَيْنَ الْكَاهِلِ وَالظَّهْرِ ، وَالْبَيْتُ وَمَا بَعْدَهُ فِي عَبْدِ اللَّهِ وَرَافِعِ ابْنِي سَهْلٍ بَنِ رَافِعٍ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : شَهِدْتُ أَحَدًا أَنَا وَأَخِي فَرَجَعْنَا جَرِيحِينَ ، فَلَمَّا أُذِنَ بِالْخُرُوجِ إِلَى « حَمْرَاءِ الْأَسَدِ » قَالَ أَخِي : أَتَفَوْتُنَا هَذِهِ الْغَزْوَةَ وَمَا كَانَ لَنَا مِنْ دَابَّةٍ نَرْكَبُهَا ، فَخَرَجْنَا وَكُنْتُ أَخْفَ جَرَّاحًا مِنْهُ ، فَكُنْتُ أَحْمَلُهُ مَرَّةً وَأَرْسَلُهُ أُخْرَى . دَعَا لَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا انْتَهَيَا إِلَيْهِ وَقَالَ : « إِنْ طَالَ بِكُمَا الْعَمْرُ كَانَتْ لَكُمَا مَرَاقِبُ مِنْ خَيْلٍ وَبِغَالٍ وَإِبِلٍ » هُمَا ابْنَا سَهْلٍ بَنِ عَامِرٍ بَنِ عَمْرِو بْنِ جُثْمٍ بَنِ الْحَارِثِ بَنِ الْخَزْرَجِ بَنِ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ ابْنِ الْأَوْسِ ، وَأُمَهُمَا الصَّعْبَةُ بِنْتُ التَّيْهَانِ بِنِ مَالِكٍ . شَهِدَ عَبْدُ اللَّهِ بِدَرٍّ وَشَهِدَا أَحَدُ الْخَنْدَقِ . وَاسْتَشْهَدَ فِيهَا عَبْدُ اللَّهِ . .

(٤) مَادَ : اضْطَرَبَ ، وَرَضَوَى : اسْمُ جَبَلٍ .

(٥) كَانَتْ خِزَاعَةُ مَوَالِيَهُ لِلرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ ، فَلَمَّا أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ مَا أَصَابَهُمْ فِي غَزْوَةِ أَحَدٍ جَاءَهُ مَعْبِدُ الْخِزَاعِيِّ وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ لَقَدْ عَزَّ عَلَيْنَا مَا أَصَابَكَ فِي نَفْسِكَ ، وَمَا أَصَابَكَ فِي أَصْحَابِكَ . وَلَوْ دَدْنَا لَوْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْلَى كَعْبِكَ . وَإِنَّ الْمَصِيئَةَ كَانَتْ =

جمع الغازی لكم من صحبه
أنظروا النيران : هل تحصونها ؟
واسألوها ، إنها السنة
لا تريدوا من بريد غيرها
لا تظنوا أنكم أكفأؤهم
اذكروا الأبطال تهوى ، واتقوا

أرأيت الرعب يغتال القوى
رجع القوم سراعًا ، وارعوى
وتولوا فتولت أنفس
يقذف الوادى بهم قذف الحصى
غارة الله على أعدائه
سوم الأحجار ، لو صبت على
مستبدًا بالعنى المستبد ؟
عاصف الشر ، فأمسى قد ركذ
تتنزى ، وقلوب ترتعد
تبلغ الريح به أقصى الأمد
تتوالى مددًا بعد مدد
ذلك الجمع المولى لم يعد (٥)

= لغيرك ، ثم مضى إلى أبى سفيان فقال : تركت محمدًا وأصحابه قد خرجوا لطلبكم
فى جمع لم أر مثله قط . يتحرقون عليكم تحرقًا ، وأطال فى ذلك تخويفًا له ولن معه .
ثم نهاهم عن القتال فانتهوا . الأد : لأمر الفطيع والداهية .
(١) التجد : الشجاع الماضى .
(٢) كان المسلمون يوقدون كل ليلة خمسمائة نار ليظن العدو أنهم كثيرو العدد ، وكانوا دون
السبعمائة رجل .
(٣) من اللدد وهو شدة الخصومة .
(٤) البرد جمع : بريد .
(٥) أرسل أبو سفيان إلى النبى ﷺ يقول : إنهم أجمعوا على الرجعة ، فقال : « حسبنا الله
ونعم الوكيل ، والذي نفسى بيده لقد سومت لهم الحجارة ، ولو رجعوا لكانوا كأمس
الذاهب » ، وسوم الشيء جعل له علامة .

يا أبا عزة ماذا تتقى ؟ يا أبا عزة أقبل ، لا تحدد (١)
 أين تمضى ؟ كل شئ مصرع كل فج من فجاج الأرض سد
 هل رعى السيف دمًا من عابث ناكث من كل عهد ما عقد؟
 تطلب العفو ، وتهدى ضارعا بنيات ضعيفات الجلد
 أو لم يمن عليك المرتجى لذوى الضعف ، فأكثرث الفند ؟ (٢)
 تنظم الشعر ملحًا حردًا وبك خذها ضربة تشفى الحرد (٣)
 * * *

وثب العدل ، يوالى صيده وهو ظلم فاتك إن لم يصد
 أخذ الذئبين فى أنيابه ما يبالي منهما ما يزدرد (٤)
 لا تعودوا من صريعى شقوة وليعد من كل حى من سعد
 موغل فى الشر يسعى دائبًا وحقود لو تزكى ما حقد
 جباهلى زل فى إسلامه فهو من بعدما كان صعد
 * * *

(١) أبو عزة الشاعر الذى منّ عليه النبى ﷺ وهو أسير بيد فاطمة بغير فداء رحمة بيناته وقد كان عاهده أن لا يقاتله ، ولا يظهر عليه أحدًا ، فى نقض العهد ، وخرج مع المشركين فى غزوة أحد يستنفر الناس ويحرضهم على قتال النبى - فوقع أسيرًا فى هذه الغزوة ، فقال للنبى امنن على ودعنى لبناتى ، وعهدى لك ألا أعود لمثل ما فعلت . قال : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » ، وأمر بقتله .

(٢) الفند : الكذب والكفر بالنعمة .

(٣) الحرد : الغضب .

(٤) معاوية بن المغيرة بن أبي العاص ، جد عبد الملك بن مروان لأمه ، وابن عم عثمان بن عفان - والحارث بن سويد - أمر النبى ﷺ بقتل معاوية بعد رجوعه إلى المدينة لأنه كان يتتبع أخباره ويلقى بها إلى المشركين ، وكان عثمان شفع له قبل ذلك ، وأمر بقتل الحارث (وكان مسلمًا) لقتله المجذر بن زياد غدراً فى غزوة أحد ، وكان المجذر قبل إسلامه قتل أبا الحارث بأبيه .

أخطأته خطوة ، كانت له حظوة الساعى ، وفوز المجتهد
احذر العقبى ، فما يدرى الفتى أى ورد إن دعا الداعى يرد

ابتدر يا سعد فالزاد نفذ واصطناع الخير أشهى ما تود (١)
ابعث التمر على العير لها من سجايك العلى حاد غرد
تحمل التقوى ، وتمضى سمحة فى سوى ليس فيه من أود (٢)
موقرات أقبلت فى جزر تطرد العسر بيسر ورغد (٣)
ردت الجوع ، وصانت أنفسا هى لله سيوف ما ترد
لك يا سعد لديه ولها من جزاء غير نزر ما وعد (٤)

(١) سعد بن عبادة ساق إلى المسلمين فى هذه الغزوة ثلاثين بعيراً تحمل تمرًا من عنده ، وبعث معها جزرًا فنحروها وأكلوا منها . وهو ابن دُلَيْم بن حارثة بن أبى خزيمه بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة ، ويكنى أبا ثابت ، وأمه عمره بنت مسعود بن قيس بن عمرو توفى « بحوران » من أرض الشام سنة ١٥ هـ .

(٢) الأود : الإعوجاج .

(٣) موقرات : محملات ، والجزر : جمع جزور ما يذبح من الأضام ، والرغد : العيش الهانئ .

(٤) غير نزر : غير قليل .

غزوة بنى النضير

كانت هذه الغزوة فى ربيع الأول من السنة الرابعة ، وبنو النضير قوم من اليهود ، نقضوا العهود ، وذهب إليهم النبى ﷺ فى أصحابه فجلس إلى جنب جدار من بيوتهم ، فخلا بعضهم ببعض يأتمرون به ، وأراد رجل منهم يقال له : عمرو بن جحاش أن يلقي عليه صخرة من أعلى الجدار ليقتله ، فنبأه الله بذلك ، فقام من مكانه ، وقد انتهت هذه الغزوة بقهرهم ، وإجلالهم عن ديارهم .

ما الكيد ، ما الغدر هذى الأباطيل ؟	الجيش محتشد ، والسيف مسلول
بنى النضير وما تغنى معاقلكم	كفوا الأذى ودعوا العدوان ، أو زولوا
إن القتيل لمن غرته صخرته	فظن أن رسول الله مقتول (١)
جاء البريد بها حران يحمله	من رحمة الملك القدوس جبريل (٢)
ما أكذب ابن أبى إذ يقول لكم	لا تتقوا القوم ، إن النصر مكفول (٣)
أولاكم النصح سلام وأرشدكم	لو أن نصح ذوى الألباب مقبول (٤)

(١) أسلم من اليهود رجلان فى هذه الغزوة ، أبو سعد بن وهب ، ويامين بن عمير فجعل هذه الرجل عشرة دنائير من ماله على أن يقتل عمرو بن جحاش غضباً لرسول الله ﷺ فقتله .

(٢) الضمير عائد على الصخرة . أى بأمرها ، فإن الله أنبأ نبيه على لسان جبريل .

(٣) عبد الله بن أبى ابن سلول ، أرسل إليهم يقول : لا تخرجوا من دياركم ، وأقيموا فى حصونكم ، فإن معى ألفين من قومى وغيرهم من العرب . يدخلون حصونكم ويموتون عن آخرهم قبل أن يوصل إليكم ، وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان ، فطعم بنو النضير ، وأرسلوا إلى النبى أنهم يريدون القتال .

(٤) سلام بن مشكم أحد سادات اليهود ، نهاهم عن الحرب . وقال لحى بن أخطب كبيرهم متك نفك واللّه يا حى الباطل فإن قول ابن أبى ليس بشىء ، وإنما يريد أن يورطك فى الهلكة ، حتى تحارب محمداً ، فيجلس فى بيته ويتركك .

مهلاً حياً أما تنهاك ناهية
لا الحلف حق ، ولا الأنصار إن صدقوا
بنو قريظة هذ الخوف جانبهم
إن الألى جمع الليث الهصور لكم
أتطلبون دم الإسلام ؟؟ لا حكم
هل ينفع القوم إن أزرى بهم قصر
ملّوا الحياة ، وملتهم معاقلهم
يدعو كنانة محزوناً وصاحبه
يا قومنا : أرايتم كيف يخلفكم
دعوا الحصون ، وزولوا عن مساكنكم
قضى النبی فما من دون مطلبه
وليس للأمر إذا يُقضى على يده
عما أردت ، ولا يهديك معقول ؟
يغنون عنكم ، وأنى يصدق القيل ؟
والقوم من غطفان غالهم غول
لهم الحماة إذا ما استصرخ الغيل
إلا السيوف ، ويقضى الأمر عزريل
عن مركب البأس آطام بها طول ؟ (١)
كل بغيض ، وكل بعد مملول (٢)
زال الخلفاء ، وبعض القول تضليل (٣)
من كل ذى مقّة وعد ومأمول ؟ (٤)
حمّ القضاء ، وأمر الله مفعول (٥)
وسوله مطلب للقوم أو سول (٦)
بالحق من ربه رد وتحويل
* * *

تلفتوا ، ينظرون الدور شاهقة
من حولها النخل ، تحنيها العثاكيل (٧)

(١) الآطام : الحصون .

(٢) طال عليهم الحصار فى حصونهم ، فاشتد الأمر عليهم .

(٣) كنانة بن صوريا ، وسلام بن مشكم ، لما اشتد الأمر على القوم ولم يروا من ينجدهم .
جعلاً يقولان لحيى بن أخطب : أين نصر ابن أبى الذى زعمت ؟ فيقول : ماذا أصنع ؟ إنما
هى ملحمة كتبت علينا .

(٤) المقة : الحب .

(٥) حم القضاء : نزل .

(٦) أمرهم النبی ﷺ بالجلاء ، وأن يأخذوا النساء والذراري والأموال ، لا يحملون من
سلاحهم شيئاً .

(٧) العثاكيل للنخل بمنزلة العناقيد للعنب ، والشاهقة : العالية .

والماء ينساب ، والأطلال وارفة
قالوا : أيذهب هذا كله سلباً
وأقبلوا يهدمون الدور ، فاختلفت
لها على الكره فى أرجائها لغة
الروح يهتف ، والإسلام مبتهج
والزرع فى شطئه بالزرع موصول (١)
للقوم من بعدنا ؟؟ تلك العقابيل (٢)
فيها المعاول شتى والأزاميل (٣)
كما تردد فى الأسماع ترتيل
والكفر فى صعقات الهول مخبول

* * *

يا للركائب إذ تمشى مذمة
العز فى عرصات الدور مطرح
قالوا : الرحيل ، فما أصغت مثقفة
نادى الموكّل بالأدنى يعللهم
هذا الذى يرفع الدنيا ويخفضها
مواكب العار ، لا وسم الهوان بها
ما فى الهوداج ، والديباج يملؤها
وما الأساور والأقراط نافعة
والقوم من فوقها سود معازيل (٤)
والمال والحلى فى الأكوار محمول (٥)
ولا استجاب طرير الحد مصقول (٦)
وفى الأباطيل للجهدا تعليل (٧)
هيهات - ذلك إرجاف وتهويل
خاف ، ولا أثر الخذلان مجهول (٨)
للخزى ملء وجوه القوم تبديل
ولا العقود الغوالى والخلاخيل

(١) الشطء : فراخ الزرع أو ورقه .

(٢) العقابيل : ما ثبت من بقايا الداء فلم يزل .

(٣) جعلوا يهدمون الدور قبل جلائهم ، ويأخذون من خشبها وحديدها ما يقدرّون على
حمله ، والأزاميل جمع أزميل ، آلة من الحديد ينقر بها الخشب والحجر .

(٤) معازيل : لا سلاح معهم .

(٥) عرصات : جمع عرصة وهى ساحة الدار ، والأكوار : جمع كور وهو الرجل .

(٦) إشارة إلى تركهم السلاح . والمثقفة : الرماح المقومة . والطرير : الحد من السيوف
وغيرها الماضى .

(٧) هو سلام بن أبى الحقيق أحد كبارهم ، ذهب يحمل أموالهم وحليهم فى جلد جمل -
وقيل : جلد ثور - ويقول : إنا أعددنا هذا لرفع الأرض وخفضها .

(٨) خرجت النساء فى الهوداج عليهن الديباج والحريز ، وقطف الخز الأخضر والأحمر
والحلى من الذهب والفضة ، وخلفهن القيان بالدفوف والمزامير ، يتقين الشماتة .

تشدو القيان ، بأيديها معازفها وما عليها غداة الجذّ تعويل
تجلّدوا ، يتّقون الشامتين بهم لبئسما زعم القوم المهازِيل
فيم الشماتة ، هل كانوا ذوى خطر ؟ بل غال أحلامهم ظن وتخيل
لهم بخير أقدار مؤجلة وأذرعَات وللاقدار تأجيل (١)

أدركتها يا ابن وهب نعمة نصرت في القوم جدك والمغرور مخذول (٢)
تلك الوسيلة ، من تعلق بها يد ، لم يعُده من عطاء الله تنويل
وأنت يا ابن عمير زدت مرتبة وللمراتب عند الله تفضيل (٣)
أنكرت فعلة عمرو حين همّ بها فالنفس غاضبة ، والمال مبذول
رميته من بنى قيس بمقتنص يمشى الضراء ، فأمسى وهو مأكول
أتلك إذ صدقت يا عمرو ، أم حجر يرمى به الصادق المأمول إجفيل ؟ (٤)

(١) ذهب بعضهم إلى خير وبعضهم إلى ذرعات من بلاد الشام ، والمعنى أنهم مدركون في هذه وتلك إذا حان يومهم .

(٢) أبو سعد بن وهب الذي هداه الله للإسلام . [الإصابة: ١٧٢/٧ ، الطبقات: ٣٩٤/٥] .

(٣) صاحبه يامين .

(٤) الإجفيل : الجبان .

غزوات ذات الرقاع

اختلفت الروايات في شأن هذه الغزوة ، ف قيل : إنها كانت في شهر ربيع الثاني ، وقيل : في جمادى الأولى من السنة الرابعة ^(١) بعد غزوة بنى النضير ، وفي بعض الروايات أنها كانت بعد غزوة خيبر ^(٢) . وقيل في تسميتها « ذات الرقاع » : إن المسلمين نقتب أقدامهم وسقطت أظفارهم فيها ، فلفوها بالخرق ، فسموها ذات الرقاع . وقيل : إنها سميت كذلك لأنهم رقعوا راياتهم فيها ، وقيل غير ذلك . وسببها أن النبي ﷺ علم أن بنى محارب وبنى ثعلبة بن سعد ابن غطفان « بنجد » يؤلبون الجموع من غطفان لمحاربته ، فخرج إليهم في أربعمائة ، أو سيعمائة ، أو ثمانمائة من أصحابه واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري ، وقيل : عثمان بن عفان . فلما بلغ نجدًا لم يجد رجالا يقدمون على حربه ، وهمت طائفة منهم أن يوقعوا بالمسلمين عند صلاة الظهر ^(٣) ، فصلى النبي ﷺ بهم صلاة الخوف ^(٤) ، وترقبوا صلاة العصر فكانت كذلك ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ [النساء: ١٠٢] الآية ،

(١) وقيل في المحرم .

(٢) عن أبي هريرة أن « مروان بن الحكم » سأل : هل صليت مع رسول الله ﷺ - صلاة الخوف ؟ قال : نعم ، قال : متى ؟ قال : عام غزوة نجد [صحيح - أخرجه أحمد : ٣٢٠ / ٢ ، والنسائي في الكبرى كتاب صلاة الخوف في صدره : ٥٩٤ / ١ ح : ١٩٣١] . وهذا يدل على أن غزوة ذات الرقاع بعد خيبر [أنظر : فقه السير لابن قيم الجوزية ص ١٩٧] .

(٣) فلقى جمعا من غطفان ، فتواقفوا ، ولم يكن بينهما قتال .

(٤) انظر - البخاري - كتاب المغارى - باب غزوة ذات الرقاع - ح ٤١٢٥ ، ٤١٢٦ ، ٤١٢٧ .

وقال ابن عباس : صلى النبي ﷺ الخوف بـ « ذى قرد » .

ولم تنشب الحرب فى هذه الغزوة التى وقع فيها من العجائب ما جعلهم يسمونها (غزوة العجائب) وقد وجد المسلمون بعض النسوة فأخذوهن (١) .

إلى القوم الألى جمعوا الجوع إلى نجد كفى نجدا هجوعا (٢)
أبت شمس الهدى إلا طلوع ففاض شعاعها ، يغشى الربوعا (٣)

ويسطع فى جوانبها سطوعا

إلى غطفان إنهم استعدوا وظن غواتهم أن لن يهدوا
بنى غطفان جدوا ثم جدوا جرى القدر المتاح ، فلا مرد
بنى غطفان صبرا أو هلوعا (٤)

مشى جند النبى فأى جند ؟ وأين مضى الألى كانوا بنجد ؟
تولى القوم حشداً بعد حشد حذار البطش من جن وأسد
ومن ذا يشتهى الموت الفظيعة ؟

نساء الحى ، ما صنع الرجال ؟ أمكتوب عليك القتال ؟
لكن الأمن إن فزعوا فزالوا ما ومحمد وهو الشمال (٥)
لقد نلتنه حرزا منيعا

(١) فى مرجعهم ، سبوا امرأة من المشركين ، فنذر زوجها ألا يرجع حتى يهريق دما من المسلمين ، فجاء ليلا ، وقد أُرصد رسول الله - ﷺ - رجلين ريثة للمسلمين من العدو ، وهما « عباد بن بشر و عمار بن ياسر » فضرب « عبادا » وهو قائم يصلى بهم فتزعه ، ولم ييطل صلاته حتى رشقه بثلاثة أسهم ، فلم ينصرف حتى سلم ، فأيقظ صاحبه . فقال سبحانه الله ، هلا أنبهتنى ؟ . فقال : إني كنت فى سورة ، فكرهت أن أقطعها .

[عن ابن اسحاق - انظر ابن هشام فى السيرة : ١٥٩/٣] .

(٢) الهجوع : النوم .

(٣) الربوع : الأماكن .

(٤) الهلوع : الجزع .

(٥) الشمال : الغياث الذى يقوم بأمر قومه .

إليه إليه ، إن بكنّ ضعفاً وإن به لرحمةً وعطفاً
وفيه من التقى ما ليس يخفى وما حاولت ترجمةً ووصفاً
فلست لمثل ذلك مستطيعاً

نزّل الشعب من يحمى سواكاً ولكن قل : تبارك من هداكاً (١)
أترقد هامنا ، وهمو هناكاً ؟ أما من كاليّ يُرجى لذاكاً (٢)
إلى أن يبعث الله الصديعاً ؟ (٣)

ألا طوبى لعبّاد بن بشر وعمار كفاية كل أمر
رسول الله نحن لهم ويجرى قضاء الله إن طرّقوا بشر
كعهذك إذ جرى سمّاً نقيعاً (٤)

وأجرى الأمر عبّاداً سويّاً فقام ، ونام صاحبه مليّاً
وكان بأن يناصفه حريّاً محافظة على المثلى وبُقيّاً
قريع شذائد وافى قريعاً (٥)

لربك صلّ يا عبّاد فرداً وزد آلاءه شكراً وحمداً
ومحكم ذكره فاجعله ورداً فإنّ له على الأكباد برداً
وإن أذكى الجوانح والضلوعاً

ولاح سواده ، فرماه رام أنى إثر الحليلة فى الظلام (٦)
هديتك يا ابن بشر من همام أما تنفك عن نزع السهام
تحمى عن صلاتك ما تحامى وجسمك واهن الأعضاء دام ؟

(١) سبق أن ذكرنا القصة فى هامش (١) الصفحة السابقة .

(٢) الكالى : الحافظ والحارس .

(٣) الصديع : الصبح .

(٤) أى كما عهدت فى مواطن البلاء .

(٥) القريع الغالب فى المقارعة . والفحل والمختار من الرجال .

(٦) الحليلة : الزوجة .

أمالك يا ابن بشر فى السلام وقد جرت النماء على الرغام ؟ (١)
ألا أيقظ أخاك من المنام كفاك فقد بلغت مدى التمام

وما تدع القنوت ولا الخشوعا

رأى عمار خطبك حين هبّا فلم ير مثله من قبل خطبا (٢)
يقول ونفسه تنهد كربا أيدعونى الحفاظ ، وأنت تأبى ؟
فلقد كُلفتُ أمراً منك صعباً ولو أيقظتنى لشفيت قلبا
جرحت سوده جرحاً وجيعا

وأبصر شخصه الرامى الملحُّ فزلزل قلبه للربع نضح (٣)
وأمسك منه تهتان وسحُّ وما إن راعه سيف ورمح
ولكن مسه خبلٌ فريعا

تولّى يخبط الظلماء ذعراً ويحسب درعه كفناً وقبراً
ألا أدبر ، جزاك الله شراً ظفرت بصابر ، وأبيت صبراً
فأثرت الهزيمة والرجوعا

وجاء غويرث يبغى الرسولوا ويطمع أن يغادره قتيلا (٤)
كذلك قال ، يستهوى القبيل
غويرث رمت أمراً مستحيلاً

(١) الرغام : التراب .

(٢) قال عمار لعباد حين أيقظه ورأى ما به : أى أخى ، ما منعك أن توقظنى له فى أول
سهم رمى به ؟ قال : كنت أقرأ فى سورة الكهف فكرهت أن أقطعها ، ولولا أنى

خشيت أن أضيع ثغرا أمرنى به رسول الله ﷺ ما انصرفت ولو أتى على نفسى .

(٣) لما أبصر الرجل عمارةً انقلب خائفاً ، والنضح : الرمى بالنبل .

(٤) عن جابر « أنه غزا مع رسول الله قس نجداً ، فلما قفل رسول الله - ﷺ - قفل معه ،

فأدركتهم القائلة فى واد كثير العضاة فنزل رسول الله - ﷺ - وتفرق الناس فى العضاة
يستظلون بالشجر ، ونزل رسول الله - ﷺ - تحت سمره ، فعلق بها سيفه . قال جابر :

فنمنا نومه . ثم إذا برسول الله - ﷺ - يدعونا ، فجئناه ، فإذا عنده أعرابى جالس .

فقال رسول الله - ﷺ - إن هذا اخترط سيفى وأنا نائم ، فاستيقظت وهو فى يده صلت

فقال لى : من يمنعك منى ؟ . قلت الله . فهاهو ذا جالس . ثم لم يعاقبه رسول الله -

ﷺ . [البخارى ؛ ح : ٤١٣٥ ، طرفه ؛ ح : ٢٩١٠ .]

فهل لك أن تثوب وأن تريعا ؟ (١)

أتيت محمداً تبدى السلاما وتخفى الغيظ يضطرم اضطراما
تقول مخاحلا - أرني الحساما وتأخذه ، فلا ترعى الذماما
أغدرأ ؟ ياله خلقاً وضيعا

تهمُّ به ، ولست بمستطيع فأين مضارب السيف الصنيع ؟ (٢)
وكيف وهت قوى البطل الضليع ؟ تعالى الله من ملك رفيع
يريك جلاله الصنع البديعا

سألت رسوله : أفما تخاف وسيفك فى يدى موت ذعاف ؟ (٣)
أراك من الموارد ما يعاف فلا فرق عراك ولا ارتجاف
فيالك كرة خسرت جميعا

فقال محمد ربي يقينى ويمنع مهجتي ، ويصون دينى
وصارمه تلقى باليمين ألا بوركت من هاد أمين
ترد أناته الحلم النزيعا

أخذت السيف لو تبغى القصاصا لما وجد المسىء إذا مناصا
تقوله له : بمن ترجو الخلاصا إذا أنا لم أرد إلا اقتناصا
فلن نجد الولي ولا الشفيعا ؟

يقول غويرث كن خير مولى وأنت أحق بالحسنى وأولى
فقال له : أتؤمن قال كلا ولكنى أعاهد ، ثم ولى
ودين الله يطلبه سريعا

وحدث قومه : يا قوم إنى بخير الناس قد أحسنت ظنى
رأيت خلالا ، فرجعت أننى عليه ، وقد مضى الميثاق منى
فلست لمن يناوئه تبيعا

(١) تثوب وترجع : بمعنى ترجع .

(٢) السيف الصنيع : المجرب الصقيل .

(٣) الموت الذعاف : السريع العاجل .

أعز الله شيخ الأنبياء وأيده بآيات وضياء
 ألم تخبره ترجمة الرغاء بما يجد البعير من البلاء ؟ (١)
 توجع يشتكى سوء الجزاء وفقدان المروءة والوفاء
 أذبحه ذووه على العياء وبعد الجسد منه والمضياء ؟
 رثى لشكاته حق الرثاء وراض ذويه من بعد الإباء
 فمنع بالسلامة والبقاء وراح ، فأى حمد أو ثناء
 يؤدي الحق ، أو يجزى الصنيعا

* * *

(١) من العجائب التي وقعت في هذه الغروة باتفاق الروايات أن بعيراً جاء يرقل حتى وقف على رأس النبي ﷺ ، وجعل يردد الرغاء ، فسأله أصحابه : ما شأنه ؟ قال : « إنه يقول إنه أحسن خدمة أصحابه ، فلما كبر هموا بذبحه فهرب ، وجاء مستغيثاً » ، وقدموا علي أثره فذكر لهم النبي ﷺ ما قاله ، فقالوا : صدقت ، فأوصاهم به خيراً .

غزوة بدر الآخرة

ويقال لها : (غزوة الموعد) لقول أبي سفيان عند رجوعه من أحد :

موعد ما بيننا وبينكم بدر - يريد موسمها - كانت في شهر شعبان (١) من السنة الرابعة ، فخرج النبي إليها في ألف وخمسمائة من أصحابه وكان الخيل عشرة أفراس ، وكان يحمل لواءه (على بن أبي طالب) واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة وذهب (نعيم بن مسعود) الأشجعي (قبل إسلامه) وهم يتأهبون للخروج فأخبر المشركين بأمرهم ، فجعل له أبو سفيان عشرين بعيراً إذا هو عاد إلى المدينة فثبط المسلمين عن القتال ، وأوهمهم أن المشركين في جمع كثير. فما زادهم هذا إلا ثباتاً وقوة ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] ، وكره أبو سفيان القعود خشية العار ، فأجمع أن يخرج بالمشركين ثم يرجع بهم من مكان قريب وكانوا ألفين ، ومعهم خمسين فارساً ، فلما بلغوا (مجنة) وهى سوق معروف من أسواق العرب (٢) قال لهم : يا معشر قريش لا يصلحكم إلا عام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون الماء ، وإن عامكم هذا عام جذب ، وإنني راجع فارجعوا (٣) ، وأقام النبي ﷺ بجيشه فى بدر مدة الموسم وهى ثمانية أيام ينتظر القوم ثم رجع إلى المدينة .

إليك أبا سفيان لا الوعد صادق ولا أنت ذو جد ، ولا القوم أبطال
أتاك ابن مسعود بأنباء يثرب فما تنقضى منكم هموم وأوجال (٤)
لكم عند بدر فى لواء محمد خطوط ترمى بالنفوس وأهوال

(١) أوجال مخاوف .

(٢) الروع : الفرع والخوف والمقصود الحرب .

(٣) وقيل : ذو القعدة .

(٤) فى « فقه السيرة لابن قيم الجوزية ص ١٩٨ :

[فلما انتهوا إلى مر الظهران - على مرحلة من مكة - قال لهم ...] .

هنالك قوم يا ابن حرب كأنهم
جنود عليها من على مظفر
دع المرء يذهب بالأباطيل مرجفًا
تردد ، يخشى منك شيمة مخلف
تمسك من قول ابن عمرو بموثق
مضى ، يصف الكفار وصف مهوّل
فما وجفت تلك القلوب ، ولم تكن
رجال رسا الإيمان ملء نفوسهم
ولا الموت مكروه على العز ورده
تداعوا فقالوا ، حسبنا الله إنه
وأرسلها الصديق ديمة حكمة
محمد إن الله ناصر دينه

إذا عصفت ريح الكريهة أغوال
لدى الروح ، جياش على الهول جوال^(١)
وعده جزاء الإفك - لا حبذا المال
يقول ، فلا وعد وفى ، ولا قال^(٢)
وطارت به في الجو هوجاء مجفال^(٣)
يقول : جموع ما تعد وأرسال^(٤)
كأخرى ، لها من هدة الرعب زلزال^(٥)
فلا الجبن منجاة ، ولا البأس قتال
ولا العيش مررود إذا خيف إذلال
لما شاء من نصر الهداة لفعال^(٦)
لها من فم الفاروق سح وتهطال^(٧)
ومظهره ، والحق أقطع فصّال

- (١) سماهم أهل مكة « جيش السوق » ، يقولون : إنما خرجتم تشربون السوق .
(٢) قال أبوسفیان لنعيم : بدا لى أن لا أخرج ، وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج أنا
فيزيدهم ذلك جراءة ، ولأن يكون الخلف من قبلهم أحب إلى من أن يكون من قبلى ،
فالحق بالمدينة وأعلمهم أنا فى جمع كثير ولا طاقة لهم بنا ، ولك عندى من الإبل كذا
وكذا ، أدفعها لك على يد سهيل بن عمرو ، فجاء نعيم إلى سهيل وقال له : يا أبا يزيد ،
تضمن لى هذه الإبل وأنطلق إلى محمد فأثبطه؟ قال : نعم ، فذهب يرفج بما قيل له .
(٣) الجو : هنا ما اتسع من الأودية ، والهوجاء : الناقة السريعة ، المجفال بمعنى الهوجاء .
(٤) الأرسال : الجماعات .
(٥) وجفت : اضطربت والهدية : صوت وقع الشيء العظيم كالبناء ونحوه .
(٦) كانوا كلما سمعوا أخبار قريش وجموعها يقولون : حسبنا الله ونعم الوكيل .
(٧) جاء أبو بكر وعمر رضي الله عنه إلى النبى ﷺ وقالوا : يا رسول الله إن الله مظهر نبيه ،
ومعز دينه ، وقد وعدنا القوم موعداً لا نحب أن نتخلف عنه ، فيرون أن هذا جبن ،
فسر لموعدهم ، فوالله إن فى ذلك لحيرة - فسر النبى ﷺ وقال : «والذى نفسى بيده
لأخرجن وإن لم يخرج معى أحد » . فاحتدمت نفوس المسلمين حماسة وقوة .

لهم موعد لا بدّ منه ، ومورد
عزیز علينا أن نكون مقالة
يقولون : لولا الخوف منا لأقبلوا
وخفّ أبو سفيان يكذب نفسه
يقول ، وقد وافى الرجال مجنة
أيا قومنا : إنا نرى العام مُجدبًا
فعودوا إلى عام من الخصب صالح

* * *

تقدم جيش الله وارتدّ جيشهم
وأين من الصيد المصاليات معشر
لبئس الموالي ما تزال تغرهم

* * *

ألا إنّها الدنيا أعيد بناؤها
فلا شأنها الشأن الذي كان يرتضى
عفا السالف المغبر من سيئاتها
أبقى قلوب الناس فى ظلماتها
هو النور نور الله ، يملأ أرضه
أتى مطلق الأسرى يحرر أنفسًا

وصيغ لها رسم جديد وتمثال
بنوها الألى بادوا ، ولا حالها الحال (٤)
فتلك بقاياها قبور وأطلال
تظاهر أكنان عليها وأقفال (٥)
فتلقّى الهدى فيه عصور وأجيال
لها من سجايها قيود وأغلال

(١) الحتف : الموت .

(٢) أصلال : جمع صل وهو الحية .

(٣) الصيد : جمع أصيد وهو من صفات الأسد ، والأصل فيه ارتفاع الرأس ، والمصاليات :

جمع مصلات ، وهو الشجاع الماضى فى الأمور ، المشمر لها .

(٤) بادوا : هلكوا .

(٥) أكنان : أغطية .

غزوة دومة الجندل (١)

هى أقرب بلاد الشام إلى المدينة ، وكانت هذه الغزوة فى أواخر السنة الرابعة على رواية - وفى ربيع الأول من السنة الخامسة - على رواية أخرى واستعمل على المدينة : سباع بن غرطة الغفارى - وسببها أن النبى ﷺ أخبر أن بهذه البلدة قوماً يظلمون من مر بها ، ويعتدون عليه ، وأنهم يريدون الاقتراب من المدينة فخرج إليها فى ألف من المسلمين ، فلما اقترب الجيش منها خاف القوم ففرقوا وأصاب المسلمون من ماشيتهم ورعاتهم ما أصابوا ، وفى الرجوع من هذه الغزوة وادع النبى ﷺ عيينة بن حصن الفزارى (٢) ، وأباح له أن يرعى بحل بينه وبين المدينة ستة وثلاثون ميلا ، فلما سمعت مواشيه ، وعاد إلى أرضه وقد زال عنها الجذب ، أغار على لقاح النبى ﷺ (٣) ، وكان يقال له (الأحمق المطاع) (٤) ومن سوء خلقه

(١) وهى بضم الدال ، أما « دومة » بالفتح فمكان آخر .

(٢) أجدبت بلاد آل بدر بن عمرو حتى ما بقت من حالهم إلا الشريد ، وذكرت له سحابة وقعت بـ « تغلمين » موضع من بلاد فزاره ، قبل ريم - فسار عيينة بن حصن فى آل بدر نحو من مائة بيت ، حتى أشرف على بطن نخل - ثم هاب النبى ﷺ - وأصحابه ، فورد المدينة ، فأتى النبى ﷺ - فدعاه إلى الإسلام ، فلم يبعد ، ولم يدخل فيه ، وقال : إني أريد أن أدنو من جوارك ، فوادعنى . فوادعه ثلاثة أشهر ، لا يغير أحد من المسلمين . فلما انقضت المدة انصرف عيينة وقومه إلى بلادهم قد أسمنوا ، وألبنوا .

(٣) أغار فى أربعين رجلا وهى بالغابة ، وكانت عشرين لِقْحَةً واستاقها ، وقتل ابنا لأبى ذر كان فيها . فخرج رسول الله - ﷺ - فى طلبهم . فاستنفذ المسلمون عشر لقاح . وأفلت القوم بما بقى ، وقتلوا « حبيب بن عيينة » و « مسعدة بن حكمة بن مالك بن حذيفة بن بدر ، وقرقة بن مالك بن حذيفة و « أوثار » ، وعمرو بن أوثار . [الطبقات : ١٧٤ / ٦] .

(٤) فى هذه الغزوة أتى « مخشى بن عمرو الضمرى » وقد كان وادع النبى ﷺ - فى غزوة « ودان » على بنى ضمرة . فقال : يا محمد أجتث للقاء قريش على هذا الماء ؟ قال - ﷺ - : « نعم يا أخا بنى ضمرة ، وإن شئت رددنا إليك ماكان بيننا وبينك ، وجادل =

أنه دخل على النبي ﷺ بغير استئذان - وفيه يقول صلوات الله وسلامه عليه : « شر الناس من تركه الناس انقاء فحشه » أسلم بعد فتح مكة ، وشهد حنيناً والطائف ، ثم ارتد في خلافة الصديق ، ولحق بطليحة بن خويلد الذي ادعى النبوة فأمن به ، فلما هرب طليحة أسره خالد بن الوليد وبعثه إلى الصديق في وثاق ، فمّنّ عليه وأسلم .

سيرى الهوينى دومة الجندل
أكل من مرّ خفيف الخطى
المسلمون استصرخوا ربهم
مضى رسول الله في جحفل
يمشى إذا اسودّت وجوه الوغى
لولا الذي استعظمت من أمره
أهلوك طاروا خوف تقاتله
كل له من نفسه ضارب
تلك لعمري من أعاجيبهم

معنت في الظلم ولم تُجملی (١)
ترمينه بالفادح المثل (٢) ؟
فاستعصمى منه ، ولن تفعلی
ما مثله في البأس من جحفل (٣)
في ساطع من وحيه المنزل
لم يُهزم القوم ، ولم تُخذلی
فأیهم بالربح لم يُقتل ؟
إن يُدبر الخوف به يُقبل
ويبتلى ربك من يبتلى

شردهم مذکور من دارهم
هلاً رعو إذ أدبروا جُفلاً
لا كنت من دار ومن منزل (٤)
ما ريع من أنعامك الجفّل ؟ (٥)

= حتى يحكم الله بيننا . قال : لا والله ما لنا بذلك من حاجة . ثم رجع - ﷺ - إلى المدينة ولم يلق كيدا [سيرة ابن هشام : ١٢٤/٣ ، البداية والنهاية : ٤٣٦/٤] .

(١) أمعن تمادى .

(٢) الفادح : العظيم .

(٣) الجحفل : الجيش الكثيف .

(٤) «مذكور» اسم رجل من بنى عذرة ، اتخذ النبي ﷺ دليلاً للجيش في هذه الغزوة ، فلما رآه القوم مقبلاً أخذهم الرعب ففرقوا .

(٥) جفّل : منزعجين مسرعين .

ماذا يريد الجيش من عورة
لولا المروءات وسلطانها
شريعة الإسلام فى أهله
وسنة المختار من ربه
جاء بملء الأرض من نوره
لا عذر للمصروف عن رشد
معالم الإيمان وضاحية

* * *

إيه قنيص الله فى حبله
جئت معافى فى يدى صائد
أقبل ، فهذا خير من أبصرت
هذا الذى أعرض عن حقه
لو أنهم جاؤوه فاستغفروا
أسلمت تأبى دينهم أولا

* * *

عينة المغبون فى نفسه
حمله ما لو تلقّت ذرى
ألوى به الجذب ، فأفضى إلى

(١) الحجا : العقل .

(٢) داج : مظلّم .

(٣) أسر محمد بن مسلمة رجلا منهم وجاء به إلى النبى ﷺ ، فعرض عليه الإسلام فأسلم .
لا توجل : لا تخف .

(٤) يختل : من الختل وهو الخداع .

(٥) المغبون : المخدوع - المعضل : المستعصى .

(٦) مستشرف العرنين : صفة لمحدوف ، والمراد الجبل العالى .

(٧) ألوى به : ذهب به .

من أنعم الغيث الكثير الجدا ومكرمات العارض المسبل (١)
حتى إذا أعجبه شأنه وغره من مساله ما يلى
أتى بها شنعاء مكروهة من سيئات الأحقق الأثول (٢)
بئس المغير انقضّ فى غرة على لقاح الغابة الهمل (٣)
ما وقعة اللص بأمونة ولا أذاة الضرع الذمّل (٤)
آذى رسول الله فى مساله وآثر الغدر ، ولم يحفل
لو ارتضى دين الهدى صانه وزانه بالخلق الأمثل

يا أم سعد لست من هممه سعد عن الأهلين فى معزل (٥)
إن أهله إلا الألى استوطنوا دار الوغى فى دومة الجندل
لا تذرفى الدمع على راحل فى الله لولا الله لم يرحل
واستقبل الموت على هوله إنى أراه سائغ المنهل (٦)
ظمئت من سعد إلى نظرة تطفئ حرّ اللاعج المشعل
روأك رب الناس من سرحة ألقى عليها ظلة من عل (٧)
تؤتى الجنى كالأرى طيبا إذا كان الجنى كالصاب والحنظل (٨)
صلاة أصفى الناس مما سقى أفنانها ذو النائل السلسل (٩)

(١) المراد به الرسول الكريم .

(٢) الأثول : المجنون والأحمق .

(٣) الغابة : اسم المكان الذى كانت ترعى فيه اللقاح .

(٤) الضعيف : الجبان .

(٥) كان سعد بن عبادة مع النبى ﷺ فى هذه الغزوة ، فماتت أمه وهو غائب ، فلما رجع النبى ﷺ بعد شهر من وفاتها صلى على قبرها .

(٦) شراب سائغ : عذب ، والمنهل : مكان الشرب .

(٧) السرحة : الشجرة العظيمة .

(٨) الأرى : العسل ، والصاب : شجر مر أو هو عصارتة .

(٩) النائل : العطاء .

لو وُزنتُ كل صلاة بها من أنبياء الله لم تعدل
يا أمَّ سعد إنها نعمة جاءتك ، لم تُطلب ، ولم تُسأل
هذا جوار الله فاستبشري وهذه جنّته فادخلي

* * *

غزوة بنى المصطلق^(١)

بنو المصطلق بطن من خزاعة ، والمصطلق لقب جذيمة بن سعد بن عمرو والخزاعي ، لقب به لارتفاع صوته (من الصلق) ، وقيل : إنه كان حسن الصوت ، وأنه أول من غنى في خزاعة .

بلغ النبي ﷺ أن الحارث بن أبي ضرار سيد بنى المصطلق جمع قومه وآخرين من العرب لمحاربتهم ، فبعث إليهم « بريدة بن الحصيب » الأسلمي يتعرف أخبارهم ، وأذن له أن يقول فيه ما يشاء ، ليأمنوه ويقوه شرهم ولقي الحارث بن أبي ضرار وكلمه ، ورجع يذكر تأهبهم للحرب ، فخرج إليهم النبي ﷺ يقود جيشاً كبيراً وخرج معه جماعة من المنافقين ، لم يخرجوا في غزاة قبلها . واستعمل على المدينة زيد بن حارثة ، وقيل : أبا ذر وقيل : نميلة بن عبد الله الليثي في شعبان من السنة الخامسة ، وبعث الحارث عينا له ليوافقه بأخبار المسلمين ، فأمر النبي ﷺ بقتله ، فضعفت نفسه ، وتفرق عنه كثير من رجاله . وانتهى الرسول إلى « المريسيع » وهو مكان الماء .

وأعطى النبي ﷺ راية المهاجرين إلى أبي بكر - وقيل : لعمار بن ياسر - وراية الأنصار إلى سعد بن عباد ، وأمر عمر بن الخطاب أن يقول للمشركين قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم ، فلم يقبلوا ورموا المسلمين بالنبل . فدار القتال وكان النصر لله ورسوله وللمؤمنين ، فغنموا وأسروا وسبوا ، وعادوا بنعمة من الله وفضل ، وكان من السبابة (برة) بنت الحارث بن ضرار ، بنى عليها النبي ﷺ وسماها (جويرية) فقال المسلمون : أصهار رسول الله ﷺ ، وأطلقوا من كان بأيديهم من الأسرى والسبابة^(٢) ، وفي الرجوع من هذه الغزوة كانت واقعة أم المؤمنين السيدة عائشة رضی الله عنها^(٣) .

(١) في « فقه السيرة » غزوة المريسيع ص ١٩٩ .

(٢) أعتق المسلمون مائة من بنى المصطلق قد أسلموا .

(٣) في هذه الغزوة سقط عقد لعائشة ، فاحتبسوا على طلبه ، فنزلت آية التيمم عن عائشة =

- نهضت من كل أوب تلتقى
 احذروها غارة ملمومة
 لا تظنوا جمعكم كفؤاً لها
 سرّحوا الجيش ، وكفّوا ، إنها
 نعل الحارث يدعوكم إلى
 لا يغرّنكم رسول جاءكم
 يا رسول الصدق : ماذا جمعوا
 الألى تتسع السبل بهم
 يخفق النصر على أعلامهم
 ما يبالون المنايا النكر فى
 لأبى بكر وسعد نظرة
 فى اللوائين ضياء منهما
 وعلى الفاروق من إيمانه
- (١) فاحذروها يا بنى المصطلق
 (٢) يتقى أهوالها من يتقى
 (٣) حين تمضى فى العجاج المطبق
 مصرع الجيش ، وحلف الفيلق
 أن تبيدوا : ليت له لم ينق
 (٤) مبغض القلب ، ومحب المنطق
 لذوى البأس وأهل المصدق ؟ (٥)
 للمنايا فى المجال الضيق
 إن تردّى كل جيش مخفق
 مرعد من هولها أو مبرق
 بعد أخرى ، كاشواض المحرق (٦)
 واضح المطلع ، طلق المشرق
 ما على صمصامه من رونق (٧)

= قالت : ولما كان من أمر عقدي ما كان ، قال أهل الإفك ما قالوا ، فخرجت مع النبی ، فخرجت مع النبی - ﷺ - فسقط عقدي أيضا حتى حبس التمامه الناس ، ولقيت من أبى بكر ماشاء الله ، وقال لى : يابنية فى كل سفر تكونين عناءً وبلاءً وليس مع الناس ماء ، فأنزل الله الرخصة للتيمم .

(١) الأوب : الطريق والجهة .

(٢) ملمومة : مجتمعة مضموم بعضها إلى بعض .

(٣) العجاج : الغبار النائر من أثر المعركة أطبق عليه الشئ غشيه وعمه .

(٤) هو بريدة بن الحصيب ، جاءهم فقالوا له : من الرجل ؟ قال : منكم قدمت لما بلغنى من جمعكم لهذا الرجل ، فأسير فى قومي ومن أطاعنى ، فنكون يداً واحدة حتى نستأصلهم ، قال الحارث : فنحن على ذلك ، فعجل إلينا - قال بريدة : أركب الآن فأتيتكم بجمع كثير من قومي ففرحوا ، وعاد إلى النبی ﷺ بخبرهم .

(٥) المصدق : الشجاعة وصدق الحملة .

(٦) الشواظ : لهب لا دخان فيه .

(٧) صمصامه : سيفه ، والرونق : الحسن .

وعلى وابن عمار هما
 يترامى القائد الأعلى بهم
 جاش فيه كل زخار القوى
 خير خلق الله فى شكته
 سحر القوم ، ومن آياته
 نزل الذكر عليه ، فانطوى
 وسع الكتب جميعاً ، ووعى
 علم الدنيا الهدى فيما مضى
 عربى فتحت آياته
 فى أساليب حسان غضة
 نفحات الحق فى أبهى الحلى
 نهض الفاروق يدعوهم إلى
 فأبى القوم ، وقالوا : ديننا
 ومشى جاسوسهم يبغي الأذى
 قيل : أسلم قال : لا ، فاحتقت
 يا أبا برّة ليس البر أن
 (١) القائد الأعلى : النبى ﷺ ، العباب فى الأصل الماء الكثير والمراد به هنا الموت المحقق

بهم .

(٢) جاش : تحرك ، وزخار : ممتلىء .

(٣) الشكة : السلاح كان مع النبى ﷺ ، من خيله اللزاز والظرب ، والعناق : من الخيل الكريمة .

(٤) الأولق : الجنون .

(٥) السفر : الكتاب ، والبطرق والحبر : من علماء أهل الكتاب .

(٦) المونق : الحسن المعجب .

(٧) المراد به السيف الذى قتل به .

(٨) سأله النبى ﷺ عن أخبارهم فلم يقل شيئاً وعرض عليه الإسلام فأبى ، فأمر عمر بن الخطاب بقتله ، واحتقب الرجل الإثم : احتمله .

أفمن يعتق من رق الهوى
يا أبا برة لا تأب الهدى
قلتم : الحرب وقتلاها ، وما
وتوالى النبل ، يهمى صوبه
إذ يقول الله فى عليائه
قادة ، ما صادفوا أكفاهم
ذعر الجمع ، فلو أن القطا
صدّ عن ظمأى العوالى ، ولوى
فجعوا فى النهب والسبى معاً
نعمت برة ماذا تشتكى
يا ابنة الحارث طيبى وانعمى
ذاك جوُّ المجد وضّاح السنّا
اصطفاك الله فىمن يصطفى
واحتوى التاج المحلّى دُرّة
فارقى أسر ابن قيس واشكرى
اللباب المحض من رسل الهدى

أنفس الناس كمن لم يعتق ؟
وبمن حولك فأرأف وارفق
هى بالأمر الأحب الأخلق
فوق صوب من نجيع مهرق (١)
لرسول الله - سدد وارشق
وجنود مثلها لم يخلق
طار فى آثاره ، لم يلحق
كلّ صبّ فى المواضى شيق
وسُقُوا أسوأ شرب المستقى
من أسى برّح ، وهَم مقلق ؟ (٢)
أى رزق صالح لم ترزقى ؟
حلقي ما شئت فيه ، حلقي
وانتقى بيتك فيما ينتقى
منك ، من يلمح سناها يُطرق
يا ابنة الحارث ، فضل المطلق
منذ كانوا ، والصميم المعرق (٣)

(١) همى : سال ، والنجيع : الدم يضرب لونه إلى السواد ، والمهرق : السائل .
(٢) جاءت إلى النبى ﷺ فقالت : يا رسول الله إني امرأة مسلمة أشهد أن لا إله إلا الله
وأنتك رسول الله ، وإني برة بنت الحارث سيد قومه ، أصابنا من الأمر ما قد علمت ،
ووقعت فى سهم ثابت بن قيس وابن عم له ، وخلصني ثابت من ابن عمه بنخلات فى
المدينة ، وكاتبني على ما لا طاقة لى به وإني رجوتك فأعنى فى مكاتبتى قال : «أخير
من ذلك » ، قالت : ما هو ؟ قال : « أودى عنك كتابتك وأتزوجك » ، قالت : نعم ،
وطلبها من ثابت ؟ وقال : هى لك يا رسول الله ، فأدى ما كان كاتبها عليه ، وأعتقها ،
ثم تزوجها .

(٣) اللباب والمحض الخالص .

إسلام الحارث بن ضرار رضي الله عنه

جاء الحارث بن ضرار إلى المدينة يسوق إبلا في فداء بنته برة ، ولم يكن قد علم أنها أسلمت ، وتزوجت من النبي ﷺ ، فلما أتى وادى العقيق رغب في بعيرين كانا من أفضل هذه الإبل ، فاستبقاهما في شعب من شعاب هذا الوادى ليرجع بهما إلى دياره ، ثم أقبل فقال : يا محمد أصبتم ابنتي وإنها لكريمة لا تسبى ، وهذا فداؤها ، فقال له : « أين البعيران اللذان عقتيهما بالعقيق في شعب كذا وكذا ؟ » ، قال : أشهد أنك رسول الله ، ما اطلع على ذلك إلا الله .

حط عنك الإصرَ براً ، ورثى
ورعى حقك ، لا يبغي سوى
أقبل الحارث يحدو إبلة
سيد القوم يريد ابنته
قال - ويحي : كيف تسبى برة
حرة من حرة ، أنجبها
إبلى سيري ، وأمى يثرباً
شرفى أبى عليه ، وابنتى

لك من ضر شديد مرهق (١)
أن تكونى بالمحل الأليق
وبه من طول هم ما به
ويروم الذب عن أحسابه (٢)
وأبو برة فى أثوابه ؟
ونماها نابيه من نابيه (٣)
واطلبى ليث الوغى فى غابه (٤)
أفتدى منه ، ومن أصحابه

* * *

ساقها إلا بعيرين هما
غودرا فى جانب الوادى ، وما
من صفايا المال أو صيابه (٥)
يجلب الأمر سوى أسبابه

(١) الإصر : الحبس والذنب والثقل .

(٢) يروم : يريد والذب : الدفع .

(٣) نماها : رفعها وعزاها إليه .

(٤) ليث الوغى : النبي ﷺ .

(٥) صُفْيَا به : صفايا الشيء وصيابه خياره .

واشف هذا القلب من أوصابه (١)
 فى حمى العز ، وفى محرابه
 من فداءٍ جلٍّ عن أضرابه (٢)
 سوء ما يغشى الفتى من عابه
 لك فى الوادى ، وفى أعشابه (٣)
 موضع العودين فى أنقابه (٤)
 يا رسول الله من طُلابه
 لغبى القلب ، أو مرتابه
 غير من يؤثر من أحبابه
 وهوى القائل من أنصابه
 لم يكن دينك من آرابه (٥)
 والتُّقى والبرُّ من آدابه
 إن طلبنا المجد فى أقطابه
 تصدع الأغلاق عن أبوابه
 ما خشينا المنع من حُجابه

قال : دعها يا رعاك الله لى
 إنها بنتى التى ربّيتها
 أعطينها ، وتقبّل ما معى
 قال : بل أحدثت أمراً لم تخف
 غاب عن ذودك ما استبقّيته
 يا أبابرة إنسى لأرى
 قال : أسلمت ، وما أدنى الهدى
 وضح الحق ، فما من حُجّة
 إنّه لله فضلٌ ماله
 نكص الشرك على أعقابه
 يا رسول لا كان امرؤ
 شرف الأخلاق من أحكامه
 أنت نعم الصهر مجدداً وسناً
 جئت بالخير بشيراً ، لم تزل
 تلك بتى دخلت فيه معى

(١) الأوصاب : جمع وصب وهو المرض .

(٢) جل : عظم ، وأضرابه نظرائه .

(٣) الذود من الإبل ما بين ثلاثة إلى عشرة ، أو ما فوق ذلك .

(٤) العودين : مثنى عود ، وهو المسن من الإبل .

(٥) آرابه : جمع أرب والأرب الحاجة .

بركة أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها

قالت عائشة رضي الله عنها: لا أعلم امرأة أكثر بركة على قومها من جويرية، أعتق بتزويجها من رسول الله ﷺ أهل مائة بيت (١).

جويرية احمدي عقبى البناء	بنى بك خير من تحت السماء
بلغت به ذؤابة كل عال	من الشرف الممنع والسناء (٢)
وكنيت لقومك الأذنين يمناً	يربهم يمن خير الأنبياء
فكم أسرى فككت ، وكم سبايا	رددت إلى الخدور بلا فداء
محررة الرقاب كفاك فضلاً	صنيعك بالرجال وبالنساء
كشفت الضر عنهم بعد يأس	وأحييت الرميم من الرجاء (٣)

(١) عن عائشة قالت : أصاب رسول الله نساء بنى المصطلق ، فأخرج الخمس منه ، ثم قسمه بين الناس ، فأعطى الفرس سهمين ، والرجل سهماً .

وقعت « جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار » في سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري ، وكانت تحت ابن عم لها يقال له « صفوان بن مالك بن جذيمة ذو الشفر » ، فقتل عنها ، فكاتبها « ثابت بن قيس على نفسها على تسع أواق ، وكانت امرأة حلوة ، لا يكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فبيينا النبي - ﷺ - عندي إذ دخلت عليه جويرية تسأله في كتابتها ، فوالله ما هو إلا أن رأيته فكرهت دخولها على النبي - ﷺ - وعرفت أنه سيرى منها مثل الذي رأيت . فقالت يا رسول الله أنا « جويرية بنت الحارث » سيد قومه ، وقد أصابني من الأمر ما قد علمت . فأعني في فكاكي فقال : أو خير من ذلك ؟ . فقالت : ما هو ؟ أودى عنك كتابتك وأتزوجك . قالت : نعم وخرج الخبر إلى الناس ، فقالوا : أصهار رسول الله - ﷺ - يسترقون . فأعتقوه ما كان في أيديهم من سبي بن المصطلق . فلا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها . [مختصر بن عساكر : ٢/ ٢٨٢ ، الإصابة : ٧/ ٥٦٥ ، الطبقات : ١٠/ ١١٣].

(٢) ذؤابة العز والشرف : أعلاه .

(٣) الرميم : أصله العظام البالي ، والمراد به الميت من الرجاء .

توالى المسلمون على سبيل
لأجلك آثروا البُقى ، وقالوا
أمن وصل النَّبىُّ فكان صهراً
من الكرم المحبب والسخاء
علينا العهدُ عهدُ الأوفياء
كمنقطع من الأقوام ناء ؟ (١)

خذوا يا قوم أنفسكم ، وعودوا
سَمَوْا بنفوسهم وبنى أبيهم
وردَّ الله غريبتهم وفازوا
هو الإسلام ما للنفس عنه
نظام الأرض ، يدفع كل شر
إذا انصرفت شعوب الأرض عنه
إلى أوطانكم بعد الجلاء
إلى دين المروءة والإباء (٢)
بنعمته ، فنعم ذوو العلاء
إذا ابتغت السلامة من غناء
وطبُّ القوم ينزع كل داء
فبشر كل شعب بالشقاء

(١) ناء : بعيد .

(٢) الإباء : العز .

بين الخزرج والمهاجرين

كان المسلمون على الماء بعد انتهاء هذه الغزوة ، فاختصم أجير لعمر بن الخطاب رضي الله عنه اسمه جهجاه مع رجل من حلفاء الخزرج وهو سنان بن فروة ، فضربه الأول حتى سال منه الدم فنادى : يا معشر الأنصار ، ونادى الضارب : يا معشر المهاجرين ، فأقبل جمع من الجيش وشهروا السلاح ، فكادت تكون فتنة عظيمة لولا أن خرج رسول الله ﷺ وقال : « ما بال دعوى الجاهلية ؟ » فقالوا : رجل من المهاجرين ضرب رجلا من الأنصار ، فقال : « دعوها - يريد دعوى الجاهلية - فإنها متنتة » ، فترك المضروب حقه ، وسكنت الفتنة .

جهجاه مالك هجتها مذمومة	هو جاء ، لولا الله ظلت تعصف ؟
الخرزج انطلقوا لنصر حليفهم	ومضى لنصرتك الكماة الدلف (١)
لسنان إذا تؤذيه منك بضربة	أولى وأخلق من تحب وتألف
هفت السيوف إلى السيوف ، وأوشكت	صم الرماح تقصف
ومشى النبي يقول : يا قوم اسكنوا	أكذاك تضطرب الجبال وترجف ؟
تدعون دعوى الجاهلية جهرة	فمن الدعاة من الهداة الهتف ؟
أو لستم النفر الذين بنورهم	يجد السبيل الحائر المتعسف ؟
ردوا السيوف إلى جماجم معشر	فيهم مرد للسيوف ومصرف

* * *

هذا الرجال ، وراح ظالم نفسه يهذى فيمعن ، أو يظن فيسرف (٢)

(١) الكماة : جمع كمي وهو الشجاع ، والدلف جمع دالف ، وهو المتقدم .

(٢) هو عبد الله بن أبي ابن سلول ، لما اختصم الرجلان غضب وكان عنده رهط من منافقي قومه الخزرج فقال : ما رأيت كاليوم مذلة . أو قد فعلوها ؟ نافرنا في بلادنا . وأنكروا علينا ملتنا ، والله ما أعدنا - يعني الأنصار - وهؤلاء - يريد المهاجرين - إلا كما قال الأول في أمثالهم : سمن كلبك يأكك ، واجعه يتبعك . . والله لقد ظننت أني =

- لجَّ النفاق ، فقائلٌ لا يستحي مما يقول ، وسامعٌ لا يأنف (١)
 ما بال من جمحت به أهواؤه أفما يزال على الغواية يعكف ؟ (٢)
 يؤذى رسول الله يزعم أنه في قومه منه أعزُّ وأشرف
 ويقول : موعدنا المدينة إذ يرى أى الفريقين الأذل الأضعف
 فلنخرجنَّ محمداً منها غداً وليعلمن الأمر ساعة يأزف (٣)

* * *

- سمع ابن أرقم ما يقول ؛ فهاججه غضبٌ يضيق به التقى الأحنف (٤)
 ومضى يقصّ على النبی حديثه فيكاد عنه من الكراهة يصدف (٥)
 قال : ائتد ، فلقد يغان على الفتى فيزلُّ منه السَّمْعُ أو يتحرف (٦)
 فمضى على أسف يلوذ بعمه فيلامُ غير مكذّب ويعنف (٧)

= سأموت قبل أن أسمع هاتفاً يهتف بما سمعت . أما والله لئن رجعنا إلى المدينة
 ليخرجن الأعز منها الأذل يعنى بالأعز نفسه ، وبالأذل النبي ﷺ .
 (١) لج : تمادى .

(٢) جمحت به أهواؤه : غلبته .

(٣) أزف الأمر : حان وقرب .

(٤) كان زيد بن أرقم ، وهو غلام حديث السن - عند عبد الله بن أبي رهمطه وهو يقول لهم
 ما قال . فمشى به إلى رسول الله ﷺ ، فكره ذلك وتغير وجهه ، وقال له : « يا غلام
 لعلك غضبت عليه » قال . والله لقد سمعته أى الحديث منه ، قال « لعله أخطأ
 سمعك » ، والأحنف هنا الشديد الميل إلى الحق .

(٥) يصدف : يعرض .

(٦) يغان عليه بمعنى يغطى على قلبه .

(٧) لما قال النبي ﷺ لزيد بن أرقم ما قال ، عظم عليه الأمر وذهب إلى عمه في غم شديد ،
 فقال له : ما أردت إلا أن أكذبك رسول الله ﷺ ومقتك ، قال زيد : والله لقد سمعت
 ما قال ، ولو سمعت هذه المقالة من أبى لسقلتها إلى رسول الله ، وإنى لأرجو أن ينزل
 الله عليه ما يصدق حديثي ، ولاذبه : لجأ .

قال : اقتصد يا عم ، ما أنا بالذي يغضى إذا اغتاب الرسول مُحَدَّثُ (١)
ثقلت على من الغبى مقالة جلل ، تهدُّ بها الجبال وتنسف (٢)
والله لو ألقى صواعقها أبى حملتها ، وذهبت لا أتخفف

رؤى الحديث وغيظ من مكروهه عمر فغيظ المشرفى المرهف ؟ (٣)
أعزى بقائله مخوف غراره ما كان يعلم من أذاه ويعرف
سأل الرسول الإذن فيه لعله يشفيه من دمه بما يترشف
فأبى ، وقال : أليس من أصحابنا ؟ دعه ، فتلك أشد ما أتخوف

وأتى ابنه فدعا : أبى أنا خصمه فدعوه لى ، إنى به لمكلف (٤)
مرنى رسول الله أكفك أمره فلقد عهدتك راحماً تتلطف
إنى أحب أبى ، وأعرف حقه ولأنت بى وبه أبر وأراف
سيفى أحق به ، فإن يك غيره عظم الأسى فيه ، وهال الموقف
إنى لأخشى أن أرى دم مؤمن بيدى لأجل أبى يراق وينزف
قال النبى : ارفق بشيخك وراعه إن العقوق من البنين لمتلف

(١) التجديف الكفر بالنعمة والشم والإهانة والافتراء .

(٢) جلل : عظيمة .

(٣) طلب عمر بن الخطاب من النبى ﷺ أن يأذن له أو لغيره بقتل عبد الله بن أبى فابى وقال : «كيف يا عمر إذا تحدث الناس بأن محمداً يقتل أصحابه ؟» والمشرفى : المرهف ، السيف الحاد .

(٤) ابن عبد الله بن أبى واسمه عبد الله ، لما علم أن عمر يستأذن النبى ﷺ فى قتل أبيه ، جاء إليه وقال : يا رسول الله إن كنت فاعلاً فمرنى أن أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالده منى ، إنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله ، فأقتل مؤمناً بكافر ، فأدخل النار ، فقال له الرسول الكريم : « بل تترفق به ، وتحسن صحبته » .

القاذف الجبار زُلزل قلبه
ضاقت مذهبته ، فأقبل ضارعاً
جحد الحديث ، وراح يحلف ما جرى
إن ابن أرقم لم تكن لتخونه
يبقى بها نقش الكلام ، كأف
صُورَ إذا وكى اللسان أدها
ما رُمْتُ وصفاً ، حسب زيد أنه
الله أنزله بيّناً صادعاً
كشف الغطاء عن النفاق بسورة
جُرْمٌ إذا استخفى مخافة ذاكر

بالرعب يُلقَى ، والمخافة تقذف (١)
وأخو الهوان الضارع المستعطف (٢)
صدق المنبئ وافترى من يحلف
أُذُنٌ تعى وتصون ما تتلقف (٣)
نقشت على الصخر الأصم الأحرف
فالزور من أعدائها والزخرف
بفرائد الوحي المنظّم يوصف
كبت الآلى قلبوا الأمور وزيفوا
نزلت ، وكان غطاؤه لا يكشف
نادى الزمان به ، وضجّ المصحف

* * *

(١) هو عبد الله بن أبي - جاءه رجل من الأنصار الذين سمعوا حديث زيد بن أرقم عنه فقال له : يا أبا الجباب إن كنت قلت ما نقل عنك فأخبر به النبي ﷺ فليستغفر لك . ولا تحجده فينزل فيك ما يكذبك ، وإن كنت لم تقل فائته واعتذر ، واخلف ما قلته ، فحلف بالله العظيم ما قال من ذلك شيئاً ، ومشى إلى النبي ﷺ فقال له : « يا ابن أبي إن كانت سبقت منك مقالة فتب » ، فجعل يحلف بالله ما قلت ما قال زيد وما تكلمت به .

(٢) الضارع الذليل .

(٣) كان يقال لزيد بن أرقم - ذو الأذن الواعية - لقول الله تعالى فيه : «وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ» [الحاقة: ١٢] وعنه أنه لما نزلت سورة المنافقون ، أخذ النبي ﷺ بأذنه وهو على راحلته يرفعها إلى السماء حتى ارتفع عن مقعده وهو يقول : «وعت أذنك يا غلام ، وصدق الله حديثك وكذب المنافقين» .

عبد الله بن أبي سلول

بعد نزول (سورة المنافقون)

كان مما قاله النبي ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يستأذنه في قتل عبد الله ابن أبي : « ترعد له إذن أنف كثيرة يثرب » ، فلما نزلت سورة المنافقون صار قومه يعاتبونه ويعنفونه ، فقال النبي لعمر : « كيف ترى يا عمر ؟ إنى والله لو قتلته يوم قلت لأعدت له أنوف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته » ، قال عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمرى .

ما يكسب المرء من إثم ولا يزر إلا أحاط به من ربه قدر (١)
وليس للنفس إن خابت وإن خسرت إلا عواقب ما تأتي وما تذر (٢)
جلبت يا ابن أبي شر ما جلبت نفس على قومها ، لو كنت تعتبر
زودت قومك خزيًا لم يدع أحدًا إلا قلاك وأمسى صدره يغمر (٣)
تتابع الوحي ، ترميهم قوارعه لما تتابع منك اللغو والهذر

* * *

قالوا : استجر برسول الله ملتمسًا سبل النجاة ، فما يغنيك متظر (٤)
إن تُلفه حين ترجوه وتسأله مستغفرًا لك لا يعلق بك الغمر (٥)

(١) يزر يحمل .

(٢) تزر تترك .

(٣) قلاه أبغضه ووغر صدره توقد من الغيظ .

(٤) قال له أصحابه : اذهب إلى النبي ﷺ يستغفر لك . فلوى رأسه وقال : أمرتوني أن أؤمن فأمنت ، وأن أعطى زكاة أموالى فأعطيت ، فلم يبق إلا أن أسجد لمحمد ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُءُوسَهُمْ ﴾ الآية [المنافقون: ٥] .

(٥) الغمر : هو فى الأصل دسم اللحم يتعلق باليد .

فقال : يا ويلكم ، ما زلت أتبعكم
لم يبق فيما أرى إلا السجود له
أذلك الجحد منكم ، أم هو السَّخَر ؟
وصدَّ مستكبراً يلوى لشقوته
يزيده الجهل طغياناً ، ويصرفه

قال الرسول ونار الغيظ تلفحهم
لو قمت يومئذ بالسيف تأخذه
تلك الأنوف التي كنا نحاذرها
لو قلت للقوم : جيئوني بهامته

تبين الرشد للفارق وانحسرت
فقال : بوركت من هاد لأمته
لسنا كمثلك في علم ومعرفة
تدرى من الأمر ما تُخفى ظواهره
في معجزاتك للغاوين تبصرة
صلى عليك الذى أتاك من شرف
هذا ابنه جاءه غضبان يمسكه
يقول : تلك ديار لست تدخلها

عن جانبيه غواشى الظن والستر
تعباً بحكمته الألباب والفكر
أنت الإمام وهذا النهج والأثر
وما لنا فيه إلا الرأى والنظر
وفى علومك للجهال مزدجر
ما ليس يبلغه جنٌّ ولا بشر
دون المدينة للمختار ينتصر (٣)
حتى تفىء ، وحتى يُعلم الخبر

(١) الظبى السيوف ، ويهتصر من هضر الغصن إذا أماله .

(٢) جاؤا ، حمراء فى كدرة ، تستعر تشتعل

(٣) لما انتهى الجيش إلى وادى العقيق جعل عبد الله بن عبد الله بن أبى يلتمس أباه ، فلما رآه أناخ بعيره وقال : والله لا تدخلها (المدينة) حتى يأذن لك رسول الله ، لتعلم الأعز من الأذل - فصار يقول : لانا أذل من الصبيان ، لانا أذل من النساء ، فجاء النبى ﷺ وقال : « خل عن أبيك » ، فخلى عنه .

أنت الأذلُّ فقلها غير كاذبة إن كنت حُرّاً ، فبئس الكاذب الأشر (١)
فقالها مُرَّةً حَرَّى ، وأرسلها كأنها روحه من فيه تنحدر
مشى أعزُّ بنى الدنيا وأشرفهم قدراً ، وأرفعهم ذكراً إذا ذُكروا
حلَّ المدينة منه ليث ملحمة لا النصر يخطئه فيها ، ولا الظفر
فليعرف الحق قوم ضل رائدهم وارتدَّ قائدهم خزيان يعتذر

* * *

(١) أشر الرجل : مرح وبطر .

قصة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

لما رجع النبي ﷺ بالمسلمين من غزوة بنى المصطلق ، وكانت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما معه ، بات الجيش في مكان على مسافة من المدينة ، وقبل أن يؤذن الناس بالرحيل ذهبت تقضى حاجتها فجاوزت الجيش . وفي عودتها إلى رحلها ، أحست أنها فقدت عقدًا لها ، فرجعت إلى المحل الذي كانت فيه تلتسمه ، وأمر الجيش بالرحيل وهي لا تزال في التماسه ، وأقبل الموكلون بها فحملوا هودجها ، ووضعوه على البعير الذي كانت تركبه وهم يظنون أنها فيه ، ثم سار الجيش وعادت هي فلم تجد أحدًا وغلبتها عينها فنامت ، وكان صفوان بن المعطل السلمي على ساقه الجيش ، فتخلف عنه وأصبح عند المنزل الذي بقيت فيه أم المؤمنين رضي الله عنها ، فرأى سواد إنسان نائم ، واقترب منه ، وإذ عرفها أخذه الحزن ورفع صوته قائلاً : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فاستيقظت على صوته وخمرت وجهها بجلبابها ، وصمت صفوان بعد ذلك فلم يزد على أن أناخ راحلته وقال : أمه ، قومي فاركبي ، ثم سار بها فأدرك الجيش بعد ما نزل عند الظهر . قالت رضي الله عنها : فلما نزلنا هلك من هلك بالقول والافتراء

والذي تولى كبره عبد الله بن أبي ابن سلول ، فإنه أول من أشاع الإفك في العسكر ، ثم برأها الله فشرح صدر النبي ﷺ والمؤمنين بهذه البراءة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [التور: ١١] إلى بقية الآيات العشر (سورة النور) .

سَيِّد الرسل وأم المؤمنين بشر الأبطال بالنصر المبين
خرجت في الجيش ترجو ربها عصمة الراجي ، وعون المستعين

ينصر الحق ، ويقضى أمره
اصبرى إن جل أمر ، إنها
أرأيت الأرض لما رجفت
اقشعرت ، وتمنت لو هوى
أنت فى شأنك إذ تبغينه
سوف يبدى الخطب عن روعته

* * *

رفعوا الهودج ، والظن بها
وانجلي الليل عن الخطب الذى
أين غابت أى أرض نزلت
يا رسول صبراً إنها
يا أبا بكر رويداً ، إننا

* * *

رجعت والليل فى برده
ذهب الجيش ، وأمست وحدها
خطرت فى الجو من أنفاسها
ماج كالبحر طغت أثباجه
نام عنها الهم لما رقدت
وأتى صفوان ما يبدو له
يرسل الطرف ، ويمشى نحوها

(١) كان العقد من جزع - خرز ظفار ، وهى قرية من قرى اليمن ، قيل : إنه كان يساوى اثنى عشر درهماً) وقد وجدته فى ذلك المكان .

(٢) مدلج : من أدلج إذا سار بالنهار .

(٣) أثباجه : أعاليه ، جمع ثبج .

عرف الخطب ، فما أصدقه
دعوة رنتُ ، فلو قيل : اسمعوا
أيقظت عائشةً من نومها
جفلتُ منه ، فغطت وجهها
يصرف اللحظ كليلاً دونها
قرب الناقة منها ، ودعا
أخذ المقود يمناً ، ومضى
ينتحي يثرب بالنور الذي

نشروا الإفك فساداً وأذى
لا ينال الحق في سلطانه
يالها من عصابة فاسقة
وجدت فيه زعيماً حاذقاً
وعلى الله جزاء المفسدين
كذب الحمقى ، وإفك المرجفين
هاجها للشر شيخ الفاسقين (٤)
وإماماً بارعاً للمفترين

هكذا يا ابن أبي هكذا
انفت السم ، وخضها فتنة
لا يكن شأنك شأن المسلمين
تتلظى نارهم للخائضين

يا ابنة الصديق صبراً ، ليته
يالها من علة لو تعلمين
ألم المرضى وهم الموجعين (٥)
إنها أبرح مما تشتكين

(١) الأذنين : المؤذن .

(٢) مُلّيت البنين : متعت بطول حياتهم معك .

(٣) ينتحي : يقصد .

(٤) شيخ الفاسقين : عبد الله بن أبي .

(٥) مرضت بعد قدومها المدينة شهراً ، والناس يفيضون في الإفك وهي لا تعلم .

أَعْقَبَ الْبَشَرَ عُبُوسٌ وَبَدَا
كَيْفَ تَيْكُمُ لَيْسَ مِنْ عَادَاتِهِ
غَيَّرُوهُ ، فَلَوَى مِنْ عَظْفِهِ
وَهُوَ يُخْفِي لَكَ مَا لَا يَنْقُضِي
سَجْنَ السَّرِّ ، وَكَمْ مِنْ رَوْعَةٍ
مَنْ رَسُولَ اللَّهِ مَا لَا تَرْضِي (١)

أَنْصَتِي ، فَالَلِيلُ مَصْغٌ ، أَنْصَتِي
جَاشَتْ النَّفْسُ ، وَلَجَتْ رَعْدَةٌ
مَسْطَحٌ ، لَا قَرَّ عَيْنًا مَسْطَحٌ
فَضَحْتَهُ عَثْرَةٌ مِنْ أُمِّهِ
لَا تَلُومِيهَا إِذَا مَا غَضِبَتْ
أَرْسَلَتْهَا دَعْوَةٌ وَاحِدَةٌ
تَعْسُ الثَّعْلَبُ مَا أَخْبَثَهُ
وَقَعَ الْخَطْبُ ، فَمَاذَا تَصْنَعِينَ ؟
لَمْ تَدْعُ فِي الْقَلْبِ مِنْ رُكْنِ رَكِينٍ
شَبَّهَا نَارًا تَهْوِلُ الْمُصْطَلِينَ (٢)
فَانْظُرِي كَيْدَ ذَوِيكَ الْأَقْرَبِينَ
إِنْهَا تَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمِينَ
لَيْتَهَا زَادَتْ عَلَى حَدِّ الْمَثِينِ
فَدَعَى بَدْرًا وَأَسَادَ الْعَرِينِ

رَجَعْتَ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَمِّهَا
لَوْعَةٌ مَشْبُوبَةٌ فِي سَقَمٍ
يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ تَأْذَنُ لِي ؟
مَرٌّ وَدَغٌ هَمِي لِأُمِّي وَأَبِي
لَمْ تَبْتَ مِنْهَا بَلِيلُ الرَّاقِدِينَ
فِي شَأْيَبٍ مِنَ الدَّمْعِ السَّخِينِ
إِنْ بَيْتِي بِمَصَابِي لَقَمِينَ (٣)
إِنَّمَا اسْتَأْذَنْتُ خَيْرَ الْأَمْرِينَ

(١) كَانَ يَرِيهَا انْقِبَاضَ النَّبِيِّ ﷺ كَلَمَا جَاءَ يَعُودُهَا وَقَوْلُهُ : « كَيْفَ تَيْكُمُ ؟ » ، ثُمَّ لَا يَزِيدُ .
(٢) خَرَجَتْ مَعَ أُمِّ مَسْطَحٍ خَالَةَ الصَّدِيقِ لِقَضَاءِ حَاجَتِهَا لَيْلًا فَعَثَرَتْ أُمُّ مَسْطَحٍ فِي إِزَارِهَا
فَقَالَتْ : تَعْسُ مَسْطَحٌ ، فَقَالَتْ لَهَا : بِسْمَا قُلْتُ ، أَتَسِينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا ؟ قَالَتْ : يَا
هَتَاهُ (أَيْ يَا هَذِهِ) أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ وَأَخْبَرْتَهَا بِحَدِيثِ أَهْلِ الْإِفْكَ . وَكَانَ مَسْطَحٌ
مِنْهُمْ ، فَأَخَذَتْهَا حَمِي نَافِضَةٌ وَأَصْبَحَتْ تَبْكِي .

(٣) دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ وَهِيَ تَبْكِي ، وَقَالَ : « كَيْفَ تَيْكُمُ ؟ » ، عَلَى عَادَتِهِ فَقَالَتْ :
أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَتِيَ بَيْتَ أَبِي فَأُذِنَ لَهَا ، وَالْقَمِينَ : الْخَلِيقَ وَالْجَدِيرَ .

بان حسنُ الصبر ، والعزم انطوى وأرى السقم مقيمًا ما يبين
قال : ما شئت ، هلمّي فافعلى لك يا صاحبتى ما تؤثرين

ذهبتُ ، يحزنها أن لم تكن طوّحَ الدهر بها فى المذهبين
ثم قالت وهي تبكى : عجبًا لك يا أمّاه ، ماذا تكتمين ؟ (١)
أفلا نبأتنى ما زعموا ؟ ويحهم : ما حيلتى فى الزاعمين ؟
ظلمونى ، ما رعوا لى حرمة ربّى كن لى - ما أقل المنصفين

جزع الصديق مما نابّه إنه خطب يهول الأكرمين (٢)
قال : أف لك من داهية ما رمينا بك فى ماضى السنين
أقلّمّا زاننا دين الهدى ساءنا شر حديث لا يزين ؟

كيف تيكم ؟ يالها صاعقة أرسلتُ من فم خير المرسلين
كيف تيكم ؟ كيف تيكم كلما جاء ، إن الله مولى الصابرين
اصبرى يا ربّة العقد الذى زيّن من عينيك بالدر الثمين

أوجعتها من على شدة هى من دأب الأباة الأولين (٣)

(١) قالت لأمها : يغفر الله لك ، تحدث اناس بما تحدثوا به ، وأنت لا تخبريننى بشيء ،
قالت : يا بنية هونى عليك ، وقالت : وهل علم أبى ؟ قالت : نعم . قالت : ورسول
الله ؟ ، قالت : نعم . فاستعبرت وبكت ، وباتت لا يرقأ لها دمع .

(٢) قال : ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل على ، والله ما قيل لنا هذا فى
الجاهلية حيث لا يعبد الله أفيقال لنا فى الإسلام ؟

(٣) عن عائشة أن النبى ﷺ استشار الصحابة فى أمره ، فقال له عمر : من زوجها لك يا
رسول الله ؟ قال : « الله تعالى » ، قال : أفنظن أن الله دلس عليك فيها ؟ سبحانه
هذا بهتان عظيم ، وقال أسامة بن زيد : أهلك يا رسول الله فما نعلم إلا خيرًا ، فأما
على ابن أبى طالب كرم الله وجهه فقال : يا رسول الله لم يضيق الله عليك ، والنساء =

سلط الضرب على مولاتها
أقسمت صادقاً ما علمت
التقى والبر فى تاجيهما
أى سرّ عندها للضاربين؟؟
غير ما يدفع دعوى الواهمين
هل رأى التاجين أعلى المالكين؟

مرحباً بالحق ، يحمى جنده
مرحباً بالوحى ، يجلو ما طوت
مرحباً بالروح يُلقَى من علٍ
فتنة جلت ، فلما انكشفت
وتجلّت غمرة الهادى فلا
يا ابنة الصديق طيبى وانعمى
ضرب القوم بماضٍ مخذم
سقطوا صرعى ، عليهم غبرة
ما استباحث تُرّهات المبطلين (١)
ظلمات الشك من نور اليقين
رحمة الله ، تغيث المؤمنين
أزلفوا الشكر وراحوا راشدين
ريبة تغشى ، ولا ظن يرين (٢)
ذاك حكم الله خير الحاكمين
من مواضيه ، فولوا مدبرين (٣)
من قتام البغى تخزى الظالمين

أمسك الصديق من معروفه
وطوى عن مسطح نعمته
ينكر الغدر ، وينهى الغادرين (٤)
ليرى حق الكرام المنعمين

= سواها كثير ، وإنك لتقدر أن تستحلف وأن تسأل الجارية بريرة تصدقك ، وجاءت بريرة فقالت : والذي بعثك بالحق ما علمت عليها من شيء يعاب . فقام إليها على يضرها ضرباً شديداً ويقول لها : أصدقى رسول الله ، فتقول : والله ما علمت إلا خيراً .

(١) إشارة إلى نزول الآيات الشريفة فى براءتها .

(٢) ران الشيء على القلب غلب عليه وكان له كالصدأ ونحوه .

(٣) المخذم : السيف القاطع .

(٤) كان مسطح يتيماً فى حجر أبى بكر ، يتولاه برعايته وينفق عليه لفقره وقربته منه ، فلما قال ما قال من الإفك غضب عليه ، وقيل : إنه أخرجه من منزله وقال له : لا وصلتك بدرهم أبداً ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢] فرجع أبو بكر رضى الله عنه ينفق على مسطح .

عاله دهرًا ، فلما خانه راح يجزيه جزاء الخائنين (١)
سنة العدل ، قضاها من قضى سنة الرحمة بين الراحمين
نزل الذكر بها قدسية فعفا الناقم وارتاح الضنين

* * *

اجعل الخير قرينًا إن أبى كل غاو ، إنه نعم القرين
جلّ ربى وعلا ، كل امرئ بالذى يكسب من أمر رهين

* * *

غزوة الخندق

لما أصاب بنى النضير ما أصابهم شق ذلك على اليهود ، فسار من سادتهم إلى مكة حياً بن أخطب ، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن أبي الحقيق ، وهوذة ابن قيس ، وأبو عامر الفاسق ، وجعلوا يحرضون المشركين على قتال النبي ﷺ ، ويعاهدونهم على أن يكونوا معهم . فرحب بهم أبو سفيان وقال لهم : لا نأمنكم إلا إن سجدتم لآلهتنا ، فسجدوا ، وخرج من بطون قريش خمسون رجلاً فألصقوا أكبادهم بالكعبة ، وتعلقوا بأستارها يتحالفون على النصره وحرب النبي ﷺ ، ثم جاؤوا إلى غطفان ، وجعلوا لهم ثمر خيبر سنة إن هم نصرهم فرضوا . وتأهبت الجموع للحرب في أربعة آلاف ، ووافتهم بنو سليم بمر الظهران وخرجت بنو أسد ، وفزارة وأشجع ، وبنو مرة ، وجاءت غطفان وقائدهم عيينة ابن حص ، وكان من وافى الخندق من الكفار عشرة آلاف ، وكانت القيادة العليا لأبي سفيان ، وقدم المدينة ركب من خزاعة ، فأخبر النبي ﷺ بما أجمعوا عليه ، فجمع الصحابة وشاورهم في الأمر . وهل يخرجون من المدينة للقاء العدو أم يبقون فيها للدفاع عنها ؟ فقال سلمان الفارسي رضي الله عنه : يا رسول الله إنا كنا بأرض فارس إذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا ، فركب النبي ﷺ في رجال من المهاجرين والأنصار وكانوا ثلاثة آلاف وأمر النبي ﷺ - بالنساء والذراى فجعلوا في أطام المدينة واستخلف عليها (ابن أم كلثوم) ، وجعل يرتاد أفضل المواقع لحفر الخندق ، ثم أقبلوا يعملون فيه والنبي ﷺ بينهم وكان حفر الخندق أمام سلع ، وسلع : جبل خلف ظهور المسلمين ، والخندق بينهم وبين الكفار ، وقد انتهت هذه الغزوة بقهر المشركين ، وكسر شوكتهم ، وكانت في شهر شوال من السنة الخامسة ، وهو قول الجمهور وكان المسلمون ثلاثة آلاف .

أذهب حى^(١) مذمماً مشئوما
 إن تغضبوا لبنى النصير فإنه
 القوة انصدعت ، فكيف بكم إذا
 سرتهم تحكون الجراح ، ولا أرى
 رَحْبَ أبا سفيان إن لمثلهم
 جمع الهوى بعد التفرق بينكم
 تُذكى سيوفُ الله من أضغانكم
 ضمُّوا القبائل ، واجمعوا أحزابكم
 قال ابن حرب لليهود مقالة
 إن كان حقاً ما زعمتم ، فاعبدوا
 خرواً لآلهة ابن حرب سجداً
 كفروا على كفر رموا بركامه
 سئلوا عن العلم القديم فزوروا
 قالوا : شهدنا ، دينكم خير لكم

أحشدت إلا جمعك المهزوما ؟
 خطب يراه بنو أبيك عظيما
 ترك الهداة بناءكم مهدوما ؟
 مثل الجراح إذا امتلأن سموما
 من مثلك الترحيب والتسليما
 بش الهوى يصلى على النفوس جحيما
 نارا تصيب من القلوب هشيما
 سترون بأس محمد مضموما
 لم تلق إلا فاسقاً وأثيماً
 ما نحن نعبد ، وانبذوا التحريما
 لا ينكرون صنيعة المذموما
 والكفر أقبح ما يرى مركوما
 وأذى المزور أن يكون عليماً^(٢)
 من دين صاحبكم وأصدق سيما

(١) هو حى بن أخطب حيث انطلق إلى بنى قريظة ، فدنا من حصنهم ، فأبى كعب بن سعد أن يفتح له . فلم يزل يكلمه حتى فتح له . فلما دخل قال : كعب : جئتكم بعز الدهر ، جئتكم بقريش وغطفان وأسد على قادتها لحرب محمد ، قال كعب : جئتني والله بذل الدهر ، وبجهام - السحاب الذى لا ماء فيه . قد هراق ماؤه ، فهو يروع ويبرق وليس فيه شئ ، فلم يزل به حتى نقض العهد الذى بينه وبين الرسول - ﷺ - ودخل المشركين فى محاربته . وشرط كعب على حى أنه إذا لم يظفروا بمحمد أن ينجى حتى يدخل معه فى حصنه ، فيصيه ما أصابه . فأجابه إلى ذلك . ووفى له به . [فقه السيرة ص ٢٠٨ - ٢٠٩] .

(٢) قالت قريش : يا معشر اليهود ، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم القديم أخبرونا عما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمداً ، فديننا خير أم دين محمد ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ [النساء: ٥١] .

خَفَّ الرجال إلى البنية إنهم
عقدوا لهم حلفاً على أستاها
هل ألصقوا الأكباد من سفه بها
كانوا أخف من اليهود حلوماً (١)
والله يعقد أمره المحتوماً
أم ألصقوا إحناً بها وكلوماً ؟ (٢)

غطفان هبى للكريهة واغنى
كذب اليهود ، وخاب ظنك ، إنهم
لن يُطعموك سوى سيوف محمد
ما أكذب الأحزاب يوم تعاهدوا
جعلوا أبا سفيان صاحب أمرهم
كن كيف شئت ، فلن ترى لك ناصرًا
جمعوا الجنود ، وجاء ركب خزاعة
حمل الحديث إلى الرسول فزاده
نزلوا على الشورى بأمر نبيهم
قال : انظروا ، أنقيم أم غضى معاً
فأجابه سلمان : نحفر خندقاً
حملوا المساحي والمكاتل ما بهم
هى عندهم لله ، أو هم عندها
دلفت قروم محمد فى شأنها
يسعى ويعمل بين عيني ربه
من تمر خيبر حظك المقسوما
لم يبلغوا أن يُرزقوا المحروما
وستعلمين ذعافها المطعوما
أن لا يبالوا الصادق المعصوما
كن يا ابن حرب قائداً وزعيماً
ما دمت لله العلى خصيماً
يبدى الخفى ، ويظهر المكتوما
بأساً ، وزاد المسلمين عزيماً (٣)
يبغى لأمته السبيل قوياً
نلقى العدو إذا أراد هجوماً ؟
كصنيع فارس في الحروب قديماً
أن يحملوها أنفساً وجسوماً (٤)
خدامه ، سبحانه مخدوماً
تلقى بيثرب من ذويه قروماً (٥)
طلق الجلالة ، بالهدى موسوماً (٦)

(١) البنية : الكعبة .

(٢) الإحن : جمع إحنة وهى الحقد والغضب ، والكلم : جمع كلم وهو الجرح .

(٣) العزيز : عقد الإرادة على الأمر وإمضاؤه من غير تردد .

(٤) المساحى : جمع مسحا آلة من حديد كالمجرفة ، المكاتل جمع مكاتل وهو الزنبيل يعمل من الخوص .

(٥) دلفت : تقدمت ، والقروم : جمع قرم وهو السيد .

(٦) عمل النبي ﷺ فى الخندق وحمل التراب على ظهره الشريف . عن البراء بن عازب =

دأب الإمام فما ترى من رائث إن الإمام يصرف المأموما (١)
حمل التراب ، فظل يثقل ظهره ويقلقل الأحشاء والحيزوما (٢)
وإذا رأيت خليفته رأيتَه لله في ثوبيهما ملموما (٣)
ومضت بعمارٍ وزيد همة لم تبق من هم الجهاد مروما (٤)

سلمان أحسنت الصنيع وننته نسباً مضى ، فقضى لك التقديما (٥)
لما تنافس فيك أعلام الهدي حكم النبي فأنصف المظلوما

سلمان منا آل بيت محمد ولقد نسبت فما نسبت زنيما (٦)
الدين يجمع ، وليس منا من يرى في أهله عرباً ، ويعرف روما

= قال : كان رسول الله - ﷺ - ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه أو أغبر بطنه ،
يقول :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينه علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

ورفع بها صوته : « أبينا أبينا » .

[متفق عليه - البخارى ، ح : ٤١٠٤ ، مسلم فى الجهاد والسير ؛ ح :
١٢٥/١٨٠٣] .

(١) رائث : من راث إذا أبطأ .

(٢) الحيزوم : الصدر .

(٣) أبو بكر وعمر والضمير فى (رأيتَه) عائد على التراب .

(٤) عمار بن ياسر ، وزيد بن ثابت ، كانا يعملان بهمة عظيمة ، فسمح النبي ﷺ رأس
عمار وقال : « ابن سمية ، تقتلك الفئة الباغية » . . وقال فى زيد : « أما إنه نعم الغلام » .

(٥) كان سلمان رجلاً قوياً يعمل عمل عشرة رجال ، فتنافس فيه المهاجرون والأنصار ،
وجعل كل فريق يقول سلمان منا فقال الرسول الكريم « سلمان منا أهل البيت » .

(٦) الزنيم : الدعى يلحق بالقوم وليس منهم ، وهم فى غنى عنه .

والأكرم الأتقى تبارك ربنا إنا نطيع كتابه المرقوما (١)
الله مولاكم ، وأنتم شعبه لا تذكروا شعباً ولا إقليماً

* * *

سلمان دعها كدية توهى القوى وترد كل محدد مثلوما (٢)
اضرب رسول الله كم من صخرة لم تألها صدعاً ولا تحطيماً
من ليس يبلغ من جبابرة القوى ما أنت بالغه ، فليس ملوما
بشر جنودك بالفتوح ثلاثة تدع العزيز من العروش مضيماً
وصف المدائن والقصور لمعشر مثلتها صوراً لهم ورسوما
أبصرتها في نور ربك ، ما رأت عيناك آفاقاً لها وتخوما
ما زلت تحدث كل أمر معجز لولا النبوة لم يكن مفهوما
جهل العجائب معشر لم يعرفوا منهن إلا السحر والتنويم
لله أسرار تريك جلاله إن شاد فض كتابها المختوما
والعلم إن ضل السبيل ، ولم يلد ما يرشد الجهلاء كان عقيماً
بلوى ذوى الأسقام أكثرها أذى بلوى أخى عقل تراه سقيماً

* * *

- (١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [الحجرات : ١٣] .
(٢) استعصت كدية على سلمان ، فأخذ النبي ﷺ المعول من يده وقال : « بسم الله » ،
وضرب ضربة فكسر ثلثها ، وبرقت برقة . فخرج نور من جهة اليمن . فكبر وقال :
« أعطيت مفاتيح اليمن ، إنى لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة . كأنها أنياب
الكلاب » ، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر ، فخرج نور من قبل الروم فكبر وقال :
« أعطيت مفاتيح الشام والله إنى لأبصر قصورها ، ثم ضرب الثالثة فقطع بقية الحجر ،
وبرقت برقة فكبر وقال أعطيت مفاتيح فارس ، والله إنى لأبصر قصور الحيرة ومدائن
كسرى كأنها أنياب الكلاب في مكاني هذا » ، وجعل يصفها فيقول سلمان : صدقت ،
أشهد أنك رسول الله - قال : « هذه فتوح يفتحها الله بعدى يا سلمان » ، والثلث كسر
في حد المعول . روى هذا الحديث بطرق كثيرة في « الكبير للطبراني : ١١ / ١٢٠٥٢ ،
والدلائل للبيهقي : ٣ / ٤٢١ » .

بلغ الطوى بالقوم غاية جهده وكأنا طمعوا الصفايا الكوما (١)
جيش يصوم على الدؤوب ، ولم يكن لولا أمانة ربه ليصوما
من كل مبتهل يضجُّ مبكراً فى الحرب ، يدعو الواحد القيوما

كانت فتاتك يا ابن سعد إذ أتت غوثاً وخيراً للغزاة عميما (٢)
جاءت ببعض الثمر ، تطعم والدًا برًا ، وخالا فى الرجال كريما
ألقي عليه الله من بركاته فكفى برحمته ، وكان رحيمًا
أخذ النبي قليله ، فدعا الطوى داعى الرحيل ، وما يزال مقيما
جمع الجنود ، وقال : هذا رزقكم فكلوا هنيئًا ، واشكروه نعيما
فرحوا بنعمة ربهم ، وتبدلوا حالا تزيد الكافرين وجوما

هذا الذى صنع الشويهة قادم أحبب بذلك مشهداً وقدوما (٣)

(١) الطوى : الجوع ، وقد أصاب النبي ﷺ وجيشه من شدته فى هذه الغزوة ما أصابهم ،
حتى لقد لبثوا ثلاثة أيام بغير زاد . والصفايا من الإبل وغيرها . خيارها ، والكوم :
جمع كوما ، وهى ذات السنام الضخم من الإبل .

(٢) قال محمد بن إسحاق : وحدثني سعيد بن ميناء أنه قد حدث أن ابنه لبشير بن سعد
أخت النعمان بن بشير ، قالت : دعتنى أمى عمرة بنت رواحة ، فأعطتنى حفنة من تمر
فى ثوبى ، ثم قالت : أى بنية ، اذهبى إلى أبيك ، وخالك عبدالله بن رواحة
بغذائهما . قالت : فأخذتها وانطلقت بها ، فمررت برسول الله - ﷺ - فقال : تعالى يا
بنية ، ما هذا معك ؟ قالت : قلت : هذا تمر بعثتنى به أمى لأبى وخالى يتغذيانه .
فقال : هاتيه ، قالت : فصبيته فى كفى رسول الله - ﷺ - فما ملأتهما ، ثم أمر بثوب
فبسط له ، ثم دحا بالتمر إليه ، فتبدد فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : « اصرخ فى
أهل الخندق أن هلم إلى الغذاء ، فاجتمع أهل الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه ،
وجعل يزيد ، حتى أصدر أهل الخندق عنه ، وإنه ليسقط من أطراف الثوب [ابن اسحاق
فى السيرة : ٣ / ١٣٠ وفيه انقطاع ، والبيهقى فى الدلائل ٤٢٧ / ٣] .

(٣) « عن سعيد بن ميناء ، عن جابر بن عبد الله ، قال : عملنا مع رسول الله فى الخندق ،
وكانت عندى شويهة غير جد سميئة ، قال : فقلت : والله لو صنعناها لرسول الله - =

حيّا النبي وقال : جئتك داعياً
ما لى رعاك الله غير شويهة
أعددتها لك يا محمد مطمعاً
يكفيك من ألم الطوى وعذابه
ولقد أرانى فى الرجال عديماً (١)
لو زادها ربي بذلت جسيماً
يشفيك من سغب أراه أليماً (٢)
حجر يظل على الحشا محزوماً

سار الرسول بجنده ، ومشى الذى
يارب ، صاع واحد وشويهة
وضع الطعام ، فظل يشرق وجهه
وضع النبى يديه فيه ، فزاده
تلك الموائد لو يقال لها : انظمى
كرم صميم ، راح يورث جابراً
صنع الشويهة حائراً مهموماً
دبر وداو ، فقد دعوت حكيماً
بشراً ، وكان من الحياء كظيماً (٣)
رب يزيد رسوله تكريماً
شمل الشعوب ، رأيته منظوماً
شرقاً يفوت الوارثين صميماً

والأشهلية إذ يجىء رسولها يمشى بجفنتها أغر وسيماً (٤)

= ﷺ - قال : وأمرت امرأتى فطحنت لنا شيئاً من شعير ، فصنعت لنا خبزاً . وذبحت تلك الشاة فشويناها . فلما أمسينا فقلت يا رسول الله إني قد صنعت لك شويهة وصنعنا شيئاً من خبز الشعير ، فأنا أحب أن تنصرف معى إلى منزلى ، قال : وإنما أريد أن ينصرف معى رسول الله - ﷺ - وحده . قال : فلما أن قلت ذلك ، قال : نعم . ثم أمر صارخاً فصرخ : أن انصرفوا مع رسول الله - ﷺ - إلى بيت جابر قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون . قال : فأقبل رسول الله - ﷺ - وأقبل الناس معه ، فجلس وأصرخناها إليه ، فقال : فبرك ، وسمى الله تعالى ، ثم أكل وتواردها الناس ، كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس ، حتى صدر أهل الخندق عنها . [أحمد : ٣٧٧/٣] .

(١) العديم الفقير .

(٢) السغب : الجوع ، والأليم المؤلم .

(٣) الكظيم : المكروب .

(٤) أم عامر الأشهلية واسمها فكيهة ، ويقال اسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل ، أرسلت إلى النبى ﷺ قصعة فيها حيس وهو فى القبة عنده أم سلمة . فأكلت منها ما كفاها ، ثم خرج بها على المسلمين فأكلوا منها جميعاً =

بعد حفر الخندق

لما انتهى المسلمون من حفر الخندق أمر النبي ﷺ أن يجعلوا ظهورهم إلى جبل (سلع) وأن يستعدوا للقاء العدو ، ثم أعطى لواء المهاجرين إلى زيد بن حارثة ، ولواء الأنصار إلى سعد بن عباد ، وأمر بصرف الغلمان الذين لم يبلغوا الخامسة عشرة من سنهم ، وكانوا يعملون في الخندق . وكان بنو قريظة على عهد معه ﷺ ، فما زال حبي بن أخطيب بسيدهم كعب بن أسد القرظي حتى نقض العهد ، ومزق الصحيفة ، وكان أبو سفيان هو الذي حرض ابن أخطب على ذلك .

الله علّمها مناقب دينه فشفي الخبال ، وأحسن التعليما
لولا مراشده تُقوم خلقه لم يعرفوا الإصلاح والتقويما
نهض حماة به ، ولو لم يهتدوا لم يبرحوا في القاعدين جثوما
مضت السيوف ، وولت الأرباب فإلى الهزيمة أيها الأحزاب
لا اللات نافعة ولا أخواتها كل بلاء واقع وعذاب
في السفح من سلع قضاء رابض والويل حين يثور أو ينساب
يغى الفريسة ، والمنية مخلب ويصول ، والأجل المعجل ناب
هوى يابن حرب ما علمت وحربوا الغيل بسل ، والليوث غضاب (١)
أشفي سليط وابن عوف ضغنكم أم ثم ضغن واغر وضباب ؟ (٢)
لا بوركت تلك السيوف ، فإنها لتصيب من أعدائها فتصاب
كل الذي نلت من دم عطب يُتاح لكم معاً وتباب

= حتى نهلوا وهي كما هي . والوسيم : الجميل .

(١) الغيل : بيت الأسد ، ولسل : محرم ، والليوث : الأسد .

(٢) ذهب سليط وسفيان بن عوف من قل النبي ﷺ ليستطلعا أخبار القوم فقتلوهما .

زيد وسعد فى الفوارس ، فانظروا
 الله أكبر ، كل شىء دونه
 ثوبوا جموع المشركين ، فإنما
 لا يُعجبن بنى قريظة غدرهم
 هب ابن أخطب فاستزل بمكره
 يا للصحيفة إذ يمزقها ، أما
 إن كان يصدق نفسه المرتاب (١)
 صدق الذين دعاهم فأجابوا
 غرتكم الأوثان والأنصاب
 فمحمد للغادرين عقاب
 كعباً ، وأمر الجاهلين عجاب (٢)
 ينهاه عن خطأ الغواة صواب ؟

خطر الفحول ، فأين تذهب فتية
 قال النبى دعوا القتال لمعشر
 إن تذهبوا ناجين من غمراته
 لن يُحرّموا فى الله أجر جهادكم
 عنق المجاهد ليس يُغمط حقه
 الخندق الهيجا ، حملتم عبئها
 ملد السواعد والسيوف رطاب ؟ (٣)
 بلغوا النصاب ، فللقنال نصاب
 فلکم إليه مرجع ومآب
 إذ تعملون ويعمل الأصحاب
 سيان سيف قاطع وتراب
 والأمر جد ، والخطوب صعب

(١) زيد بن حارثة وسعد بن عباد .

(٢) قال أبو سفيان الحنفي بن أخطب : إئت قومك حتى يتقضوا العهد الذى بينهم وبين محمد
 فذهب إلى كعب بن أسد القرظى سيد بنى قريظة وولى عهدهم الذى عاهدهم الرسول
 الكريم عليه ، وأخذ يدق باب حصنه وهو لا يفتح له ، وألح عليه ، فقال له : ويحك
 يا حبي ، إنك رجل مشؤوم ، وإنى قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بينى وبينه ،
 ولم أر منه إلا وفاء وصدقاً ثم ألح عليه ففتح له . فقال له : ويحك يا كعب ، جئتك
 بعز الدهر ، جئتك بقريش حتى أنزلتهم بجمع الأسيال (مكان) ويغطفان حتى أنزلتهم
 بجانب (أحد) قد عاهدوني ألا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه . . فقال
 كعب : جئتني والله بذل الدهر وبكل ما يخشى ، فإنى لم أر فى محمد إلا صدقاً ووفاء ،
 فلم يزل به حتى نقض العهد ومزق الصحيفة .

(٣) هم الغلمان الذين أمر النبى ﷺ بردهم إلى أهلهم . والملد جمع أملود وهو الرطب
 الناعم .

هاتيك خيل ابن الوليد وصحبه تدنو فتطمع تارة وتهاب (١)
باب من الهيجاء ، لم تر مثله فيما تُسدُّ وتُفتح الأبواب
ذُعر الفوارس فى متون جيادهم لما تردى الفارس الوثاب (٢)
نظروا ، فكان لهم بمصرع نوفل خطب تطيش لهوله الألباب (٣)

* * *

الجو مستعر يشبُّ أواره ويعبُّ فيه من اللهيب عباب
جرت النبال به ، يذيب وطيُسها بأس الألى لولا الرجاء لذابوا
ماذا لهم بعد الغرور وما لقوا فى الحرب ، إن كذب الرجاء وخابوا؟

* * *

دفعوا الجياد ، وصاح عمرو صيحة هاج الهزبر لها ، وماج الغاب (٤)

(١) لما نظر المشركون إلى الخندق قالوا : والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها وصاروا يتناوبون ، فيغدو أبو سفيان فى أصحابه يوماً ، ويغدو خالد بن الوليد ، ويغدو عمرو بن العاص يوماً ، ويغدو هبيرة بن أبي وهب يوماً ، ويغدو عكرمة ابن أبى جهل يوماً ، فلا يزالون يجيلون خيلهم ، ويفترقون مرة ، ويجتمعون أخرى يناوشون المسلمين ، و كان الأمر فى هذه الحركة لا يتعدى الرمى بالنبل والحصى .

(٢) متون الجياد : ظهورها ، تردى : هلك .

(٣) هو نوفل بن عبد الله بن المغيرة ، أقبل على فرس له ليوثبه الخندق فوقه فيه فاندقت عنقه ، وقيل : إنه رمى بالحجارة وأن على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - ضربه بالسيف فشقه نصفين .

(٤) هو عمرو بن عبدود . أقبل فى طائفة من المشركين أكرهوا خيولهم على اقتحام الخندق من مضيق كان به ، وكان عمرو شيخاً فى التسعين من عمره ، وجعل ينادى مرة بعد أخرى : من يبارز ؟ ثم يوبخ المسلمين ويقول لهم : أين جئتكم التى تزعمون أن من قتل منكم دخلها وينشد .

ولقد بححت من النداء ء يجمعكم : هل من مبارز ؟

إن الشجاعة فى الفتى والجود من خير الغرائز

فقام إليه على بن أبى طالب وضربه بالسيف على حبل عاتقه فسقط قتيلًا ، وكبر المسلمون ، والهزبر : الأسد .

شيخ قضى فى الغالبين لنفسه فقضى عليه الأشوش الغلاب
يا عمرو خذها من على ضربة هي إن سألت عن الجحيم جواب

* * *

حِبان لا سلمت يداك ، ولا سقى أحياء قومك ما حيت سحاب (١)
أرسلته سهمًا ، تضجُّ لهوله أمم الكتاب وتفزع الأحقاب
من ذا رميت ؟ رماك ربُّك بالتى تنهدُّ من صدماتها الأصلاب
أخزيت أمك لا نُحدثُ بعدها عن طيب أمك هاهنا الأطياب
دم من جرحت ، وإن جهلت مكانه فى القوم ، مسك ساطع وملاب (٢)
سعد العشيرة والكتيبة حوله أسد العرين ، تزينها الأحساب
الفارس المرجوُّ يقدم قومه عند الوغى ، والسيد المتتاب (٣)
إن جدَّ جدُّ الضرب فهو مهتدَّ أو جنَّ ليل الخطب فهو شهاب

* * *

أغرى عينة وابن عوف مطمع يعيا بأيسر أمره الطلاب (٤)

(١) هو حبان بن العرقعة رمى سعد بن معاذ رضي الله عنه بسهم فى أكحله عرق فى وسط الذراع، وقد أمر النبي ﷺ بوضعه فى خيمة ربيعة الأسلمية ليعوده من قرب ، والعرقعة: اسم جدة حبان. سميت به لطيب عرقها .

(٢) الملاب نوع من الطيب .

(٣) الذى يقصد فى الكبير من الأمور ، أو للخير .

(٤) عينة بن حصن الفزارى ، جاء إلى النبي ﷺ مستخفياً من أبى سفيان ومعه الحارث بن عوف المرى ، وطلبا منه أن يقطعهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه ، فأبى عليهما إلا الثلث ، وبعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عباد ، فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه . فقالا : يا رسول الله ، أمراً تحبه فنصنعه ، أم شيئاً أمرك الله به إلى آخره فقال : « وأمرنى الله ما شاورتكما » ، قالوا : إن كان إنما هو رأى فما لهم عندنا إلا السيف - وقال سعد بن معاذ : قد كنا نحن وهؤلاء القوم (يعنى غطفان) على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطعمون أن يأكلوا منا ثمرة إلا قرى أو بيعاً ، فحين أكرمنا الله بالإسلام ، وهدانا له ، وأعزنا بك وبه . =

تركنا أبا سفيان في غفلاته
لم يبصر الذئبين حين تسللا
قالا - رضينا السلم ، يشيع قومنا
تمر المدينة إن أصبنا نصفه
ندع القتال ، وإن أبى حلفاؤنا
لهم الكريهة ، يُطعمون سمومها
وكأنما يُلْقَى عليه حجاب
ومن الرجال ثعالب وذئاب
تقرأ ، وراضى السلم ليس يعاب
فلكم علينا ذمة وكتاب
فاشدد لوم ، واستحضر عتاب (١)
ولنا طعام سائغ وشراب

* * *

هاجا من السعدين سورة غضبة
أبيا اصطناع الرأي في وهج الوغى
وتنازعا نظراً يهول ومنطقاً
من هُم؟؟ أيجمل أن يقال : تحكموا
نحى مدينتنا ونمنع نخلها
هي للضراغم شيممة أوداب
لم تصطنعه قواضب وحراب
يوهى القلوب الصم ، وهى صلاب
فيها ، ونحن السادة الأقطاب ؟
من أن يحوم على جناه ذباب

* * *

قال النبي بدا المغيب ، فارجعا
النصر عند الله ، ويجعله لنا
صبراً على حر القتال ، فإنه
ولكل نفس موعد وحساب
إن شاء ، وهو المنعم الوهاب
خطب يزول ، وغمرة تنجاب

* * *

شغل القتال عن الصلاة ، وإنها
سكن لنا من ربنا وثواب (٢)

= نقطعهم أموالنا؟؟ وفى قول آخر : نعطي الدنيا ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا
نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله - قال له النبي ﷺ : «فأنت وذاك» . وقال لعينة
وصاحبه : «إرجعا ، بيننا وبينكم السيف» .

(١) استحضر بمعنى اشتد .

(٢) استمر القتال بين الجيشين إلى الليل ، فلم يصل النبي ﷺ ولا أحد من المسلمين صلاة
الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، فصاروا يقولون : ما صلينا ، فيقول صلوات الله
وسلامه عليه : «ولا أنا» ، ثم أمر بلالا فأذن وصلوا .

قم يا بلال مؤذناً لنقيمها سكن القتال ، وزالت الأسباب
ربّ أرمهم بالنار ملء بيوتهم وقبورهم ، فلو اتقوك لتابوا (١)
وبيأسك انصرنا ، وزلزل جمعهم تزلّ الهموم ، وتذهب الأوصاب

* * *

(٣) ورد أن النبي ﷺ قال: « ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم ناراً كما حبسونا شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس » [مسلم ؛ ح : ٦٢٧ ، ٦٢٨] البخارى ؛ ح : ٢٩٣ ، الترمذى ح : ٢٩٨٤ ، النسائى ٢٣٦/١ ، ابن ماجه ؛ ح : ٦٨٤ ، ومن دعائه عليهم: « اللهم منزل الكتاب سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، الله اهزمهم وانصرنا عليهم وزلزلهم » . متفق عليه ، رواه البخارى ؛ ح : ٤١١٥ ، ومسلم ؛ ح : ١٧٤٢ .

عباد بن بشر رضيه الله عنه

كان عباد بن بشر رضي الله عنه لا يفارق قبة الرسول الكريم ﷺ ساعة من الليل، فهو يبيت طائفاً حولها يحرسها من الأعداء ، وكان بالخنديق ثلثة يتفقدوها النبي ﷺ بالليل مرة بعد أخرى ويقول : « ما أخشى أن يؤتى المسلمون إلا منها » ، وقال مرة : « ليت رجلاً صالحاً يحرس هذه الثلثة الليلة » ، فسمع صوت السلاح ، فقال : « من هذا ؟ » ، قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : أنا يا رسول الله جئت أحرصك قال : « عليك هذه لثمة فاحرسها » ، وطافت خيل المشركين بالخنديق ، فبعث عباد بن بشر وأصحابه في وجوههم ، ورماهم المسلمون بالنبل فانقشعوا .

من ينم عن لهزم أو مخذم يحرس القبة ما فيها سوى هباً يدعو : يا ابن بشر خلني كل لحم من جنودي ودم خلني واذهب إلى القوم الألى امض في صحبتك ، إني هاهنا احرسوا الخندق وارموا دونه أدركوا سعداً وكونوا مثله حارس الثلثة ، يلقي حولها أدركوه ، واهزموها قوة انصروا الله ، وصونوا دينه

فابن بشر ساهر لم ينم (١)
حارس الجيش وحامي العلم
إنها الخيل أراها ترمي
فهو لحمي يا ابن بشر ودمي
قذفونا بالرعييل المقدم (٢)
في حمى الله الأجل الأعظم
لا تخافوا كل غاو مجرم
إن رمى في الله سهماً أو رمي
صخرة من عزمه لم تُثلم
لن تنالوا النصر ما لم تُهزم
إن خير الدين دين المسلم

(١) اللهزم : الحاد القاطع من الأسنة .

(٢) الرعييل : القطعة من الخيل .

هو إن طمَّ على الأرض الأذى رحمة الأرض ، ومحيا الأمم (١)
وإذا ما أظلمت أرجاؤها فهو نور الله ماحى الظلم

ذهب الصحب كراماً ، ورَمَوْا بيد الله الأعز الأكرم
يذهب السهم سديداً راشداً فهو ملء العين أو ملء الفم
وهو فى النحر قضاء آخذ نافذ فى كل سد محكم

عادت الخيل سراعاً وبها من جنود الله مثل اللمم (٢)
وتوَلَّى الجند فى زلزلة تصدع الفيلق ، إن لم تهدم

حارت الأحزاب : ماذا تنتوى وبين فيما دهاها تحتمى (٣)
خذلتها فى الوغى آلهة لو هوى الوادى بها لم تعلم
تطلب الغوث وما من سامع أى غوث يرتجى من صنم ؟
يا زعيم القوم أيقن واستفق إنه الحق الذى لم تزعم
يا زعيم القوم هل من نادم ؟ إنما يهلك من لم يندم
نهض القوم برأى مُبصر ودهتكم عثرة الرأى العم
استفيقوا ، وانبذوا أربابكم أو فذوقوا البأس مرَّ المطعم
إنكم ممن كرهتم دينهم بين نابى كل صلٍ أرقم (٤)

(١) طم الأمر : غلب وتفاقم .

(٢) اللمم : الجنون أو طرف منه .

(٣) انتوى بمعنى قصد .

(٤) الصل : الحية . والأرقم صفة لأخبت الحيات وأطلبها للناس ، أو ما فيه بياض وسواد منها ، أو هو الذكر خاصة .

نعيم بن مسعود الأشجعي وجنود الله

قدم نعيم بن مسعود الأشجعي (١) على النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إني أسلمت ، وإن قومي (غطفان) لم يعلموا بإسلامي ، فمرني بما شئت ، فقال له : « إنما أنت رجل واحد ، فخذل عنا ما استطعت ، فإن الحرب خدعة » ، وأجاز له أن يقول ما أراد ، فذهب إلى بني قريظة وكان لهم نديماً : فأخذهم بدهائه ، وقال لهم كالناصح الأمين : لقد رأيتم ما وقع لبني قينقاع ولبنى النضير من إجلائهم وأخذ أموالهم ، وإن قريشاً وغطفان ليسوا مثلكم ، البلد بلدكم ، وبها أموالكم ونساؤكم وأبنائكم ، لا تقدرون على أن ترحلوا منه إلى غيره ، فإن رأى هؤلاء نهزة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم ، وخلوا بينكم وبين محمد ولا طاقة لكم به ، فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا رهناً من أشرافهم سبعين رجلاً يكونون بأيديكم ، قالوا : أشرت بالرأى والنصح ، ودعوا له وشكروه . . ثم ذهب إلى أبي سفيان ومن معه من أشراف قريش فقال : قد عرفتم ودي لكم وفراقى لمحمد ، وإنني ناصح لكم ، إن معشر يهود ندموا على ما صنعوا من نقض عهدهم الذي أعطوه محمداً ، وقد أرسلوا إليه وأنا عندهم يقولون : هل يرضيك أن نأخذ لك من قريش وغطفان سبعين رجلاً من أشرافهم تضرب أعناقهم وترد جناحنا الذي كسرت إلى ديارهم ، ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم فقبل ذلك منهم ثم ذهب نعيم إلى غطفان فقال : إنكم أهلى وعشيرتى ، وأحب الناس إلى ، ولا أراكم تتهموننى ، قالوا : صدقت ما أنت عندنا بمتهم ، فقال لهم مثل ما قال لقريش ، فلما كان ليلة السبت أرسل أبو سفيان ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر منهم ، فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام وقد هلك الخلف والحافر ، فأعدوا للقتال حتى نتأجر محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه . . . قالوا : إن غداً السبت وقد علمتم ما

(١) هو نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن خلاوة بن سبيع بن بكر بن أشجع . قيل أن رسول الله - ﷺ - نزع الأخلة (جمع خلال) بقية عن نعيم بن مسعود وحين مات . وقيل : لم يميت على عهد رسول الله - ﷺ - ، وبقي إلى زمن عثمان بن عفان .

أصاب الذين اعتدوا منا يوم السبت ، ومع ذلك فإننا لا نقاتل معكم حتى تعطونا سبعين رجلاً رهناً - قالوا : صدق والله نعيم .

اختلفت كلمتهم وبعث الله عليهم ريحاً عاصفاً نقلت بيوتهم وكفأت قدورهم ، وسفت عليهم التراب ، ورمتهم بالحصى ، وكانوا يسمعون فى أرجاء معسكرهم التكبير وقعقة السلاح ، ومزق الله جمعهم فانقلبوا خاسرين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩] .

أقبل نعيم هداك ربك ساريا
جئت النبی فقلت ، إني مسلم
مرنى بما أحببت فى القوم الألى
قال : ارمهم بالرأى ، يصدع بأسهم
عدى ابن مسعود إليهم راشداً
قال : استعنت بمن هداك بنوره
ومضى فهزّ بنى قريظة هزة
قال : اتبعوا يا قوم رأى نديمكم
أقما رأيتم ما أصاب محمد
جهلوا ، فعاجلهم ببأس عاصف
فدعوا قريشاً لا تظنوا أمرها
إن البلاد بلادكم ، فإذا انثنت
إن تأخذوا سبعين من أبطالهم
وأتى قريشاً فى مخيلة ناصح

وكفى بربك ذى الجلالة هاديا (١)
من أشجع لم يدر قومى ما بيا
كرهوا الرشاد أكن لأمرك واعيا
عنا ، ويتركه ضعيفاً واهيا
واصنع صنيعك أمراً أو ناهيا
ومحا بملتك الظلام الداجيا
يغتال راجفها الأشم الراسيا
إنى محضتكم الوداد الصافيا
من قومكم لما أطاعوا الغاويا ؟ (٢)
لم يبق منهم فى الجزيرة ثاويا
من أمركم أما ولا متدانيا (٣)
ومضى البلاء ، فلن تصيبوا واقياً
رهناً ، يكن حزمًا ورأياً شافيا
يبدى الهوى ، ويذيع سرّاً خافيا (٤)

(١) كان مجيئه إلى النبی ﷺ ذات يوم عشاء [البداية والنهاية : ٤ / ٤٦٤] .

(٢) الغاويا : حبي بن أخطب .

(٣) الأشم : القريب .

(٤) المخيلة هنا ما يظن ويتوهم .

يا قوم إن بنى قريظة أحدثوا
قال المنبئ إنهم ندموا على
بعثوا فقالوا يا محمد ما ترى
نعطى سيوفك من قريش ثلثة
من هؤلاء وهؤلاء نعددهم
وترد إخواننا إلى أوطانهم
كانوا على حدث الزمان جناحنا

ومشى إلى غطفان ينبئهم بما
أهلى منحت نصيحتى ، وعشيرتى
سمعت قريش أو يزيد مُحاييا
نبهت ، أخشى أن يجل مصاييا

هفت المخاوف بالنفوس ، فزلزلت
لم يُبق منها الأشجعى بمكره
ومضت بها هوج الظنون سوافيا (٣)
ودهائه غير الهواجس باقيا

جلس ابن حرب في سراة رجاله
والرهمط من غطفان ينظر واجماً
همّا يطالعههم ، وخطباً جاثيا
حيئاً ، ويهدر عاتباً أو لاحيا
منهم ، فيا لك حيرة هي ماهيا
لبثوا ، يدير الرأى كل مجرب

بعثوا ، فقالوا لليهود تأهبوا
لم يبق من خُفّ ولا من حافر
للحرب ، نطوى شرها المتماديا
إلا سيصبح هالكا أو فانيا (٤)
نزلوا من الأرض البعيدة النائيا
طال المقام ، ولا مقام لمعشر

(١) الداعيا هو : حى بن أخطب .

(٢) الثلثة : الجماعة ، ورايا : زائدة .

(٣) من الهوج بفتح الحاء وهو الطيش والتسرع . وهوج جمع أهوج وهوجاء .

(٤) المراد ذوات الخف والحافر من الإبل والحيل ونحوها .

أمست منازلهم بأرض عدوهم والموت يخطر رائحًا أو غاديًا
قالوا : أيوم السبت نبرز للوغى ولقد علمنا ما أصاب الباغيا ؟
لسنا نقاتل ، أو تُؤدُّوا رهنكم إنا نرى الداء المكتَّم باديًا
سبعين إن خفتهم قضينا أمرنا فيهم ، ولن يجدوا هنالك فاديًا

* * *

غضبت ابن حرب ثم قال لقومه صدق ابن مسعود وخاب رجائيا
غدر اليهود وتلك من عاداتهم يا قوم ، ما للغادرين وماليا ؟
ما كنت أحسب ، والخطوب كثيرة أن الأحبة يصبحون اعدايا

* * *

هذا بناء القوم مال عموده فوهى ، وأصبح ركنه متداعيا
هدم الإمام العبقري أساسه وسما بدين العبقرية بانيا
شيخ السياسة ليس يبعث غارة أو يبعث الرأى المظفر غازيا
الله علمه .. فليس كفنه فنُّ ، وإن بهر العقول معانيا

* * *

الله أرسله عليهم عاصفًا متمردًا يدع الجبال نوازيا
شرس القوى ، عجلان أهوج يرمى يزجى الغوائل مستبدًا عاتبا
ما لامرئ عهد يظنُّ بمثله من بعد عاد رائيًا أو راويا
قلب المنازل والبيوت فلم يدع إلا مصائب مثلاً ودواهيا
ألقى على القوم العذاب ، فما يرى متزحزحًا عنهم ، ولا متجافيا
الأرض واسعة الجوانب حولهم ما مسَّ منها عامرًا أو خاليا (١)
نزلت جنود الله رعبًا بالغًا ملأ القلوب ، فما برحن هوافيا (٢)

(١) كانت الريح تقلبهم وتضربهم بالحجارة وهى لا تتجاوز عسكرهم .

(٢) أرسل الله الملائكة فى هذه الغزوة فقذفت الرعب فى قلوب المشركين . وهوافيا : من هفا القلب إذا ذهب فى أثر الشئ والمقصود ذهل .

وأتى حذيفة فى مدارع غيهب
يتلمس الأخبار : ماذا عندهم ؟
جاء الرجال ، يدسّ فيهم نفسه
بيدّى معاوية وعمرو أمسكت
لولا الرسول ودعوة منه مضت
بلغ البلاء بهم مداه ، فلم يجد
يدعو أبو سفيان يا قوم انظروا
فيم المقام ؟ كفى التعلل بالمنى
حسبى على ألم الرحيل وحسبكم
ثم اعتلى ظهر البعير ، وقال : سر
فاهتاج عكرمة وقال : أهكذا

ألقى على الدنيا حجاباً ضافياً (١)
أفاق غاويهم ، فيصبح صاحباً ؟
والحتف يرقبه مخوفاً عادياً (٢)
كلتا يديه موارباً ومداجياً
لقى الأسنة والسيوف مواضياً
منهم سوى شاك يطارح شاكياً
إنا وجدنا الأمر صعباً قاسياً
هبوا ، فإننى قد مللت مقامياً
أن يرجع الجيش العرمرم ناجياً (٣)
لا كان ذا الوادى المروء وادياً
يهنّ الزعيم ألا تقيم ليالياً ؟ (٤)

(١) حذيفة بن اليمان ، دعاه الرسول الكريم ﷺ ليأتيه بأخبار القوم وقال له : « اللهم احفظه من بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه ، وعن شماله ، ومن فوقه ، ومن تحته » وقال له : « يا حذيفة لا تحدثن فى القوم شيئاً حتى تأتيني » .

قال حذيفة : فجئت إليهم ودخلت فى غمارهم ، فسمعت أبا سفيان يقول : يا معشر قريش ، ليعرف كل امرئ منكم جلسيه ، واحذروا الجواسيس والعيون ، فأخذت بيد جلسى الذى على يمينى ، وقلت : من أنت ؟ قال معاوية بن أبى سفيان ، وقبضت يد من على يسارى ، وقلت : من أنت ؟ قال عمرو بن العاص ، فعلت ذلك خشية أن يفتن بى ، فقال أبو سفيان : أخلفتنا يا معشر قريش إنكم والله لستم بدار مقام ، ولقد هلك الكراع والخف ، وأخفنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ، ولتينا من هذه الريح ما ترون . فارتحلوا فإننى مرتحل [ابن إسحاق كما فى السيرة : ٣/ ١٣٩ و ١٤٠] ، ووثب على جملة . . . والغيب : الظلمة الشديد .

(٢) الحنف : الموت .

(٣) الجيش العرمرم : الكثير .

(٤) عكرمة بن أبى جهل ، قال لأبى سفيان : إنك رأس القوم وقائدهم : تذهب وتترك الناس ؟ فاستحيا أبو سفيان وأناخ جملة ، وأخذ بزمامه وهو يقوده ، وقال للناس : ارحلوا فاجعلوا يرحلون .

انزل ، وسر في القوم سيرة ماجد لا تُشمتنَّ بك العدو ولا يبا
نزل الزعيم يجرُّ حبل بعيره ويقول : سيروا مسرعين ورائيا

* * *

ساروا وقال ابن الوليد أمالنا يا عمرو أن نلقى الليوث ضواريا ؟ (١)
إن كنت صاحب نجدة فأقم معي وليسبق من رزقوا النفوس أوابيا
أبيا الرحيل حمية فتخلفا وأباه قوم يتقون الزاريا
ثم استبدَّ بهم قضاء غالب فمضوا ، وأدبر جمعهم متراميا

* * *

ومضى حذيفة بالبشارة يبتغي عند النبي بها المحلَّ العاليا (٢)
وافاه في حرم الصلاة وقدها والنور نور الله يسطع زاهيا
حتى قضاها سمحة مقبولة متهجداً ، يتلو الكتاب مناجيا
ركعات ميمون النقيبة مشرق ترد السماء أهلة ودراريا
سمع الحديث ، فراح يحمد ربه فرحا ، ويشكر فضله المتواليا

* * *

إن يجمع القوم الجنود ، فإنما جمعوا مزاعم تفتري ودعاويا
جمعوا لأغوال يطول غليلها مما تحامها المنون تحاميا
من كل مقتحم ، سواء عنده وردَّ المنية شارباً أو ساقيا

* * *

سر في عبيدك يا ابن حرب إنما لاقيت منهم سادة ومواليا
لن تبلغ النصر المروم ، ولن ترى إلا ظبيَّ مهزومة وعواليا (٣)

(١) أقام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص في مائتي فارس بعد مسير أبي سفيان وعكرمة ثم لحقوا بهم .

(٢) رجع حذيفة بن اليمان إلى الرسول الكريم ﷺ وهو يصلي ، فلما قضيت الصلاة نبأه بما كان من أمره وأمر المشركين فضحك حتى بدت ثناياه ثم حمد الله وشكره .

(٣) الظبي : السيوف ، والعوالى : الرماح .

ذهبت لطيتها الكتاب خيِّبا وذهبت تبعث بالكتاب مُناويا (١)
 بش الكتاب ، عويت فيه ولن ترى ضرغامة الوادى يخاف العاويا (٢)
 ورفعت للأصنام فيه لواءها وهى التى تركت لواءك هاويا
 أتعيبها أن لم تكن عربية ؟ أفما رأيت جمالها المتناھيا ؟
 أنكرت حسن الفارسية غيرة وحسدتها ، فجعلت نفسك واشيا
 زدها من الوصف البديع ، وغننا لله درك يا ابن حرب شاديا
 ماذا أصابك من كتاب محمد لا تُخف ما بك إن أردت مواسيا (٣)
 أفما صعقت له ، وبت بليلة تسرى أراقمها ، فتعى الراقيا ؟ (٤)
 انهض أبا سفيان نهضة مهتد أفما تزال القاعد المتوانيا ؟

* * *

- (١) ألطية : النية والمقصد والمنزل والمتوى .
 (٢) أرسل أبو سفيان كتاباً إلى النبی ﷺ يقول فيه : باسمك اللهم فإني أحلف باللات والعزى وإساف ، ونائلة ، وهبل . لقد سرت إليك فى جمع وأنا أريد أن لا أعود إليك أبداً حتى أستاذلكم ، فرأيتك قد كرهت لقاءنا ، واعتصمت بمكيدة الخندق ما كانت العرب تعرفها ، وإنما تعرف ظل رماحها ، وشبا سيوفها ، وما فعلت هذا إلا فراراً من سيوفنا ولقائنا ، ولك منى كيوم أحد .
 (٣) أجابه النبی ﷺ بكتاب قال فيه : أما بعد فقد أتاني كتابك ، وقد يماً غرك بالله الغرور ، أما ما ذكرت أنك سرت إلينا وأنت لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا ، فذلك أمر يحول الله بينك وبينه ، ويجعل لنا العاقبة . وليأتين عليك يوم أكرس فيه اللات والعزى وإسافا ونائل وهبل .
 (٤) الأراقم : جمع أرقم وهو أخبث الحيات ، أو ما فيه بياض وسواد .

غزوة بنى قريظة

كانت هذه الغزوة يوم رجع المسلمون من غزوة الخندق (١) ، فأمر النبي ﷺ بلالا رضي الله عنه فأذن في الناس بالقتال ، وبعث منادياً يقول : يا خيل الله اركبي ، ثم سار إلى بنى قريظة في ثلاثة آلاف مقاتل ، وكانت الراية في يد علي ابن أبي طالب رضي الله عنه .

ولجأ اليهود إلى حصنهم فحوصروا فيه خمساً وعشرين ليلة - على أصح الروايات .

ونصح كعب بن أسد كبير اليهود لقومه وعمر بن سعدى فلم يقبلوا ، وضاق بهم الأمر ، فبعثوا إلى النبي ﷺ يطلبون أن يرسل إليهم أبا لبابة - من الأوس حلفائهم - فلما جاءهم قالوا : تحقن دماءنا ، ونأخذ ما تحمل الجمال إلا الحلقة (السلاح) وعرض ذلك على النبي ﷺ فأبى ، وطلبوه ثانية ونزلوا عن الأموال والحلقة فأبى ، ثم نزلوا على حكمه ﷺ وحكم سعد بن معاذ رضي الله عنه ، فأمر بهم فكتفوا ، وبالنساء والذراري فجعلوا ناحية ، وقتل حيي بن أخطب في من قتل منهم .

(١) انصرف الرسول - ﷺ - عن الخندق راجعاً إلى المدينة ، فلما كان الظهر ، أتى جبريل رسول الله - ﷺ - معجزاً بعمامة من استبرق على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أوقد وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم ، فقال جبريل : ما وضعت الملائكة السلاح بعد ، ومارجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله يأمرك يا محمد بالمسير إلى بنى قريظة فإنني عامد إليهم فمززل بهم . فأمر رسول الله ﷺ مؤذناً فأذن في الناس : « من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بنى قريظة . واستعمل على المدينة ابن أم كلثوم . [سيرة ابن هشام : ٣ / ١٤٠ ، ١٤١ ، البخاري بنحوه ؛ ح : ٤١١٩ ، مسلم في الجهاد والسير ، ح : ١٧٧٠] .

ترامى الجيش ، وندفع الرعيل فقل لبني قريظة ما السبيل ؟ (١)
 سلوا كعباً وصاحبه حياً نزيل الشؤم هل صدق النزيل ؟ (٢)
 أطعتم أمره ، فتلقفتكم من الأحداث داهية أكل
 وكان دليلكم ، فجنى عليكم وقد يجنى على القوم الدليل
 دليل السوء ، لا عقل حصيف يسدده ، ولا رأى أصيل
 تفرقت الجموع وأدركتكم جنود الله يقدمها الرسول (٣)
 جهلتم ما وراء الغدر حتى رأيتم كيف يتعظ الجهول
 ألم تروا اللواء مشى إليكم به وبسيفه البطل المهول ؟
 حذار بنى قريظة من على ولا يغرركم الأطم الطويل (٤)
 وما يجديكم الهذيان شيئاً وهل يجدى الخبل ما يقول ؟
 وما لبني القروء سوى المواضى يكون لها بأرضهم صليل (٥)

* * *

تواروا كالنساء محجبات حمتهما فى المقاصير البعول
 خلا الميدان ، لا بطل ينادى ألا بطل ؟ ولا فرس يجول

(١) الرعيل : مقدمة الخيل أو القطعة القليلة منه تقدر بالعشرين أو الخمسة والعشرين .

(٢) إشارة إلى ما كان من أمر حبي بن أخطب مع كعب بن أسد حين ذهب إليه وحمله على

نقض العهد وتمزيق الصحيفة . راجع غزوة الخندق وإلى أنه معه فى الحصن وفاء بعهده .

(٣) الذين جاؤوا لحرب النبى ﷺ فى غزوة الخندق .

(٤) الأطم، الحصن .

(٥) إشارة إلى قول الرسول الكريم ﷺ لهم وقد دنا من حصنهم: « يا إخوان القردة هل

أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته ؟ » ، فإن علياً كرم الله وجهه أقبل على الحصن فى جماعة

من المهاجرين والأنصار ، وغرز اللواء عند أصله . فسمع من بنى قريظة كلاماً بذيثاً فى

رسول الله وأزواجه ، ثم رآه مقبلاً فأوصى أبا قتادة الأنصارى رضى الله عنه أن يلزم

اللواء وخف إليه فقال : يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث ، قال :

« لعلك سمعت منهم لى أذى ؟ » قال : نعم فدنا من الحصن وقال لهم : « يا إخوان

القردة ... » .

أقاموا مُحَجَّرِينَ على هوان
يرتق عيشهم جوع وخوف
يبيت الهم منتشرًا عليهم
يلفهم السهاد ، فلا رقاد
يخاف النوم أكثرهم سهادًا
إذا مالت به سِنَّة تنزى
تطوف بهم منايهم ظنونا
بهم وبحصنهم مما دهاهم

أقام ، فما يريم ولا يحول (١)
كلا الخطبين أيسره جليل (٢)
إذا انتشرت من الليل السدول (٣)
يطيب لهم ، ولا صبر جميل
كأن النوم فى عينيه غول
يظن جوانب الدنيا تميل (٤)
توهج فى مخالبتها النصول
وحاق بهم جنون أو ذهول

* * *

يقول كبيرهم يا قوم ماذا ترون ؟ أهكذا تعمى العقول ؟ (٥)

(١) أحجره غطاءه وستره ، كناية عن بقائهم فى الحصن رام مكان هزال عنه وفارقه .

(٢) يرتق بمعنى يكدر .

(٣) جمع سدل وهو الستر .

(٤) تنزى : توثب وتسرع .

(٥) كعب بن أسد ، قال لهم : يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإنى عارض عليكم خللا ثلاثا ، أيها شئتم فذاك قالوا : وما هى ؟ قال : نتابع هذا الرجل ونصدقه ، فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل ، وأنه الذى تجدونه فى كتابكم ، فتأمنون على دمانكم وأموالكم ونسائكم وأبنائكم ، وما منعنا من الدخول معه إلا الحسد للعرب ، حيث لم يكن من بنى إسرائيل ، ولقد كنت كارهًا لنقض العهد ، ولم يكن البلاء والشؤم إلا من هذا الجالس (يعنى حى بن أخطب) أتذكرون ما قال ابن خراش حين قدم عليكم ، أنه يخرج بهذه القرية نبي فاتبعوه وكونوا له أنصارًا فتكونوا قد أمتتم بالكتابين ، الأول والآخر - قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبدًا ولا نستبدل به غيره : قال : فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف ، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا ثقلا ، وإن نظفر فلعمري لنجدن النساء والأبناء . . . قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ، فما خير العيش بعدهم ؟؟ قال : إن الليلة ليلة السبت . وأن عيسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمّنوا فيها ، فانزلوا لعلنا نصيب منهم غرة ، فقالوا : نفسد سبتنا وأبوا .

أليس محمد من قد علمتم
رسول الله ما عنه صدوف
أبعد العلم شك ؟ بل ضللتكم
هلموا تتبعه ، فإن أبيتم
نضحى بالنساء وبالذراري

فما الحَبَلُ الملحُّ ، وما الغفول ؟ (١)
لمن يغى النجاة ، ولا عدول
على علم ، وذلكم الغلول (٢)
فليس لنا سوى الأخرى بدليل
ونخرج ، والدم الجارى يسيل

* * *

(٣) الغفول : بمعنى الغفلة .

(٤) الغلول : الحيانة .

بأيدينا السيوف مسللات
فإلا تفعلوا فالقوم منا
لهم منا غداً بالسبت أمن
هلموا بالقواضب إن أردتم
عصوه ، وراضهم عمرو بن سعدى
أبوها جزية ثقلت عليهم
ففارقهم على سخط وضغن
نهامهم قبل ذلك أن يخونوا

نصون بها الذمار إذا نصول
بمنزلة تنال بها الذحول (١)
فإن تك غرة شفى الغليل
فما يغنى التردد والنكول
فما اجتنب الجماح ولا الجفول (٢)
وقالوا : بئسما يرضى الذليل
وراح يقول : لا نعم القبيل
فكان الغدر والداء الوبيل

* * *

توالى الضر عبثاً بعد عبء
دعواً يستصرخون : ألا دواء
لعل أبا لبابة إن ظفرنا

فهذا قواهم العبء الثقيل
فقد أشفى على الموت العليل ؟
بمقدمه لعثرتنا مقيم (٣)

(١) الذحول : جمع ذحل ، والذحل الثأر .

(٢) قال لهم عمرو بن سعدى : خالفتم محمداً ولم أشرككم فى غدركم ، فإن أبيتم أن تدخلوا معه فائبتوا على اليهودية ، وأعطوا الجزية فأبوا ، وغضب فقال : إني برىء منكم ، ثم فارقهم ولم يعد إليهم .
الجفول : النفور من كل شيء .

(٣) طلب اليهود أت يبعث المسلمون إليهم أبو لبابة ، لما جاءهم أبو لبابة واسمه (رفاعه بن المنذر) قام إليه الرجال وأسرع النساء والأطفال ليكون فى وجهه فرق لهم ، وقالوا : يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد (أن لا تحقن دماؤهم وأن لا تترك لهم نساؤهم وأبناؤهم) قال : نعم وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح ، فأبوا وقالوا : تترك السلاح ونجملو ، فلم يقبل النبي ﷺ ، وعادوا فقالوا : تترك السلاح والمال ، فكذاك .

(*) قال أبو لبابة : فوالله ما زلت قدماى من مكانهما حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله ، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله - ﷺ - حتى ارتبط فى المسجد إلى عمود من عمده . وقال لا أبرح مكانى حتى يتوب الله على ما صنعت ، وأعاهد الله أن لا أطأ بنى قريظة أبداً ، ولا أرى فى بلد خنت الله ورسوله فيها أبداً . وأنزل الله فيه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرُّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الانفال : ٢٧] . وظل =

وأرسله النبي فخالفوه
لكم منا السلاح إذا أردتم
وعاد ، فراجعوه على اضطرار
إليك أبا لبابة ما منعنا
خذه مع السلاح ، وأطلقونا
فقال : دماؤكم لا بدّ منها
أجب يا كعب إن الأمر حتم
وما من معشر يا كعب إلا
نصحت لكم ، وما للقوم عذر

وقالوا : لا يصاب لنا قتيل
وتنطلق الركائب والحمول
وهان عليهم المال الجزيل
وشرُّ المال ما منع البخيل
فحسب محمد منا الرحيل
وذلك حكمه ، فمتى القبول ؟
فماذا بعد إلا المستحيل
على حكم النبي لهم نزول
إذا نصح الحليف أو الخليل

هَؤُلاءِ من حصنهم ، وكذلك تهوى
وجاؤوا ضارعين ، لهم حوار
يبثُّ الوجدَ مبتئس حزين
قضاء الله من قتل وسبى

وتهبط من معاقلها الوعول (١)
يجأوبه بكاء أو عويل
وتذرى الدمع والهة ثكول
مضى ، والبغى دولته تدول

يقول الأوس إن القوم منا على عهد ، وقد طمت السيول (٢)

= مربوطاً حتى نزلت توبته في قوله تعالى : ﴿ وَأَخْرَجُوا عَتَرَتَهُمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا
وَأَخْرَسَيْنَا عَمَى اللَّهِ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٢] [سيرة ابن هشام : ٣/
١٤٤-١٤٤].

(١) نزلوا على حكمه ﷺ فبرزوا من الحصن . وجاؤوه أذلاء ضارعين ، فأمر بهم فكتفوا ،
وأخرج النساء والذراري فجعلوا ناحية .

الوعول جمع وعل : وهو التيس الجبلى أو ذكر الأروى .

(٢) توابت الأوس وقالوا : يا رسول الله ، موالينا وحلفاؤنا ، وقد فعلت في موالى إخواننا
بالأمس ما قد فعلت يعنون بنى قينقاع حلفاء الخزرج ، وقد كلمه فيهم عبد الله بن أبي
ابن سلول ، فوهبهم له على أن يجلوأ - فقال : «أما يرضيكم يا معشر الأوس أن يحكم
فيهم رجل منكم ؟ » قالوا : بلى - فقال : « فذلك إلى سعد بن معاذ » .

موالينا ، إذا خَطَبَ عناهم
وهم حلفاؤنا ، نحنو عليهم
أنقتلهم بأيدينا ؟ ؟ فعفوا
فقال : جعلت أمر القوم طراً
وجيء به ، يقول له ذووه
فقال : دعوا اللجاج فإن سعداً
فصاح يقول : واقوماه منهم
أتى ، فأقرَّ حكم الله فيهم
على والزبير لكل غضب
هما استبقا نفوس القوم نهباً

عنانا ما يُشَقُّ وما يعول
ونحذب إن جفا الحِذبُ الوصول
رسول الله إن أثم الضلّول
إلى سعد فنعم هو الوكيل
ترفق ، إنك المولى النبيل (١)
بنصرة ربه الأعلى كفيل
رجال عزمهم واه كليل (٢)
وآل الأمر أحسن ما يؤول (٣)
صقيل منهما غضب صقيل (٤)
وروح الله بينهما رسيل (٥)

* * *

تقدم يا حيي فلا محيص ورد يا كعب ما ورد الزميل (٦)

(١) بعث النبي ﷺ إلى سعد بن معاذ وكان في خيمة ريدة الأسلمية فحملة بعض قومه على حمار وهم يقولون له : يا أبا عمرو أحسن في مواليك ، فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم ، فقد رأيت ابن أبي وما صنع في حلفائه - كانوا يقولون ذلك له وهو ساكت فلما أكثروا عليه قال : لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم .
فصاح بعضهم : واقوماه .

(٢) واه كليل : بمعنى ضعيف .

(٣) جاء سعد فقال لبنى قريظة : أترضون بحكمي ؟ قالوا : نعم ، قال : فإني أحكم فيكم أن تقتل الرجال ، وتغنم الأموال ، وتسبي الذراري والنساء .

(٤) كان الذي تولى قتلهم على بن أبي طالب والزبير بن العوام .

(٥) الرسيل : المرسل ، والموافق في النضال وغيره .

(٦) جىء بحىي بن أخطب مجموعة يده إلى عنقه بحبل . فقال له النبي ﷺ : « ألم يمكن الله منك يا عدو الله ؟ » قال : بلى ، أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ، ولكن من يخذل الله يخذل ، ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر ، وملحمة كتبها الله على بنى إسرائيل ، ثم جلس فضربت عنقه . أما كعب بن أسد فقال له بعض قومه : يا كعب ما تراه يصنع بنا ؟ قال : في كل موطن لا تعقلون ، =

لكل من شقاء الجِدُّ ورد
أصابكم من الأقدار رام
لبئس السيدان لشر قوم
منايت فتنة خبيثت وساءت
قلوب من سواد القوم عمى
أضلَّهُمُ الغباء ، فهم كثير
تخطَّفهم هريت الشدق ضار
فما نجت النساء ولا الذراري
تهلَّلت المنازل والمغاني
وبات الحصن مبهتجاً ، عليه

وسَجِّل من منيته سجيل (١)
هوى بكما ، فشأنكما ضئيل
همُّ البرحاء والداء الدخيل (٢)
فلم تطب الفروع ولا الأصول
والباب من الزعماء حول
وعمهم البلاء ، فهم قليل
له من محكم التنزيل غيل (٣)
ولا سلم الشباب ولا الكهول
وأشرقت المزارع والحقول
لآل محمد ظل ظليل

* * *

لعمر الهالكين لقد تأذى
طوى رجسًا تكاد الأرض منه
يساق السبى ، شرذمة بنجد
جلائب ، لا أب فى السوق يحمى

تراب فى حفائهم مهيل (٤)
تمور بمن عليها أو تزول (٥)
وأخرى بالشام لها أليل (٦)
ولا ولد يذب ، ولا حليل (٧)

= أما ترون أن من ذهب منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل . . . قد دعوتكم إلى غير هذا
فابتم على ، قالوا : ليس حين عتاب

(١) السجل : الدلو وسجيل بمعنى عظيم ، ولا يقال له سجل إلا إذا كان ممتلئاً ، والجد : الحظ .
(٢) البرحاء : الأذى الشديد .

(٣) واسع الشدق من صفات الأسد ، والمراد به النبي ﷺ .

(٤) أمر النبي ﷺ فحفرت الحفائر ، ثم ألقى قتلى بنى قريظة فيها وهيل عليهم التراب .

(٥) تمور : تضطرب .

(٦) بعث النبي ﷺ سعد بن زيد الأنصارى ببعض سبايا بنى قريظة إلى نجد ، وسعد بن عباد
ببعض منها إلى الشام لبيتاعا بها خيلاً وسلاحاً - الأليل : الأتيل ، ورفع الصوت
بالصراخ عند المصيبة .

(٧) جلائب : مسوقات ، يذب : يدفع .

تُجَرَّ على الهوان ، ولا مغيث
أصاب المسلمون بها سلاحًا
مكرمة ، تُعدُّ لكل يوم
إذا ذكرت مناقبه الغوالى
مناقب ما يزال لها طلوع
لها من نابه الأدب انبعاث
ضمنتُ لها البقاء وإن عنتنى
وما تغنى الخزائم حين تُلَوِّى
تُخلدُها مصونات حسان
صفايا الشعر ، ولا خلق زرى
لعلَّ الله يجعلها ربيعًا
فواأسفا ، أنطمعنى القوافى
وواحرِبًا ، أما يُرجى فكاك

بأرض ما تجرُّ بها الذبول
وخيلا في قوائمها الحبول
كريم الذكر ، ليس له مثيل
تعالَت أمة ، واعتزَّ جيل
إذا الأقمار أدركها الأفول
فما يُخفى زواهرها الخمول
من الدهر العوائق والشغول
إذا انطلقت لحاجتها الفحول
حرائرُ ، ما لها أبدًا مُذيل
يخالطها ، ولا أدب هزيل
لألباب أضرَّ بها المحول
فيخلف مطمع ، ويخيب سول ؟
لأسرى ما تفارقها الكبول ؟ (١)



(١) يقصد الأمم الإسلامية المغلوبة على أمرها فى أيامنا هذه .

ثابت بن قيس رضي الله عنه (١)

والزبير بن باطا

كان الزبير بن باطا (بزاي مفتوحة ، وقيل : مضمومة) شيخاً من بنى قريظة من على ثابت بن قيس في الجاهلية يوم بعث - حرب بين الأوس والخزرج - كان الظفر فيها للأولين أخذه فجز ناصيته ، ثم خلى سبيله .
سأل ثابتاً رضي الله عنه أن يشفع له لدى النبي ﷺ لينجو من القتل ، فجاءه وذكر له ما كان من أمره معه ، وقال :

يا رسول الله إنها يد أحفظها له ، وأحب أن أجزيه بها ، فقال : « هو لك » ، وعاد فأخبر الزبير فقال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟
ورجع ثابت فكلم النبي ﷺ في أهله وولده . فقال : « هم لك » ، وأخبر الشيخ فقال : أهل بيت بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟؟ وشفع ثابت في ماله ، فقال له الرسول الكريم : « هو لك » .

قال اليهودي : أما أنت فقد قضيت ما عليك ، فماذا فعل بالذي كان وجهه مرآة مضيئة ، تتراءى منها عذارى الحى يعنى كعب بن أسد سيد بنى قريظة ؟ قال ثابت : قتل ، قال : فما فعل بسيد الحاضر والبادي من يحملهم في الجذب .
ويطعمهم في المحل : حبي بن أخطب ؟ قال : قتل . . . ثم سأله عن آخرين من سادات قومه . فقال : قتلوا ، قال : أسألك يا ثابت أن تلحقني بالقوم ، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير ، أأرجع إلى دار قد كانوا فيها حلولا فأخلد

(١) هو ثابت بن قيس بن شماس بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن الأعز بن ثعلبة بن كعب ابن الخزرج بن الحارث بن الخزرج . وأمه : هند بنت رهم بن حبي بن الأعز بن طريف بن عيد رض من طي ، ويقال بل : كبشة بنت واقد بن عمرو بن الاطنابة . شهد أحد وباقي المشاهد ، استشهد يوم اليمامة . [الإصابة : ١/٣٩٥ ، سير أعلام النبلاء : ١/٣٠٩ - الطبقات : ٤/٣٤٢] .

فيها؟؟

قال ثابت : ما كنت لأقتلك ، وقدمه إلى الزبير بن العوام رضي الله عنه فقتله .

كذلك يشقى الجامح المتعسف يموت بسوء الرأي من سوء خلقه أضاع الزبير الأمر مقبل سعى ثابت يجزيه سالف صنعه فقال رسول الله جئتكَ شافعاً حبانى دمی يوم البعاث وفكّنى فهبه رسول الله لى إننى به فقال : فعلنا ، ثم عاد شفيعه فجذّله فى المحسن السمح مطمع بنى وأهلى ليس لى إن فقدتهم فلما تسنى الأمر قال لثابت وجاد رسول الله بالمال رحمة يسائل عن كعب وسادات قومه توجّع لما قيل : ذاقوا حمامهم خذ السيف واضرب يا ابن قيس فإنهم كفى حزناً يا صاحبى أن تضمّننى أرحنى أرحنى يا ابن قيس بضربة تزودت من نأى الأحبة غلة فقال : معاذ الله ، لست بفاعل وجاء به يلقي الزبير على أسى وقال : اسقه رى الغليل من الردى

(١) غرار السيف : حده .

ويركب متن الظلم من ليس ينصف وللمرء ذى التقوى عن الغى مصرف وأثر حد السيف ، والسيف يصدف لدى محسن يسدى الجميل ويعطف لشيخ دعانى ضارعاً يتلهف وتلك يد بيضاء للشيخ تُعرف على ما ترى من شأنه لمكلف يشره بالعفو ، والشيخ يرجف وقال : حياة شرها ليس يوصف سوى الموت ، إنى عن حياتى لأعزف أنبقى بلا مال ، فنشقى ونتلف ؟ وبراً فراح الشيخ يهذى ويهرف ويطري سجايهم ، فيغلو ويسرف وقال : أريد الموت ، فالعيش أخوف هم الصحب ، مالى بعدهم متخلف ديار بهم كانت تُحب وتؤلف تبیت لها نفسى ترف وتنظف فهل أنت للصادى المعذب مسعف ؟ ومثلى يا أبى ما تريد ويأنف يغالبه ، والموت بالشيخ يهتف فطاح به ماضى الغرايين مرهف (١)

فيا لك من رأى سفيه ومركب كربه ، وخطب فادح ليس يكشف
 قضى ثابت حق المروءة وافيا وبرّ رسول الله والبرّ مجحف
 ولكنّ شيخ السوء أهلك نفسه وذو الجهل يرمى من يديه ويقذف

* * *

سعد بن معاذ رضي الله عنه

في خيمة ربيعة الأسلمية

لما رمى حبان بن العرقعة سعد بن معاذ رضي الله عنه في غزوة الخندق بسهم في أكحله أمر النبي ﷺ أن يوضع في خيمة ربيعة الأسلمية رضي الله عنها ، وكانت في جانب من مسجده ليعوده من قرب ، فلما عاد إليها بعد أن أمضى رأيه في بني قريظة انفجر جرحه ، فإذا الذين في المسجد يرون الدم يسيل إليهم - وله هدير من خيمة زوج ربيعة ، وهو من (بني غفار) فسألوا فقيل لهم : إنه سعد بن معاذ انفجرت جراحته فمات - وقد كان يسأل الله حين أصابه ذلك السهم أن لا يميته حتى يشفى صدره من بني قريظة وقد شفاه .

هدأ المخيم ، واطمأن المضجع
الحقُّ جنبٌ بالجراحة مشخن
يا سعد خطبك عند كل موحد
السهم حيث تراه ، لا آلامه
ما أنت حيث يكون سيد قومه
لك من ربيعة خيمة في مسجد
بل تلك منزلة الصفي ، بلغتها
حذب الرسول عليك ، يكره أن يرى
جار الرسول وما بليت بحاسد
وأبى الهدوء الصارخ المتوجع
وحشاشة تهفو وقلب يفزع (١)
خطب يجيء به الزمان ويرجع
ترجى عواقبها ، ولا هو ينزع
أين الولائد والفناء الأوسع ؟ (٢)
للمعشر الجفلى تقام وترفع (٣)
فوفى الرجاء ، وصح منك المطمع
مشواك مطرح الجوار ويجزع (٤)
الخير والرضوان عندك أجمع

(١) أثخنته الجراحة : أوهنته وأعجزت قواه .

(٢) الولائد : جمع وليدة وهي الصبية والأمة ، أو التي تستوصف قبل أن تحتلم .

(٣) الجفلى : جماعة الناس وعامتهم .

(٤) حذب : بمعنى عطف .

قال : اجعلوا البطل المنوّه باسمه
وَأَعُوذُهُ مَا شِئْتُ ، أَقْضَى حَقَّهُ
حسب المجاهد أن يكون بمسجدي

الله خصمك يا ابن قيس إنه
لا أخطأتك من الجحيم وحرها

لمن الدم الجارى ، يظل هديره
أفما ترون بنى غفار أنه
ماذا بِسَعْدٍ يا رُفَيْدَةُ خَبَّرِي
يا حسرتا : هو جرحه يجرى دمًا
حضرت منيته ، وَحُمَّ قِضَاؤُهُ
ملء السامع دائبًا ما يُقْلَعُ ؟
من عند خيمتكم يفيض وينبع ؟
إن القلوب من الجنوب تَطْلُعُ ؟
بعد الشفاء ، ونفسه تتمزع
ولكل نفس يومها والمصرع

ضجّ النعاة ، فهزّ يشرب وجدها
ركن من الإسلام زال وما انتهى

(١) على كُتُب : على قرب .

(٢) هو حَبَّان بن العرقعة ابن العرقعة .

(٣) دعه : دفعه دفعًا عنيفًا

(٤) الوجد : الألم ، والشجو : الحزن .

(٥) عن جابر بن عبد الله قال : جاء جبريل إلى رسول الله - ﷺ - فقال : من هذا العبد
الصالح الذى مات فتحت له أبواب السماء ، وتحرك له العرش ؟ قال : فخرج رسول الله
ﷺ فإذا سعد بن معاذ . قال : فجلس رسول الله - ﷺ - على قبره وهو يدفن . فبينما
هو جالس إذ قال : سبحان الله . مرتين ، فسبح القوم . ثم قال : الله أكبر ، فكبر
القوم ، ثم قال : عجبت لهذا العبد الصالح شُدَّ عليه فى قبره حتى كان هذا حين فرّج له
[البيهقى فى الدلائل : ٢٩/٤] ، وعن جابر : قال : قال رسول الله ﷺ لسعد يوم
مات وهو يدفن : « سبحان الله لهذا العبد الصالح الذى تحرك له عرش الرحمن ،
وفتحت له أبواب السماء ، شدد عليه ، ثم فرّج الله عنه » [أحمد : ٣/٣٢٧] .

خطب أصاب المسلمين ، فذاهل ما يستفيق ، وجازع يتفجع

صبراً رسول الله إن تك شدة أنت المعلم لا شريعة للهدى
نزلت ، فإنك للأشد الأضلع
أنت المعلم لا شريعة للهدى
إلا تُسنُّ على يديك وتُشرع
تمضى على المثلى ، وكل يقتضى
وتجىء بالفضلى ، وكل يتبع
أقم الصلاة على الشهيد وسرُّ به
فى ظل ربك ، والملائك خشع (١)
يمشون حول سريرته عدد الحصى
فالأرض ما فيها لرجلك موضع
ولقد تكون وما تُوقى الإصبع
تمشى بأطراف الأصابع ، تتقى
والله يضحك ، والسماء تُرجع (٢)
العرش مهتز الجوانب ، يحتفى

يا ناهضاً بالدين ، يحمل عبأه والبأس يعثر ، والسوابق تطلع

(١) ورد فى خبر وفاته أن سبعين ألفاً من الملائكة نزلوا لتشييعه إلى قبره ، وإن شأنه فى ذلك كان كشأن ثعلبة بن عبد الرحمن الأنصارى عن ابن عمر ؛ قال : قال رسول الله - ﷺ - « لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ما وطئوا الأرض قبلها . ، فإن النبى ﷺ سئل بعد دفنه : لم كان يمشى على أطراف أنامله وهو يشيع جنازته فقال : «والذى بعثنى بالحق ما قدرت أن أضع قدمى من كثرة ما نزل من الملائكة لتشييعه » .

وعن سلمة بن أسلم بن جريش ، قال : دخل رسول الله ﷺ وما فى البيت أحد إلا سعد مسجى ، فرأيت يخطى . وأوماء إلى : قف . فوقفت ورددت من ورائى ، وجلس ساعة ثم خرج فقلت يا رسول الله ما رأيت أحداً ورأيتك تخطى فقال : « ما قدرت على مجلس حتى قبض لى ملك من الملائكة أحد جناحيه » .

(٢) تواترت الروايات باهتزاز العرش لموته ، وهذا لفرح الملائكة بقدوم روحه ولما حمل على نعشه جعلت أمه تبكى فقال لها النبى ﷺ : « ليرقأ دمك ، ويذهب حزنك ، فإن ابنك يضحك الله له » قال صاحب السيرة : وهذا كناية عن إقبال الله تعالى عليه بالروح والريحان والمغفرة والرضوان ، ورجع الرجل ، قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وردد صوته فى حلقه ، والمؤذن أتى بكل من الشهادتين مرتين خافضاً صوته ، ومرتين رافعاً إياه .

اهنأ بها حلاً حملت حسانها
 هذا مكانك ، لا العطاء مقتّر
 لك يوم بدر عند ربك مشهد
 نُصِرَ النبي به على أعدائه
 كانت مقالة مؤمن صدعت قوى
 بعثت من الأنصار كل مدرّب
 يا سعد ما نسى العريش مُقيمه
 لما توالى الزحف جئت تحوطه
 فى عصابة ممن عليك دعوتها
 قمتم صفوفًا كالهضاب ، يشدها
 ولقد رميت بنى قريظة بالتي
 أحبب بها من دعوة لك لم تمت
 نفع الإله غليلَ صدرك ، إنه
 إن شيعوك فلم تجدنى بينهم
 الدهر معمور بذكرك أهل

(١) أهديت إلى النبي ﷺ حلة من الحرير فجعل أصحابه يسمونها ويعجبون من لينها فقال لهم : « أتعجبون من لين هذه الحلة ، والذي نفس محمد بيده لمناديل سعد فى الجنة خير منها وألين » .

(٢) إشارة إلى قوله هو والمقداد بن عمرو الملقب بابن الأسود للنبي ﷺ عند الخروج لغزوة بدر الكبرى - ولم يخرج الأنصار معه قبل هذه الغزوة : يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك ، لسنا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون - ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك ، وبين يديك وخلفك ، إلى آخر ما قال .

(٣) توسل إلى النبي ﷺ يوم بدر أن يبنى له عريشًا على تل يشرف منه على المعركة فقبل ، ولما التحم القتال جاء مع جماعة من الأنصار فوقفوا أمام العريش بسيوفهم مع أبى بكر الصديق .

(٤) هو الله تبارك وتعالى .

رفيدة الأسلمية

أقامت هذه السيدة الفاضلة خيمة لمداداة جرحى المسلمين الذين ليس لهم من أهليهم وذوى قرابتهم من يقوم عليهم ، ويتولى أمورهم ، وكانت هذه الخيمة المباركة فى ناحية من مسجد الرسول الكريم بالمدينة .

رفيدة علمى الناس الحنانا
خذى الجرحى إليك فأكرميهم
وإن هجع النيام ، فلا تنامى
أعينى الساهرين على كلوم
همُ الأهلون ، ما عرفوا أنيساً
حباك الله من تقواه قلباً
رفعت لأسلم ذكرراً جليلاً
ضيوف الله عندك فى محلّ
فيالك خيمة للبر فيها
جلال الله ألقاه عليها
نسيج من شعاع الحق بدع
تقل بدائع النساج عنه
وما يجد الأديب الفرد وصفاً
له فى الذهن ترجمة ومعنى
لسانى مُوثّق، يارب هب لى
فأذهب حيث شئت من القوافى

وزيدى قومك العالين شانا
وطوفى حولهم آناً فأنا
عن الصوت المردّد حيث كانا
تؤرّقهم ، فمثلك من أعانا (١)
سواك لهم ، ولا وجدوا مكانا
وسوى من مراحمه البنانا
يزاحم فى مواكبه الزمانا
تذكّرنا محاسنه الجنانا
جلال لا يرام ولا يُدانى
فجملها بروعته وزانا
نزيد على الزمان به افتتاننا
وإن نسجوا اللجين أو الجمانا (٢)
يحيط به ، ولو أفنى البياننا
جليل الشأن ، يعيى الترجمانا
جناح الريح أجعله لسانا
وأرسلها محببة حسانا

(١) الكلوم : الجروح .

(٢) اللجين والجمان : الفضة والذهب .

وألبسها رفيذة معجبات ضوامن أن تُجلَّ وأن تصاننا

رُفيذة جاهدى ودعى الهوينى فما شرف الحياة لمن توانى
 وربَّ مجاهد بلغ الثريا وما عرف الضراب ولا الطعانا
 وكم هز الممالك فى علاها فتى ما هز سيفاً أو سنانا
 ومن لم يمتحن دنيا المعالى فما امتحن الشجاع ولا الجبانا
 رفيذة ذلك الإسلام حقاً تبارك من هداك ومن هداننا
 تبارك ربنا ألقى علينا سنا الوحي المنزل واصطفانا
 هدينا العالمين به ، وإنا لنحن القوم ، لا هادِ سوانا

سعد بن عبادَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

كان طعام المسلمين في هذه الغزوة التمر يرسله سعد بن عبادَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فهو الذى مون الجيش ، ومن مناقبه أنه أبى على عيينة بن حصن والحارث بن عوف أن يأخذا نصف تمر المدينة ليرجعا بمن معهما فى غزوة الخندق ، وكان سعد ابن معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على رأيه فى ذلك ، ومن هذه المناقب طوافه على الأنصار يستنفرهم للقتال فى غزوة بدر ، وقد غاب عن هذه الغزوة المباركة ؛ لأن حية نهشته فلم يقدر على الغزو ، وقال النبى ﷺ فى ذلك : « لئن لم يشهدا سعد لقد كان حريصاً عليها ، ثم ضرب له بسهمه وأجره .

كان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ نقيب بنى ساعدة (من الخزرج) ومات بحوران من أرض الشام فى السنة الرابعة عشرة - فى خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وقبره بالنيحة (قرية من غوطة دمشق) (١) .

يا مطعم الجيش أشبعت السيوف دما لولاك ما شبت يوماً ولا طعما
أنت الحياة جرت في كل منطلق تغشى الكمى ، وتغشى الصارم أخذاً (١)
تتبع الجود ، لا بخل ولا سأم دين المروءة يأبى البخل والسأما
المسلمون يد لله عاملة تمضى أصابعها فى شأنها قدما
لا تشتكى إصبع من إصبع وهناً ولا تغيروها إذ تشتكى الأما

* * *

يا سعد أديت حق الله من ثمر لو كان من ذهب ما زدتَه عظماً

(١) سعد بن عبادَة بن دُلَيْم بن أبي حَزِيمَة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة ويكنى « أبا ثابت . وأمه عمرة بنت مسعود بن قيس بن عمرو بن زيد مناة عدى بن عمرو بن مالك بن النجار بن الخزرج . [نهذيب الكمال : ١٠ / ٢٧٧ - سير أعلام النبلاء : ٢٧٠١ ، الطبقات : ٥٦٦ / ٣] .

(٢) الكمى : الشجاع والصارم الخدم : السيف القاطع .

كذلك الخير ، يُدعى المرء مغنماً
زادتك نخلك يا سعد بن ساعدة
هذا جناها بأيدي القوم متّهب
أحصاه يا سعد عدا ثم ضاعفه
إن راح ينهبه في القوم مغنماً
فضلاً ، وزادت على أمثالها كرماً
والله يكتب ، فانظر ، هل ترى القلماً ؟
فلست تحصيه حتى تحصي الأئماً

* * *

ادفع عينة وارفع جهل صاحبه
تمر المدينة ما فيه مساومة
طعام كل فتى لله منتدب
منعته ونصرت الله في همل
وصته علماً للحق تحفظه
ما يصنع الناس إن ضاعت محارمهم ؟
إن الحديث حديث الدهر لو علما
أو يرجع السيف عنه مترعاً بشماً (١)
لا يغمد السيف عمن يطعم الصنما
من عصبية الشرك لا يرضونه حكماً
لا يحفظ العرض من لا يحفظ العلما
وما على الأرض أن لا تحمل الرما ؟

* * *

ألم تُهبّ يوم بدر بالآلى نفروا
يا قوم إن جموع الكفر حاشدة
إن لم يبتّ ناجياً من سوء ما اعتزموا
للحرب ، يصلون من نيرانها ضرماً ؟
فأين يذهب دين الله إن هُزماً ؟
فلا نجا أحد منا ولا سلماً

* * *

يا باعث القوم شتى من مجاثمهم
من حية السوء ألقى السلاح على
كنت الحريص عليها وقعة جللاً
كذاك قال رسول الله فابتهجت
أعطاك سهمك يجزى نية صدقت
ما بال عزمك في آثارهم جثماً ؟
كره ، ورحت تعاني الهم والسقما
لم تُبق للكفر من آطامه أطماً (٢)
منك المشاهد لم تنقل لها قدماً
شريعة الله ، ما حابى ولا ظلماً

(١) مترعاً : ممتلئاً ، بشماً : متخماً .

(٢) الآطام : الحصون .

غزوة بنى لحيان

كانت فى ربيع الأول من السنة السادسة ^(١) ، وسببها حزن النبي ﷺ لما أصاب عاصم بن ثابت وأصحابه ، والمنذر بن عمرو الخزرجى وأصحابه (القراء السبعين) ^{رضي الله عنهم} من غدر بنى لحيان وفتكهم ، وكانوا قد طلبوا منه أن يبعث إليهم من يفقههم فى الدين ، ويدعوهم إلى الإسلام ، فقتلوا من قتلوا من الأولين فى (الرجيع) واستأصلوا هؤلاء عند (بئر معونة) وكانت الواقعة الأولى فى مستهل السنة الرابعة ، والثانية فى صفر من هذه السنة .

والواقعتان داخلتان فى باب السرايا ، وقد اعتمدنا فى ملاحظتنا هذه أن نبدأ بالغزوات ثم نأتى بعدها بالسرايا ^(٢) فى مجموعة خاصة . فنحن إذاً لا نجرى على الترتيب التاريخى فى هذين البابين احتفاظاً بالوحدة النوعية فى كل باب .

خرج النبي ﷺ إلى هذه الغزوة فى مائة من أصحابه فخرج فى مائتى رجل ، واستخلف على المدينة ابن أم كلثوم ، فلما بلغ (وادي غراب) من منازل بنى لحيان ، وهو المكان الذى قتل فيه أصحاب الرجيع ترحم عليهم ، ودعا لهم بالمغفرة ، فسمع القوم وهربوا فى رؤوس الجبال ، فأقام يوماً - أو يومين يبعث السرايا فى كل ناحية من نواحيهم فلا تجد منهم أحداً ، ثم رجع ﷺ .

بنى لحيان لوذوا بالجبال وقوا مهجاتكم حرّ القتال
أمن غدر إلى جبن ؟ لعمري لقد ضقتم بأخلاق الرجال
لكم من خصمكم عذر مبين فليس لناره فى الحرب صال

(١) قال ابن اسحاق : وخرج فى جمادى الأولى على رأس سنة فتح قريظة إلى بنى لحيان وهى عند ابن سعد لغرة شهر ربيع الأول سنة ست [عيون الأثر : ١١٣/٢] و البداية والنهاية : ٥٠٥/٤ .

(٢) يفهم من هذا أنه سيأتى بالسرايا فقط ولكنه جاء من بعد ذلك بعدد من الغزوات .

أما انصدعت قواكم إذا أخذتم صحابته بمكر واحتيال ؟ (١)
 كذبتكم ، ما لأهل الشرك عهد وما الكفار إلا فى ضلال
 قلتكم عاصمًا بطلاً مجيداً مخوف الكر ، مرهوب النزال (٢)
 فنون الحرب تعرفه عليما بأسرار الأسنة والنصال
 وتشهد أنه البطل المرجى إذا فزع الرماة إلى النبال
 رماكم ، ثم جالدكم ، فأدى أمانته ، وأودى غير آل
 وقَاتِلُ عَقْبَةٍ فى يوم بدر أيحفل حين يقتل أو يبالى ؟ (٣)

(١) أصحاب الرجيع وهم عاصم بن ثابت ، ومرثد بن أبى مرثد الغنوى ، وخبيب بن عدى الأوسى البدرى ، وزيد بن الدثنة ، وعبد الله بن طارق ، وخالد بن البكير، وراد بعضهم معتب بن عبيد وبعضهم مغيث بن عوف رضى الله عنهم لما بلغوا الرجيع - اسم ماء هذيل ابن مدركة بن إلياس بين مكة وعسفان - مع الذين بعثهم النبى ﷺ معهم غدر هؤلاء بهم ، واستصرخوا هذيلاً ليعينوهم عليهم ، فنار إليهم القوم بأيديهم السيوف . وهم فى رحالهم ، وكانوا نحو مائتى رجل ، فأخذ عاصم ومن معه أسيافهم ليقاتلوهم فقالوا : إنا والله لا نريد قتلكم ، ولكن عهد الله وميثاقه ، فأما عاصم ومرثد وخالد فقالوا : والله لا نقبل من مشرك عهداً . وقاتلوا حتى قتلوا . وأما زيد وخبيب وعبد الله ، فرغبوا فى الحياة واعتصموا ببعض الجبال . فأحاطوا بهم وقالوا : لكم العهد والميثاق أن لا نقتلكم إن نزلتم إلينا ، فما نزلوا حتى ربطوهم بأوتار القسى ، فقال عبد الله بن طارق : هذا أول الغدر ، لا أصحابكم ، إن لى بهؤلاء (يعنى القتلى) أسوة ، فجردوه وعالجوه وهو يأبى فقتلوه ، وانطلقوا بخبيب وزيد إلى مكة ، فباعوا الأول لبني الحارث ابن نوفل ، لأنه هو الذى قتل عامر بن نوفل يوم بدر ، وباعوا الثانى لصفوان بن أمية لأنه هو الذى قتل أمية .

(٢) لما كانت ليلة العقبة أو ليلة بدر قال النبى ﷺ لمن عنده : « كيف تقاتلون ؟ » فقام عاصم ابن ثابت فأخذ القوس والنبل وقال : إذا كان القوم قريباً من مائتى ذراع كان الرمى ، وإذا دنوا حتى تنالهم ارماح كانت المداعبة بالرماح حتى تنقص ، فإذا انقصت وضعناها وأخذنا السيوف وكانت المجالدة ، فقال النبى ﷺ : « هكذا أنزلت الحرب ، ومن قاتل فليقاتل كما يقاتل عاصم » .

(٣) عقبة بن أبى معيط - فى رواية أنه قتله بعد الانصراف من بدر .

أردتم بيعة لُينال وتر
وليس لدى سلافة من كفاء
حماة الله من دنس ورجس
شهيد الحق تحرسه جنود
وعبد الله فيم قتلتموه
طلاب المال يولع بالدنايا
رضيتم بيع أنفسكم ببخس
رويداً ، إن صاحبكم لغال (١)
لهامة ماجد سمح الخلال (٢)
وسوء المنكرات من الفعل
من الدبر المسلح للنضال (٣)
وسقتهم صاحبيه بشر حال ؟ (٤)
ويلوى المرء عن طلب المعانى
قليل النفع من إبل ومال

خُبيبٌ فى يدى جاف شديد
وزيد عند جبار عنيد
كلا أبويهما قتلا ببدر
يزيدهما البلاء هدى وعلمًا
وأن لكل نفس منتهاها
لكل مشهد عجب ، عليه
يروح الموت حولهما ويغدو
وذكر الله متَّصل ، يوالى
هو الإيمان ، من يشدُّ قواه
يُعذَّبُ فى أدهمه الشقال (٥)
يصبُّ عليه مختلف النكال
فتلك حفائظ الرمم البوالى
بأن الحادثات إلى زوال
وإن طمع المضلل فى المحال
جلال الحق ، بورك من جلال
يكشر عن نواجذه الطوال
من العبق المقدس ما يوالى (٦)
يزلزل فى الخطوب قوى الجبال

(١) كانوا يريدون بيعه لولى القتيل . والوتر : النار .

(٢) سلافة : امرأة قتل عاصم ابنها مسافعاً وجلاساً يوم أحد ، فجعلت لمن يجيئها برأسه مائة ناقة ، ونذرت لتشرين الخمر فى فلقة جمجمته .

(٣) الزنابير ، أرسلها الله فحمت جسده الطاهر ، ولم يستطع أحد أن يناله بسوء ، وكان قد دعا الله فقال : اللهم إني حميت لك دينك صدر النهار فأحمي لحمي آخره .

(٤) هو : عبد الله بن طارق .

(٥) الأدهم : القيود .

(٦) كان خبيب يتهجّد بالقرآن فإذا سمعه النساء بكين ورققن عليه .

هنيئًا يا خُبَيْبُ بلغتْ شأوا
ملأت يديك من رزق كريم
تنزل من لدن رب رحيم
كل العنب الجنى ، وزده حمداً
تقول الحارثية ما لعيني
أرى عنباً ، وما من ذاك شيء
ويالك من أسير ما علمنا
رفيع الشأن ، ممتنع المنال (١)
أتاك بغير كد أو سؤال
عميم الجود ، فيأض النوال
على حمد يدود مدى الليالي
أفى سحر تقلب أم خيال ؟
بمكة يا لها عظة ويالى
له بين الأسارى من مثال

* * *

أتى الأجل الذى انتظروا وهذى
فماذا فى يمينك يا خبيب
كان بأمة حذراً عليه
ترى موسى بكفك ، وهو رهن
ولكن للكريم السمح ناه
وماذا كنت تحذر من عقاب
وسعت عدوك الموتور حلمًا
فأيكما الذى رمت السجايا
وأيكما القتل ؟ ومن سيبقى
سيوف القوم محدثة الصقال (٢)
وما بال الصغير من العيال ؟ (٣)
نوازع من جنود أو خبال
بذبح فوق فخذك واغتيال
من الشيم السنية والخصال
وورد الموت محتضر السجال ؟ (٤)
ومكرمة على ضيق المجال
مروءته بأسر واعتقال
حياة للأواخر والأوالى ؟

(١) قالت زينب بنت الحارث : والله ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب ، لقد وجدته يأكل قطعاً من عنب مثل رأس الرجل ، وإنه لموثق بالحديد ، وما بمكة من ثمرة عنب وما كان إلا رزقا رزقه الله .

(٢) كان شراؤهما فى ذى القعدة فحبسوهما حتى تنتهى الأشهر الحرم .

(٣) لما أجمعوا على قتلها استعار خبيب من زينب بنت الحارث موسى ليستحد به . فغفلت عن ابن لها صغير أقبل حتى جلس على فخذه والموسى فى يده فخشيت أن يقتله وفزعت لذلك ، فقال لها : أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله .

(٤) السجال : جمع سجل وهو الدلو المملوء .

ألا إن الصلاة خير زاد
تزوّد يا خُبَيْبُ وثق برب
فسر في نوره الوضاح ، وألبس
هنالك معرض الله فخم
أترضى أن ترى خير البرايا
صدقت خبيب إنك للعوادى
تبيع بشوكة تؤذيه نفساً
كذلك قال زيد الخير لما
همو قتلوك مصلوباً وأغروا
رفيقك فى التجلّد والتأسى
أعترزان دين الله خوفاً ؟
معاذ الله ، إن الله حق
لدين الشرك أجدر باجتناّب
هو الداء العضال لمبتغيه
كمال النفس إيمان وتقوى

وإن الركب آذن بارتحال (١)
لمثلك عنده حسن المآل
جمال الخلد في وطن الجمال
بديع الصنع ، لم يخطر ببال
مكانك ؟ ساء ذلك من مقال (٢)
إذا هي أخطأته لذو احتمال
تشكُّ صميمها صم العوالى
تردّى فى السفاهة كل قال (٣)
به وبك الضعاف من الموالى
وخدنك فى التقدم والصيال
فمن أولى بخوف وابتهاال ؟ (٤)
وإن المجرمين لفى وبال
وأخلق باطّراح واعترزال
وكل الشر فى الداء العضال
وماذا بعد مرتبة الكمال ؟

(١) لما خرجوا بخبيب ليقتلوه قال : اتركونى أصلى ، فتركوه فضلى ركعتين ثم انصرف إليهم
وقال : لولا أن تقولوا جزع من الموت لزدت ، ثم قال : اللهم أحصهم عدداً ، ولا تبق
منهم أحداً ، واقتلهم بدداً ، وأنشد أبياتا منها :

ولست أبالى حين أقتل مسلماً
على أى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع

(٢) لما أرادوا قتله شدوه إلى خشبة طويلة ، وأعملوا فيه الرماح والخراب ، ثم قالوا له :
أتحب أن محمداً مكانك ؟ قال : لا والله ما أحب أن يفدىنى بشوكة فى قدمه .

(٣) كذلك قالوا لزيد بن الدثنة وقال لهم مثل صاحبه .

(٤) قالوا لخبيب : ارجع عن الإسلام أو لنقتلنك . قال : إن قتلى فى سبيل الله لقليل ،
وهكذا قالوا لصاحبه فأجاب بمثل هذا .

حبّيس الأربعين ألا انطلاق
أسرّك أن تظل مدى الليالى
على خرقاء يكره من يراها
علقت بها ، فما أحدثت هجرًا
يمل المرء صاحبه فيشقى
ويسلو كل ذى شجن ووجد
بليت بكل ذى قلب غبي
لأنت الحجة الكبرى عليهم
كفاك : ألم تزل ملقَى الرحال ؟ (١)
جميع الشمل ، موصول الحبال
طلاب الودّ منها والوصال (٢)
ولا حدثت نفسك بالزيال (٣)
بصحبتة ، وما بك من ملال
وأنت على مصابك غير سال
غدافى من الإيمان خال (٤)
فما نفعُ المرء أو الجدال ؟

* * *

تأهبّ يا خبيب أذاك غوث
مضى بك ، يتبع الغرماء منه
تقاضوه فما ظفر التقاضى
قطيع من طغام القوم يعدو
فلما أوشكوا أن يدركوه
وألقي بالشهيد فغيبته
يؤمك فى ركائبه العجال (٥)
بعيد مدى التعلل والمطال
بغير علالة النقع المدال (٦)
على آثاره عدو الرئال (٧)
أهاب : عليك يا رب اتكالى
طباق الأرض كنزاً من لآل

(١) هو خبيب ، تركوه مصلوباً على خشبته بعد قتله أربعين يوماً ، وحوله الحراس ليراه الناس .

(٢) الخرقاء : المراد بها الخشبة

(٣) الزيال : الفراق .

(٤) الغداف : الغراب والغدافى ما أشبه لونه .

(٥) بعث النبي ﷺ الزبير بن العوام والمقداد بن عمرو لإنزال خبيب عن خشبته ، فوجدا عنده أربعين رجلاً يحرسونه ، ولكنهم سكارى نيام فحمله الزبير على فرسه وهو رطب لم يتغير منه شيء ، وشعر بهما المشركون فانطلقوا وراءهما ، فلما لحقوا بهما بعد جهد قذفه الزبير فابتلعت الأرض .

(٦) المدال : المسبل .

(٧) الرئال : أفراخ النعام ، واحدها رأل .

يزين المسلمين إذا تداعت
طوت جسداً من الريحان رطباً
قضى ، وكأنه حى يُرجى
يدير القوم أعينهم حيارى
ويأسف معشر باتوا سهارى
أجاب الله دعوته ، فبادوا
شعوب الأرض من عطل وحال
عليه جلالة الشيخ البجال (١)
لحسن الصنع من صحب وآل
كأن الله ليس بذى محال (٢)
تفيض جراحهم بعد اندمال
وعادوا مثل محترق الذبال (٣)

بنى لحيان ما صنع ابن عمرو
قتلت صعبه وصرعتموه
ولولا العذر لم يخشوا أذاكم
أصاب اليمن بكم أصيبوا
وماذا بالأسود من النمال ؟ (٤)
فيا للؤم والخلق الرذال
وهل تخشى القروم أذى الأفال ؟ (٥)
لأنتم شر أصحاب الشمال

بنى لحيان واعجبى لباس
فررتم ، تتقون الموت زحفاً
خبث جمراته بعد اشتعال
على القمم الشواحق والقلال (٦)

(١) البجال : السيد العظيم المبجل من الناس .

(٢) المحال : القوة .

(٣) الذبال : جمع ذبالة ، وهى الفتيلة للسراج .

(٤) هو المنذر بن عمرو ، بعثه النبي ﷺ هو وأصحابه القراء مع أبى عامر بن مالك ملاعب

الأسنة لما قدم عليه فقال : إني أرى أمرك هذا أمراً حسناً شريفاً ، فلو بعثت رجالاً من

أصحابك إلى أهل نجد فدعوتهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك ، قال له : «إنسى

أخشى أهل نجد عليهم » . فقال أبو عامر : هم فى جوارى وعهدى ، فساروا بكتاب

من النبي ﷺ إلى عامر بن الطفيل سيد بنى عامر ، فلما انتهوا إلى بئر معونة ذهب

أحدهم بهذا الكتاب إلى عامر فلم ينظر إليه وقتله . ثم صاح بقوم من بنى لحيان ورعل

وذكوان فقتلوا القراء وبقي بكعب بن يزيد رمق فحمل من المعركة وعاش بعد ذلك

واستشهد فى غزوة الخندق ، ونجى الله منهم عمرو بن أمية الضمري ورجلا آخر .

(٥) الأفال : جمع أفيل وهو الفصيل .

(٦) وعال : رؤوس الجبال .

هو المسخ المبين ، فمن أسود
دعوا الشرك المذلَّ إلى حياة
هو الدين الذى يُحيى البرايا
يَظِلُّ النور فى الآفاق يسرى
تصيد القانصين إلى وعال (١)
من الإسلام ، وأرفة الظلال
ويصلح أمرهم بعد اختلال
ويسطع ما تلا القرآن تال
* * *

أرى أمّا على الغبراء مرضى
تخال أشد خلق الله بأسا
إذا ملأت جوانبها دويّا
مخضبة الجنان لكل صيد
حيارى لا تريد الحق نهجًا
ألا هادٍ يقوّم من خطاها
تَبَطَّنْ جوفَها داء السلال
على الضعف المبرح والهزال
فلا تغررك جلجلة السعال
يعنُّ ، وتلك أنياب السعالى (٢)
ولا تدع الحرام إلى الحلال
ويحسم داءها بعد اغتلال ؟
* * *

(١) وعال : جمع وعلة وهى أنثى الوعل .

(٢) السعالى : الأغوال جمع سعال .

غزوة ذى قرد

كانت بعد أيام قلائل من غزوة بنى لحيان واستخلف الرسول - ﷺ - على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ، وخلف سعد بن عباد في ثلاثمائة من قومه يحرسون المدينة ، وسببها أن عيينة بن حصن أغار في خيل من غطفان على لقاح رسول الله ﷺ ، وكان يرعاها رجل (١) من غفار ، وامرأة (٢) بمكان يقال له (الغابة) فقتلوا الرجل ، واحتملوا المرأة مع اللقاح ، وعلم بذلك سلمة بن الأكوع ، فجعل يرميهم بالنبل بعد أن اشتد في أثرهم . وكان يسبق الفرس جرياً ، ففعل بهم الأفاعيل ، واستنقذ المسلمون منهم عشر لقائح . وأفلت القوم ما بقي ، وصاح ابن الأكوع فسمعه النبي ﷺ وقال : « الفرع الفرع ، يا خيل الله اركبى » ، فجاء الرجال ، وجعل اللواء لسعيد بن زيد ، ﷺ جميعاً . وصلى بذي قرد صلاة الخوف ، وقسم في مل مائة من أصحابه جزوراً ينحرونها . وكانوا خمسمائة ويقال سبعمائة [النويرى : ٢٠٣ / ١٧] .

ترفق يا عيينة باللقاح وبالحيل المغيرة والسلاح (٣)
 وخفض من غرورك والطماح فما مال النبي بمستباح
 ولا هو يوم حرب أو كفاح
 أتحسبها صناديد الرجال تداعوا بالقواضب والعوالى ؟
 وخفوا يا عيينة للقتال ؟ يلفن الرعال على الرعال ؟ (٤)
 فليس على الفوارس من جناح ؟

(١) هو ولد أبى ذر الغفارى .

(٢) زوجة أبى ذر .

(٣) كانت لقاح رسول الله - ﷺ - وهى عشرون لقحة وهى ذات اللبن القريبة من الولادة -

ترعى بالغاية ، فأتمار عليهم عيينة بن حصن فى أربعين فارساً فأستاقوها ، وقتلوا ابن

أبى ذر . .

(٤) الرعال الجماعة المتقدمة من الخيل .

رويداً ، إنها إبل تساق وراع واحد دمه يراق
وما بال التي احتمل الرفاق ؟ أخفتم أن يكون لها انطلاق
فترميكم بمصحة رداح ؟ (١)

كفى ابن الأكوع (٢) البطل الجسور فذوقوا النار حامية تفور
رمى بالنبل ، فاضطرم السعير كذلك يفعل الرامي القدير (٣)

(١) الشيء المصمت المغلق المبهم الذي يمتنع على من يريده أو يريد أن يعلم ما يتطوى عليه ،
وهو في الأصل ما لا جوف له ولا فراغ فيه ، والرداح الكتبية الثقيلة الجرامة . والمعنى :
أكتتم تخافون حين احتملت هذه المرأة الضعيفة أن ترميكم بكتيبة هذه صفتها ؟؟

(٢) هو سلمة بن الأكوع ، قال : غزوت مع رسول الله - ﷺ - سبع غزوات فذكر الحديبية
وخيبر وحينا ويوم القرد ، قال : ، نسيت بقيتتهن [سير أعلام النبلاء : ٣/ ٣٢٦ ،
الطبقات : ٥/ ٢١٠ ، وانظر ترجمته في : بن منظور : مختصر تاريخ دمشق : ١٠/ ٨٣]
عن يزيد ابن أبي عبيد قال : سمعت سلمة بن الأكوع يقول : خرجت قبل أن يؤذن
بالأولى . وكانت لقاح رسول الله - ﷺ - ترعى بذي قرد ، فلقيني غلام لعبد الرحمن
بن عوف فقال : أخذت لقاح رسول الله - ﷺ - فقلت من أخذها ؟ قال : غطفان .
قال : فصرخت ثلاث صرخات يا صباحاء ؛ قال : فأسمعت ما بين لابتي المدينة . ثم
اندفعت على وجهي حتى ادركتهم بذي قرد ، وقد أخذوا يسقون من الماء ، فجعلت
أرميهم بنبلي . وكنت راميا . وأقول :

أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

فأرتجز . حتى استنفذت اللقاح منهم ، واسلبت ثلاثين بردة . قال : ، جاء النبي - ﷺ -
والناس . فقلت يا نبي الله إني قد حميت القوم الماء . وهم عطاش . فأبعث إليهم
الساعة ، فقال : « يا ابن الأكوع ملكك فاسجع » . قال ثم رجعنا ويردقني رسول الله
ﷺ على ناقته حتى دخلنا المدينة » .

[مسلم - باب غزوة ذي قرد وغيرها - ح ١٨٠٦] .

(٣) عن إياس بن سليمة بن الأكوع عن أبيه قل : خرجت أنا ورباح غلام النبي - ﷺ -
بظهر النبي - ﷺ - وخرجت بفرس لطلحة بن عبيد الله كنت أريد أن أنديه مع الإبل ،
فلما أن كان بغلس ، أغار عبد الرحمن بن عيينة على إبل رسول الله - ﷺ - فقتل
راعيها ، وخرج يطردها هو وأناس معه في خيل ، فقلت : يا رباح اقعد على هذا
الفرس ، فألقه بطلحة . وأخر رسول الله - ﷺ - أنه قد أغير على سرحه قال : =

= وقمت على تل ، فجعلت وجهي من قبل المدينة ، ثم ناديت ثلاث مرات : يا صبحاه : ثم اتبعتُ القوم ومعى سيفي ونبلي ، فجعلت أرميهم ، واعقربهم وذلك حين يكثر الشجرُ فإذا رجعتُ إلى جليست له فى أصل شجرة ثم رميت ، فلا يقبل على فارس إلا عقرت به ، فجعلت أرميهم وأقول :

أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

فألحق برجل فارميه وهو على رحله فيقع سهمي فى الرجل حتى انتظمت كيدته فقلت :

خذها ويا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

فإذا كنت فى الشجرة أحدهم بالنبل ، وإذا نضايقت الثيايا علوت الجبل فرميتهم بالحجارة ، فما زال ذاك شائى وشأنهم ، اتبعهم وارتجز ، حتى ما خلق الله شيئاً من ظهر النبى - ﷺ - إلا خلقته وراء ظهرى ، واستنقذته من أيديهم ، ثم لم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رمحا ، وأكثر من ثلاثين برودة ، يستخفون منها ، ولا يلقون من ذلك شيئاً إلا جعلت عليه حجارة ، وجمعت على طريق رسول الله - ﷺ - حتى إذا امتد الضحى أتاهم عيينة بن بدر الفزارى مددا لهم ، وهم فى ثنية ضيقة ، ثم علوت الجبل فأنا فوقهم . قال عيينة : ما هذا الذى أرى ؟ قالوا : لقينا من هذا البرح [الشدة والأذى] ما فارقنا بسحر حتى الآن ، وأخذ كل شئ بأيدينا ، وجعله وراء ظهره فقال عيينة : لولا أن هذا يرى أن وراءه طلبا لقد ترككم ثم قال : ليقيم إليه ففر منكم ، فقام إلى نفر منهم أربعة فصعدوا فى الجبل ، فلما أسمعهم الصوت قلت لهم : أنعرفوننى ؟ قالوا : ومن أنت ؟ قلت : أنا ابن الأكوع ، والذى كرم وجه محمد - ﷺ - لا يطلبنى رجل منكم فيدركنى ، ولا أطلبه فيفوتنى ! فقال رجل منهم . إن ذا ظن . قال : فما برحت مقعدى ذاك حتى نظرت إلى فوارس رسول الله - ﷺ - يتخللون الشجر ، وإذا أولهم الأحزم الأسدى وعلى أثره أبو قتادة فارس رسول الله - ﷺ - وعلى أثر أبى قتادة المقداد ، فولى المشركون مدبرين . وأنزل من الجبل ، فأعرض للأحزم فأخذ عنان فرسه ، قلت : يا أحزم أنذر القوم ! يعنى : احذرهم ، فإنى لا آمن أن يقتطعوك ، فاتتد حتى يلحق رسول الله - ﷺ - وأصحابه . قال يا سلمة : ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتعلم أن الجنة حق ، والنار حق فلا تحل بينى وبين الشهادة فخليت عنان فرسه ، فيلحق بـ « عبد الرحمن بن عيينة » فاختلفا طعنتين ، فعقر الأخرم بعبد الرحمن ، فطعنه عبد الرحمن فقتله ، فتحول عبد الرحمن على فرس الأخرم فيلحق أبو قتادة بعبد الرحمن ، =

وتلك سهامه ، ما من براح

يُوَالِي الكَرَّ ، ساعده شديد وبين ضلوعه قلب حديد
عذاب إذ يكرُّ وذ يَحِيد يفوت الخيل منه ما تريد

= فاختلفا طعتين ، فعقر بأبي قتادة ، وقتله أبو قتادة ، ونحو أبو قتادة على فرس الأخرم . ثم أتى خرجت أعدو في أثر القوم حتى ما أرى من غبار أصحاب النبي - ﷺ - شيئاً ، ويعرضون إلى شعيب فيه ماء يقول له : ذى قَرَد ، فأرادوا أن يشربوا منه ، فأبصروني أعدو وراءهم ، فعطفوا عنه ، واسندوا في الثنية [ثنية ذى دبر] وغربت الشمس ، فألحق رجلا فأرميه وفقلت :

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْاَكْوَعِ وَالْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضْعِ

فقال : يا ثكل أمي ! أكوعى بُكَرَة [يعنى : أنت الأكوع الذى تبعنى بكرة اليوم] قال : قلت نعم يا عدو نفسه ، فكان الذى رميته بُكَرَة ، فأتبعته بسهم آخر ، فعلق فيه سهمان ، ويخلفون فرسين ، فجئت بهما ، أسوقهما إلى رسول الله - ﷺ - وهو على الماء الذى حلاّتهم عنه « ذو قرد » ، فإذا نبى الله فى خمسمائة ، وإذا بلال قد نحر جزورا مما خلقت ، فهو يشوى لرسول الله - ﷺ - من كبدها وسنامها ، فأتيت رسول الله - ﷺ - فقلت : يا رسول الله خلّنى ، فانتخب من أصحابك مئة فأخذ على الكفار بالعشوة فلا يبقى منهم مُخبر إلا قتلته ! قال : أكنت فاعلا ذلك يا سلمة ؟ قلت : نعم ، والذى أكرمك . فضحك حتى رأيت نواجذه فى ضوء النار ، ثم قال : إنهم الآن يفرون بأرض بنى غطفان فجاء رجل من غطفان ، فقال : مروا على فلان الغطفاني ، فتحر لهم جزورا ، فلما أخذوا يكشطون جلدها رأوا غيره ، فتركوها وخرجوا هربا . فلما أصبحنا قال رسول الله - ﷺ - خير فرساننا اليوم : أبو قتادة . خير رجالنا اليوم : سلمة ، فأعطاني رسول الله - ﷺ - سهم الراجل والفارس . ثم أردفني وراءه على القَصْبَاء راجعين إلى المدينة ، فلما كان بيننا وبينها قريبا من ضحوة ، وفى القوم رجل من الانصار كان لا يسبق جعل ينادى : هل من مُسابق ؟ ألا رجل يسابق إلى المدينة ؟ فأعاد ذلك مرارا . فقلت له : ما تُكْرِمُ كريماً ، ولا تهاب شريقاً؟ قال : لا ، إلا رسول الله - ﷺ - فقلت : اذهب إليك . فظفر عن راحلته ، وثبت رجلى على الناقة ، ثم أتى ربطت عليه شرفا أو شرفين ، يعنى استبقيت نفسى ، ثم أتى عدوت حتى ألحقه فأصك بين كتفيه بيدي . قلت : سبقتك والله إلى فوزه . أو كلمة نحوها ، قال : فضحك ، وقال : أنا أظن حتى قدمنا المدينة [الطبقات : ٧٨/٢ إلى ٨١ - مغازى الواقدي : ٥٥٠ - النويري : ٢٠٣/١٧ ، ومسلم : ح : ١٨٠٧] .

وإن طارت بأجنحة الريا

إذا طلبته لم تبلغ مداه وإن رجعت ، فليس لها سواه
يمزقها بما ترمى يدها فتذهب كلما جاشت قواه
حوامل للجراح على الجراح

تخطف لقحة من بعد أخرى وجاهد ، يرهق الفرسان عسرا
يريد لقاح خير الخلق طرا ويكره أن يساء وأن يضر (١)
وتلك مشاهد البطل الصراع

أذاقهم البلاء ، فما استطاعوا وغالهم ارتجاف وارتجاع
قوى ضاقت بها همم وساع فأسلمت الأكف قوى شعاع
وألقت بالبرود وبالرماح (٢)

وبالك صيحة ذهبت ترامى فنبهت الألى كانوا نياما (٣)
تلقاها النبی فما أقاما وهب الجيش يحتدم احتدما
وحانت وقعة القدر المتاح
وطار الأحرم الأسدی فردا يسب المجرمين وما تعدى (٤)

(١) طرا : جميعا .

(٢) ألقوا أكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رمحا ليخففوا عن أنفسهم وهو يجهدهم ويستفرغ قواهم .

(٣) لما علم بأمرهم علا ثنية الوداع ، وصرخ بأعلى صوته : واصباحه ثلاث مرات .

(٤) هو محرز بن نضلة . كان أول من لحق بالفريق الأول من المسلمين في هذه الغزوة فلما انتهى إلى المغيرين تقدم فوقف بين أيديهم وقال لهم : يا معشر بنى اللكية (اللثيمة) قفوا حتى يلحق بكم من وراءكم من المهاجرين والأنصار ، وقد أخذ سلمة بن الأكوع بعنان فرسه . وقال له : احذر القوم لا يقتطفوك حتى يأتي رسول الله ﷺ وأصحابه ، فقال : يا سلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتعلم أن الجنة حق والنار حق ، فلا تحل بيني وبين الشهادة . فخلى سبيله ، والتقى هو وعبد الرحمن بن عيينة ، فقفر فرس عبد الرحمن وطعنه وطعنه عبد الرحمن فقتله ، ولم يقتل في هذه الغزوة من المسلمين غيره .

ولم ير من ورود الموت بدءاً فجاد بنفسه ورعاه عهداً

دعا داعيه ، حى على الفلاح

هى الرؤيا التى قصر القتيل على الصديق صدقها الدليل (١)

مضى لسبيله ، نعم السبيل فتى كالسيف مشهده جليل

هوى بمصارع البيض الصفاح

أتى جيش النبى فأتى خطب أصاب القوم من فزع ورعب ؟

إذا خفق اللواء ، فكل قلب من الخفقان غى هم وكرب

فرقاً يا ابن زيد بالقдах (٢)

رموا ورميت بالأبطال شوسا تخوض إلى الوغى يوماً عبوسا (٣)

تفلق من أعاديها الرؤوسا وتبذل دون بيضتها النفوسا

كذلك فليكن بذل السماح

إلى ابن عيينة انطلق القضاء فما بأبيه إذ أودى غناء (٤)

له من حول مصرعه عواء إذا شفت الصدى البيض الظماء

فأهون بالعواء وبالنباح

وأين دم ابن نضلة هل يضيع ويبقى بعده الحدث الفظيع ؟

لعمرك ما لقاتله شفيح صريع طاح فى دمه صريع

أحيط به ، فعوجل باجتياح

(١) رأى قبل ذلك بيوم أن سماء الدنيا فرجت له هى وما فوقها حتى انتهى إلى السماء

السابعة ، ثم انتهى إلى سدة المنتهى ، فقبل له : هذا منزلك . وقص رؤياه على أبى

بكر فقال له : أبشر بالشهادة .

(٢) سعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل أمير الجيش ، القдах : سهام الميسر ، وكان من عاداتها

أن تقلب وتقلقل والمعنى أن قلوب القوم كانت تشبه هذه القдах فى خفوقها واضطرابها .

(٣) شوسا : جمع أشوس ، وهو الذى ينظر بمؤخر عينه .

(٤) قتله المقداد بن عمرو ، وأودى : هلك .

هو المقداد إن دعيت نزال تقدم لا يهاب ولا يبالى (١)
وما بأبى قتادة فى الرجال خفاء حين تشتجر العوالى (٢)

وحين يقال : أين ذوو النطاح ؟

أصاب السهم وجهًا منه نضرا وأبصره النبى فقال : صبراً
وعالجه ، فأخرج منه شراً وألقى نفثة كرمًا وبراً

فراح يزف فى القوم الصحاح (٣)

تزودّ منه كنزاً ليس يفنى تزود دعوة سعداً ويمناً
تزودّ رحمة ، وهدى ، وأمناً تزود ما أحب وما تمنى

وجاوز كل سؤل واقترح

شفيت أبا قتادة كل صاد لهيف الصدر حرّان الفؤاد
يبيت على أسى ممن يعادى رسول الله فى دين الجهاد

وفى دنيا المروءة والصلاح

غنمت سلاح مسعدة الشقى وفزت بطرفه فوز التقى (٤)
عطاء من جواد أريحى عطاء الله من يدى النبى

رسول الله أفضل مستماح (٥)

لقد أحدثت للأبطال شغلا وهما ما أشد وما أجلاً (٦)

(١) كان المقداد بن عمرو أول من خف إلى رسول الله ﷺ . حين قال : « الفزع الفزع ، يا خيل الله اركبى » .

(٢) قتل أبو قتادة مسعدة الفزارى ، وقد أصيب بسهم فى وجهه فترعه النبى ﷺ بيده الشريفة نزعاً دقيقاً ، ثم بزق فيه ، ووضع راحته عليه ثم قال : « اللهم بارك له فى شعره وبشره » . فمات فى السبعين وكأنه فى السنة الخامسة عشرة ، وتشتجر العوالى : تشبك الرماح .

(٣) يزف بمعنى يسرع .

(٤) الطرف : الكريم من الخيل .

(٥) استماحه : سأله العطاء .

(٦) لما قتل أبو قتادة مسعدة الفزارى ألقى عليه برده - برد أبى قتادة - فغطاه ، فلما رآه =

سقوا مكروهه نهلا وعلاً
دعوا إذا أبصروا البرد المخلى
ولولا فضل ربك ما تجلّى (١)
على الجسد الذى أوجعت قتلا
نعاء أبا قتادة إذ تولى
وضجوا بالتى فى الخطب تتلى (٢)
فتنفع من تجلد أو تسلى (٣)
أخوكم لم يزل حياً ، فمهلا
كفاكم ربكم فقدأ وتكلا
فأشرقت الوجوه ، وكان فضلا
طوى قرحى القلوب على ارتياح (٤)

تداعى القوم صفًا بعد صفً
وولوا بعد إقدام وزحف (٥)
مضوا بالنصف ، لو ذهبوا بألف
من اللاتى اصطفى النعمانُ صرف (٦)
لما فرحوا بفوز أو نجاح
وأقبلت الأخيذة بعد يأس
على العضباء فى شعث وبؤس (٧)

= المسلمون استرجعوا وقالوا : قتل أبو قتادة ، فقال النبى ﷺ : « ليس بأبى قتادة ولكنه قتيل
له وضع عليه برده ليعرف أنه صاحبه » أى قاتله فخرج عمر بن الخطاب حتى جاءه ،
وكشف البرد عن وجهه فإذا هو مسعدة .

(١) النهل : الشرب الأول ، والعل : الشرب الثانى .
(٢) نعاء بالبناء على الكسر كتزال ، اسم فعل للأمر بمعنى انع ، قال الأصمعى : كانت
العرب إذا مات منها ميت له قدر ، ركب راكب فرساً . وجعل يسير فى الناس ويقول :
نعاء فلاناً ؛ أى : أنه وأظهر خبر وفاته .
(٣) كلمة الاسترجاع : إنا لله وإنا إليه راجعون .
(٤) قرحى : جمع قريح ، والقريح : الجريح .
(٥) تداعى : من تداعى البناء إذا انهار .

(٦) النصف : نصف اللقاح ، والنعمان بن المنذر كانت له إبل تسمى عصافير النعمان .
(٧) هى امرأة أبى ذر انفلتت من الوثاق ليلاً . فأتت الإبل ، فجعلت إذا دنت من البعير رغا
فتتركه ، حتى انتهت إلى العضباء فلم ترغ ، فقعدت على عجزها ثم زجرتها .
وعلموا بها فطلبوها فأعجزتهم ، فنذرت لئس نجاها الله عز وجل لتحرنها وتاكل من
كبدها وسنامها ، وأقبلت تخبر الرسول الكريم ﷺ بذلك ، فتبسم وقال : «بئسما
جزيتها لا نذر في معصية الله ، ولا فيما لا تملكين ، إنما هى ناقة من إبلى ، ارجعى إلى =

عناها الضرُّ من أسر وحبس وسوء الصنع من ظلم ووكرس

أنت ، للمسلمين بها ابتهاج^(١) على يد كل عريض وقاح^(٢)
أبا ذرٍّ وللضيق انفراج وللكفار إذ نجت اهتياج^(٣)
وربّما حلا الورد الأجاج^(٤)

هنيئاً ، بات صدرك في انشراح
أتذكر إذ يقول لك الرسول أقم فالأمر باطنه مهول ؟
وما تدري إلام غداً يؤول ستعرفه وتذكر ما أقول

إذا ما الغيب آذن باتضاح
أت فرحى ، وقالت : حلّ نذرى فإن آذن الرسول قضيت أمرى
هي العضباء تعقر ما لإصرى سواها ، إن أردت شفاء صدرى^(٥)
على اليوم بعد فكاك أسرى وفاء النذر ، ما لى من مفرّ
وقانى الله من سوء وشر له سبحانه حمدي وشكري
على أن صرت مطلقة السراح

فقال لها رسول الله إيه لبس جزاءها أن تفعليه
دعى النذر المحرم واتركيه وخافى الله ربك وأتقيه
لشر النذر ما لا ترتضيه وما لا حق للإنسان فيه
دعى لى ناقتى وتعلميه قضاء ما اهتدى من لا يعيه
وكيف تُقاس منزلة الفقيه بمنزلة الغبى أو السفيه

= أهلك على بركة الله .

(١) العريض الذى يتعرض للناس بالشر .

(٢) استاذن أبو ذر الغفارى رسول الله ﷺ أن يكون فى اللقاح فقال له : « لا تأمن عينة بن حصن وذويه أن يغيروا عليك » . فألح عليه فقال له : « لكأنى بك قد قتل ابنك ، وأخذت امرأتك، وجئت تنوكاً على عصاك » . فلما وقعت الواقعة جعل أبو ذر يعجب ويشيع الحديث ، والأجاج الماء الملح .

(٣) الإصر : الثقل أو العبء الثقيل .

هنالك حتى أهلك ، فاطلبيه على بركات ربك واحمديه
إلهًا ما لما يقضيه ماح

قضيت الحق ، فاغتتم الجزاء
وسعت غزاة ذى قرد سخاء
بعثت التمر يعجبهم نماء
قراك إذا هم التمسوا الغذاء
كذلك أنت ما تألوا وفاء
بناة الحق ، ما ملؤوا البناء
أجل يا سعد فارفعها سماء
جرى الكرماء ، فانتهبوا الثناء
رزقت البأس أجمع والمضاء
وزد يا سعد فى الدنيا علاء (١)
وكنتم لهم أخا يرعى الأخاء
وسقت البدن تطربهم رغاء (٢)
وبرك ، لا يزال لهم رجاء
وحبًا للألى صدقوا البلاء
وإن علت الدماء به الدماء
تجاوز كل مطلع سناء
وما بلغوك جوداً أو عطاء
فكنت أحق من منع اللواء

بشكر فى الهزاهز وامتداح (٣)

رسول الله يؤذن بالإياب
يسير من الجلالة فى ركاب
تسايره بآيات الكتاب
صفوف من ملائكة طراب
ويرجع بالأحبة والصحاب
تدين لعزه غلب الرقاب
مرتلة بأنغام عذاب
تظلل بأجنحة رطاب

ترف على الروابى والبطاح

حبا ابن الأكوع الشرف المنيفا وحسبك أن يكون له رديفا (٤)

(١) سعد بن عبادة ، بعث إلى المسلمين فى هذه الغزوة بأحمال من التمر وبعض جزائر ، فقال النبى ﷺ : « اللهم ارحم سعدًا وآل سعد ، نعم المرء سعد بن عبادة » ، فقال الانتصار : هو سيدنا وابن سيدنا . من بيت يطعمون فى المحل ، ويحملون الكل الضعيف وينهضون بأمر العشيرة ، فقال ﷺ : « خيار الناس فى الإسلام خيارهم فى الجاهلية إذا فقهوا فى الدين » .

(٢) البدن : جمع بدنة ، وهى الأضحية السمينية .

(٣) الهزاهز : الأمور العظيمة تحرك الناس ، والحروب .

(٤) رجع النبى ﷺ إلى المدينة على ناقته العضباء مردفًا سلمة بن الأكوع رضى الله عنه .

كذلك يرفع الله الشريفاً ويجزى المؤمن البرَّ الخفيفاً
أطلى ناقة الله الوجيفاً ووالى الخطو مرتجلاً خفيفاً (١)
حملت أجلاً من يحمى الضعيفاً وأعدل من يحاذر أن يحيفاً
حماك وعطلَّ النذرَ السخيفاً وأمضى حكمه سمحاً عفيفاً
حملت الليثَ ، فالتمسى الغريفاً جُزيتِ كرامةً ، ورزقت ريفاً (٢)

وبورك فى غدوك والرواح

رسولُ الخير جاء بكلِّ سمح من الأخلاق فى صدق ونصح
تدارك سَورةَ البطل الملح وأوصاه بإحسان وصفح (٣)
وكان القوم فى جهد وبرح وراء الماء ما ظفروا برشح
تنحَّوا عنه إذ كره التنحى فما ابتلَّت جوانحهم بنضح
ولو أُخِذُوا بتقتيل وذبح لما اعتصموا بسيف أو برمح
صنيعة محسن يمسى ويضحى له تاجان من شكر ومدح
رحيم القلب ، يأسو كل جرح ويعتدُّ الجميل أجلاً فتح
وما ينفكُ فى كدٍّ وكدح يقيم الحق صرحاً بعد صرح

وبورك فى غدوك والرواح

* * *

(١) الوجيف نوع من سير الإبل والخيول .

(٢) الغريف : الغيضة أو الأجمة ، والشجر الملتف ، والمقصود هنا بيت الأسد .

(٣) هو سلمة ، طارد القوم حتى أجلاهم عن الماء وهم عطاش ، وجاء يخبر النبى ﷺ فقال

له : « ملكت فأسجج » ، فتركهم يشربون . [مسلم : ح ١٨٠٦] .

غزوة الحديبية

ويقال لها : عمرة الحديبية بئر قريبة من مكة ، خرج إليها النبي ﷺ في ألف وأربعمائة - على أصح الروايات - من أصحابه يوم الإثنين مستهل ذى القعدة من السنة السادسة ، وكان قد رأى أنه دخل مكة وأصحابه آمنين ، محلقي رؤوسهم ومقصرين ، وأنهم دخلوا البيت وطافوا به ، وأخذ هو مفتاحه ، ووقف على عرفات مع الواقفين .

قص هذه الرؤيا على أصحابه ففرحوا ، وخرجوا معه معتمرين محرمين من ذى الحليفة والهدى يساق بين أيديهم واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، ولم يكن معهم من السلاح سوى السيوف فضلى الظهر بذي الحليفة ، ثم دعا بالبدن التى ساق فجلبت ثم أشعريها فى الشق الأيمن . وقلدها ، وأشعر أصحابه أيضا وهن موجهاً إلى القبلة وهى سبعون بدنة فيها جمل أبى جهل الذى غنمه يوم بدر ، وكانوا يخافون أن تصدهم قريش عن البيت ، وعلم النبي ﷺ أنهم خرجوا فى نسائهم وصبيانهم متأهبين للقتال . فصاف الجيش وقدم عباد ابن بشر أمامه ، طليعة فى عشرين فرسا . وخرج من المسلمين ألف وستمائة [أو ألف وأربعمائة ، وألف وخمسمائة وخمسة وعشرون رجلا] وأخرج معه زوجته أم سلمة ومضى بعد أن استشار أصحابه ، واختلفت الرسل بين الفريقين ، فعقد الصلح على وضع الحرب مدة اختلف الرواة فى تقديرها ، فقال بعضهم : عشر سنين ، وقال بعضهم : أربع ، وقيل : ستان ، وأن من جاء إلى النبي ﷺ من المسلمين بغير إذن وليه رده إليه ، ومن أتى المشركين بمكة مرتداً من المسلمين احتبسوه عندهم ، وأن يرجع النبي ﷺ وأصحابه ، ثم يعودون للطواف بالبيت فى العام التالى ، لا يحملون سوى سلاح الراكب ، فتخلى لهم قريش مكة ثلاثة أيام يعودون بعدها إلى المدينة ، وقد ثارت نفوس المسلمين لهذا الصلح ، ولكن الله ثبت قلوبهم ببركة رسوله الكريم ﷺ وحكمته التى تجلت آثارها بعد ذلك ،

وكانت بيعة الرضوان من بركات هذه الغزوة الميمونة (١) .

منك الحنين ، ومنه ما هو أعظم لو يستطيع أذاك لا يتلوم (٢)
 البيت أنت به أحق وإن أبى من أهل مكة جاهل لا يعلم
 ما أصدق الرؤيا وأقرب حينها فاصبر على ثقة ، وربك أكرم
 إن يخل منها اليوم ، فالغد بعده بالخير والرضوان منها مُفَعَم (٣)
 سر يا رسول الله جندك باسل وقواك محصدة ورأيك محكم (٤)
 آثرت ربك وحده ، لا تشتكى فيه من الأهوال ما تتجشم
 ومضيت معتمراً بصحبك محرماً والهدى حال بالقلائد معلّم (٥)
 والمؤمنات الصالحات كأنما فيهن سارة والرضية مريم (٦)
 من كل أم برة لم يلهاها بعلٌ ، ولم يغلب نوازعها ابنم (٧)

* * *

يا طيب ما لبيت ربك إنه للحق يزلفه فؤادك والفم (٨)
 أين الشريك لمن تصرف وحده فى ملكه ، أمنٌ سواه المنعم ؟
 لبيك ربى ، إن قضيت لنا الهدى فكتابك الهادى ، وأنت الملهم

(١) انظر : مغازى الواقدي : ٥٧١ وما بعدها - النويرى : ٢١٧/١٧ - الطبقات : ٩١/٢ .

(٢) التلوم : التمكت والانتظار .

(٣) مفعم : ملآن .

(٤) المحصد : المحكم القتل .

(٥) الهدى : ما يهذى إلى الحرم من النعم .

(٦) خرجت أم سلمة وأم عمار ، وأم منيع ، وأم عامر الأشهلية رضى الله عنهن مع الجيش فى هذه الغزوة .

(٧) ابنم : ابن .

(٨) لبي ﷺ بقوله : « لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » . يزلفه : بمعنى يقربه .

تلكم قريش أقبلت في غضبة مشبوبة ، وحمية تتضرم
 قالت : أيدخلها علينا عنوة ؟ السيف أولى أن يُحكَّم والدم (١)
 وروى ابن سفيان الحديث ، فلو درى لغة السيوف لخالها تتكلم (٢)
 أصغت إليه ، فلم يقر بغمده منها على طول التحلّم مخذم (٣)
 يجد التقاة المحرمون ولا كما يجد التقى من السيوف المحرم
 أبدت تباريح الهموم شديدة وأشدُّ منها ما تُجنُّ وتكتم
 ودّت لو أن الله قال لها ، اضربى فمضت ، تظللها النور الحوم

* * *

قال النبي أَنَّتَقِيهَا خُطَّةً هي ما علمتم ، أم نجد ونقدم ؟ (٤)
 فأجبه الصديق بلى غمضى إلى ما كنت تنوى بالخروج وتعزم

(١) قالوا : أريد محمد أن يدخلها - مكة - علينا في جنوده معتمراً ، فسمع العرب أنه
 دخل علينا عنوة، وبيننا وبينه من الحرب ما بيننا؟ والله لا كان هذا أبداً ومنا عين تطرف .
 (*) جاء « بُدَيْن بن وَرْقَاء » وركب من « خُرَاعَة » فسلموا على الرسول - ﷺ - وقال
 بديل : جئناك من عند قومك : كعب بن لؤى ، وعامر بن لؤى ، قد استنفروا لك
 الأحاييش ومن أطاعهم معهم : العود والمطافيل والنساء والصبيان . يقسمون بالله لا
 يخلّون بينك وبين البيت حتى تبعد خضراؤهم . فقال رسول الله - ﷺ - لم تأت لقتال
 أحد ، إنما جئنا لنطوف بهذا البيت ، فمن صدنا عنه قاتلناه .

(٢) هو بسر بن سفيان أرسله النبي ﷺ إلى مكة لتعرف أخبارهم فعاد إليه يقول : إنهم
 استنفروا من أطاعهم من العرب ، وخرجوا بالنساء والصبيان ، ولبسوا جلود النمر ،
 وإنهم نزلوا بذي طوى يتعاهدون على صد المسلمين - قال : وهذا خالد ابن الوليد في
 خيلهم عند كراع الغميم .

(٣) المخذم : السيف القاطع .

(٤) لما سمع النبي ﷺ أن المشركين يريدون منعه عن البيت ، قال لأصحابه : « أشيروا على
 أيها الناس ، أتريدون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه ؟ » ، قال أبو بكر : يا رسول
 الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرباً ، فتوجه له ، فمن صدنا عنه
 قاتلناه .

- ورمى بها المقداد خطبة مؤمن ومضوا يرون المشركين بذى طوى
أبالال أذن للصلاة ، فإنّها نهض النبي يُقيمها في صحبه
وأعدّ طائفة تقوم ، فتتقى حتى إذا سجد الرفاق تخلّفوا
جيش الهدى واليُمن عند جلاله جعل ابن بشر في الجهاد لخالد
- (١) يرمى الخطوب بنفسه ، لا يُحجم
(٢) والخيّل شتى ، والخميس عرمرم
(٣) أسنى وأشرف ما يحبّ المسلم
لله ، تبدأ بالخشوع وتُختم
كيد العدو إذا يكر ويهجم
عنهم ، فضوعف أجهرهم المغنم
بيمين قائده يُصف ويُنظم
يلقاه إن جمّع الفوارس مأزم (٤)

* * *

سلكوا الطريق الوعر يسطع نوره وأضلّ غيرهم الطريق المظلم (٥)

(١) المقداد بن عمرو ، قال : يا رسول الله ، لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ولكننا نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا معكما مقاتلون ، والله لو سرت بنا إلى (برك الغماد) سرنا معك ما بقى منا رجل ، قال : « فامضوا على اسم الله ، فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة » .
صفحة العنق : كناية عن القتل .

(٢) الخميس العرمرم : الجيش الكثير العدد .

(٣) صلاة العصر كانت بعسفان وهو موضع قريب من كراع الغميم - موقف خالد بن الوليد بالخيّل - صف النبي ﷺ المسلمين صفين ثم أحرم بهم وركع فركعوا ، واعتدل فاعتدلوا ، فلما سجد سجد معه الصف الأول سجديته ، وتخلّف الصف الثاني فبقى معتدلا للحراسة ، ثم قاموا فسجد هؤلاء وقاموا ، ثم تقدم الصف الثاني وتأخر الأول ، فقام بالحراسة على النحو السابق ، فلما جلس النبي ﷺ للتشهد في الركعة الأخيرة جلسوا جميعاً فتمت الصلاة .

(٤) لما صف النبي ﷺ الجيش جعل عباد بن بشر بإزاء خالد بن الوليد والمأزم المضيق .

(٥) قال النبي ﷺ : « من يخرج بنا على طريق غير طريقهم ؟ » فقال رجل من أسلم هو ناجية بن جندب : أنا يا رسول الله ، ومشى أمام الجيش في طريق وعر حتى جاؤوا الحديبية بأسفل مكة .

يمضى الدليل بهم ، ويذهب موقنا ثبتًا ، فما يرتاب أو يتوهم
بوركت ناجيةً بن جندب من فتى جلد على الضراء لا يتبرم
وجب الشاء لأسلمى ماجد شرفت به نسبا ، وعزت أسلم

* * *

تلك الحديبية المحبب ذكرها للحق فيها منزل ومخيم
نزل الهداة بأرضها ، فكأنما طلعت لأهل الأرض فيها الأنجم
يا مبرك القصوى أتلك رسالة جاءتك ، أم هي من كلال ترزم ؟ (١)
أبت المضى ، ولم يكن ليعوقها لو شاء ربك مبرك أو مجثم
لو شاء أرسلها فزلزل مكة خطبٌ يضجُّ له الحطيم وزمزم

* * *

أبدل أقبل في رجالك ، والتمس علم اليقين لمن يظن ويزعم (٢)
قال النبي أتيتُ غير مُحاربٍ وانظر ، فإن الحرب لا تتلثم
الهدى حولك ، والسيوف كما ترى مقروبةً ، وكأنما هي نوم (٣)

(١) سار رسول الله - ﷺ - حتى دنا من الحديبية ، وهى أطراف الحرم على تسعة أميال من مكة ، ف وقعت يد راحلته على ثبته تهبطه على غائط القوم . فبركت : فقال المسلمون : حَلْ حَلْ ! يزجرونها ، فأبت أن تتبع ، فقالوا : خلأت القصواء ، فقال النبي - ﷺ - إنها ما خلأت ، ولكن حبسها حابس الفيل ، وأما والله لا يسألونى اليوم خُطة فيها تعظيم حُرمة الله إلا أعطيتهم إياها . ثم زجرها فقامت ، فولى راجعا عوده على بَدَنه حتى تزل بالناس على ثميد من أئامد الحديبية ظنون قليل الماء ، فانتزع سهما من كنانته فأمر به فغرز فيها فجاشت لهم بالرواء .

(٢) بديل بن ورقاء سيد قومه أسلم يوم فتح مكة ، قدم إلى النبي ﷺ من قبل قريش فى رجال من خزاعة يسأله ماذا يريد ؟ فقال : « ما جئت للحرب ، ولكنى جئت زائرا للبيت . ومعظمًا لحرمته » ، فلما عادوا إلى قريش وأخبروهم بذلك اتهموهم وأحفظوهم بسىء القول .

(٣) مقروبة : مغمدة فى قربها جمع قراب وقراب السيف غمده .

ما جئت إلا للبنيّة زائراً
ارجع إلى القوم الغضاب ، وقل لهم
إن تمنعوا البيت العتيق يكن لكم
البيت بيت الله ، جل جلاله

نصح ابن ورقاء الرجال ، فياله
قالوا : أنذعن صاغرين ؟ وأقسموا
وتتابعت رسلٌ ، فمنهم غادر
ومُقَسَّم الأخلاق يحسن مرة
أهوى على يده المغيرة ضارباً
ما انفكّ يضربه بمقبض سيفه
أسرفت عروة فاقتصد ، واقبض يداً
كيف ارتقيت إلى محلٍّ ما له
أبلحية المختار تمسك ؟ إنها

من ذى مناصحة يسبُّ ويشتُم
أن ينبذوا المثلى ، فبئس المقسم
يغنى الفساد ، وحاذر يتأثم (١)
وسيء أخرى فى الحوار فيعزم (٢)
لولا الأناة لطار منه المعصم
والسيف يُغضى ، والمنية تحلم
ربع السماك لها ، وغيط المرزم (٣)
راق ، ولو أن الكواكب سلم ؟
لتصان فى حرم الجلال وتعصم

(١) الغادر هو مكرز بن حصن ، بعثوه إلى النبی ، فلما رآه مقبلاً قال : «هذا الرجل غادر» ، وكان ما أخبره به كالذى سمعه بديل بن ورقاء ، والحاذر هو الحليس بن علقمة سيد الأحابيش .

(٢) عروة بن مسعود الثقفى أسلم بعد ذلك ، وفد على النبی ﷺ فجلس بين يديه ثم قال : يا محمد جمعت أوباش الناس ثم جئت فيهم إلى ييظتك لتفضها بهم ، إنها قریش خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمر ، يعاهدون الله أن لا تدخلها عليهم عنوة أبداً ، وإيم الله لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك ، ثم جعل يتناول لحيته الشريفة وهو يكلمه على عادة العرب ، والمغيرة بن شعبة واقف على رأسه يضرب على يد عروة بمقبض السيف . ويعزم بمعنى يفارق القصد ويجاوز الحد .

(٣) السماك : نجم ، والمرزم : الأسد .

أحسنْتَ قولك في الذين ذمتهم وأبى الذين طغوا ، فأنت مذمم (١)
عابوك إذ قلت الصواب جهالة أيعاب من أبى النفاق ويوصم ؟
صدق الحليس فأوجعوه ملامة والقوم لليقظ المسدد لوم (٢)
بعث الهداة الهدى ، ثمت أقبلوا يلقونه فعناه هم مؤلم
جاؤوه شعنا يرفعون لربهم صوتا يردده الأصم الأبكم
فهفت جوانحه ، وقال على أسي سبحان ربى ، ما لنا نتجرم ؟ (٣)
سبحانه ، أنصدهم عن بيته ؟ إنا إذا قوم نجور ونظلم
مولى الأحابيش الذين تألهوا لا يتبعون سبيل أقوام عموا
نبذت قريش رأيه واستكبرت والغى أنكد ما علمت وأشأم



(١) لما رجع عروة إلى قريش قال : إني جئت كسرى فى ملكه ، وقىصر فى ملكه ،
والنجاشى فى ملكه ، فوالله ما رأيت ملكاً فى قومه قط كمحمد فى أصحابه ، إني
رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً ، فروا رأيكم فإنه عرض عليكم رشداً ، اقبلوا ما
عرض عليكم فإنى ناصح لكم ، وإنكم لن تنصروا عليه - قالوا : لا تتكلم بهذا يا أبا
يعفور . . قال : ما أراكم إلا ستصيكم قارعة ، ثم انصرف هو ومن معه إلى الطائف -
وعروة هذا هو ابن مسعود الثقفى الذى عتته قريش بقولها (لولا أنزل هذا القرآن على
رجل من القريتين عظيم) وقيل : هو الوليد بن المغيرة .

(٢) الحليس : سيد الأحابيش لما رآه النبى ﷺ قال : «هذا من قوم يتألهون» ، أى يتعبدون
ويعظمون أمر الله ، «أبعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه» فلما رآه يسيل عليه بقلائده من
عرض الوادى قد أكل أوباره من طول الحبس ، واستقبله المسلمون يلبنون قد شعثوا ،
صاح قائلاً : سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت ، هلكت قريش ورب
الكعبة ، وعاد إليهم فنهاهم عما اجتمعوا له ، فغضبوا وقالوا : اجلس فإنما أنت أعرابى
ولا علم لك ، فثارت نفسه ، ونوى الانفصال عنهم .

(٣) تجرم الرجل على الآخر نسب إليه الجرم وهو رى .

اذهب خراشُ إلى قريش ناصحا فلعلها تبغى الصواب فتفهم (١)
 عقروا بعيرك ناقمين ، وأوشكوا أن يقتلوك ، فليتهم لم ينقموا
 لولا الأحاييش استحلَّ بظلمهم منه دم ما يُستحلُّ محرم

* * *

ذهب ابن عفان إليهم يبتغى أن يؤثروا الرأي الذى هو أحزم (٢)
 فأبوا وقالوا ، لا فكاك لكم وما نحن الألى نأبى الهوان فنرغم
 هم أمسكوه ثلاثة فى صحبه ورموا بها ملمومة تتقحم
 أفلا رعوا رسل النبى وصهره ؟ إن العقول على المراس لتعقم
 دبّ ابن حصن فى الظلام ، فراعه يقظان مثل الصلّ ليس يُهوم (٣)
 حمل ابن مسلمة فغادر صحبه ومضى ، فلا رجع الجبان الأيهم (٤)
 جاؤوا المعسكر أربعين ، يقودهم أسرى عليهم للمذلة ميسم
 وأتى الرماة فجال فى أحشائهم سهم تظل به السهام تحطم (٥)
 منع الأسى ، وشفى كلوم قتلهم شكوى قلوب من قريش تكلم (٦)

(١) خراش بن أمية الخزاعى بعثه النبى ﷺ إلى قريش وحمله على بعير له ليبلغ رؤساءهم أنه ما جاء محاربا فعقروا بعيره وأرادوا قتله فمنعه الأحاييش .

(٢) هو عثمان بن عفان ، ذهب إليهم فى عشرة رجال من أصحابه بأمر النبى ﷺ ليصرفهم عما هم فيه فلم يقبلوا ، واحتبسوه ومن معه ثلاثة أيام .

(٣) مكرز بن حصن ، بعثه قريش فى أربعين رجلا ليطوفوا بمعسكر المسلمين ليلا ، لعلهم يصيبون منهم أحدا ، أو يجدون منهم غرة ، وكان المعسكر فى حراسة محمد بن مسلمة ، فحمل عليهم وأسروهم إلا مكرزا (الغادر) فإنه أفلت .

والصل : الثعبان ، وهوم الرجل : هوم رأسه من النعاس أو نام قليلا .
 (٤) الأيهم : من لا عقل له ولا فهم .

(٥) لما أرسل محمد بن مسلمة من أسر بعثت قريش قوة من رجالها فرموا المسلمين بالنبل والحجارة ، وأعان الله عليهم ، فأسروا منهم اثنى عشر رجلا .

(٦) هو ابن زنيم أصابه سهم فمات .

أشقى الأذى والعدر جدَّ رجالهم وجرى لهم بالأسر طَيْرٌ أسحم
سقطوا ، فحسب القوم ما يجدونه وكفى شهيد الحق ما يتسنم

بعثت قريش أطلقوا أصحابنا وخذوا الرهائن والأسارى منكم (١)
صُدموا بقارعة تفاقم صدعها لولا سفاهة رأيهم لم يصدموا
لولا الضراعة من سهيل هدَّهم بأس تُهدُّ به الجنود وتهدم (٢)
بئس المآب لعصبة تأبى الهدى بيضاً معالمة ، ونعم المقدم
ياتارك الطغيان يعبس جده أقبل ، فجدك مقبل يتبسَّم
من حق ذى النورين أن يدع الدجى خزيان ، يُلطم وجهه المتجهم
إليك مد ذوو العمى أظفارهم ؟ فانظر إلى الأظفار كيف تُقَلَم

هى بيعة الرضوان لم تترك لهم ليلا ينام ، ولا صباحاً ينعم (٣)
سهل يشق على العيون مبرح وأسى يَعَضُّ على القلوب مسمَّم

(١) هم عثمان بن عفان وأصحابه رضى الله عنهم .

(٢) سهيل بن عمرو ، بعثته قريش إلى النبي ﷺ فى جمع ، فتقدم إليه ﷺ وقال : يا محمد إن الذى كان من حبس أصحابك وما كان من قتال من قاتلك لم يكن من رأى ذوى رأينا ، بل كنا كارهين له . حين بلغنا ، ولم نعلم به ، وكان من سفهائنا ، فابعث إلينا بأصحابنا الذين أسرت أولا وثانياً . قال رسول الله : « إني غير مرسلهم حتى ترسلوا أصحابي » فقالوا : نفعل ، وقضى الأمر على هذا .

(٣) كان النبي ﷺ جالساً تحت شجرة من السمر فدعا أصحابه «أيها الناس البيعة البيعة ، نزل روح القدس ، فاخرجوا على اسم الله » فقبلوا فبايعوه على الصبر والثبات وأن لا يفروا ، فيما الفتح ، وإما الشهادة ، وقد خوطبوا بقوله : « أنتم خير أهل الأرض » ، وقد أحب الناس هذه الشجرة فاتخذوا لهم مسجداً عندها يصلون فيه ، وعلم عمر بن الخطاب بأمرهم فتوعدهم وأمر بقطعها لئلا يفتنوا بها .

فكأنما فى كل عين مبرد وكأنما فى كل قلب أرقم (١)
المسلمون يبائعون نبيهم يستمسكون بعروة ما تُفصم
لا يحسبون دم المجاهد مغرمًا هو عندهم إن لم يُرقه المغرم
إن ضمَّهم عند الشهادة موردٌ لذَّ المذاق لهم ، وطاب المطعم
الله مولاهم ، ونصر رسوله حقُّ عليهم فى الكتاب محتَّم
نهضوا خِفَافًا ، لو رأيت جموعهم لعلمت أى الناس إيمانًا هم
ما منهم إلا على يده يدٌ الله ، ينظر نورها المتوسم
لُثِمَتْ بإيمان القلوب ، وإنها لَتُرى على مرَّ الزَّمان فتلثم
نعم العطاء لمعشر ما بينهم نكِد يُردُّ ، ولا شَقِيَّ يُحرم
ما جلُّ مُدْخِر فخيم شأنه إلا الذى ادخروا أجلُّ وأفخم

* * *

هذا سهيل جاء يحمل سؤلهم ويعيب ما صنع الرماة ويندم (٢)
ويقول : دعها يا محمد خطة يُرمى بها الشرف الرفيع فيُثلم
إنا نخافُ العارَ ، فَلَيْكُ بيننا صلح ندين به ، وعهد مبرم
الحرب تُوضَعُ بيننا أوزارها وتعود إن جمع الحجيجَ الموسمُ

(١) الأرقم : أُنِجَت الحيات وأُطْلِبَها للناس أو ما فيه سواد وبياض أو ذكر الحيات .
(٢) سهيل بن عمرو ، بعثته قريش لعرض الصلح على النبي ﷺ ، فرضيه حقنًا للدماء ، وإيثارًا لما هو أحق وأولى ، فبدا التذمر من بعض المسلمين ، وذهب عمر غاضبًا حتى أتى أبا بكر فقال له : أليس هو برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . فقال نعطى الدنيا فى ديننا ؟ فقال له أبو بكر : يا عمر الزم غرزه فإننى أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ، ثم أقبل عمر على النبي ﷺ فقال له مثل ما قال لأبى بكر فقال له : «أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ، ولن أخاف أن يضيعنى » .

لكَ من سلاحك ما تَقَلَّدَ مُنْجِد
واجعل سيوفك فى الغمود ولا تضق
حدَّ المقام ثلاثة ، فإذا انقضت
من جاء منكم لا يُردُّ ومن يجىء
هذا الذى نرضى ، فهل من كاتب
يغنى السلامة ، أو تزودَّ متهم (١)
بالشر يُدراً ، والمضرة تحسم
فدعوا منازلنا ويشربَ يَمِّموا
منا ، فمردود إلينا مسلم
يشفى الصدور بما يخطُّ ويرقم ؟

رضىَ النبىُّ يريدُ رحمة ربه
صاح الرجال ، وراح فاروق الهدى
ويقول للصدِّيق من هو يا أبا
أهو الرسول ونحن نتبع دينه ؟
اللين من خلق الضعيف ودأبه
مهلاً هداك الله ، والزم غرزه
اهناً أبا بكرٍ قضيت بحُجَّةٍ
وأبو عبيدة إذ يعوذ بربه
يرقى من الفاروق نفساً صعبة
قال النبىُّ كفاك يا عمر اتُّد
أرضى وتأبى أنت ؟؟ إن وراءنا
هو عبده ، وهو الأبرُّ الأرحم
يهتاج فى برديه فحل مُقرم (٢)
بكر ؟ وأية ملة نترسم ؟؟
فلمَ الهوان ؟ وما لنا نستسلم ؟
ومن العجائب أن يلين الضيغم
إن كنت تطلبُ خير غرزٍ يُلزم (٣)
صدع اليقين بها ، وأنت مترجم
يخشى بوادِرَ صدعها لا يُلَام (٤)
تأبى عوارمها إذا ما تُعْجَم
فالحق فى سلطانه لا يهزم
لو كنت تعلم ، ما نحبُّ ونرأَم (٥)

(١) أنجد الرجل أتى نَجْداً أو خرج إليها أو دخل فى بلادها ، وأنهم أتى تهامة أو كان كذلك .

(٢) المقرم : البعير المكرم ، لا يركب ولا يذل .

(٣) الغرز : ركاب الرجل من الجلد .

(٤) أبو عبيدة بن الجراح قال لعمر وهو يراجع النبىَّ ﷺ فى الأمر : ألا تسمع يا ابن الخطاب

رسول الله يقول ما يقول ؟ نعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وجعل يكررها

والصدع : الشق ويلام : يלתم .

(٥) قال الرسول الكريم ﷺ لعمر : « يا عمر إني رضيت وتأبى » .

إني رسول الله ليس بخاذلي والله يُقدّر ما يشاء ويقسم
الأمير غيب ، ما لمثلك مطمع في علمه ، والغيب باب مبهم (١)

* * *

اكتب عليّ فلن ترى من جامع إلا يُزَمُّ على الزمان ويُخطم (٢)
وأبى سهيل أن يكون كتابه سمحاً ، عليه من النبوة روشم (٣)
قال : امح باسم الله وامح رسوله أتريدها صاباً بسمٍ تؤدم ؟ (٤)
الدين مختلف ، وليس لنا سوى ما كان أورثنا الزمان الأقدم
فأبى عليّ ما أراد ، وهاجه حرد الأبيّ ، فغيظه ما يكظم (٥)
قال النبي افعلْ ، وسوف بمثلها تسقى ، فتغضى الطرف ، وهي العلقم

* * *

(١) مبهم : مغلق .

(٢) قال النبي : لعلي بن أبي طالب : « اكتب باسم الله الرحمن الرحيم » ، فقال سهل : بل يكتب باسمك اللهم على عادة قريش - قالوا : وأول من كتبها أمية بن الصلت - وقال لعلي بعد أن كتبها ، « اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو » ، قال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولم أصدك عن البيت . فليكتب باسمك واسم أبيك . فقال النبي ﷺ لعلي : « امح رسول الله واكتب محمد بن عبد الله » . فشق عليه الأمر وقال . ما أنا بفاعل ، فمحا النبي ﷺ الكلمة بيده الشريفة وقال لعلي : « اكتب فإن لك مثلها تعطيها وأنت مضطهد » يشير إلى ما وقع بين علي ومعاوية في حرب صفين ، فقد كتب الذي تولى عقد الصلح بينهما : هذا ما صلح عليه أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه ومعاوية بن أبي سفيان فقال عمرو ابن العاص (أحد الحكّمين) : اكتب اسمه واسم أبيه ، وقال معاوية : لو كنت أعلم أنه أمير المؤمنين ، فمحت كلمة أمير المؤمنين وكتب مكانها (علي بن أبي طالب)
ويزم : يقاد بالزمام وهو الحبل يخطم بوضع الخطام وهو الحبل في عنقه أو عليه وعلى أنفه .

(٣) الروشم : الطابع .

(٤) تؤدم بمعنى تخلط .

(٥) الحرد : الغضب ، وكظم غيظه كتمه .

نظر ابن عمرو نظرة ، فرأى ابنه
قال : أرجعوه فذاك أول عهدكم
وانقضَّ يضربه ، فيالك مسلماً
رَقَّتْ قلوب المسلمين لخطبه
أخذ النبيُّ بثوبه فأعاده
قال : انقلب ، وكفى بربك حافظاً
فمضى يقول : ألا ذمامٌ لامرئٍ
عُدَّ في قيودك واصطبر ، إن الأذى
كم للآلى اتَّبَعُوا الهدى من مغنم
خير على خير يضمُّ ركامه
يترنَّم الباكي وإن بلغ الأسى
أخذوا الصحيفة فهى فى أوهامهم
طاروا بها فرحاً ، وبين سطورها
نصر مضى لمظفرين أعزَّة
ليس التصرف للقواضب ، إنها
للبغي حينٌ ، ثم يقصم صلبه

يبغى الخطى عجلي ، ويأبى الأدهم (١)
فلئن أيتَّم لهوَّ عهد أجذم
فى الله يُضرب من أبيه ويلطم
فجوانحٌ تهفو ، ودمع يسجم
يبنى لأمته البناء ويدعم
إنَّ التوكُّل للسلامة توأم
يبغى الفرار بدينه يستعصم ؟
لأضرُّ ما انتجع الرجال وأوخم
فى حرمة تُلغى وحقُّ يهضم
شرٌّ على شرٍّ يضم ويركم
منه ، ويبكى الناعم المترنم
كالكنز يأخذه الفقير المعدم
دهيأ بارزة النَّواجِذِ صِلَم
لم يمض منهم مخذم أو لهزم
بالرأى تحكم فى الرقاب وتُحكم
والعدلُ صلبٌ قائمٌ ما يُقصم

(١) هو أبو جندل بن سهيل بن عمرو . كان يعذب بمكة لإسلامه فأقلت من المشركين وجاء
يرسف فى الحديد ثم رمى نفسه بين أظهر المسلمين فجعلوا يرحبون به ويهتئون ، وقام
إليه أبوه فصار يضربه على وجهه . فرقوا عليه وبكوا ، وقال أبوه : يا محمد هذا أول ما
أقاضيكَ عليه . فقال : « صدقت » . وأخذ بيرده يرده إلى قريش فجعل يصرخ بأعلى
صوته : يا معشر المسلمين أريد إلى المشركين يفتنونى عن دينى ، ألا ترون ما لقيته ؟ قال
النبي ﷺ : « يا أبا جندل أصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين
فرجاً وخرجاً ، إنا عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطينا عهد الله
أن لا نغدر بهم » .

ولقد يُقامُ العرسُ من سفه الألى فرحوا ، وأولى أن يُقام المأتم
 مِن مكرمات الحق أن وليَّه بأشدَّ ما يرمى يُعانُ ويخدم
 وأحق من حمل اللواء مجاهد ماض على هول الخطوب مصمَّم
 وفَّ المطالب حقها ، واصبر تَفَزْ ما خاب إلا من يملُّ ويسأم
 هذا نظام للشعوب ، ومنهج حق يراه فصيحها والأعجم
 نزل الكتاب به ، فأيقن مهتد وارتاب ضلَّيل ، وليجَّ مرجَّم
 طبُّ الهدى الشافى ، وأعجب ما أرى طبُّ تصحَّ به النفوس وتسقم

* * *

خزاعة وبنو بكر

فى هذه الغزوة المباركة دخلت خزاعة فى عهد النبى ﷺ ، ودخل بنو بكر فى عهد قريش ، فساء ذلك كثيراً من رجالهم ، ومنهم حويطب بن عبد العزى ، فقال لسهيل بن عمرو : باد أنا أحوالك بالعداوة وكانوا يستترون منا ، قال سهيل : ما هم إلا كغيرهم ، هؤلاء أقاربنا ولحمتنا قد دخلوا مع محمد إنهم قوم اختاروا لأنفسهم أمراً ، فما نصنع بهم ؟ .

قال حويطب : ننصر عليهم حلفاءنا بنى بكر ، قال سهيل : إياك أن يسمع هذا منك بنو بكر ، فإنهم أهل شؤم . فیسبوا خزاعة ، فيغضب محمد لحلفائه ، وينقض العهد الذى بيننا وبينه .

خزاعة أبشرى بالعهد سمحا
كفى بذيام أوفى الناس عهداً
ألح على بنى بكر شقاء
هم اتبعوا الألى انقلبوا بقرح
حويطب ما يغيظك من رجال
أتيح لقدحهم فوز مبین
وزيدى دولة الإسلام فتحا
لكل معاهد غنما وريحا
تزل له العقول إذا ألحا
فزادوهم بما اقترفوه قرحا (١)
هموا ضربوا عن الغاوين صفحا ؟
وخيب من أحب ذويك قدحا (٢)

* * *

رويدك ، إن أحوال ابن عمرو
ولولا ما برأيك من ضلال
لأرفع قبة وأعز صرحا
لجانبت الملام ، وقلت : مرحى (٣)

(١) القرع : الجرح .

(٢) القدح : السهم .

(٣) مرحى : كلمة تقال للرمى إذا أصاب تعجباً .

أمن عرف الرشاد فطاب نفساً وأقبل يبتغيه كمن تنحى ؟
تحاول أن تثير الحرب حتى تراها تلفح الأبطال لفحاً
لقد مضت المقالة من لبیب يقول الحق ، لا يألوك نصحا
أتقده يا حويطب زند سوءٍ دع الرأي الرشيد ، وزده قدحا
لعلك إن رأيت له لهيباً تكون أشد من يصلاه برحا

* * *

وراءك يا حويطب كلُّ غضب يسحُّ الموت من حديهِ سحاً (١)
يجرده لنصر الله قَرم يصول فيمسح الأعناق مسحاً (٢)
سخيُّ النفس ، والهيّجاء تغلى فتملاً أنفس الشجعان شحاً

* * *

بنى بكر أما أبتم حزانى كما آبت خزاعة وهى فرحى ؟
هو الجدُّ الشقى علاه جدُّ تلقى نعمة ، وأصاب نجحاً

* * *

(١) الغضب من السيوف القاطع .

(٢) القرم : الفحل الكريم ، وبه يشبه السيد العظيم .

أُمُ كُلْثُومِ ضُوعِيَّتُهَا (١)

هى بنت عقبة بن أبى مُعَيْط ، وأخت عثمان بن عفان رضي الله عنه ، أسلمت وبايعت النبى ﷺ قبل هجرته إلى المدينة ، وخرجت من مكة بعد رجوعه من الحديبية مهاجرة لله ولرسوله وهى أول من هاجر من النساء ، وخرجت من مكة وحدها ، وصاحبت رجلا من خزاعة حتى قدمت المدينة فى هدنة الحديبية . فلما بلغت المدينة ذهبت إلى دار أم سلمة رضي الله عنها وهى من أمهات المؤمنين ، فرحب بها الرسول الكريم ، وخرج أخوها عمارة والوليد فى طلبها ، يريدان ردها بالحق الذى فى العهد ، فقالت : يا رسول الله أنا امرأة ضعيفة لا تردنى إلى الكفار ، إني أخافهم على دينى ، فنزل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ﴾ [الآية الممتحنة : ١٠] ، والامتحان أن تستحلف المهاجرة أنها إنما هاجرت لله ورسوله ، وبهذه الآية خرجت المؤمنات المهاجرات من حكم الرد الذى وضع فى ذلك العهد ، فقال رسول الله - ﷺ - للوليد وعمارة : قد نقض الله العهد فى النساء بما قد علمناه فانصرفا . فبقيت السيدة أم كلثوم ، ولم يكن لها زوج بمكة فتزوجها زيد ابن حارثة رضي الله عنه . فولدت له ، وقتل عنها يوم مؤته ، فتزوجها الزبير بن العوام ، فولدت له زينب . ثم طُلِّقت فتزوجها عبد الرحمن بن عوف ، فولدت له ابراهيم وحميда ، ثم مات عنها فتزوجت عمرو بن العاص فماتت عنده (٢) .

أجيبى أم كلثوم أجيبى ترامت دعوة الداعى المهيب
لَمَكَةٌ إذ يضام الدين فيها أحقُّ بكلِّ أَفَّاكٍ ، مريب

(١) هى أم كلثوم بنت عقبة بن أبى مُعَيْط بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قُصَي ، وأمها : أروى بنت كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَي .

(٢) الإصابة : ٢٩١/٨ ، الطبقات : ٢١٨/١٠ .

محببة المسالك والدروب
وغيل الحق يدفع كل ذيب
ولا تهني على طول الدؤوب
فخوضي البيد مقفرة وجوبي (١)
وقلبك لا يقر من الوجيب
خطاك ، فلن يسوءك أن تؤوبى
وهم من مصابهما مذيب (٢)
لروعة ذلك الحدث العجيب
تدور كأنها عين الحريب (٣)
طويل الوجد ، متصل اللهب
تعاود خدرها بعد المغيب ؟
فيكشف كربة العانى الكئيب ؟
ولا هو عنده علم اللبيب ؟
من الأحداث بعدك والخطوب

محط الرحل للنائي الغريب
بطيبة فانعمى نفساً وطيبى
رعت عيناك فى الكرم الخصيب ؟
عليك حنان ذى النسب القريب

خذى قصد السبيل إلى ديار
حمى الإسلام يمنع كل عاد
رعاك الله ، فانطلقى وسيرى
أردت الدين معمور النواحي
تطيلين التلفت من حذار
رويدك ، إن عين الله ترعى
أرى أخويك فى أمر مريج
يلف حشاهما حزن عجيب
لكل منهما فى الحى عين
وقلب دائم الخفقان هاف
هنا كانت ، فأين مضت ؟ وأنى
أما عند ابن عفان شفاء
أذهب أختنا ، لا نحن ندرى
كفى يا بنت عقبة ما لقينا

قفى يا أم كلثوم فهذا
حللت بفضل ربك خير دار
تلقاك النبی فأى بشر
يرحب ما يرحب ، ثم يضيفى

(١) من جاب قطع .

(٢) أمر مريج : مختلط أو متلبس .

(٣) الحريب : الذى سلب ماله .

وما نسب بأقرب من سبيل
سبيل الله ، ليس إذا ما
هُدَى السارى ، يسدده فيمضى
يمرُّ بآخرين ، لهم عواء
يرى سبل النجاة ، وكيف ضلُّوا
ويحمد فالق الإصباح حمداً
تعالى الله ينزل كل برٍّ

* * *

عمارة والوليد ولا خفاء
هما عرفا السبيل ، فلا مقام
أهابا بالرسول أعد إلينا
هو العهد الذى أخذت قريش
سجيتك الوفاء ، وما علمنا
برأيك فاقض ، واردها علينا

* * *

عناها أن تُردَّ ولا ظهير
فصاحت : إننى امرأة ومالى
بربك يا محمد لا تدعنى
يعذببنى لأترك دين ربى
أأرجع يا حمى الضعفاء ولهى

(١) السباب : جمع سبب ، وهو المفازة أو الأرض المستوية البعيدة ، السهوب بمعناها
جمع سهب .

(٢) النكوب : الميل والعدول .

أتى التنزيل يصدع كل شك
ويحكم حكمه عدلا وبراً
إذا جاء النساء مهاجرات
بقين مع النبي وإن تمادت
ويجلو ما استكن من الغيوب^(١)
فيلقى بالدواء إلى الطبيب
يردن الله ديان الشعوب
لجاجة كل عريض شغوب

* * *

ليهنك أم كلثوم مقام
وزوج ذو محافضة نجيب
يفىء إلى ذرى الإسلام منه
وما زيد بن حارثة ينكس
كريم عند مرجو مثيب
يفىء إلى ذرى النسب النجيب
فتى للسلم يرجى والحروب
إذا التقت الكماة ولا هيوب^(٢)
ومولاه الحبيب أبو الحبيب^(٣)
أخو المختار من عليا قريش

* * *

(١) إشارة إلى أية الممتحنة رقم : ١٠ والتي نقضت أحد بنود عهد الحديبية .
(٢) النكس : الضعيف الدنيء الذى لا خير فيه . والكماة : جمع كمي ، وهو الشجاع أو
لابس السلاح ، لأنه كمي نفسه ، أى سترها بالدرع والبيضة .
(٣) فى البيت إشارة إلى قول النبي ﷺ لزيد بن حارثة رضى الله عنه : « أنت أخونا
ومولانا » ، وأنه كان حبه كما كان ولده أسامة بن زيد يدعى الحب ابن الحب .

أبو بصير وأصحابه رضي الله عنهم

جاء أبو بصير (١) رضي الله عنه إلى النبي ﷺ ، وكان من المحتبسين بمكة ، [فبعث أزهر ابن عوف أسلم بعد ذلك - يطلب رده من النبي ﷺ في كتاب يحمله رجل من بنى عامر اسمه خنيس وجاء معه آخر يهديه الطريق (٢)] .

وقال النبي ﷺ لأبى بصير : « انطلق إلى قومك فليس الغدر من ديننا وسيجعل الله لك فرجاً » ، فرجع معهما ، واحتال على أخذ السيف من أحدهما فقتله به ، وحمل على الثاني ففر راجعاً إلى المدينة وهو يعدو في أثره ، وقال الرجل للنبي ﷺ : قتل صاحبكم صاحبي وأفلت منه ولم أكد : ثم استغاث به ، وقال أبو بصير للنبي ﷺ : لقد وفيت بدمتك ، فقال له : « اذهب حيث شئت » فذهب إلى محل من طريق الشام تمر به تجارة قریش ، وطار الخبر ، فقدم إليه أبو جندل في سبعين فرساً ، ولحق به آخرون من المسلمين ، فكانوا ثلاثمائة مقاتل ، ما رأوا عيرا لقریش إلا أخذوها ، ولا رجلاً إلا قتلوه ، فبعثوا يسألون النبي ﷺ بالأرحام إلا آوى هذه القوة إليه ، وقال بعضهم : إنا أسقطنا شرط رد اللاجئين من العهد ، فمن جاءك منهم فأمسكه ولا حرج عليك ، فكتب إلى أبى بصير وأبى جندل يستقدمهما إليه ، ويأمر أن يذهب من معهما إلى بلادهم وأهلهم غير متعرضين بأذى لقریش ، فأخذ أبو بصير الكتاب وهو يحتضر فمات وهو في يده يقرؤه ، فدفنه أبو جندل وعاد مع ناس من أصحابه إلى النبي ﷺ .

(١) هو عتبة بن أسد بن جارية بن أسيد بن عبد الله بن أبى سلمة بن عبد العزى بن غيرة بن عوف ابن ثقيف . وكان حليفاً لبنى زهرة . وأمه سالمة بنت عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب ابن عبد مناف بن قصي .

(٢) صحة هذه العبارة كالاتى : كتب « الأخنس بن شريق الثقفى » حليف بنى زهرة ، « أزهر بن عوف الزهرى » إلى رسول الله ﷺ فيه كتابا ، وبعثا إليه رجلاً من بنى عامر ابن لؤى ، وهو : « خنيس بن جابر » استأجره ببيكر ، ابن ليون . وسألا رسول الله ﷺ - أن يرّد أبا بصير إليهما على ما اصطلحوا عليه يوم الحديبية ، فخرج خنيس بن جابر ومعه مولى له يقال له « كوثر » يهديه الطريق . فقدموا على النبي بالكتاب .

رحمة يا أبا بصير ونعمى
جاءك الغوث ، فانطلقت حثيثاً
أنت أفلتت من حبائل قوم
جعلوا الحق خصمهم من غباء
جئت دار النبي فادخل وسلم
كم تمنيت أن ترى لك حصناً
وارض حكم الرسول إنك مرد
ذا خنيس وذا كتاب ابن عوف
سألا العهد عند أكرم مسئو
انقلب يا أبا بصير فليس الد
حسبك الله إنه لك عون
هو مولى المستضعفين ينجي

* * *

عاد يُخفى لصاحبيه من الشن
وشفاها بذى الخليفة نفساً
نظر السيف فى يدى أحد الخصم
وهو يطريه فى غرور ويسقي
قال : بل أعطنيه أنظره ، إنى
ثم غشاه ضربة علمت
جاء يصطاده غروراً فأردا

آن ما يملأ الجوانح سُما (١)
أوشكت أن تزول همًا وغما (٢)
ين يبدى من المنية وسُما
سه نفوس الكماة ظناً وزعما
بسجايا السيوف أكثر علما
كيف يخشى الهزبر من كان شهما
ه ، وكان الغرور شراً وشؤما

(١) الشنّان البغض .

(٢) المكان الذى قتل الرجل فيه .

صدَّ عنه رفيقه وتولى يتوقى قضاءه أن يحمّا
طار يهفو كالسهم ، يمضى بعيدا وهو أنأى مدى ، وأبعد مرمى
طلب السيف نفسه وهى ولهى لو تذوق الردى لما مرّ طمعا

* * *

كذب الوهم ، ما الحياة سوى الأمد ن ، وشرُّ الأمور ما كان وهما
وقع الطائر المُسفَّ على النسـ سر الذى يملأ السماوات عزما
الرسول الذى تدين له الأر ض ، وتهفو إليه حرباً وسلمما
قال : إنى لهالك ، فأجرنى لا تدعنى لبعض صحبك غنما
ردَّ عنى أبا بصير فحسبى ما جناه على صدعاً وكلما (١)
جرّ الحتف صاحبي وانبرى يطلد ب قتلى ليتبع الجرم جرما
إنه جاء راكضاً يحمل السيف فهب لى دمي ، لك الشكر جما
عفّ عنه ، وقال : ما ثم شيء يا نبى الهدى أرى الأمر تما
صدق العهد ، وانقضى الرد فانظر ما ترى فاقضه سداداً وحزما
قال : فاذهب فقد برئت ، وظلم أن يلام البرىء أو أن يذما
لك ما شئت أن تحل من الأر ض سوى أرض يثرب أو تؤما
فتولّى إلى مكان يزيد الـ كفر والكافرين خسفاً ورغما (٢)
كل مال تقلّ غير قريش بين عينيه ظاهر ليس يكى (٣)
إنه الأرقم الأصمّ تداعت فارقت حوله الأراقم صما
مؤمن حل فى العراء محلا

(١) الكلم : الجرح .

(٢) الرغم : الكره والقسر .

(٣) كمى الشيء ستره وغطاه .

أقبلوا ينسلون من كل أوب يطلبون المصال قرماً فقرما (١)
لم ذو العرش شملهم بعد صدع وخليق بشملهم أن يلما

[أبو جندل]

يا أبا جندل (٢) عليك سلام جئت بالخيال ترجم الأرض رجما
اغتفر ما جنى أبوك سهيل يوم يطغى عليك ضرباً ولطما
إنما الصابرون أوفى نصيباً يا أبا جندل وأوفر قسماً
أعملوا القتل والنهاب ، وردوا كل غنم أصابه القوم غرماً
غارة بعد غارة تأكل الما ل ، وتطوى الرجال خضماً وقضماً (٣)
زلزلوا من أبى بصير بخطب بالغ صدعه أبى أن يرمأ
مخزم قاطع ، ومسعر حرب جربته البيض القواطع قدماً (٤)
ضائق السبل والفجاج عليهم واستحال الفضاء سداً وردماً
عاد رتقاً كأنه سد يأجو ج وأجوج ما ترى فيه ثلماً (٥)
جأروا يشتكون ، وادكروا الأرحام يستشفعون جنباً ولؤماً

(١) ينسلون : يسرعون ، وأوب : مكان ، والقرم : الشجاع .

(٢) هو « أبو جندل بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس » أسلم ، فحبسه أبوه « سهيل بن عمرو » وأوثقه فى الحديد ، ومنعه الهجرة . فلما نزل رسول الله ﷺ الحديدية ، وأتاه « سهيل بن عمرو » فقاضاه على ما قاضاه عليه ، أقبل عليه « أبو جندل » يرسف فى قيده إلى رسول الله ﷺ - فلما رآه أبوه قال : يا محمد ، هذا أول ما أقاضيك عليه ، فردّه رسول الله ﷺ - على أبيه ؛ لأن الصلح كان قد تمّ بينهم (صلح الحديدية) . وقد أفلت « أبو جندل » بعد ذلك ، فخرج إلى « أبى بصير » وهو فى « العيص » ، وقد تجمع إليه ناس من المسلمين فكانوا كلما مرّت غير لقريش اعترضوها .

(٣) الخضم : الأكل بجميع الفم ، والقضم : الأكل بأطراف الأسنان .

(٤) جاء فى السيرة أن النبى ﷺ أطلق على أبى بصير هذا الوصف (مسعر حرب) .

(٥) الرتق : المسدود المغلق .

واستمدوا الحنان من أعظم النا
قال ذو أمرهم : أغثنا ولا تع
أفسدَ العهدُ أمرنا فعرفنا
قد تركنا لك الرجال فأمسِكْ
حَسْبُنَا السَّلام يا محمد إن تَبْ
بددَ الضر والأذى بكتاب
لم يدعه أبو بصير ورامى الـ
جاد بالنفس وهو فى يده يتلـ
آخر الزاد إن أردنا له اسمًا
قال : أقبل وفرق الناس وليعـ
رجع القوم راشدين ، ومن أر
وأبو جندل يؤمّ رسول الله
كوكب الحق والهدى يتلقى
طلعوا والزمان أسودّ داج
ورموا بالشعاع مقتل دين
اعرف الحق ، لا ترعك دعاوى
أى مجد فى الأرض ، أو أى فضل

س حنائًا ، وأقرب الرسل رحما
نف علينا ، إن القلوب لتعمى
ه ، وماذا لنا إذا الأمر غمّا ؟
كل من شئت منهم أن تُدما (١)
سُطَّ علينا ظلاله ، فنعما
نظم البر والمروءة نظمما
موت يلقي عليه سهمًا فسهما
وه ، ما أعظم المقام وأسمى
وأراه أجل من أن يسمى
نفوا ، فحسب الطغاة قمعا ووقما (٢)
شَدُّ مَمَّنْ رَمَى الضلال فأصمى ؟
فى رُفْقَةٍ إلى الله تنمى
من ذويه الهداة نجمًا فنجمما
فجلوا من ظلامه ما أدلهمما
ردّ وجه الحياة أغبر جهما
فالمروءات والمناقب ثمما
لم يكونوا له أساسًا وجذما ؟ (٣)

* * *

إن فى حكمة الرسول لذكرى
للبيب أصاب عقلا وفهما

(١) أذم فلانًا أجاره .

(٢) وقمه : قهره وأذله .

(٢) الجذم : الأصل .

هدم الله ما بنى العهد من آ
 كم رأوا من مشاهد الوهم فيه
 لا يغرنهم من الغيث وكف
 همة من هدى الرسول ولود
 لم تزل تضرب الطواغيت حتى
 إن للحق بعد لين وضعف
 مال قوم يبغون للدين هدمًا
 مشهدًا رائع التهاويل فخما
 إنه السيل موشك أن يعمًا
 تورث الشرك والضلالة عقمًا
 جرعتها الرزأين ثكلا ويتما
 قوة تحسم الأباطيل حسمًا

* * *

غزوة خيبر

كانت هذه الغزوة في المحرم من السنة السابعة^(١) واستخلف على المدينة غيلة ابن عبد الله الليثي ، فلما أشرف النبي ﷺ في جيشه على مدينة خيبر^(٢) عند الصبح ، وكان اليهود قد أصبحوا يحملون الفؤوس والمساحي ليعملوا في مزارعهم ، فأخذهم الرعب وعادوا إلى حصونهم ، فبقوا محاصرين فيها ، ثم خرج رؤساؤهم يبارزون المسلمين فيأخذهم الله بسيوفهم ، ثم دارت رحى القتال بعد ذلك ، وكان علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قد تخلف بالمدينة لرمذ أصابه ، فبعث إليه النبي ﷺ سلمة بن الأكوع ، فجاء به يقوده وهو معصوب العينين ، وعقد له النبي ﷺ اللواء فباشر القتال ، وفتح الله على المسلمين^(٣) ، وقد طلب اليهود الصلح على أن تحقن دماؤهم . وتترك لهم النساء والذراري ، ثم ينقشعون عن خيبر لا يحمل الواحد منهم سوى ثوب واحد ، فقبل النبي ﷺ ، وأراد الله له أن يقرهم على أرضهم عمالا ، فساقهم على النخل وزارعهم على الأرض ، وبقي أمرهم كذلك إلى أن كانت خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فحدث أن ابنه عبد الله ذهب إليهم فأصابوه بسوء بليغ ، فأجلاهم عن أرضهم وديارهم ، وذهب بعضهم إلى تيماء وبعضهم إلى أريحاء .

(١) في الطبقات (٢/ ١٠٠) أنها في جمادى الأولى من السنة السابعة ، وقال ابن اسحاق « وأقام رسول الله ﷺ بعد رجوعه من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم ، وخرج في بقية منه غازياً إلى خيبر . [عيون الأثر : ١٦٨/٢]
(٢) هي على ثمانية برد من المدينة .

(٣) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - « لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله عليه » قال عمر : فما أحببت الإمارة إلا يومئذ . فدعا عليا فبعثه ثم قال : اذهب فقاتل حتى يعطيك الله عليك ، ولا تلتفت » قال علي : على ما أقاتل الناس ؟ قال : قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله . [مسلم : ح : ٢٤٠ ، ٢٤٠٥ ، البخاري : ٢٤٠٩ و ٢٤١٠ ، البيهقي في الدلائل : ٢٠٦/٤]

أعدى النمل خيبر والذبابا أعدت يثرب الأسد الغضابا
ومدى من حصونك كل عال ليرفع فى السماوات القبابا
سينزع بأسهم حصنا فحصنا ويفتح عزمهم بابا فبابا
أتاك الفاتح المقدام يزجى مع الجيش الدعاء المستجابا (١)
أتوك مكبرين فلا تلوذى بغير الذعر واضطربى اضطرابا
أما والذاكرين الله فردا لقد هزوا المخارم والشعابا (٢)
أجيبى : أين جندك ؟ واسأليه لمن جمع السلاح ؟ وكيف غابا ؟
تواروا فى الحصون وخادعتهم ظنون كنّ حلمًا أو سرابًا (٣)
ولو جعلوا السحاب لهم محلا لطار الجيش يقتحم السحابا
جنود محمد كالموت يمضى على قدر صعودًا وانصبابا
وليسوا فى الحروب إذا تلظّت كمن جهل الأمور أو استرابا
وفى حصن النطاة لسان صدق يُعلم كل من جهل الحبابا (٤)

(١) لما أشرف الرسول الكريم ﷺ على خيبر قال لأصحابه «قفوا» ، ثم قال لهم: «قولوا: اللهم رب السماوات وما أظللن ، ورب الأرضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن . ورب الرياح وما أذرين ، فإننا نسألك من خير هذه القرية وخير أهلها ، وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها » ، فلما قالوها قال : «أقدموا باسم الله الرحمن الرحيم » [البيهقى فى الدلائل : ٢٠٣/٤ و ٢٠٤ ، البداية والنهاية : ٥٤٢/٤] .

(٢) المخارم : جمع مخرم ، وهو منقطع الأكمة وأنف الجبل والطريق فى الأرض الغليظة .
(٣) لما بلغهم أن النبى ﷺ سيغزوهم جعلوا يخرجون ويقفون صفوفًا ثم يقولون : محمد يغزونا ، هيهات ، وذكر أن عبد الله بن أبى ابن سلول أرسل إليهم : أن خذوا حذرکم ، وأدخلوا أموالکم حصونکم ، وأخرجوا لقتاله ، ولا تخافوا منه ، إن عددکم كثير (كانوا عشرة آلاف) وقوم محمد شرذمة قليلون - عزل لا سلاح معهم إلا قليل .

(٤) وضع اليهود أموالهم وعيالهم فى بعض حصونهم ، وعسكروا فى حصن النطاة ، فتزل المسلمون قريبًا من هذا الحصن . فتقدم الحباب بن المنذر إلى النبى ﷺ وقال له : يا رسول الله إنك نزلت منزلك هذا ، فإن كان عن أمر أمرت به فلا نتكلم ، وإن كان الرأى =

رأى الرأى الذى ذاقت يهود
أصابتهم حمياً اليأس لما
سل البطل المجرب لو أجابا
رماه بعامر قدر إذا ما
ولكن المنية أخرته
وخان السيف صاحبه ، فأودى
هنيئاً عامرٌ رضوان رب
بسيفك متّ موت فتى كريم
برزت لمرحب بطلا مهيباً
ولولا نبوة للسيف طاشت
مرارته ، فكان لهم عذابا
تنحى الجيش يلتمس الصوابا (١)
أيعلم أىّ داهية أصابا ؟ (٢)
رمى المهجّات غادرها خرابا
ليبلغ فى غوايته الكتابا (٣)
شهيداً ، برّ مصرعه وطابا
حباك الأجر جمّاً والثوابا
يحاذر أن يعيّر أو يعابا
أبى أن يُتّقى أو أن يهابا
بمضربه لأورده التبابا (٤)



- = تكلمنا ، قال : « هو الرأى » ، فقال الحباب : إنهم قوم يجيدون الرمى ، وهم مرتفعون
عنا ، ولا نأمن من بيّاتهم يدخلون فى حمزة النخل ، تحول يا رسول الله . ففعل .
(١) حميا الشيء شدته .
(٢) هو مرحب ملك اليهود خرج يرتجز :
قد علمت خير أنى مرحب شاكى السلاح ، بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب
فبرز له عامر بن الأكوع فضربه مرحب بسيفه ، فوقعت الضربة فى ترس عامر فأراد أن
يضرب مرحبا من الأسفل فعاد إليه سيفه فأصابه فمات . فبرز له وهو يقول :
أنا الذى سمتنى أمى حيدرة كليث غابات كرية المنظرة
أو فيهم بالصاع كيل السندرة فضرب مرحبا ، فغلق رأسه
فقتله ، وكان الفتح [مسلم : ح ١٨٠٧ ، البيهقى فى الدلائل : ٢٠٧/٤ - ٢٠٩] .
(*) وهناك خلاف فىمن قتل مرحبا .
(٣) الكتابا : أى : الأجل المكتوب له .
(٤) التباب : الهلاك .

توالى الزحف ، واستعرت نفوس
لئن خاضت غمار الموت ظمأى
سهامٌ بوسائلٍ لاقت سهاماً
تُحدثُ عن مخاوف باعثيها
دعتهم للوغى بيض المواضى
ولو ملكت مسامعهم فلبوا
لو أن الحصن أوتى ما تمنى
رماه محمد فالح حتى
يظلُّ الظرب يحمل منه طوداً
وأمسك هذه الدنيا ، فأمست
لواء الفتح فى يده رهين
يشير إليه محتجباً بوصف
مضت تنساب فى الله انسياباً
لقد عرفت مشاربه العذابا
يكاد جبانها يخشى التراباً (١)
حديثاً يبعث العجب العجبا
وصيرت السهام لهم خطابا
لما ملكوا الجماجم والرقابا
أبى إلا هويّاً وانقلابا
لأوشك أن يقول : كفى عقاباً (٢)
طوى الأطواد ، وانتظم الهضابا
وما تخشى الزوال ، ولا الذهابا
بصاحبه الذى فاق الصحابا (٣)
يكاد سنه يخرق الحجابا

(١) اشتد الترامى بالنبل بين المسلمين واليهود ، حتى لقد أصابت سهام هؤلاء ثياب النبي ﷺ وعلقت به .

(٢) ألح الرسول الكريم ﷺ بالرمى على حصن ناعم إلحاحاً شديداً ويهود تقاتل ، وهو على فرسه الظرب وعليه درعان ومغفر وبيضة ، وفى يده قناتة وترس .

(٣) لما اشتد الأمر واستعصت الحصون قال النبي ﷺ لمحمد بن مسلمة ؓ : «لأعطين الراية إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبانه ، لا يولى الدبر ، يفتح الله عز وجل على يده» ، فلم يكن من الصحابة أحد له منزلة عنده إلا رجا أن يكون هو المعنى بذلك . وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : ما أحببت الإمارة إلا ذلك اليوم ، وبعث النبي ﷺ إلى على بن أبى طالب وهو أرمد ، فدفع إليه الراية وكان اسمها العقاب ثم أعطاه سيفه ﷺ ذا العقار . قال على كرم الله وجهه : يا رسول الله إني أرمد كما ترى ، لا أبصر موضع قدمي ، فتفل فى عينيهِ بعد أن وضع رأسه فى حجره - وقيل : إنه تفل فى كفه الشريف ثم فتح عينيهِ ودلكهما - فبرئ .

ويذكره وبالفاروق حرص
على للعقاب ، وما على
شهاب الحرب ، لا عجب ولكن
رسول جاء بالفرج المرجى
تقدّم يا على رعاك رب
بطبّ محمد أدركت ما لو
شفى الرمد الذى أذاك حيناً
خذ السيف الذى أعطاك ، واصدع
حُصُون كلما زدت دعاء
تُحبّ الكبر ، لا ترضى سواه

على أن ليس يعدوه انتخاباً
سوى البطل الذى يحمى العقاباً
عجبت لفرقد قاد الشهاباً
وبالنور الذى كشف الضباباً
كفى عينيك داءك والعصاً
أراد الطبّ أعجزه طلاباً
وكان لعزمك الماضى قراباً
ببأسك هذه الصمّ الصلاباً
إلى البيضاء ، زادتها اجتناباً
على آفاته خلقاً وداباً

* * *

تقدّم ، ما لصيدك من قرار
خذ الذئب اللعين ولا تدعه
كفى بالحارث المعرور علماً
أرقت حياته ، فأرقت منها
ورُعت به أديم الأرض لما

إذا لم تؤته طفراً وناباً
صدود الليث ، يحتقر الذئباباً^(١)
لمن رزق الغباء ومن تغابى
صریح الكفر يابى أن يشاباً
جعلت عليه من دمه خضاباً

* * *

تخيّل مرحب ما ليس حقاً
مشى يختال مرتجزاً فلاقى

ومنّته الظنون مئى كذاباً
قضاء الله ينسرب انسراباً

(١) ذهب على إلى الحصن فركز الراية تحته وكان أول من خرج إليه الحارث أخو مرحب ، وكان معروفاً بالشجاعة ، فثبت له وتضاربا فقتله ، وانهمز اليهود إلى الحصن ، ثم برز له مرحب فقتله .

سقاء الموت أبيض مَشْرِفِيٌّ يذيب الموت يجعله شرابا
 لك الويلاتُ من ملك غويٍّ أحيط بملكه ، فهو ذابا
 أعدته اليهود لكل خطب فضلَ رجاؤهم فيه وخابا
 أما نظروه مأخوذاً ببأس يهدئ البأس أخذاً واستلابا ؟
 وكل مغالب ، فله على غداة الكرِّ يأخذه غلابا
 توثب يا سر ، فتلقفته مخالب فاتك ألف الوثابا (١)
 أما سمعته خيبر حين يهذى فصدت عنه توجعه عتابا ؟
 ولو تستطيع لاتخذت حياء من البيض الرقاق لها نقابا
 غرابُ الشؤم يُفزعها نعيباً فيالك بومةً ولدت غرابا
 فتى شاكى السلاح ، ولا سلاح لمن يبغى من الموت اقترابا
 ألا إن الزبير لئذو بلاء وإن خشيت صفية أن يصابا
 حوارى الرسول يكون منه بحيث يريد صبراً واحتسابا

* * *

تجلت غرة الفتاح المرجى وأمسى النسور قد طرد الذبابا

(١) قال ابن اسحاق : لما قتل مرحب خرج أخوه ياسر وكان من مشاهير فرسان اليهود وشجعانهم وهو يرتجز .

قد علمت خير أنى ياسر شاكى السلاح بطل مغاور

ويقول : هل من مبارز؟ فخرج إليه الزبير بن العوام فقتله ، وكانت أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم . قالت : عند خروجه : يا رسول الله أنه يقتل ابني ، فقال لها : «بل ابنك يقتله إن شاء الله» .

فالتقيا ، فقتله الزبير . قال : فكان الزبير إذا قيل له : والله إن كان سيفك يومئذ صارما ، يقول : والله ما كان بصارم ، ولكنى أكرهته [ابن اسحاق فى السيرة : ٢١٥ /

وأعولت التّطاةُ لفقد حصن
هو البأس المدّمّر يا على
وحصن الصعب أذعن بعد كبر
وأدّى ما أعدّ القوم فيه
وراح المسلمون بخير حال
أتاح لهم على الضراء رزقًا
مغانم من عتاد القوم شتى
كفى بالصبر للأقوام عونًا
وما أمر اليهود إلى صلاح
مشى لهم الحباب يجرف جيشًا
فزلزل حصنهم ، حتى لودوا
ولو ملك الجناح لطار يطوى
تنادوا للقتال ، فبادرتهم
وليس لقوم يوشع من بقاء
عباب الموت يملك جانبهم

يُعمُّ يهود شجواً وانتحابا (١)
فدع آظامها العليا يبابا
وأعلن بعد غلظته المتابا (٢)
فأمسى بين أعينهم نهابا
ولولا الله ما برحوا سغابا
فأمسى اليسر بعد العسر تابا
تجاوز حين تخصيها الحسابا
إذا حدثٌ من الأحداث نابا
إذا الداعي إلى الهيجا أهابا
شديد البأس ، يلتهب التهابا (٣)
لو أن له إلى الطير انتسابا
طباق الجوّ ذعرًا وارتعابا
سيوف الله شيقّة طرابا
إذا طعموا الطعان أو الضرابا (٤)
فنعم القوم إذ ملكوا العبابا

تتابعت الفتوح محجّلات تزيد يهود حزنًا واكتئابا

- (١) هو حصن ناعم ، فتحه الله على يد على بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فانتقل الذين بقوا فيه من اليهود إلى حصن الصعب .
- (٢) كان اليهود قد وضعوا في حصن الصعب شعيرهم وتمرهم ، وسمّهم وزيتهم وشحمهم وماشيتهم ومتاعهم ، فغنم المسلمون كل ذلك ، وكانوا في حاجة إليه شديدة .
- (٣) الحباب: بن المنذر ، دفع النبي ﷺ اللواء إليه ووجهه إلى حصن الصعب ففتح على يده .
- (٤) يوشع هذا رجل من اليهود خرج من هذا الحصن قبل فتحه مبرزًا ، فقتله الحباب رضى الله عنه .

أصيبوا بالقوارع راجفات
فتلك حصونهم أمست خلاءً
تساقفوا بالعراء الذل مرّاً
وألّفوا بالسلاح وما أصابوا
وضاقوا بالجلأ فأدركتهم
أصابوا من رسول الله مولى
قضى لهم القضاء ، فلا انتزاحاً
ثووا فى الأرض عمّالا عليها
ولاة الزرع للإسلام منهم
هداة الناس أرشدهم سبيلا

تهدّ الشيب منهم والشبابا
كأن لم يعمرّوا منها جنابا (١)
يود طغاتهم لو كان صابا
من الأموال جمعاً واكتسابا
عواطف محسن تسع الرحابا
يتوب على المسىء إذا أنابا
لقوا بعد المقام ، ولا اغترابا
يؤدّون الإتّاة والنصابا
شريكٌ ليس يظلم أو يحابى
وأحسنهم إذا انقلبوا مآبا

* * *

(١) الجناب الفناء أو ما قرب من محلة القوم .

كنز بنى النضير

هو حليهم الذى كان سلام بن أبى الحقيق حمله فى جلد بعير - وقيل : فى جلد ثور - يوم إجلاء بنى النضير وهو يقول : إنا أعدنا هذا لرفع الأرض وخفضها - لما فتحت خير سأل النبى ﷺ عنه فقالوا : أذهبت الحروب والنفقات ، فدفع رجلا منهم اسمه سعية بن عمرو عم حبي بن أخطب إلى الزبير بن العوام فمسه بعذاب ، فدل على مكانه ، وكان حبي قد دفنه فى ذلك المكان .

منايا القوم فى جلد البعير	فأين يضيع كنز بنى النضير ؟
مردُّ الأمر فى رفع وخفض	لهذى الأرض فى الحدث الكبير
كذلك قال أكذبهم مقالاً	وأجهلهم بأعقاب الأمور
هم اتخذوا الخداع لهم سبيلاً	وكانوا أهل بهتان وزور
فما صدقوا النبى ولا استجَبُوا	سوى الطمع المخيب والغرور
وما الكنز الذى دفنوه إلا	نذير الويل أجمع والشبور
يقول غواتهم : لم يبق شىء	مقال ذوى السفاهة والفجور
فلما مسَّ صاحبهم عذاب	بدا الشرُّ المغيب فى الصدور
وجىء بكنزهم إرثاً عتيداً	لِوراث الممالك والدهور
ولو جحدوه أقبلت المنايا	تؤذّن فى الرقاب وفى النحور
فبادوا فى مصارعهم وعادوا	كطسم أو كعاد فى الدثور
وما برحت عوادى الدهر تجرى	على أهل المآثم والشورور
لهم فى ذمة الفاروق يوم	يظالعههم بشرٌ مستطير (١)
فصبراً ، إنه لا بد آت	فما ليهود خيبر من مجير

(١) إشارة إلى إجلائهم فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

المخلفون

جاء الذين تخلفوا عن غزوة الحديبية إلى النبي ﷺ ليخرجوا معه طلباً للغنيمة فقال لهم : « لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد ، فأما الغنيمة فلا » ، ثم أمر منادياً ينادى بذلك .

هو الدين ، ما في الدين غنمٌ ولا غرمٌ
أتى القوم يبغون القتال لمأرب
فقال : ارجعوا لا تجعلوا المال همكم
فمن جاءنا يبغى مغانم خيبر
هو الدين دين الله يا قوم خالصاً
ألم أدعكم من قبل ، فانصرفتم بكم
عميتم عن المثلى ، وأقبل معشر
رمّوا في صدور المبطلين وجاهدوا
أولئك أهل الرأي ، لا النفر الألى
أولئك أوفى الناس قسماً وخيرهم
هو الدم والحق المحتم فاعلموا

هو المغنم الوافى ، هو المقتنى الضخم
وعند رسول الله من أمرهم علم
ولا تجهلوا ، إن الجهاد هو الهم
فليس له فيها نصيب ولا سهم
فإن تلحدوا فيه ، فذلكم الظلم
عن الله دنيا الناس وانتقض العزم ؟
مناجيد ، لا عُمى القلوب ولا صم
لنصرة رب حقه واجب حتم
تولوا ، فلا رأى لديهم ، ولا حزم
جزاء ، فعودوا ، لا جزاء ولا قسم
ولله ما يقضى ، له الأمر والحكم

عبد الله بن أبي ابن سلول

عقرب السوء تمادى فى الأذى والاذى بعض سجايا العقرب
 ويك عبد الله ماذا تبتغى ؟ تعب الشر ولما تتعب
 اتئب يا ابن أبى واجتنب خطل الرأى وسوء المذهب (١)
 أنت أضللت الألى طمعتهم من وصاياك ببرق خلب (٢)
 ليس فيما نابهم من عجب خائب طاح بقوم خيب
 قومك الأبطال : ماذا صنعوا بالحصون الشم ؟ قل ، لا تكذب
 أتراها فى صياصيها العلى دافعت عن ياسر أو مرحب ؟ (٣)
 امتلى يا ابن أبى غضباً ليس يرضى الحق إن لم تغضب
 أفما يرضيك فى الدنيا سوى موقف الجانى ومثوى المذنب ؟
 لو صدقت الله فى دين الهدى فزت منه بالذمام الأقرب
 خطة المؤمن بمن ماله دونها من خطة أو مركب
 لك فى الإسلام من أعدائه خلق الذئب ، وطبع الثعلب
 هكذا قدر ربى وقضى ما الخبيث النفس مثل الطيب

(١) اتئب بمعنى استبح ، خطل الرأى : فساده .

(٢) البرق الخلب : الخادع الذى لا مطر فيه .

(٣) الصياصى : الحصون .

صِفَةُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

هى بنت حى بن أخطب سيد بنى النضير ، وهو من سبط هارون بن عمران أخى موسى عليهما السلام ، سببت من حصن الوطيح وكان اسمها زينب . فلما هداها الله إلى الإسلام سميت صفية ، وكانت زوجًا لكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، تزوجها بعد أن طلقها سلام بن مشكم الذى روى أنه لم يدخل بها - خيرها النبى ﷺ بين أن يعتقها فترجع إلى من بقى من أهلها ، أو تسلم فيتخذها لنفسه ، فقالت : أختار الله ورسوله . وأسلمت ، فأعتقها وتزوجها ، وجعل عتقها مهرها .

إن جَلَّ غنم المسلمين بخيبر
الله أكبر يا عروس محمد
هذا مكانك عاليًا ما مثله
يا درة صينت لتاج جلاله
الشأن شأنك ، أنت خير صفية
أدركت بالإسلام فى حرم الهدى
أدركت دنيا الصالحين ودينهم
ولقد غنيت ودون ما تجدينه
ذعر الوطيح فأسلمتك حماته
ما مثل رؤياك التى كانت أذى
رؤيا تفسر للنيام وتعبر^(١)

(١) رأى النبى ﷺ أثر خضرة قريبا من إحدى عينيها فسألها ما خبرها فقالت : إنها نامت فى حجر زوجها كنانة بن الربيع وهى عروس . فرأت قمرا أقبل من يشرب حتى وقع فى حجرها ، وأخبرته بذلك فلطمها وقال : تحبين أن تكونى تحت هذا الملك الذى يأتى من المدينة .

أفكنت ناسية ، فجدد ذكرها
ياويلتا لابن الربيع يغيظه
لظمتك من سفه وسوء خليفة
ماذا رأيت من الذى أغضته
أردى أباك وهدد زوجك بأسه
ماذا رأيت ؟ أما عذرت سيوفه
ولقد بلوت خلالاه فوجدته
أحبته الحب الكثير على القلى
ذهب الرعاة ، فما يسرك صاحب
آثرته ، ورضيت ربك إنها
أعلى محللك فانعمى وتقدمى
ولأنت إن عظم فوائد خيبر

ثر بعينك يا صفية أخضر ؟
هذا المقام الصعب كيف يسر
يده ، وتلك جناية ما تغفر
ونقمت ما يرضى وما يتخير ؟ (١)
وأصاب قومك منه موت أحمر
وعلمت أن عدوه لا يُعذر ؟
نعم الخليل إذا يسوء المعشر
ولحب ربك ذى الجلالة أكثر
ورعاك صاحبك الأبر الأظهر
لله عندك نعمة لا تكفر
بأجل ما يثنى عليه ويشكر
أسنى وأعظم ما أفادت خيبر

يا قبة المختار دونك ما بنى فى ملكه كسرى وشيد قيصر (٢)

(١) قالت : انتهيت إلى رسول الله ﷺ وما من الناس أحد أكره إلى منه ، قتل أبى وزوجى وقومى ، فما قمت من مقعدى ومن الناس أحد أحب إلى منه .

(٢) لما صار لرسول الله - ﷺ - إلى منزل يقال له : « ثَبَار » على ستة أميال من خيبر ، مال يريد أن يُعرس بها ، فأبت عليه فوجد النبى - ﷺ - فى نفسه من ذلك . فلما كان بالصباح - وهى على يريد من خيبر - قال رسول الله - ﷺ - لأم سليم : عليك صاحبك فامشطها . وأراد رسول الله - ﷺ - أن يُعرس بها هناك . قالت أم سليم : وليس معنا فسطاط ، ولا سرادقات ، فأخذت كساءين أو عباءتين فسترت بينهما إلى شجرة ، فمشطتها وعطرتها . وأعرس بها رسول الله - ﷺ - وقال لها : ما حملك على الذى صنعت حين أردت أن أنزل المنزل الأول فأدخل بك ؟ قالت : خشيت عليك قرب يهود . فزادها ذلك عند الرسول . [الطبقات : ١٠ / ١١٨] .

مثنوى يهول الناظرين ومنظر
 فيه الجلال الضخم ، ترتدُّ المنى
 فيه السلام لكل جيل يبتغى
 فيه الحياة تُسلُّ من أكفانها
 إليه أبا أيوبَ ما بك ريبة
 تأبى الكرى وتطوف حول محمد
 ماذا تخاف على حبيبك من أذى
 اهناً بدعوته ، فتلك وقاية
 تلك الولائم فى رحاب محمد
 الصاحب من فرح عليها عكفُ
 عرس النبی وأى عرس مثله ؟

عجب يروع مقامه والمظهر
 من دونه مذعورة تتعثر
 فيه النظام لكل عصر يذخر
 هلكى الشعوب ، إذا تموت وتقبر
 إن المحبَّ على الحبيب ليسهر (١)
 والسيف يقظان المضارب ينظر
 والله كاف ما تخاف وتحذر ؟؟
 من كل ذى جبرية يتنمر
 شتى ، تُسرُّ بها النفوس وتحبر
 والرسل أجمع والملائك حضر
 هيهات ، تلك فضيلة لا تنكر



(١) بات أبو أيوب الأنصارى ليلة العرس متوشحاً سيفه يحرس النبی ﷺ ويطوف حول قبته
 فلما أصبح ورأى مكانه سآله : « ما جعله يفعل ذلك » ، فقال : خفت عليك من هذه
 المرأة . قتلت أباهما وزوجها وقومها وهى حديثة عهد بكفر فبت أحفظك ، قال : « اللهم
 احفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى » ، فلما دفن ببلاد الروم أرادوا به شراً فحفظه الله .
 [البلاذرى - أنساب الأشراف : ١ / ٤٤٣] .

رجوع المهاجرين من الحبشة

كانت هجرة المستضعفين من المسلمين من مكة إلى الحبشة مرتين ، الأولى في شهر رجب من السنة الخامسة للنبوّة ، والثانية بعد رجوع أكثرهم في شهر رمضان - وقيل : شوال - عندما بلغهم أن مشركى مكة أسلموا ثم ظهر غير ذلك ، وسبب هذه الهجرة أن النبي ﷺ قال للمسلمين لما أصابهم الأذى : « تفرقوا فى الأرض » ، قالوا : وأين نذهب ؟؟ فأشار إلى جهة أرض الحبشة وقال : « إن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد » ، وكان عدد المهاجرين فى المرتين ثلاثة وثمانين رجلاً ، وثمانى عشرة امرأة ، وبعثت قريش فى أثرهم عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية إلى النجاشى وعظماء رجاله ليرد هؤلاء المهاجرين إليهم ، وقال عمرو وصاحبه : إنهم لا يسجدون لك كما يسجد الناس ، ويقولون فى عيسى ابن مريم عليه السلام ما لا يرضيك ، فبعث النجاشى إلى الأساقفة فجاؤوا بمصاحفهم ، وتولى جعفر بن أبى طالب الكلام عن المهاجرين الذين كان يسميهم (حزب الله) فقال : إنا لا نسجد إلا لله عز وجل ولا نقول فى عيسى عليه السلام إلا ما يقول إنه روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم . . . قال النجاشى : يا معشر القساوسة هذا ما عندكم فى المصاحف ، أشهد أنه رسول الله الذى بشر به عيسى فى الإنجيل ، ثم قال للمسلمين : انزلوا حيث شئتم من أرضى آمنين ، وأمر لهم بما يصلحهم من الرزق ، وقال : من نظر إلى هؤلاء الرهط نظرة تؤذيهم فقد عصانى ، ردوا هذه الهدايا فلا حاجة لى بها ، وكان عودة هؤلاء المهاجرين فى غزوة خيبر فأمر لهم النبي ﷺ بأخذ أنصبتهم من الغنائم .

مرحباً بالأحبة المقبلينا أطفئوا شوقكم ، وقضوا الحنينا
أذن الله باللقاء ، وكانت لوعة للفرق دامت سنينا
إن هذى دياركم فادخلوها طيِّبات لمعشر طيِّبينا

ادخلوها بنعمة وسلام
 أقبلوا أقبلوا ، وحيوا رسـ
 صافحوه محبب الوجه سمحاً
 وانظروا حوله الجنود ألوفاً
 واذكروا خطبكم وكيف ذهبتم
 تركبون العباب يأخذه الكبـ
 يضرب الموج فى جوانبه المو
 اتخذتم أرض النجاشى داراً
 ملك عادل أقام عليكم
 ورعاكم رعى الحفى يؤدّى
 وجد العار فى هدية عمرو
 قال : يا ويلتا ، أأهدم مجدى
 أبيع الضيوف يا عمرو دعها
 إنها سبة على الدهر يأبى
 راعه جعفر بقول مبین
 ودرى أنما السجود لغير
 واهتدى قلبه فآثر دين الـ
 دلف القوم بالمصاحف لا يد
 قال : ما عندكم ؟ أما قال عيسى
 بطل الشرك ، وانتهى الإفك هذا

واعمروها بأهلكم والبنينا
 ول الله مستبشراً بمد اليمينا
 والزموه مباركاً ميمونا
 بعد أن لم تكن تدانى المثينا
 خيفة الضيم فى البلاد عزيزنا (١)
 ر ، فيأبى عنانه أن يلينا
 ج ، وتزجى السفين فيه السفينا
 وتركتم دياركم والقطينا
 من كريم الجوار حصناً حصينا
 حق أضيافه وفيأ أميننا
 فأباها وردّ عمراً حزيننا
 وأعادى أبوتى الأولينا ؟
 خطة تجعل العزيز مهينا
 كل حرّ مهذب أن تكونا
 فرأى الحق واضحاً واليقينا
 الله إثم يحيق بالساجديننا
 حق فى مجمع القساوس ديننا
 رون ماذا يريد أن يستبيننا
 سوف يأتى من بعده من يلينا ؟
 خاتم الأنبياء والمرسلينا

كيف نأبى محمداً وهو حق؟؟ أيقول الهداة إنا عمينا
 رب إنى آمنت فاغفر ذنوبى واهدنى فى عبادك المؤمنين
 هكذا فاز بالكرامة حزب لله طوبى لحزبه المفلحين
 ادن يا جعفر لك الرتب العلى يا ، وكنت امرأ بهن قمينا
 وخذ القبلة التى هى أقصى ما ترجيه أنفس المتقين (١)
 ادن يا أشبه الرجال بأعلى الـ مناس قدراً وخيرهم أجمعينا (٢)
 ولك العذر إن رقصت فهذى نشوة الحب تأخذ المخلصينا (٣)
 ناد يا شاعر العروبة واهتف مرحباً بالأماجد الأكرمين
 هذه خيبر العصية دالت لسيوف البواسل الفاتحين
 نصر الله جنده وحباه فى لواء النبى فتحاً مبيناً
 فخذوا حقكم هنيئاً مريئاً واشكروا الله أكرم المنعمينا (٤)

(١) لما رجع رسول الله من خيبر تلقاه جعفر بن أبى طالب، فالتزمه رسول الله - ﷺ - وقبل ما بين عينيه وقال : ما أدرى بأيهما أنا أفرح ؛ بقدوم جعفر أو بفتح خيبر [سير أعلام النبلاء : ٢١٣/١ ، الطبقات : ٣٢/٤] .

(٢) عن اسامة بن زيد أنه سمع النبى - ﷺ - يقول لجعفر بن أبى طالب : أشبه خلُقك خلُقى وأشبه خلُقك خلُقى . فانت منى ، ومن شجرتى [سير أعلام النبلاء : ٢١٣/١ ، الطبقات : ٣٣/٤] .

(٣) عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : إن ابنه حمزة لتطوف بين الرجال ، وإذ أخذ على يدها ، فألقاها إلى فاطمة فى هودجها ، قال : فاختم فيها : « على وجعفر وزيد بن حارثة » حتى ارتفعت أصواتهم ، فأيقظوا النبى - ﷺ - من نومه ، قال : هلموا أقض بينكم فيها ، وفى غيرها ، فقال على : ابنة عمى وأنا أخرجتها . وأنا أحق بها ، وقال جعفر : ابنة عمى وحالتها عندى . وقال زيد : ابنة أختى ، فقال فى كل واحد قولاً يرضيه ففضى بها لجعفر ، وقال : الخالة والدة . فحجل جعفر حول النبى - دار حوله - فقال النبى : ما هذا ؟ قال شئ رأيت الحبشة يصنعونه بملوكهم [سير أعلام النبلاء : ٢١٣/١] . خالتها أسماء بنت عميس ، وإمها سلمى بنت عميس .

(٤) إشارة إلى أخذ أنصبتهم من الغنائم .

أم حبيبة رضي الله عنها

هي بنت أبي سفيان ^(١) ، هاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش ، فارتد عن الإسلام هناك ومات نصرانياً - أرسل النبي ﷺ عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه في المحرم سنة سبع إلى النجاشي ليزوجها منه ، ففعل ودفع الصداق من ماله أربعمئة دينار . أو أربعمئة مثقال ذهب ثم أولم للناس بعد ذلك ، وكانت إحدى جواريه قد أخذت منها بعض الهدايا والأموال لما بشرتها بخطبة الرسول الكريم ﷺ فأمرها برد ما أخذت ، وأمر نساءه أن يقدمن إليها العطر الطيب ، ثم أرسلها إلى النبي ﷺ مع شرحبيل بن حسنة .

بشراك أم حبيبة بمحمد تمت لك النعمة ففوزى واسعدى
هذا بشير الخير أي طلاقه تحكى طلاقه وجهه الغضُّ الند ؟ ^(٢)
حمل الرسالة مشرعاً من رحمة فيه الشفاء لغلّة القلب الصد ^(٣)
بشراك أم المؤمنين فهذه رؤياك عند أوانها والموعد ^(٤)
بعث النجاشي الوليدة فاسمعي أشهى الحديث إلى الكرائم واشهدي
هذا عطاؤك لو يكون مكانه أغلى الكنوز خشيت أن لا تحمدى ^(٥)

(١) هي رملة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية ، وأمها صفية بنت أبي العاص بن أمية ، عمّة عثمان بن عفّان . تزوجها عبد الله بن جحش بن رباب ، فولدت له حبيبة ، وتزوج حبيبة داود بن عروة بن مسعود الثقفي .

(٢) عمرو بن أمية الغمري .

(٣) المشرع المورّد .

(٤) رأت في المنام كأن قائلاً يقول لها : يا أم المؤمنين ، ففزعت وأولتها بأن النبي ﷺ يتزوجها ، قالت : فما شعرت إلا وقد دخلت على جارية النجاشي فقالت لى : إن الملك يقول لك : إن رسول الله ﷺ كتب إليه أن يزوجك منى . فقلت : بشره الله بالخير ، ووكلت عنى خالد بن سعيد بن العاص .

(٥) أعطت الجارية سوارين وخلخالين وخواتم فضة سروراً بما بشرت به . وهذه الجارية يقال =

نعم العطاء بذلته مرضية فلى الله راضية وبالك من يد
قلدت أمرك خالداً فمضى به شرقاً على شرف أشمّ مخلد
هتف الرسول : أجب وكيل محمد فمشى إلى الملك الأعز الأصيد (١)
يلقاه فى تاج الهدى وسريره بين الأرائك والجموع الحشد
فى مشهد زانته غرة جعفر زين الندى ونور عين المنتدى (٢)
جمع الأحبة والرفاق ، فأقبلوا من كل عال فى الرجال ممجد
أدى النجاشى الصداق مبارك ملء اليدين يسوقه من عسجد
وأقام لله الولائم كلما زادت وفود القوم قال لها ازددى

مضت الوليدة بالصدّاق فصادفت كرمًا يجاوز مطمع المسترفد (٣)
نالت ولم تسأل ولم تمدد يداً خمسين ديناراً عطاء كالدد (٤)
فضلٌ لأم المؤمنين تفجرت عنه فراح يفيض غير مصرّد (٥)

تلك الوليدة قال سيدها : ارجعى أنسيت حقّ الضيف عند السيّد ؟ (٦)

= لها « أبرهة » ، هى الى كانت تقوم على ثياب النجاشى ودهنيه .

(١) الرسول هو : عمرو بن أمية .

(٢) أمر النجاشى أن يحضر جعفر بن أبى طالب ومن معه من المسلمين حفل عقد الزواج .

(٣) خطب النجاشى يقول : الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار ،

أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله ، وأنه الذى بشر به عيسى بن مريم ،

أما بعد - فإن رسول الله كتب إلى أنّ أزوجه « أم حبيبة بنت أبى سفيان ، فأجبت إلى ما

دعا إليه رسول الله ، وقد أصدقتها أربعمئة دينار ، ثم سكب الدننير بين يدي القوم .

(٤) الدد : اللعب .

(٥) المصرد : المقلل .

(٦) قالت أم حبيبة : فلما وصل إلى المال أرسلت إلى « أبرهة » التى بشرتنى ، فقلت لها : =

رُدِّي العطيّة والهديّة واذكري
لا ترزئي زوج النبی بأرضنا
آلاء ربك ذي الجلال الأوحـد
شيئًا ، فبئس الزاد للمتزود

قالت : إليك المال والحليّ الذي
أمر المليك فلا مَرَدَّ لأمره
إنى فى ذمامك حاجة منشودة
هل تحملين إلى الرسول تحية
حيّيه منعمة وقولى : إننى
ورضيتُ ملّته لنفسى ، إنه
أعطيتنيه ، فليس أمرى فى يدي
ولك الكرامة فى الفريق الأرشـد
لولا الهدى وسبيله لم تُنشد
منى إذا انطلقتُ ركابك فى غد ؟
أحببته حبّ التقى المهتدى
لعلى طريق للسداد معبـد

رضيَ المليك وراح يحمـد ربه
ودعا إلى الصنع الجميل نساءه
تمشى الولايد خلفه يحملنه
يأتين أمّ المؤمنين يزدنّها
حمد امرئ للصالحات مُسـدد
فالطيب ذو عقب يروح ويغتدى
فى ملتقى بهج وحسن تودُّ
ويقلن : مهلا كلما قالت : قدى

سيرى هداك الله شطر نبيه
إلا يكن من هاشم وفد فكم
جبريل يمشى فى ركابك خاشعًا
الله بوأك الكرامة منـزلا
فى موكب من نوره المتقدّ
لله حولك من رسول موفـد
بين الملائك . فاشهدى وتفقدى
وأعزّ جدك بالنبي محمـد

= إنى كنت اعطيتك ما اعطيتك يومئذ ولا مال بيدي ، فهذه خمسون مثقالا فخذوها
فاستعيني بها . فأبت ، وأخرجت حقًا فيه كل ما كنت أعطيتها . فردّته على . وقالت :
عزم على الملك أن لا أرزأك شيئًا . وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بكل ما عتدهن
من العطر . . . » [ابن حجر فى الإصابة ٦٥١/٧ و ٦٥٢ ، الطبقات : ٩٦/١٠] .

أهل فذك

هم قوم من اليهود بعث إليهم النبي ﷺ محيصة بن مسعود رضي الله عنه وهو على مقربة من خيبر يدعوهم إلى الإسلام ، وينذرهم عاقبة أمرهم إذ عصوا فقالوا : إن في خيبر عشرة آلاف مقاتل فيهم عامر وياسر والحارث ومرحب ، فلن يغلبهم المسلمون ، على أننا سنبعث معك بعد يومين رجالا للصلح ، وذلك من مكرهم ليروا لمن يكون النصر ، فلما جاءهم الذين هربوا من حصن ناعم بعد فتحه ، أرسلوا يوشع بن نون وهو رجل من رؤسائهم في جماعة منهم إلى النبي ﷺ يطلبون الصلح فأجاب سؤلهم ؛ أن يحقن دماءهم ، ويجليهم . وأطعم رسول الله - ﷺ - محيصة بن مسعود بخيبر ثلاثين وسقا ؛ لأنه كان من السفراء .

محيصة بلغ ما أمرت فإمّا هو الدين دين المسلمين ، أو القتل إلى فذك فاحمل بلاغ محمد وأنذر بها قوما أضلّهم الجهل أبوا أن يجيبوا داعي الله وابتغوا سبيل الآلى أعماهم الحقد والغل يقولون : لن يستطيع جيش محمد بخيبر نصراً ، إنها مطلب بسل يدافع عنها من صناديد أهلها رجال إذا خاضوا الوغى بطل الهزل لها عامر عند البلاء وياسر لها مرحب والحارث البطل الفحل وإن بها من كل رام وضارب ألوفا ، هم السم الذعاف لمن ييلو على أننا نكره السلم ، فانتظر محيصة واصبر إنها خطة فصل

كذلك قالوا ، يكررون كدأبهما وماذا يفيد المكر أو ينفع الختل ؟ أطلوا المدى حتى يروا جدّ قومهم وجدّ رسول الله أيهما يعلو وقيل لهم : ضاقت بقومكم السبل فلمّا رموا بالحق من حصن ناعم

مشت رسلهم للصلح ، تهوى أمامها يظلُّ عميد القوم نون بن يوشع
 يقول : هلمُّوا ، ذلك المركب السهل^(١) ولاذوا بأكناف النبی فصادفوا
 وأموالهم ، إن ردهم خيبا حلُّ أحلَّ لهم صلحًا ، وإن دماءهم
 لكل الذى يسمو الكرام به أهل لئن خلَّقوا للؤم أهلا فإنه
 لكل فقير عضه البؤس والأزل^(٢) له النصف من تلك الحقول يُعدهُ
 وما خير مولى لا يكون له ظل ؟ كذلك مولى القوم ، يرجون ظلَّه

* * *

(١) جاء عميدهم يوشع بن نون مع رجال منهم يطلبون من النبی ﷺ أن يصالحهم على أن
 تحقن دماؤهم ، ويخلى بينهم وبين الأموال ، فوقع الصلح على أن يكون له نصف
 الأرض ولهم نصفها ، فكان ﷺ يعود من هذا النصف على صغير بنى هاشم وفقيرهم ،
 ويزوج منه أيمهم ، وجرى الخلفاء الصالحون من بعده على ذلك ، فجعلوا ما يخرج منه
 صدقة للمسلمين .

(٢) الأزل : الضيق والشدة .

بنو غطفان وسيدهم عيينة بن حصن

لما علم أهل خير أن المسلمين قادمون لغزوهم ، بعثوا إلى حليفهم عيينة بن حصن سيد بني غطفان يستعدونه وقومه عليهم ، ولهم في ذلك نصف ثمار خير ، وقيل : إن النبي ﷺ بعث إليهم ينهاهم عن مظاهرة اليهود ، فأبوا وقالوا: حلفاؤنا وجيراننا ، ثم خرجوا لنصرتهم فسمعوا من ورائهم صوتاً في ديارهم وقع في نفوسهم أنه صوت الغزاة من المسلمين ، فأخذهم الرعب ، وارتدوا على أعقابهم مسرعين .

أما تدع العماية يا ابن حصين	وتسلكها معبدة سويّه ؟
أضلتك اليهود فرحت تبغى	ثمار النخل ، يالك من بليّه
لبئس الأجر أجرك من أناس	يرون الحق منزلة دنيّه
أترضى أن تكون لهم حليفاً ؟	لعمرك إنهم شرُّ البريّه
رموكم برسلمهم ، يرجون نصراً	فما وجدوك من أهل الرويّه
أهبت بقومك : انطلقوا ورائي	فتلك سريّه تتلو سريّه
تريد محمداً وبنى أبيه	أولى النجّادات ولهمم العليّه
حماة الحق ، ليس له سواهم	إذا غلت الحفيظة والحميّه
نهاك محمد فبئت رشداً	لنفسك ، إنها نفس غويّه
وقلت : أنترك الحلفاء نهباً	ونحن أولو السيوف المشرفيّه ؟

رويدك يا عيينة أىّ خطب	أصابك ؟ ما الحديث ؟ وما القضيّه ؟
وما الصوت المردّد يا ابن حصن	وراءك في منازل القصيّه ؟

وراءك يا عيينة لا تدعها
رجعت بجندك المهزوم رعباً
لو أنك جئت خيبر وهى ظمأى
نويت غياثها فشغلت عنها
بربك يا فتى غطفان آمن
فإن له لآياتٍ جليّة

فما هى عن دفاعك بالغنيّة
فمرحى ما الهزيمة كالمنيّة
سقتك من الردى كأساً رويّه
وأمر الله يغلب كل نيّة

رجعت إلى النبىّ تقول ما لا
ألستُ لمن ظفرت بهم حليفاً ؟
وإنى قد أبيت فلم أعنهم
فقال : كذبت ، ما لك من خلاق
عليك بذى الرقية إن فيه
تأمل : هل ملكت علىّ أمرى ؟
لكلّ من دعاة الشرك حرب
سجايَا المرففات البيض أولى

يقول المرء ذو النفس الحيّة (١)
فهب لى من مغائهم عطية
عليك ، وما تركتك عن تقيّة
وما تخفى على الله الطويّة
لَمّا أحببت من صلة سنيّة
وهل صدقتك رؤياك الغبيّة ؟
مظفّرة الوقائع خيبريّة
بمن جعلوا النفاق لهم سجيّة

(١) جاء عيينة إلى النبىّ ﷺ عبد فتح خيبر فى رجال من قومه فقال : أعطنى مما غنمت من حلفائى ، فإنى امتنعت عن قتالك ، فقال له : « كذبت ، ولكن الصياح الذى سمعت أنقذك إلى أهلك ، لك ذو الرقية » ، قال عيينة . وما ذو الرقية ؟ قال : « الجبل الذى رأيت فى منامك أنك أخذته » ، وكان عيينة قد رأى ذلك فلما انتبه من نومه قال لقومه أبشروا فإنى رأيت أنى أعطيت ذا الرقية لقد والله أخذت برقبة محمد ، ذو الرقية من جبال خيبر .

حجاج بن علاط السلمي رضي الله عنه (١)

قدم على النبي ﷺ بخير فأسلم ، وكان له مال كثير متفرق في تجارة مكة . فاستأذنه في أن يذهب إليها ليجمعه قبل أن يعلم إسلامه وأن يقول للقوم ما يرضيهم ليعينوه على ذلك فأذن له ، وذهب فرأى عند البيت جماعة منهم يتلمسون أخبار خبير ، فأقبلوا عليه يقولون : إيه يا حجاج ، فقال : هزم محمد وأصحابه هزيمة لم يسمع بمثلها ، وهو أسير في أيدي اليهود ، لا يريدون أن يقتل في غير مكة ، ففرحوا وأعانوه ، وشاع الخبر فحزن المسلمون . وكان أشدهم حزناً العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، فبعث غلامه إلى حجاج يسأله . فعاد يبشره بكذب ما أذيع من هذه الأنباء ، فأعتقه سروراً بذلك ، وجاء حجاج فصدقه الحديث ، وسأله أن يكتم الخبر ثلاثة أيام حتى ينجو بنفسه وماله ففعل وخرج العباس بعدها على المشركين في زينة فأنبأهم بما غاظهم وأوجع قلوبهم (٢) .

تقدّم ، فهذا مطلع الحق والهدى
أتيت رسول الله تتبع دينه
لك الله يا حجاج أمسيت مشركاً
سيغفر ما أسلفت من جاهلية
سألت رسول الله ما لو سألته
تقول له : دعني أزور مقالة
بمكة لى مال كثير موزع
ألت ترى النور الذى جاوز المدى ؟
وتؤثر خير الزاء فيمن تزوداً
وأصبحت تدعوه تقياً موحداً
ليالى تأبى أن يطاع ويعبدا
سواه لأعطاك الحسام المهندا
تسوءك ، إنى أحر المعشر العدى
أخاف عليه أن يضيع ويفقدا

(١) - هو : الحجاج بن علاط بن خالد بن ثورية بن جبير بن هلال بن عيد بن ظفر بن سعد ابن عمرو بن بهز بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم [الإصابة : ٣٣/٢ ، ابن حزم : ٢٦٢ ، ابن الاثير : ٤٥٦/١] .

(٢) انظر القصة في الطبقات : ١٥٨/٩ و ١٥٩ .

سأكنتم إسلامي وأوذيك ، إنهم
ورحت تحاييهم وتشفى صدورهم
تقول : لقد فاز اليهود وأدركوا
أغاروا ، فردوهم ، وأمسى محمد
أبوا أن يذوق القتل إلا بمكة
فطاروا سرورا واستمر غواتهم
وطاشت عقول المسلمين فأصبحوا
وأرضى الألى ضلوا السبيل بشيرهم
تزود همّا كل من كان مسلماً
فأرسل : ما هذا الذي أنت قائل ؟
تبارك ربي ، إنه جل شأنه
فقال نعم عد يا غلام وقل له
فأعتق من فرط السرور غلامه
ووفاه حجاجٌ بأنباء خيبر
وناشده أن لا يذيع حديثه
فلما انقضت راع الرجال بطلعة
تدفق بشراً وجهه ، وجرى السنا
يقولون ، لا تحزن فيالآلى عموا

هم القوم ، لا يؤذون إلا من اهتدى
بخرقاء تستهوى الغبىّ المبلدا
على الفاتحين الغرّ نصراً مؤيدا
أسيراً لدى ساداتهم ليس يُفتدى
وإن له عمّا قريب لموعدا
يذيعونه زوراً وإفكاً مُردداً
حيارى يرون العيش أغبر أنكدا
لذن جمعوا من ماله ما تبددا
وأعيا على العباس أن يتجلدا
قل الحق يا حجاج وانقع به الصدى
لحق عليه أن يُعزّز محمدا
أبا الفضل أبشر وانتظر مقدمى غدا
وراجعه من أمره ما تعودا
فأمسى الذى أخفى من الأمر قد بدا
ثلاثة أيام حذاراً من الردى
تشقُّ على الأعداء مرأى ومشهدا^(١)
على صفحتيه ساطعاً فتوقدا
وبالك من حزن أقام وأقعدا

(١) عمد إلى حلة قلبها ، ثم تخلق بخلق . وأخذ يده قضيا ، ثم أقبل يخطر حتى أتى
مجالس قریش وهم يقولون إذا مر بهم : لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل . هذا والله
التجلد لحر المصيبة ، قال : كلا والله الذى حلفت به ، لا يصيبني إلا خير ، وذكر الفتح
وغنائم المسلمين فحزنوا وقالوا : انفلت عدو الله - يعنون حجاجاً - أما والله لو علمنا
لكان لنا وله شأن .

رماهم بأخبار الفتوح فغاظهم وردّ ذليلاً كل عاتٍ غرّداً
 يضجّون : أين ابن العلاط ؟ أمالنا إليه سبيل ؟؟ إنه كان مفسداً
 لقد غرّنا كيما يفوز بماله فحاق بنا من إثمه ما تعمّداً
 فواهاً له من ماكر لو نصيبه إذن لجزيناه الجزاء المشدداً
 جزاهم إله الناس ، ما ذنب مسلم كريم السجايا ، ما أساء ولا اعتدى ؟
 رأى شرهم فاحتال يحفظ ماله عليه ، ويأبى أن يغادره سدى

* * *

الشاة المسمومة

عمدت زينب بنت الحارث أخى مرحب - وهى امرأة سلام بن مشكم - إلى عزز لها فذبحتها ، وجاءت بسم قاتل لساعته فأشاعته فيها ، وعلمت أن النبى ﷺ يحب الذراعين فأكثرته فيهما من ذلك السم ، ثم جاءت فوضعتها بين يديه ومعه طائفة من أصحابه فيهم بشر بن البراء بن معرور رضي الله عنه ، فلما ذاقها النبى ﷺ أنبأه الله بأمرها ، فقال لأصحابه : « ارفعوا أيديكم » ، وكان بشر قد أصاب منها ففعل فيه السم ومات بعد سنة ، فأمر النبى ﷺ بقتل تلك اليهودية الخبيثة .

أكانوا كلهم داء عياء ؟ فما يجد الأساة لهم دواء ؟
 ألا إن النطاسى المرجى أتى يلقى الألى انتظروا اللقاء
 أتى بالحكمة الكبرى رسولا فكلن لعلّة الدنيا شفاء
 أتطمع زينبٌ بذراع شاة يُسمّم أن يُضرَّ وأن يُساء ؟
 أبى الملك المهيمن ما أرادت فخيّبها ، وكان له وقاء
 أتت تمشى بها ، وتقول : هذا طعامك ، فارضه . وانعم مساء
 فقال لصحبه : رزقٌ أنانا فباسم الله ، لا نُحصى ثناء
 فلما ذاقها قال اتركوها فإن الله قد كشف الغطاء
 طعام السوء مسموم ، وهذا أخى جبريل بالأنباء جاء
 فكفُّوا غير بادرة لبشر مضتُ قدراً لربك أو قضاء
 فيالك طعنة لم تُبق منه لحاجة نفسه إلا ذماء (١)
 إذا رام التحول أمسكته ولو قدرت مفاصله لناء

قضاها حِجَّةً من ذق فيها
 وحُمَّ قضاؤه ، فمضى رضىً
 وقال محمد يا آل بشر
 فلاقت زينبُ قتلاً بقتل
 أمن حمل الخمار من الغواني
 كذلك حكم ربك فى كتاب
 هو القسطاس أنزل مستقيماً
 أتى يحمى الحقوق ويقتضيها
 بناء العدل ، ليس به خفاء
 ألا خسر اليهود ولا أصابوا
 كأن الغدر عند انقوم دين
 مرارة عيشه كره البقاء
 يَبِوْاً جَنَّةَ المأوى جزاء
 كفى بدم التى قُتِلَتْ عزاء
 وما كانت لصاحبهم كِفاء
 كمن حمل العمامة واللواء ؟
 أقام السبيل بيّنة وضاء
 لمن يزن النفوس أو الدماء
 فلا جنفاً يريد ولا عداء
 فسبحان الذى رفع البناء
 طوال الدهر خيراً أو نماء
 فما يدع الرجال ولا النساء

المؤمنات في جيش الرسول ﷺ

خرج في هذه الغزوة مع جيش الرسول الأعظم ﷺ عشرون امرأة من نساء المسلمين فيهن عمته السيدة صفية رضي الله عنها وعنهن ، وقد أعطين نصيباً من الغنائم .

أتين بهنّ من شوق غليلُ
خرجن من الخدور مهاجراتٍ
يسرنّ مع النبيّ على سواءٍ
يردن الله ، لا يبغين دنيا
عقائل في حمى الإسلام يسمو
يفئن إلى صفية حيث كانت
عليها من رسول الله وسم
عشيرة سُودِد ، وقبيل مجد
يُجرّدن النفوس مجاهدات
فلا ضعف يعوق ولا لغوب
نساء الصدق ، ما فيهنّ عيب
أخذن عطاءهنّ على حياء
لئن قلّ الذي أوتين منه
وعدن لهنّ منقلب جليل
فلا دعة ، ولا ظلّ ظليل
ولا هاد سواه ولا دليل
كثير متاعها نزر قليل
بهنّ من العلى فزغ طويل
وكان سبيلها ، نعم السبيل
مبين العتق ، وضّاح جميل
فبوركت العشيرة والقبيل
بحيث يُجرّد العضب الصقيل ^(١)
ولا ولد يشوق ولا حليل
وليس لهن في الدنيا مثيل
يزيد جماله الخلق النبيل
فأجر الله موفور جزيل

(١) العضب الصقيل : السيف القاطع المصقول .

غزوة وادى القرى

كانت بعد خيبر ، وأهل هذا الوادى من اليهود دعاهم النبى ﷺ إلى الإسلام ، فأبوا إلا القتال ، وحمل ثلاثة منهم فى الطليعة واحداً بعد واحد ، وحمل على بن أبى طالب والزبير بن العوام وأبو دجانة فقتلوهم ، ثم نشب القتال بين الجيشين فكان النصر للمسلمين ، وطلب اليهود الصلح فتركت الأرض والنخيل والبساتين والحدائق فى أيديهم يعملون فيها أجراً كإخوانهم يهود خيبر .

خوضوا الوغى يا أهل وادى القرى	واستقبلوا الموت وأسد الشرى
أنكرتم الإسلام دين الهدى	والله والسيف لمن أنكرا
إن تطلبوا البرهان فاستخبروا	جيرانكم ، أو فاسألوا خيبرا
اقتل على إنهم معشر	ما مثلهم أعمى الهوى معشرا
ويا حوارى الرسول اقتنص	كل غوى جاء مستهترا
وأنت فاضرب فى الطلى يا أبا	دجانة اضرب مقبلا مدبرا
كروا جنود الله فى نصره	ليس لغير الله أن ينصرا
لا تتركوا جيش الألى استمسكوا	بالكفر حتى يرجع القهقرى
يا صولة هدت فراعينهم	ما أشجع القوم وما أصبرا
أبطال حرب لم يزل بأسهم	يلتهم العسكر فالعسكرا
وادى القرى التف على روعة	يا ويح للمرتاع ، ماذا يرى ؟
من مثل الأغوال تهفو به	أهوالها العظمى ؟ ومن صورا ؟
بأس رسول الله فى صحبه	ما أعظم البأس وما أكبرا
ذلت يهود بعد أن لم تكن	تظن أن تغلب أو تقهرا

استغمر الفاتح زراعهم فى الأرض ، لولا الفرق ما استعمرنا
فليشكروها منه أكرومة من حقها الواجب أن تُشكرا
وليرقبوا العقبى وزلزالها إن أظهر الحدثان ما أضمرنا
لا حولَ للقوم ولا حيلة فيما قضى الله وما قدرا
لن يصحب الإسلام فى داره أصحاب دين غيره مُفتري
بشارة الله أتنا بها أصدق من بشر أو أنذرا (١)

* * *

(١) عن أبى هريرة . . . « فلما نزلنا بوادى القرى انتهينا إلى يهود ، وقدم إليها ناس من العرب فبينما « مدعم » - عبد اسود لرسول الله - ﷺ - يحط رحل رسول الله - ﷺ - وقد استقبلنا يهود بالرحى حين نزلنا ، ولم تكن على تعبئة ، وهم يصيحون فى آطامهم ، فيقبل سهم عائر فأصاب مدعما فقتله . . قال الواقدي . . فعبى رسول الله - ﷺ - المسلمين للقتال ، ودفع لواءه إلى سعد بن عباد ، وراية إلى الحباب بن المنذر ، وراية إلى سهل بن حنيف ، وراية إلى عباد بن بشر . ثم دعاهم إلى الإسلام ، وأخبرهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم ، حقنوا دمائهم ، وحسابهم على الله . قال : فبرز رجل منهم ، فبرز إليه الزبير بن العوام فقتله ، ثم برز آخر . فقتله على ، حتى قتل منهم أحد عشر رجلا . . . وقتلهم حتى أمسى وغدا عليهم فلن ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا بأيديهم ، وفتحها عنوة ، وغنمهم الله أموالهم . وأقام المسلمون بها أربعة أيام .

أهل تيماء

رأى أهل تيماء انتصارات المسلمين فى خير ، وفدك ، ووادى لقرى ، فأرسلوا
إلى النبى ﷺ يسألونه الصلح على أن يؤدوا إليه الجزية فقبل وأقرهم على حالهم .

هو النصر يا تيماء يتبعه النصر فإن كنت فى ريب فقد وضح الأمر
دعى الرسل تمضى ما عليك ملامة وكيف يعاف الأمن من غاله الذعر ؟
فإن تخفضى منك الجناح لتنعى بأفياء عيش ساكن ، فلك العذر
وهل يرفع العصفور يومًا جناحه إذا حلق البازى ، أو انطلق النسر ؟
إذا أمسك الصبر البلاد وأهلها فليس على هذا قرار ولا صبر
ألم يك أهل الأرض موتى ، فجاءهم رسول حياة دينه البعث والنشر ؟
أبى أن يظلوا آخر الدهر فوقها يسرون فى الأكفان وهى لهم قبر
حياة الدنى فى سيفه وكتابه وما منهما إلا لها عنده سرُّ

لك الأمن يا تيماء لا الدم دافق ولا النقع مسودُّ ، ولا الجو مغبرُّ
ولا أنت ثكلى ، ما تُغبُّك لوعة مؤجَّجة كالجمر ، أو دونها الجمر
أعانك رأى أبصر القصد فانتحى بأهلك مالا ينتحى الجاهل الغرُّ
ولو آثروا الإسلام دينًا لأفلحوا ولكنه الشرك المذمَّم والكفر
أبوا وتولوا يشترون نفوسهم بأموالهم ، هذا هو الغبن والخسر
يؤدونها من خيفة القتل جزية على الهون ، مما يرزق الحبُّ والتمر
أقاموا يريدون الحياة بأرضهم وكيف حياة القوم إن فسد الأمر ؟
رويد الألى اختاروا الضلالة خطَّة فتلك - وإن لم يعلموا - خطَّة نكر

يَضِلُّونَ والفجر المنور طالع ولا عذر للضلال إن طلع الفجر
لكل أناس مدة ثم تنجلي عمايتهم ، فليصبروا إنه الدهر

* * *

عُمْرَةُ الْقِضَاءِ

ويقال لها : عمرة القضية ، والصلح والقصاص ^(١) ، وهى التى أجازها عهد الحديبية للرسول الكريم ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم ، وكانت فى شهر ذى القعدة من السنة السابعة وهو الشهر الذى صده المشركون فيه عن البيت سنة ست ، ويقال لهذه العمرة : غزوة الأمن ، ولهذا ألحقت بالغزوات لأن النبى ﷺ خرج إليها بالخيـل والسلاح مخافة أن يغدر المشركون فيقاتلهم ، وخرج معه من أصحابه ألفا رجل أكثرهم ممن شهد الحديبية واستعمل على المدينة عوف بن الأضبط الدثلى ، فلما رأى احترام القوم للعهد أمر بوضع السلاح فى مكان قريب من الحرم يقال له : بطن ناجح ، ثم دخل مكة هو وأصحابه آمنين وقضوا مناسكهم من صلاة وطواف ونحر وخرجوا بعد ثلاثة أيام وفاء بالعهد .

مضى العام ، وانبعث المنتظر وخُلِّيت السبل للمعتمر
لقد يسّر الله تلك الصعاب فما من عصيٍّ ولا من عسر
بدارٍ بدار جنود النبىِّ فإن الغنيمة للمبتدر
إلى البيت سيروا سراع الخطى فما ثم من خيفة أو حذر
وسوقوا الهدايا إلى ربكم فما خاب من ساقها أو نحر
دعوها لناجية إنه لنعم الفتى أن تمطى السفر ^(٢)

(١) عمرة القضاء ؛ أى قضاء عما كان أحصر عام الحديبية وعمرة القضية : من المقاضاة التى كان قاضاهم عليها على أن يرجع عنهم عامه هذا ، ثم يأتى فى العام القابل ولا يدخل مكة إلا فى جلبان السلاح ، وأن لا يقيم أكثر من ثلاثة أيام .

(*) وعمرة القصاص : من قوله تعالى : ﴿ والحرمت قصاص ﴾ لأنهم صدّوا رسول الله - ﷺ - فى ذى القعدة من الشهر الحرام من سنة ست ، فاقتصر رسول الله - ﷺ - منهم ، فدخل مكة فى ذى القعدة فى الشهر الحرام الذى صدره فيه من سنة سبع .

(٢) ناجية بن جندب الأسلمى جعله النبى ﷺ على هديه يسير بالهدى أمامه يطلب الرعى فى الشجر معه أربعة فتيان من أسلم . وقد ساق الرسول - ﷺ - فى عمرة القضية ستين =

دليلكم الصدق فيما مضى وللخيل قائدها المجتبى (١)
 رأوها مطهّمة في السلاح أيا قومنا إنهم أقبلوا
 خذوا حذرکم ، واجمعوا أمرکم وجاء ابن حصن رسولا يقول
 أتنبض عهدك تبغى القتال قريش على العهد ما بدّلوا
 على من السلاح ؟ وماذا تريد ؟ فقال النبي : اهدأوا إننى
 سيبقى السلاح بعيد المكان لمكة حرمتها والذمام
 وأقبل فى صحبه الأكرمين يشقُّ الصعاب ، ويهدى الزمر
 وفارسها الشمري (٢) الأغر فطاروا يقولون : أمر قدر (٣)
 على الجرد فى المرففات البثر ألا إننا لا نرى غير شرّ
 محمد ما شأنكم ؟ ما الخبر ؟ (٤) وما كنت ممن بغى أو غدر ؟
 ولا كان منهم أذى ولا ضرر أتأبى لأنفسنا أن تقرّ ؟
 لأولى الورى بوفاء وبرّ ليأمن من قومنا من دُعر
 ولله سبحانه ما أمر يؤمّ البنيّة ذات الستر

= بدنة ، وفى البيت وما بعده إشارة إلى ما كان من أمره فى الحديبية وهو مذكور فى مكانه .

(١) هو محمد بن مسلمة ، أقيم على الخيل .

(٢) الشمري : الماضى فى الأمور المجرب .

(٣) المطهم : التام من كل شيء ، وهؤلاء نفر كانوا بمر الظهران فلما بلغت الخيل ورأوا السلاح

طاروا إلى مكة فأذاعوا الخبر . وفزع القوم وقالوا : إنا على عهدنا فما لمحمد يغزونا .

(٤) بعثت قريش « مكرز بن حفص بن الأحنف » فى نفر من قريش حتى لقوه ببطن يابج ،

ورسول الله - ﷺ - فى أصحابه والهدى والسلاح قد تلاحقوا . فقالوا : يا محمد ما

عرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر ، تدخل بالسلاح فى الحرم على قومك ، وقد شرفت لهم

أن لا تدخل إلا بالسلاح المسافر ، السيوف فى القرب ، فقال النبي - ﷺ - : إني « لا

أدخل عليهم السلاح » . فقال مكرز : هذا الذى تعرف به : البر والوفاء . فلما أن جاء

مكرز بنخبر النبي إلى قريش خرجت من مكة إلى رؤوس الجبال .

فيا ابن رواحة خذ بالزمَام
جلا القوم يأبون لقيا النبي
فطافوا وصلوا وخفّوا معاً
وقضّوا الناسك مستبشرين
وجاء حويطب (٣) يلقي النبي
يقولان : إنا على موعد
قضيت الثلاثة فاذهب إلى
فأرعد سعد وجاشت به
وألقي بصاءقة تستطير
فقال النبي : رويداً رويداً
وحُمّ الرحيل ، فنعم السبيل
همو صبروا ، فاثنوا ظافرين
فشكراً لربّ يحبّ التقى

وقل في النبيّ وفي من كفر (١)
وأصحابه الطاهرين الغرر (٢)
إلى الركن يغشّونه والحجر
فلم يبقَ من مأرب أو وطر
وصاحبُه (٤) امرتجى للغير
فمالك عن أرضنا لم تسر ؟
منازل يثرباً ما من مفر
حمية مستوفز كالنمر (٥)
على جانبها بروق الشرر
أطفأ من غيظه المستعر
سبيل القبيل الجليل الخطر
وما الصبر إلا بشير الظفر
ويضفى العطاء على من شكر

* * *

(١) عبد الله بن رواحة أخذ بزمام ناقة النبي ﷺ وهو مقبل على البيت وصار يرتجز : خلوا
بنى الكفار عن سبيله إلى آخر ما قال .

(٢) خرجوا من مكة حتى لا يدخلها عليهم البى ﷺ إلى أن يمضى الموعد ، وهكذا كتب في
العهد .

(٣) حويطب بن عبد العزى .

(٤) سهيل بن عمرو الذي تولى إبرام عهد الحديبية مع النبي ﷺ .

(٥) سعد بن عباد ، غضب وأغلظ القول للرجلين ، فهدأ الرسول الكريم ﷺ نفسه .

أم المؤمنين ميمونة

بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها

اختارها الله زوجاً لرسوله الكريم ﷺ في هذه العمرة ، وكان اسمها قبل ذلك (برة) ، فسمّاها (ميمونة) وهى أخت أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب ، وأخت أسماء بنت عميس زوج حمزة لأُمّها (١) .

سم سما لفظه وازدان معناه حالاًك ربك بالحسنى وحلاه
ميمونة أنت : هذا ما تخيره لك الذى اختاره من خلقه الله
أوفى بحمزة والعباس مجدهما يا أخت زوجيهما والناس أشباه
لأنت أكرم عند الله منزلة يا زوج أحمد إذ أعطاك إياه
لم تعلمى : أمطايا الله حاملة منك الجلال المحلى ، أم مطاياه ؟
إلى المدينة سيرى فى كلاءته يا طيب مثواك إن شارفت مثواه
قرى ببعلك عينا ، إنه شرف ما مثله شرف عال ولا جاه
أطريت فيك وفى المختار مؤمنة عزت بأبلج ما تُحصى مزاياه
عز يوطد للإسلام جانبها من جانب الله مولاه ومولاه

(١) كان الذى زوجّه إياها العباس بن عبد المطلب ، وجعلت أمرها إلى أختها « أم الفضل » ، فجعلت « أم الفضل » أمرها إلى زوجها « العباس » فزوجها رسول الله - ﷺ - وأصدقها عنه أربعمئة درهم [ابن اسحاق فى السيرة لابن هشام : ٦٥/٤ ، والبخارى فى النكاح ح : ٥١١٤] . وعن ابن عباس أن رسول الله - ﷺ - تزوّج ميمونة وهو محرم ، وبني بها وهو حلال وماتت بـ « سرف » وهو اسم مكان [البخارى ؛ ح : ٤٢٥٨] .

وذكر السهلى أنه لما انتهت إليها خطبة رسول الله - ﷺ - ولها وهى راكبة بعيرا ، قالت : الجمل وما عليه لرسول الله . قال : وفيها نزلت الآية : ﴿ وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأحزاب : ٥٠] .

ما انفكَّ يتخذ الأضهار يجعلهم
 سياسة ما رمى الطَّبُّ اللبيب بها
 وقوة لرسول الله شائعة
 وسنة لبنى الإسلام يشرعها
 هم أسرة فى ظلال الله واحدة
 لا تعرف الرشداً إلا فى شرائعه
 دين الألى يؤثرون العزَّ منزلة
 لكل شعب بناء ليس يمسه
 لولا الأواصر والأرحام ما التأمت
 لدينه الهادم البانى ودنياه
 إلا أصاب بإذن الله مرماه
 بين القبائل يرعاها وترعاها
 والخير أجمع شرع من سجايها
 تمضى على الحق ، ترجوه وتخشاه
 ولا ترى الخير إلا فى وصاياها
 ما كان أهون دنيا الناس لولاه
 شئ إذا نام عنه من تولاه
 منه الصدوع ، ولا انضمت شظاياها

إسلام خالد بن الوليد

وعثمان بن أبي طلحة

وعمر بن العاص رضي الله عنه

قال خالد : رضي الله عنه : لما جاء النبي ﷺ لعمرة القضية : تغيبت ولم أشهد دخوله ، وكان أخى الوليد دخل مكة معه ، فطلبني فلم يجدني فكتب إلى :
بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فإنني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام ، وقلة عقلك . ومثل الإسلام هل يجهله أحد ؟؟ سألتني عنك رسول الله ﷺ فقال : « أين خالد ؟؟ » قلت . يأتى به الله ، قال : « ما مثله يجهل الإسلام، ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين لكان خيراً له ، ولقد مناه على غيره » ، فاستدرك يا أخى ما فاتك ، فقد فاتك مواطن صالحة .

قال خالد : فلما جاءنى كتابه نشطت للخروج ، وزادنى رغبة فى الإسلام، وسرتنى مقالة رسول الله ﷺ ، ورأيت فى المنام كأنى فى بلاد ضيقة جذبة ، فخرجت إلى بلاد خضراء واسعة .

ثم خرج إلى المدينة ، فلقى صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبى جهل ، وعثمان بن أبى طلحة ، فعرض عليهم الإسلام . فما قبله إلا عثمان ، ولقى خالد وصاحبه عمرو بن العاص فوافقهما ، وقدموا على النبي ﷺ فأسلموا ، رضي الله عنهم .

قم ودع الأوثان والأصناما أفما ترى برهان ربك قاما ؟
يا خالد اعمد للتي هى عصمة لذوى البصائر ، وانبذ الأوهاما
الله رب العالمين ودينه دين السلام لمن أراد سلاما
اقرأ كتاب أخيك ، مالك مصرف عما يريد ، ولن ترى الإحجاما
أقبل رعاك الله ، إنك لن ترى كسبيل ربك مطلباً ومراماً

سأل النبي بأيّ حال خالداً
إنى رأيت لخال من عقله
ما مثله يرتاب فى دين الهدى
إننا لنعرفه رشيداً حازماً
لو أنه جعل المضرة والأذى
ولكان عندى يا وليد مقدماً

* * *

أقبل أخى وتلاف أمرى ، ولا تكن
كم موطن جلل لو أنك لم تغب
يكتفك ما ضيّعت ، ليس بحازم
من إذا وضع السبيل تعامى
عنه ، لكنت إذا أجلّ مقاماً
من لا يزال يضيّع الأيام

* * *

نشط الهمام ، وراح يدرك نفسه
ألقى إلى الوادى الخصيب برحله
أيقم بالوادى الجديد فلا يرى
لاقى بعكرمة وبابن أمية
قال : اتينا نبغى النجاة فأعرضا
يبغى لها عند النبىّ ذماماً
فأصاب فيه مرتعاً ومساماً (١)
إلا سراً كاذباً وجهاماً (٢)
شراً يعبّ عبابه وعُراماً
وتنازعا قولاً يشبّ ضراماً (٣)

(١) المسام المرعى .

(٢) الجهام السحاب لا ماء فيه .

(٣) قال خالد : لقيت صفوان بن أمية فقلت : يا أبا وهب أما ترى أن محمداً ﷺ ظهر على العرب والعجم . فلر قدمنا عليه فاتبعناه فإن شرفه شرف لنا ، قال : لو لم يبق غيرى ما اتبعته أبداً قلت : هذا رجل قتل أبوه وأخوه بيدى ، فليقت عكرمة بن أبى جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان ، قال مثل الذى قال صفوان ثم لقيت عثمان بن طلحة . فقلت : هذا لى صديق ، فأردت أن أذكر له ما عندى . ثم ذكرت من قتل من آبائه وإخوته =

وأجابها عثمان دعوة ناصح
مضيا على سنن الطريق فصادفا
يا عمرو دين الله ، لسنا كالألى
قال : اهتديت ، ولن أكون كمن يرى
ومشوا ، فما بلغ الرسول حديثهم
سرته مكة إذ رمت أفلاذها
بعثت إليه من الجبال ثلاثة
خفّ الوليد يقول : لا تتمهلوا
حُثُّوا المطى ، فإنه مترقب
يأبى الهوى ويُجانب الآثاما
عمراً فقالا ما لنا ؟ وإلى ما ؟ (١)
جعلوا الحلال من الأمور حراما
طول الحياة لنفسه ظلاما
حتى بدا متهللاً بساما
كبداً تكنُّ الحب والإعظاما (٢)
رضوى يصاحب يذبل وشماما (٣)
إن الحديث إلى النبی ترامى (٤)
وأرى جوانحك ترفُّ أواما

= فكرهت ثم قلت : وما على ؟ فقلت له : إنما نحن بمنزلة ثعلب فى جحر لو صب عليه ذنوب من ماء لخرج . ثم قلت له ما قلت لصفوان وعكرمة فأسرع الإجابة (الذين قتلوا هم أبوه طلحة وعمه عثمان ، وإخوته مسافع والجلال والحارث وكلاب) قتلوا جميعاً يوم أحد .

(١) قال خالد : لقينا عمرو بن العاص فقال : مرحباً بالقوم ، أين مسيركم ؟؟ قننا : الدخول فى الإسلام ، قال : هذا الذى أقدمنى : وفى رواية أنه قال لخالد : يا أبا سليمان أين تريد ؟ قال : والله لقد استقام الميسم ، وظهر الأمر ، وإن هذا الرجل لنبى . فذهب فأسلم ، فحتى متى ؟؟ قال عمرو : أنا ما جئت إلا لأسلم .

(٢) لما بلغ النبى ﷺ خبر قدومهم قال لأصحابه : « رمتكم مكة بأفلاذ كبدها » .

(٣) رضوى ويذبل وشمام أسماء جبال .

(٤) قال خالد : لقينى أخى فقال : أسرع فإن رسول الله ﷺ قد سر بقدمكم وهو ينتظركم فأسرعنا المشى ، فاطلعت عليه ، فما زال يبتسم لى حتى وقفت عليه ، فسلمت عليه بالنبوة فرد على السلام بوجه طلق . فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، قال : « الحمد لله الذى هداك قد كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير » ، قلت : يا رسول الله ادع الله أن يغفر لى تلك المواطن التى كنت أشهدك عليك . قال : « الإسلام يجب ما كان قبله » ، وتقدم عثمان وعمرو فأسلما ، رضى الله عنهما وعنه .

ورسوله بيض الوجوه وساما
شمّ المعاطس يرفعون الهاما
أم يعبدون الواحد العلّاما ؟
كالجهل سترًا ، والغرور لثاما
من يحمل الأدواء والآلاما
خلق العقول وأنشأ الأحلاما
ساس الأمور ، ودر الأحكاما ؟
للعالمين شريعة ونظاما
أعما بأفلاك البلاد نياما
يمضي حياة مرةً وحماما
لسوى الحقائق فى الزمان دواما

وفدوا كرامًا يؤمنون بربهم
نفضوا الهوان عن الجباه فأصبحوا
أفيعبدون مع الغواة حجارة ؟
كُشف اللثام عن اليقين ، ولن ترى
لو طاع الناس الطبيب لما اشتكى
اعرف لربك حقّه ، فلحكمة
أرأيت كالإسلام دينًا قيّمًا
الله أحكم أمره وأقامه
نادى النبى به فأفزع صوته
ودعا إليه ، وسيفه بيمينه
تمضى أباطيل الحياة ، ولن ترى



هم إذا انجلت الهموم أقاما
ما مثلهم بأسًا ولا إقداما
ملكنا علينا النقض والإبراما
وجرى العذاب معًا ، فكان غراما

صعقت نفوس المشركين وهالهم
قالوا : فقدناهم ثلاثة قادة
ما أعظم البلوى ويا لك نكبة
نزل البلاء بنا فكان مضاعفًا



وإخال مكة ترفع الأعلاما
فالقّ المقانِب ، وادفع الأقواما (١)
وترى الحصون تميد والآطاما
توهى القوى وتزلزل الأقداما

إنى إخال البيت يشرق جوه
يا ابن الوليد لك الأعنة كلها
سترى المشاهد ترجف الدنيا لها
بشر حماة الشرك منك بوقعة



(١) مازال خالد على أعنة الخيل منذ أسلم ، والمقانب : جمع مقنب والمقنب الجماعة من الخيل من الثلاثين إلى الأربعين أو زهاء الثلاثمائة .

غزوة مؤتة (١)

كانت في جمادى الأولى سنة ثمان ، ومؤتة موضع معروف عند الكرك بالشام ، وسببها أن النبي ﷺ بعث الحارث بن عمير الأزدي إلى هرقل ملك الروم بالشام بكتاب منه ، فلما بلغ مؤتة تعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني من عمال قيصر ثم ربطه وقتله (٢) .

فسير النبي لمقاتلة ملك الروم ثلاثة آلاف رجل من أصحابه بقيادة زيد بن حارثة (٣) .

وعقد له لواء أبيض دفعه إليه ، وأوصاهم أن يأتوا مؤتة فيدعوا من بها إلى الإسلام فإن أبوا قاتلوهم ، فلما أتوا معان بلغهم أن هرقل فى مائة ألف من قومه ، ومثلهم من العرب المستنصرة (٤) .

ومعهم من الخيل والسلاح ما ليس مع المسلمين ، ولقيتهم الجموع فاقتتلوا ، وهزم الروم والذين معهم من العرب هزيمة منكرة بعد مقتلة كبيرة على يد خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وقد لقه النبي ﷺ بسيف الله من يومئذ .

ودع ذؤيبك وسرفى شائك الجلل لله يا ابن عمير أنت من رجل
سر بالكتاب رسولا حسبه شرقا أن راح يحمله من أشرف الرسل

(١) سبق هذه القزدة : سرية شجاع بن وهب إلى نفر من هوازن ، وسرية كعب بن عمير إلى بنى قضاة فى الشام .

(٢) لم يقتل للنبي ﷺ رسول غيره .

(٣) قال النبي ﷺ : « إن أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس ، فإن أصيب فعبد الله

ابن رواحة على الناس » ، وقد أصيب الثلاثة رضي الله عنهم [ابن اسحاق فى سيرة ابن هشام : ٦/٤ ، ورواه البخارى بنحوه فى المغازى ؛ ح : ٤٢٦١] وبقية الحديث : « فإن قتل

عبد الله بن رواحة فليرتض المسلمون بينهم رجلا فليجعلوه عليهم » .

(٤) هم بنو بكر ولخم وجذام وفى البداية والنهاية : لحم وجذام ، والقين وبهراء وبلى

يا حامل الجبل المرقوم دونكه
إلى هرقل تأنى دون سדתه
ترتد عن تاجه الأبصار خاشعة
إليه يا ابن عمير لست واجده
لأنت أعظم منه فى جلالته
لا يعرف الدين إلا فتنة وهوى
هذا كتاب رسول الله ينذره

* * *

مهلا شرحبيل لا حييت من رجل
بادى الشراسة عاد ما يلائمه
هاجته من نزوات الجهل ثائرة
فطاح بابن عمير باسلا بطلا
يا للربيط ، يسل السيف مهجته
كذلك الغدر ، لا ظلم بمجتنب
ما كان ذنب امرئ فى الله مرتحل

* * *

سر يا ابن حارثة بالجيش ، تقدمه
ادع الألى اتخذوا العمياء وارتكسوا
فإن أبوا فسيوف الله تأخذهم
أمر النبى فسر يا زيد ممتثلا
فإن أصبت ، فمن سئى على قدر

(١) الثول : عارض من جنون .

إتبع وصاياهم فيما لا يحل لكم ولا يليق بكم من سيئ العمل (١)
 دعوا الصوامع واستبقوا النساء ولا تؤذوا صغيراً ، ولا تودوا بمكتهل
 لا تقطعوا شجراً ، ولا تهدموا جذراً لا تقربوا ما استطعتم موطن الزلل

هذا هرقل يسوق الجيش مرتكماً كالعارض الجون يرمى الأرض بالوهل (٢)
 يزجي الكتائب من روم ومن عرب في المرهفات المواضي والقنا الذبل
 والصافنات تهادى لا عداد لها من كل مندل في الكر منجفل (٣)
 إن الذين أداروا الرأي وانتظروا لم يبرح النصر مولاهم ولم يزل (٤)
 الغالبون وإن قلوا وظن بهم ما يكره الله أهل الزور والخطل
 لم يلبث القوم حتى قال قائلهم فيم الحوار ؟ وهل في الأمر من جدل ؟ (٥)
 إنا خرجنا نريد الله ، فاستبقوا من كل منتهب للخير مهتبل (٦)

(١) قل لهم الرسول الكريم ﷺ وهو يودعهم: «أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيراً اغزوا باسم الله فقاتلوا عدو الله في الشام ، وستجدون فيها رجالاً في الصوامع» معتزلين فلا تعرضوا لهم، ولا تقتلوا امرأة ولا صغيراً، ولا بصيراً فانياً ولا تقطعوا شجراً، ولا تهدموا بناءً .

(٢) العارض السحاب المعترض في الأفق والجون الأسود الوهل الضعف والفرع .

(٣) الصافنات : الخيل ، ومنجفل : مسرع .

(٤، ٥) بلغهم أن هرقل نزل بمآب في مائة ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة . فأقام المسلمو في « معان » ليلتين ينظرون أمرهم . وقالوا : نكتب إلى رسول الله - ﷺ - نخبره بعدد عدونا ؛ فإذا أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمر فنحضر له ، قال ابن إسحاق : فشجع الناس عبد الله بن رواحة . وقال : يا قوم والله إن التي تكمهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة . وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به . فانطلقوا فإنا هي إحدى الحسينين ؛ وإما ظهور وإما شهادة فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة .

(٦) اهتبل الأمر اغتتمه .

لو زالت الأرض أو حالت جوانبها
 هما سبيلان ، إما النصر ندرکه
 لسنا نقاتل بالآلاف نحشدهما
 إننا نقاتل بالدين الذى ضمنت
 لولا مقالة عبد الله ما انكشفت
 بمن عليها من الأقوام لم نحل
 أو جنة الخلد فيها أطيب النزل
 ألفاً لآلف من الأبطال مكتمل
 أعلامه النصر فى أيامنا الأول
 تلك الغواشى ، ولولا الله لم يقل

تقلدوا العزم للهيحاء وأدرعوا
 وأقبلوا لو تميل الشَّمُّ من فزع
 يا مؤتة احتملى الأهوال صابرة
 جنُّ الكريهة يستشرى الصيال بهم
 ما زال قائدهم يُلقى بمهجته
 يغشى موارد من أهوالها لججاً
 ما مَن يخوض الوغى تطغى زواجرها
 يا زيد أديت حق الله فامض على
 أبوا إلى خير دار ، ما لنازلها
 يسلو أخو العقل عن در الهموم بها
 جاهدت فى الله ترضيه وتنصره
 هذا الذى نبأ الله الرسول به
 وأنت يا جعفر المأمول مشهده
 من صادق البأس ما يغنى عن الحيل
 لم يضطرب جمعهم خوفاً ولم يل
 هيهات - ذلك شئ غير محتمل
 فى موطن لو رآته الجن لم تصل
 يرمى المنية فى أنيابها العصل^(١)
 تلك الموارد ، ليس الغمر كالوشل^(٢)
 كمن يجانبها خوفاً من البلل
 نهج الآلى انتقلوا من قبل وانتقل
 من أوبة تبعث الأشجان أو قفل
 ويجتوى منزل الأدواء والعلل^(٣)
 لم تلق من سأم يوماً ولا ملل
 فاغنم ثوابك ، والى الصحب فى جذل
 خذ اللواء وجاوز غاية الأمل

(١) العصل : المعوجة .

(٢) الغمر : الماء الكثير ، والوشل : القليل منه .

(٣) اجتوى المنزل والشئ كرهه .

هذا جوادك ما حالت سجيته
 عقرته ، وركبت الأرض ، تمنعه
 أكرمته ، وحرمت القوم نجدته
 دلفت تمشى على الأشلاء مقتحمًا
 فقدت يمينك ، فانصات اللواء على
 حتى هوت فجعلت الصدر موضعه يضمه
 يضمه صادى النفس ، يولعه
 يا قائد الجيش ، ضجّ الجيش من ألم
 تقضى الذمام ، وتمضى غير مكترث
 لقيت حتفك فى شعواء عاصفة
 أعطيتها منك نفسًا غير واهنة
 لك المناقب لم تُقدر غرائبها
 من يؤثر الحق يذل فيه مهجته
 لا شئ يُعجز آمال النفوس إذا
 انهض بعبئك عبد الله مضطلعًا
 هذا مجالك ، فاركض غير متدد
 كم جئت بالعربىّ السمح مرتجلًا
 للعبقرية فيه مظهر أنق
 قنعت بالشعر أغزو المشركين به
 ولا ارتضى بوفاء الحرّ من بدل
 مواطن السوء من صنّ ومن بُخل
 فصنت نفسك عن لوم وعن عدل
 والقوم منجدل فى إثر منجدل
 يسراك ، ما فيه من أمتٍ ولا خلل (١)
 كأنه منه بضع غير منفصل (٢)
 بمن أطال صداه لذة القُبَل
 وأنت عن دمك المسفوك فى شغل
 كأنما الأمر لم يفدح ولم يهل
 حرّى الجوانح ظمأى البيض والأسل (٣)
 أعطتك سورة مجد غير متحل (٤)
 ملء المشاهد ، لم تعهد ولم تُخل
 ومن يكن همّه أقصى المدى يصل
 خلت من الضعف واستعصت على الكسل
 بكل ما تحمل الأطواد من ثقل
 وإن رأيت المنايا جولا فجّل
 واليوم يوم منايا الروم فارتجل
 يا حسنه مظهرًا لو كان يقدر لى
 فلم أصب فيه آمالى ولم أنل

(١) انصات بمعنى انتصب ، والآمت : الاعوجاج .

(٢) بضع : البضع من الشئ القطعة منه .

(٣) صفات للحرب ، والبيض : السيوف ، والأسل : الرماح .

(٤) سورة المجد : أثره وعلامته .

لقطرة من دمي في الله أبذلها
تقلد القوم ملء الدهر من شرف
إن شاء ربي حبانى من ذخائرها
الحمد لله ، أجرى النور من قلبي
أوتيت ما جاوز الآمال من أدب
يا شاعر الصدق ما خاب الرجاء ولا
خذ عند ربك دار الخلد تسكنها
آثرته ، واصطفيت الحق تكاؤه
ليس العرانيين كالآذنان منزلة
أبقى وأنفع لى من هذه الطول (١)
وليس لى من غواليها سوى العطل
أغلى الحلى ، وكسانى أشرف الحل
هدى لقومى ، وعافانى من الخبل
عالى الجلال ، مصون غير مبتذل
مثل العطاء الذى أدركت والنقل (٢)
قدسية الجو والأرواح والظلل
مما يحاول أهل الغي والضلل (٣)
ولا الغطارفة الأمجاد كالسفل



يا عقبة اصدع بها بيضاء ناصعة
القتل أجدر بالأحرار يأخذهم
ويا ابن أرقم نعم المرء أنت إذا
تنفى الوسوس ، أو تشفى من الغل (٤)
مستبسلين ، وينهاهم عن الفشل
تنوزع الأمر عند لحادث الجلل (٥)

(١) الطول : القصائد الطوال .

(٢) إشارة إلى قوله عند خروجه إلى هذه الغزوة .

لكننى أسأل الرحمن مغفرة
أو طعنة بيدى حران مجهزة
حتى يقال إذا مروا على جدتى
وضربة ذات فرغ نقذف الزبد
بحربه تنفذ الأحشاء والكبد
أرشده الله من غاز وقد رشدا

(٣) الضلل : اسم من الضلال .

(٤) هو عقبة بن عامر ، لما قتل عبد الله بن رواحة اختلط المسلمون مع المشركين ، وأراد بعض الأولين التنحى عن القتال فقال يا قوم لأن يقتل الإنسان مقبلاً خير له من أن يقتل مدبراً فثبتوا وقويت أنفسهم .

(٤) ثابت بن أرقم . أخذ اللواء بعد مقتل عبد الله بن رواحة وقال للمسلمين : من تختارون له ؟؟ قالوا : أنت ، فتقدم به إلى خالد بن الوليد وأعطاه إياه . فأبى خالد أن يقبله لأول مرة إيثاراً لثابت ، فآلح عليه فقبله .

قالوا : لك الأمر فاخترت الكفَى له
 لكنها نفس حرٌّ ذى محافظة
 صنت اللواء وآثرت الأحق به
 أبى عليه حياءُ زاده عظما
 قلت : اضطلع خالد بالأمر فاستعرت
 وراح يبدع من كيد الوغى غمطاً
 رمى العدى حوّل شتى مكائده
 ظنوا الجنود تنحت عن مواقفها
 جيش من الرعب يمشى فى جوانحهم
 من خلفه الجيش يمشى ابن الوليد به
 ضاقوا بمفترس ، فى الهول منغمس
 أذاقهم من ذعاف الموت ما كرهوا
 ما للمسيئين إلا كل معتزم
 رمت بهم هبوات البأس فانكشفوا
 بشس الجنود أضلّتهم عمايتهم
 ظنوا الأمور لغير الله يملكها

وأنت صاحبه المرجو للعُضَل (١)
 صافى السريرة ، بالإيمان مشتمل
 إثار أغلب لا واهٍ ولا وكل
 ما مثله من حياء كان أو خجل
 منه حمية لا آبٍ ولا زحل (٢)
 طاشت مرائيه بالألباب والمقل (٣)
 جمُّ الأحابيل ، يعبى كل محتبل
 لغيرها من عمى بالقوم أو حوّل
 لم تعتصم مهجة منه ولم تثل
 فى مسبل من مثار النقع منسدل
 لنفسه فى غمار الموت مبتسل (٤)
 ما كفَّ عن علل منه ولا نهل
 فى الروح ، يحسن ضرب الهام والطلل (٥)
 يندسُّ هاربهم فى كل مدخل
 فما لهم بجنود الله من قبل
 إذا جرت بين معوجٍّ ومعتدل

(١) العضل : الدواهي ، جمع عضلة .

(٢) الزحل : المنتحى المتباعد .

(٣) غير خالد نظام الجيش فجعل مقدمته ساقه وساقه مقدمة ، ووضع اليمينه مكان الميسرة والميسرة فى موضع اليمينه ، فظن القوم أن مدداً لحق به ، فأصابهم الرعب ، ووهنت قواهم فانهزموا .

(٤) ابتسل نفسه للموت بمعنى وطئها له .

(٥) الطلل : الأعناق جمع طلة .

وحاربوا الحق من جهل ومن سفه والحق فوق منال المعشر العثْلُ^(١)
 ما ينقم الناس من دين يراد به فك العقول من الأغلال والعُقْلُ^(٢)
 فليصبر القوم : إن الله مظهره على الممالك والأديان والنحل
 لدولة الله أبقى فى خليقته فلا يغرّنك ما استعظمت من دول
 أدعوك يارب للإسلام مبتهلا وأنت تسمع دعوى كل مبتهل
 نام المحامون عنه ، فهو مضطهد يشكو الأذى فى شعوب خضع ذلل
 صرح من العزّ والسلطان ما برحت تهوى صياصيه حتى عاد كالطلل^(٣)

* * *

(١) العثْل : جمع عثول وهو الأحمق .

(٢) العُقْل : جمع عقال ، وهو الحبل يعقل به البعير فى وسط ذراعه .

(٣) الصياصى : الحصون . والطلل : ما ظل باقيا من البناء المنهدم .

الفتح الأعظم - فتح مكة

كان خروج النبي ﷺ إلى مكة مع جنوده المظفرين في شهر رمضان من السنة الثامنة على أصح الروايات ، وكان عدد الجيش عشرة آلاف مقاتل - أو اثني عشر ألفاً - وسبب ذلك أن رجالاً من بني بكر الذين دخلوا في عهد قريش عهد الحديبية عدوا على رجال من خزاعة فقتلوه ، وكانت خزاعة قد دخلت في عهد النبي ﷺ ، فانتقض العهد بذلك (١) .

وحل القتال ، وإنما دخلت خزاعة في عهده ﷺ لحلف كان بينها وبين جده عبد المطلب بن هاشم حين أخذ عمه نوفل ما كان بيده من أمر السقاية ، فحالف عبد المطلب خزاعة ، وحالف نوفل بني أخيه عبد شمس ، وقد جاء رجال خزاعة يوم الحديبية إلى النبي بكتاب جده عبد المطلب في ذلك الحلف ، فقرأه عليه أبي ابن كعب رضيه ، وكان يعرفه قبل ذلك فقال : ما أعرفني بحلفكم ، وأنتم على ما أسلمتم عليه من الحلف . وكل حلف كان في الجاهلية فلا يزيد الإسلام إلا شدة (٢) ، ولا حلف في الإسلام (٣) .

(١) كان في صلح الحديبية أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل ، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم . فتوالت خزاعة وقالوا : نحن ندخل في عقد محمد وعهده ، وتوالت بنو بكر وقالوا نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم ، فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة أو الثمانية عشر شهراً . ثم أن بني بكر وثبوا على خزاعة ليلاً بماء يقال له « الوتير » وهو قريب من مكة ، وقالت قريش ما يعلم بنا محمد ، وهذا الليل ، وما يرانا أحد ، فأعانوهم عليهم بالكراع والسلاح ، وقتلوه معهم للضغن على رسول الله - ﷺ - وأن عمر بن سالم ركب عندما كان من أمر خزاعة وبني بكر بالوتير حتى قدم على رسول الله - ﷺ - يخبره بذلك . فقال رسول الله - ﷺ - نصرت يا عمرو ابن سالم « فما برح حتى مرت عانة في السماء ، فقال : « إن هذه السحابة لتنهل بنصر بني كعب ، وأمر الناس بالجهاز ، وكنتمهم مخرجه ، وسأل الله أن يعمى على قريش خبره حتى ييغتهم في بلادهم [ابن هشام : ١٧/٤ وما بعدها - البيهقي في الدلائل : ٥/٥ وما بعدها ، البداية والنهاية : ٦٤٦/٤] .

(٢) الحلف الذي يراد به دفع الظلم .

(٣) أي على الشر والفساد .

حلف عبد المطلب

باسمك اللهم ، هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة ، إذ قدم عليه
سرواتهم وأهل الرأي منهم يقر بما قاضى عليه شاهدهم ، أن بيننا وبينكم عهود
الله وعقوده ، وما لا ينسى أبداً ، اليد واحدة ، والنصر واحد ، ما أشرف ثبير ،
وثبت حراء ، وما بل بحر صوفة ، ولا يزداد فيما بيننا وبينكم إلا تجدداً ، أبد
الدهر سرمداً وفي رواية - حلفاً جامعاً غير مفرق الأشياخ على الأشياخ ،
والأصاغر على الأصاغر ، والشاهد على الغائب .

وتعاهدوا وتعاهدوا أوكد عهد وأوثق عقد ، لا ينقض ولا ينكث ما أشرقت
شمس على ثبير ، وحن بفلاة بغير وما أقام الأخشبان ، واعتمر بكة إنسان حلف
أبد ، لطول أمد ، يزيده طلوع الشمس شداً ، وظلام الليل مداً ، وإن عبد المطلب
ومن معه ورجال خزاعة متكاثون متضافرون ، متعانون . . . على عبد المطلب
النصرة لهم بمن تابعه على كل طالب ، وعلى خزاعة النصر لعبد المطلب وولده
ومن معهم على جميع العرب في شرق أو غرب أو حزن أو سهل ، وجعلوا الله
على ذلك كفيلاً ، وكفى به حميلاً .

بنو بكر وخزاعة (*)

إسلام أبي سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء .

بنى بكر وما يغنى الملام تلظى البأس ، وانتفض الحسام
ذمام صادق ، ودم حرام وعز من خزاعة لا يُرام

يقوم عليه حام لا ينأى (١)

أعانكم الألى نبذوا الوفاء وراح القوم يشون الضراء (٢)
وما تخفى جريرة من أساء سيوف محمد جعلت جزاء

فما البغى الذميم وما العرام ؟

قتلت من خزاعة بالوتير (٣) رجالا ما أتاها من نذير
لبئس الغدر من خلق نكير ويا للناس للحدث الكبير

أكان محمد ممن يضام ؟

(*) قصة بين أبي بكر وخزاعة : إن رجلا من بنى الحضرى يقال له « مالك بن عبّاد » خرج تاجرا ، فلما توسط أرض خزاعة ، عدوا عليه فقتلوه ، فعدت خزاعة على بنى الأسود ؛ وهم : سلمى وكلثوم وذؤيب ، فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم . هذا كله قبل المبعث . فلما بعث رسول الله - ﷺ - وجاء الإسلام . حجز بينهم . وتشاغل الناس بشأنه . فلما كان صلح الحديبية ، وقع الشرط ، فدخلت بنو بكر فى عقد قرىش وعهدهم ، ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله - ﷺ - وعهده . فلما استمرت الهدنة اغتتمها بنو بكر من خزاعة وأرادوا أن يصيوا منهم ثأرهم القديم .

(١) النبى ﷺ .

(٢) قاتل مع بنى بكر قوم من قرىش خفية ، منهم صفوان بن أمية ، وحويطب بن عبد العزى ، وعكرمة بن أبى جهل ، وشيبة بن عثمان ، وسهيل بن عمرو (أسلموا بعد ذلك) .

(٣) الوتير ماء كان لخزاعة بأسفل مكة .

أتوه ، ينشدون الحلف وفدا تهـدّ شكاته الأحرار هدّا (١)
فقال لهم : نُصِرتم واستعدّا وراح يسوقه للحرب جندا (٢)
تظلمه الملائكة الكرام

أبا سفيان ذلك ما تراه هو البأس المصمّ لا سواه (٣)
أليس الحلف قد وهنت عراه فكيف تشد بعدئذ قواه ؟
أبا سفيان ليس لكم ذمام

كتمت الحق ، تطمع فى المحال فما بال الثقات من الرجال ؟ (٤)
(١) أقبل عمرو بن سالم ومن معه من خزاعة على النبی ﷺ فدخلوا عليه المسجد ، وأنشده
عمرو أبياتاً منها

يارب إني ناشد محمدا حلف أبينا وأبيه الأتلدا
قد كنتم ولداً وكنا والد ثمت أسلمنا ولسم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرأ أبدا وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردأ أبيض مثل البدر يسمو صعدا
إن سيم سخفا وجهه تربدا فى فليق كالبحر يجرى مزيدا
إن قریش أخلفوك الموعدأ ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا لى فى كداء رصدا وزعموا أن لست تدعوا أحدا
وهم أذل وأقل عددا هم بيتونا بالوتير هجرا
وقتلونا ركعا سجدا

(٢) قال الرسول الكريم ﷺ: « نصرت يا عمرو بن سالم ، ارجعوا وتفرقوا فى الأودية » يريد
إخفاء مجيئهم إليه .

(٣) قال أبو سفيان حين طلب إليه أن يصلح الأمر : ليغزونا محمد إن صدق ظنى وهو
صادقى .

(٤) كان بدیل بن ورقاء الخزاعی قد قدم على النبی ﷺ ومعه نفر من قومه بعد رجوع عمرو
ابن سالم ومن معه فأخبره بما كان من أمر الواقعة . فجاء أبو سفيان إلى المدينة وهو يظن
أن الخبر لم ينقل إلى النبی ﷺ ودخل عليه ، وسأله أن يجدد العهد ويزيد فى المدة فأبى
عليه وسأله : « هل تم من حدث ؟ » فقال : معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا لا نغير
ولا نبذل ، ثم أعاد الكلام عليه فسكت عنه .

فتحتم بالأذى باب القتال فما دون اللقاء سوى ليال

ويفتح مكة الجيش اللهم

دع الأرحام ليس لكم شفيع لقد حاولت ما لا تستطيع (١)

رويدك ، إنه الرأي الجميع وإن الله ليس له قريع

تعالى جدّه وسما المقام

رجعت وأزعجتك الحادثات فسرت تقول : هل قدم الغزاة ؟

نعم ، قدم الميامين الهداة وتلك جيادهم والمرهفات

فدع دين الغواة ، وقل : سلام

أبا سفيان هل أبصرت ناراً كنار القوم إذ باتوا سهارى

أبت وأبوا ، فما تألو استعارا ولا تُحصى وإن عُدتّ مرارا

هو الفزع الموجع لا الضرام (٢)

لقد أنذرت قومك فاستطاروا وراحوا ما يقرّ لهم قرار (٣)

نبت بهم المنازل والديار وضاق سبيلهم فيها فحاروا

وقال سراتهم : خطب جسام

فدعهم يا ابن حرب تلىّ رشدًا وبالحق اعتصم فالحق أجدى

سبيل محمد فاسلكه أهدي وخذه يا ابن حرب منه عهدا

ليبتك فيه من شرف دعام (٤)

(١) ذهب أبو سفيان إلى أبي بكر وعمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب وغيرهم يناشدهم

الأرحام ويسألهم أن يكلموا النبي ﷺ فيما جاء له . فصدفوا عنه ، ولم يقبلوا له قولا .

(٢) كانت عشرة آلاف نار أمر النبي ﷺ بإيقادها لما بلغ الجيش مر الظهران ليراها المشركون

فيرعبوا .

(٣) لما رجع إلى قريش قالوا : ما وراءك ؟ هل جئت بكتاب من محمد أو عهد ؟ قال : لا

والله . لقد أبى على ، وقد تتبعت أصحابه فما رأيت قومًا لملك أطوع منهم له .

(٤) جعل له النبي ﷺ حق الجوار فقال : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن .

مع العباس سرت إلى الرسول لأعظم مطلب وأجل سول (١)
لدين الله ، دين ذوى العقول من النفر المساميح العدول
صدقك ، يس كالنور الظلام

لقيت محمداً حراً رشيداً فعدت بيمنه خلقاً جديداً
هديت وكنت جبّاراً عنيداً هنيئاً فاصحب لجَدَّ السعيدا
بما أولاك صاحبك الهمام

أصبت الخير أجمع والرشادا على يده ونلت به المرادا
أفادك يا ابن حرب ما أفادا فبارك فيك ربك ثم زادا
وعند الله يلتمس التمام

نظرت فهل رأيت أشدَّ صبراً وأحسن منظراً وأجلَّ قدرا ؟ (٢)
كتائب من جنود الله تترى تمرُّ عليك واحدة فأخرى
لها من دينها العالى نظام

تُكَبِّرُ ربها وتراه حقاً وتبذل فيه أنفسها فتبقى
لك البشرى ، نعمتَ وكنت تشقى فماذا من أيدى الله تلقى ؟
لقد جَلَّتْ فليس لها انصرام

لنعم الصاحبان الناجيان على طول التردد والتوانى
حكيم وابن ورقاء اللذان أرادا الله فيهما يبغيان

(١) حملة العباس بن عبد المطلب على بغته وقدم به على النبي ﷺ فأسلم .

(٢) أمر به النبي ﷺ فحبس على الطريق فى رجوعه إلى مكة ليرى جيوش المسلمين ، وأمر أن تكون كل قبيلة عند راية قائدها . فجعلت تمر به كتبية كتبية . وهو ينظر إليها ويسأل عنها ، فلما مرت الكتبية الأولى وكانت من بنى سليم وعددها ألف رجل أو تسعمائة معهم لواءان يحملها العباس بن مرداس ، وخفاف بن ندبة كبرت ثلاثاً فقال أبو سفيان للعباس بن عبد المطلب : من هؤلاء ؟ قال : خالد بن الوليد معه بنو سليم ، قال : ما =

فليس بغير سنته اعتصام

كلا الرجلين غطريف كريم له فى قومه حسب قديم
زعيم جاء يصحبه زعيم كذلك يظهر الدين العظيم
فتعرفه الغطارفة العظام

= لى ولبنى سليم ، ثم مرت الثانية فكبرت ثلاثاً . قال : من هؤلاء ؟ قال العباس :
الزبير ابن العوام فى خمسمائة من المهاجرين وأتاء العرب ، قال : الزبير ابن أختك ؟؟
قال نعم ، ثم مرت كتيبة بنى غفار فى ثلاثمائة يحمل رايتهم أبو ذر . فلما : حاذوه
كبروا ثلاثاً فقال : من هؤلاء ؟ قال : غفار ، قال : ما لي ولغفار ، ثم مرت أسلم فى
أربعمائة لها لواءان يحملهما بريدة بن الحصيب . وناجية بن الأعجم . فلما حاذوه كبروا
ثلاثاً . فقال : من هؤلاء ؟ قال : أسلم ، قال : ما لي ولأسلم ، ثم مرت بنو كعب
ابن عمرو ، وهم خزاعة فى خمسمائة يحمل رايتهم بشر بن سفيان ، فلما : حاذوه كبروا
ثلاثاً فقال : من هؤلاء ؟ قال : بنو كعب إخوة أسلم ، قال : هؤلاء حلفاء محمد؟
قال : نعم ، ثم مرت مزينة فيها مائة فارس وثلاثة ألوية يحملها النعمان ، وعبد بن
عمرو بن عوف ، وبلال بن الحارث . فلما حاذوه كبروا ثلاثاً فقال : من هؤلاء ؟ قال :
مزينة ، قال : ما لي ومزينة . قد جاءتني تقعقع من شواهقها ، ثم مرت جهينة فى
ثلاثمائة فيها أربع ألوية يحملها معبد بن خالد ، وسويد بن صخر ورافع بن مكيث وعبد
الله بن بدر ، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً ، فقال : من هؤلاء ؟ قال العباس : جهينة ،
قال : ما لي وجهينة . والله : ما كان بينهم وبينى حرب قط ، ثم مرت كنانة - بنو ليث
وضمرة ، وسعد بن بكر - فى مائتين يحمل لواءهم أبو واقد الليثي ، فلما حاذوه كبروا
ثلاثاً فقال : من هؤلاء ؟ قال : بنو بكر قال : نعم أهل شؤم والله ، هؤلاء الذين غزانا
محمد بسببهم ، ثم مرت أشجع وهم ثلاثمائة معهم لواءان يحملها معقل بن سنان
ونعيم بن مسعود الأشجعي فكبروا ثلاثاً فقال : من هؤلاء قال : أشجع : قال : هؤلاء
كانوا أشد العرب على محمد ، قال العباس . دخل الإسلام فى قلوبهم وهذا من فضل
الله . ومرت بنو تميم ، وبنو فزارة ، وسعد بن هذيم . وهم من قضاة قفعلوا مثل
ذلك . ثم جاءت كتيبة خضراء فيها ألفا دارع ومنهم رسول الله ﷺ وأصحابه المهاجرون
والأنصار وفيها الرايات والألوية ، مع كل بطن من بطون الأنصار لواء وراية وهم فى
الحديد ، لا يرى منهم إلا الحدق ، وكانت راية الأنصار مع سعد بن عباد فلما رآهم أبو
سفيان قال : سبحان الله يا عباس ، من هؤلاء ؟ قال : هذا رسول الله فى الأنصار ،
فقال أبو سفيان : ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة .

مضى لك يا حكيم ولابن حرب قضاء زاد حبا كُلَّ قلب (١)
ومن أولى من الهادى بحب ؟ وأجدر من عشيرته بقرب ؟

قريش قومه ، وهو الإمام

إذا جعلت قلوب الناس تهفو فمن بيتكما حرز وكهف
وعندكما ظلال الأمن تصفو وورد العيش للوراد يصفو

هما البيتان كلهما حرام

وفى حرم اللواء لكل نفس تلوذ به كفاية كل بأس (٢)
يراه سكرة مكة فوق رأس لميمون النقيبة غير نكس

من النفر الألى صلوا وصاموا

لواء أبى رويحة ما أعزا لواء قام للإيمان رمزا
يهزُّ قلوب أهل الشرك هذا ويترك بأسهم ضعفاً وعجزا

فمن للقوم إن وقع الصدام ؟

* * *

(١) حكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء ، قدما على النبی ﷺ فأسلما (حكيم بن حزام بن خويلد أخى السيدة خديجة أم المؤمنين ، فبهى عمته ، كان عمره حين أسلم ستين سنة ، وعاش بعد ستين سنة ؛ وكان من أشرف قريش فى جاهليته وإسلامه ، أعتق فى عهده الأول مائة رقبة ، وحج فى الإسلام فلما كان بعرفة أعتق مائة وصيف فى أعناقهم أطواق الفضة منقوش عليها : عتقاء الله عن حكيم بن حزام ، وفى هذه الحجة جعل النبی ﷺ لحكيم ما جعل لابی سفيان من الإجارة .

(٢) كذلك قال الرسول الكريم ﷺ : « من دخل فى لواء أبى رويحة فهو آمن » .

وقعة الفتح الأعظم

جعل النبي ﷺ لواء المهاجرين مع الزبير بن العوام ، وأمره أن يدخل مكة من كداء ، وأن يركز رايته بالحجون ، ثم يمكث عندها لا يبرح حتى يأتيه ، وبعث خالد بن الوليد فى كتائب من قضاة وسلم وأسلم وغفار ومزينة وجهينة وغيرهم ، وأمره أن يدخل من أسفل مكة ، وقد تجمع بها ناس من بنى بكر وبنى الحارث بن عبد مناف . وناس من هذيل ، فقاتلوا خالدًا ومنعوه الدخول ، وشهروا السلاح ورموه بالنبل ، وقالوا : لا تدخلها عنوة ، فقاتلهم وانهزموا (١) واشتد الأمر بمكة . فصاح حكيم بن حزام ، وأبو سفيان : يا معشر قريش على من تقتلون أنفسكم ؟؟ من دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل داره فهو آمن . ومن وضع السلاح فهو آمن ، فجعلوا يقتحمون الدور ويغلقون أبوابها ، ويطرحون السلاح فى الطرق فيأخذهم المسلمون ، وقد أيد الله رسوله وأدخله مكة فائزًا منصورًا .

ديار مكة هذا خالد دلفا فما احتياك فى الطود الذى رجفا ؟
طود من الشرك خاتنه جوانبه لما مشى نحوه الطود الذى زحفا
إن الجبال التى فى الأرض لو كفرت لدكها جبل الإسلام أو نسفا
لما دعاه بسيف الله سيده زاد السيوف به فى عزها شرفا
ديار مكة أمّا من يسالمه فلا أذى يتقى منه ولا جنفا

(١) كان من هؤلاء صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبى جهل ، وسهيل بن عمرو ، تجمعوا بمكان يقال له : الخندم لقاتلوا المسلمين . فقتل من هؤلاء مسلمة بن الميلاء ، وقتل من المشركين اثنا أو ثلاثة عشر رجلا ، ثم انهزموا وخالد من ورائهم ، وقد استشهد من أصحابه رجلان آخران هما حبيش بن الأشعر الخزاعى أخو أم معبد التى مر بها النبي ﷺ فى هجرته إلى المدينة وكرز بن جابر الفهري الذى أسلم بعد غزوة بدر ، وكان قبل ذلك من رؤساء المشركين ، وهو الذى أغار على سرح النبي ﷺ .

تلك الوصية ما يرضى بها بدلا
لا تجزعى ، إنه العهد الذى انبعثت
ليل الأباطيل ما التفت غياهبه
هنّ المنايا ، فياللقوم من بطل
ضاقوا بسعد فقالوا : قائد حنق
واستصرخوا من رسول الله ذا حذب
ولا يرى دونها معدى ومنصرفا (١)
أنواره تصدع العهد الذى سلفا
على الحقائق إلا النجاس وانكشفا
رُموا به حية من حية خلفا
لو جاوز الحد بعد الحد ما وقفنا (٢)
إذا استغاثت به مستصرخ عطفنا

(١) أمره النبي ﷺ أن يغرز رايته عند أدنى البيوت من مكة ، وألا يقاتل إلا من يقاتله .
(٢) لما حاذى سعد بن عبادة أبا سفيان وهو في كتيبة النبي ﷺ قال له : يا أبا سفيان ، اليوم
يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة ، أى يقتل من يهدر دمه ولو تعلق بأستارها ، فلما
حاذاه النبي قال له : أمرت بقتل قومك ؟ قال : « لا » ، فذكر له ما قال سعد وناشده
الرحم . فقال : « يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة » ، ثم تعرضت امرأة للنبي ﷺ فأنشدته :

يا رسول الهدى إليك لجاح
حين ضاقت عليهم سعة الأر
والتقت حلقتنا البطان على القو
إن سعداً يريد قاصمة الظهر
خزرجى لو يستطيع من الغيـ
وغير الصدر لا يهجم بشيء
قد تلظى على البطاح وجاءت
إذ ينادى بذل حصى قریش
ولئن أقحم اللواء ونادى
ثم ثابت إليه من بهم الخز
لتكونن بالبطاح قریش
فانهينه فإنه أسد الأسد
إنه مطرق يريد بنا الأمـ
ى قریش ولات حين لجاء
ض وعاداهم إله لسماء
م ، ونودوا بالصيلم الصدعاء
رب أهل الحجون والبطحاء
ظ رمانا بالنسر والعواء
غير سفك الدما وسبى لنساء
عنه هند بالسوأة السوأة
وابن حرب بذا من الشهداء
يا حماة الأدبار أهل لثواء
رج والأوس أنجم الهيجاء
فقعة القاع فى أكف الإماء
لدى الغاب والغ فى الدماء
ر سكونا كالحسية الصماء

فأمر النبي ﷺ بأخذ الراية منه ودفعها إلى ولده قيس ، ثم خشى سعد أن يقع من ابنه
شيء ينكره النبي ﷺ فسأله أن يأمر بأخذها منه ففعل ، وبقي سعد فى مقدمة كتيبة
الرسول الكريم ﷺ ولا راية معه وهو بذلك راض رضى الله عنه .

هَبَّتْ إلى الشر من جهالهم فئة
واستنفرت من قريش كل ذى نزق
فخاضها خالد شعواء كالحلة ...
رمى بها مهج الكفار فاستبقت
وقال قائلهم : أسرفت من بطل
وهاج هم أبى سفيان ما وجدوا
فلان قلب رسول الله مرحمة
وقال : سر يا رسولي ، فإنه صَاحِبنا

* * *

مضى الرسول يقول : اقتل فهيجهما
وعاد والدم فى آثاره سرب
قال النبى ألم تذكر مقاتلتنا
فقال : بوركت ، إن الله حَرفها
سبحانه إنَّ أمر الناس فى يده

* * *

لا يجزع القوم إن السيف مرتدع
لم يرفعوا الصوت حتى لاح بارقه
هذا الزبير ترامى فى كتابه
عما قليل ، وإن النصر قد أزفا
تحت العجاجة ، يجلو ضوءه السدفا (٢)
كالسيل ، لا تمسك الأسداد ما جرفا

(١) جاء أبو سفيان فقال : يا رسول الله ، أبيحت خضراء قريش ، لا قريش بعد اليوم ، فقال لرجل : « إذهب إلى خالد وقل له لا تقتل » ، فذهب الرجل وأجرى الله على لسانه أنه نبى الله يقول لك اقتل من قدرت عليه . فقتل سبعين رجلا . فلما رجع إلى النبى ﷺ وكان قد علم بأمر القتلى قال له « ألم أمرك بأن تدعو خالدًا إلى الكف عن القتل » ، فذكر له ما كان وقال : أردت أمرًا وأراد الله غيره ، فكان أمر الله فوق أمرك . وما استطعت إلا الذى كان .

(٢) السدف : الظلم .

يلقى كداء به والخيـل راكضة
الله أكبر، جاء الفتح وابتهجـت
مشى النبي يحفُّ النصر موكبه
أضحى أسامة من بين الصحاب له
لم يبق إذ سطعت أنوار غـرته
تحرك البيت حتى لو تطاوعه
وافاه فى صحبه من كل مزدلف
العاكفون على الأصنام أضحكهم
كانوا يظنون أن لا يستباح لها
نامت شياطينها عنها مذمة

ما قال حسان من قبلى وما ازدهفا (١)
للمؤمنين نفوس سرها وشفى
مشيعاً بجلال الله مكتنفا
ردفاً . فكان أعزَّ الناس مرتدفا
مغنى بمكة إلا اهتزَّ أو وجفا
أركانه خف يلقى ركه شغفا
فلم يدع فيه للكفار مزدلفا (٢)
إن الهوان على أصنامهم عكفا (٣)
حمى ، فلا شممًا أبدت ولا أنفا
وبات ما ردها بالخزى ملتحفـا

(١) لما دخل النبي ﷺ مكة رأى النساء يلطن وجوه الخيل بالخمـر ، فنبـم وقال لأبى بكر :
ماذا قال حسان ، فأنشله :

عدمت بنيتى إن لم تروها تثير النقع ، موعدها كداء
ينازعن الأعنة مسرجات يلطمهن بالخمـر النساء

فقال النبي ﷺ : «ادخلوها من حيث قال» . وازدهف : بمعنى انحرف أو تزيد فى الكلام .
(٢) انتهى النبي ﷺ إلى الكعبة ومعه المسلمون . فاستلم الركن بمحجنه ، وكبر فكبروا
مرجعين حتى ارتجت مكة . وكان يشير إليهم أن اسكتوا ، وكان محمد بن مسلمة يأخذ
بزمام ناقته فى طوافه . ازدلف : تقدم وتقرب .

(٣) قال ابن عباس : كان على الكعبة يوم الفتح ثلاثمائة وستون صنمًا ، لكل حى من أحياء
العرب صنم قد شدوا أقدامها بالرصاص ، فجعل النبي ﷺ يهوى بقضيب كان معه إلى
كل صنم فيها فيهوى ، وإنه كان يقول : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان
زهوقاً » ، وكان هيل من أعظم هذه الأصنام فجاءه النبي ﷺ ومعه قوس جعل يطعن بها
فى عينيه وهو يقول : « جاء الحق » الآية ، ثم أمر به فكسر ، وبقي من هذه الأصنام
على الكعبة صنم كبير من نحاس - وقيل من صفر - لحزاعة جعلوا له أوتاداً من الحديد
مثبتة فى الأرض ، فأمر النبي ﷺ على بن أبى طالب أن يرميه فرمى به وكسره .

هوت تفاريق ، وانقضت محطمة ريعت شيوخ قريش من قذائفها رآته ينحط من عليائه فزعا وما درى هبل والطعن يأخذه لو كان للدم يجري حوله دفعا رمى به الله ، يحمى البيت من عبث لم يبق بالبيت أصنام ولا صور للجاهلية رسم كان يعجبها لا كنت يا زمن الأوهام من زمن إن الشريد الذى قد كان يظلمه ردّ الظلامة فى رفق وإن سفوا إن الرسول لسمح ذو مياسرة شكراً محمد إن الله أسبغها وعد وقى لإمام المرسلين به خذ المحصب إن وافيته نزلا

كأنها لم تكن إذ أصبحت كسفا (١)
 وريع منها الخزاعى الذى قذفا
 من بعد ما أفزع الأجيال مشترفا (٢)
 هل غور الدمع فى عينيه أم ذرفا ؟
 طول المدى مشعب فى جوفه نزفا (٣)
 يعاف باطله من عاف أو عزفا (٤)
 زال العمى ، واستحال الأمر فاختلفا (٥)
 فيدهرها ، فعفت أيامها وعفا
 أرخى على الناس من ظلماته سجفا
 ذوو قرابته قد عاد فانتصفا (٦)
 ولو يشاء إذن لاشتد أو عنفا
 إذا تملك أعناق الجناة عفا
 عليك نعمى ترامى ظلها وضفا
 والله إن وعد الرسل الكرام وفى
 واذكر به ذلك الميثاق والحلفا (٧)

(١) الكسف: القطع .

(٢) المشترى: المنتصب .

(٣) المثعب: مسيل الماء من الخوض .

(٤) عزف عن الأمر زهد فيه وانصرف عنه .

(٥) أبى النبي ﷺ أن يدخل البيت وفيه ما فيه من التماثيل التى اتخذها القوم على صور شتى ، فأمر بها فأخرجت ثم نادى مناديه : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع فى بيته صنما إلا كسره ، فكسروا الأصنام التى كانت فى بيوتهم ، وعمدت هند بنت عتبة زوج أبى سفيان إلى صنم كان عندها فجعلت تضربه وتقول : كنا منك فى غرور ، ثم بعث النبي ﷺ السرايا لكسر الأصنام التى كانت حول مكة .

(٦) النبى ﷺ .

(٧) قال النبى ﷺ : «إذا فتح الله لنا مكة نزلنا الخيف» - خيف بنى كنانة يعنى المحصب - وهو =

قد عاد يكلف بالإسلام من رشد
ثم استقام على البيضاء يسلكها
مشى طليقاً إلى غاياته مرحاً
يغشى موارد للإيمان صافية
عادوا طهارى ، فلم يعلق بهم وضر
تتابع القوم أفواجا ، فأمنهم
كذلك الحق يعلو في مصاعده
مرمى العقول إذا ما غرها هدف
وما على الحق من بأس ولا حرج
إن الذى جعل الإسلام معقله
إن لم يرض ما نال من مجد فأورثه
شتان ما بين صرح ثبت رفعت
من كان بالكفر من غي الهوى كلفا
من كان يضرب فى العمياء معتسفا
وكان فى القيد إن رام الخطى رسفا
ما امتاح من مثلها يوماً ولا اغترفا (١)
مما جنى الكفر قبل الفتح واقترفا
دين السلام وأمسى الأمر مؤتلفا
حتى ينال الذرى أو يبلغ الشعفا (٢)
فلن تريد سواه إن رمت هدفا
إن هوّ العقل عنه مرة فغفا
أعلى لأمتة الأركان والسقفا
مجدداً طريقاً ، وعزاً منه مؤتلفا (٣)
منه القباب وصرح واهن خسفا

* * *

لُتِصَّت الأرض ، ولُتِسمع ممالكها
ماذا يقول لها الرعد الذى قصفا (٤)

= الذى تحالفت في قريش وكنانة على مقاطعة بنى هاشم وبنى عبد المطلب حتى يسلموه
إليهم ، وقد فتحت مكة وفعل ذلك .

(١) امتاح الماء : غرقه .

(٢) الشعف : رؤوس الجبال جمع شعفة .

(٣) اتتلف الشيء بمعنى استأنفه ؛ أى : ابتدأه .

(٤) دعا النبي ﷺ عثمان بن طلحة ففتح له الكعبة فدخلها معه ومع لال وأسامة بن زيد
وصلى فيها ركعتين ثم خرج فوقف على بابها ، وقال :

« لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده »

ثم خطب خطبة طويلة منها : « يا معشر قريش ، إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية

وتعظمها بالآباء ، والناس من آدم ، وآدم من تراب » ، وتلا قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا

خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝

[الحجرات: ١٣] ثم قال : « يا معشر قريش ماذا تظنون أنى فاعل بكم ؟ » ، قالوا : =

شرائع الخير يلقيها محبة شيخ النبيين يغى البر واللفظا
الناس من آدم والبغى مهلكة فليتنق الله منهم من قسا وجفا
قل للآلى خطبوا الأفوام أو كتبوا دعوا المناير والأقلام والصحفا

= خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم ، وقد قدرت ، وأول من قال ذلك سهيل بن عمرو ،
فقال الرسول الكريم « أقول كما قال أخى يوسف ﴿ قَالَ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ
وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٩٢] . اذهبوا فأنتم الطلقاء » ، فخرجوا وكأنما نشروا من
القبور ثم أسلموا .

وذكر فى هذه الخطبة بعض الأحكام ، ومنها : لا يقتل مسلم بكافر ، ولا يتوارث أهل
ملتين مختلفتين ، ولا يجمع المراء بين المرأة وعمتها ولا بينها وبين خالتها ، والبيئة على
من ادعى واليمين على من أنكر . ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة أيام إلا مع محرم . ولا
صلاة بعد العصر وبعد الصبح ، ولا يصام يوم الأضحى ويوم الفطر ، ثم قال « أيها
الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض » ، إلى آخر ما قال صلوات الله
وسلامه عليه .

العباسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

خرج العباس بأهله وعياله مهاجراً إلى المدينة ، فلقى النبي ﷺ بالجحفة ، وكان قد أمره بالإقامة بمكة ليكتب إليه أخبار قريش ، واستأذنه في الهجرة فكتب إليه : « يا عم أقم مكانك الذي أنت فيه ، فإن الله يختم بك الهجرة كما ختم بي النبوة » ، وكان ينفع المستضعفين من المسلمين ، وقد أعلن إسلامه يوم الفتح وكان يكرمه قبل ذلك ، وكان أجود قريش كفاً ، وأوصلها رحماً ، ومن مناقبه أن عمر ابن الخطاب كان يستسقى به في خلافته إذا قحط الناس فيسقون ، وفي ذلك يقول عقيل بن أبي طالب :

بعمى سقى الله البلاد فأهلها عشية يستسقى بشيئته عمر
توجه بالعباس في الجذب داعياً فما حاد حتى جاد بالديمة المطر

أبا الفضل أقبل وارفع الصوت شاكراً فذلك فضل الله ، أسداه وافرا
أقمت تراعى الركب حرّان شيقاً هنيئاً ، فهذا الركب وافاك زائرا
هنيئاً ، فقد أوتيت سؤلك كله ولقيت عن قرب من السعد طائرا
إذا ما التمست الركب : أين مكانه فحيث ترى نور النبوة باهرا
أبا الفضل أقبل ، واقضها من لبانة لنفسك ، تشفى منك داء مخامرا
حبیب نأى يطوى السنين ، وذو هوى يعالج وجداً بين جنبیه ثائرا
ويلقى الأذى بعد الأذى فى سبيله فيرضى ، ويغضى الجفن فى الله صابرا
لك الله يا عباس هذا محمد فسلم ، وطب ما شئت نفساً وخاطرا
أتى بعد ما جرّ السنين مهاجراً يجرّ السرايا خلفه والعساكرا
رآك فقرت عينه ، وترافدت تحياته تلقاك زهراً نواضرا
لها عقب من رحمة الله ، لم يزل مكانكما منه إلى اليوم عاطرا

تردُّ الأذى عنهم ، وترعى الأوصار
 وإن أعوز الأنصار ألفوك ناصرا
 أردت بهم أمراً ، وما كنت كافرا
 وخادعتهم عنه ، فأصبح ظاهرا
 تذيع خفاياهم ، وتبدى السرائر
 بأنبيائهم ، تطوى الفجاج سواثر
 مضى دائباً فى شأنه متواترا
 أبى ، وهواه أن يراك مجاورا
 إلى موعد يأتى به الله آخر
 وتَمَّ هاتيك العلى والمآثر
 بقية من يأتى إلينا مهاجرا

* * *

من اليسر بعد العسر ، بوركت ناظرا
 وأضحت وجوه العيش بيضاً سوافرا
 ذو الشرك فيه ما يشق المرائرا
 طويت دجاء كاسف البال ساهرا
 وقد جاءهم بالزور من كان ساخرا (١)
 تقبل من وافتك يزجى البشائرا
 لفى عزة تُععى النفوس الحرائرا
 على مثلها من قبل ذلك قادرا
 به من أذى ألفيته لك ضائرا
 وتكره أن يبقى مدى الدهر حائرا
 يقلب للحرب الرقاق البواترا

أقمت على المستضعفين بمكة
 إذا فزعوا للظلم كنت لهم حمى
 يظنك أهل الكفر منهم ، وإنما
 شددت قوى الإسلام بين ربوعهم
 وكنت له عيناً تظاهرها يد
 تمدُّ رسول الله بالكتب حقلاً
 بريد ، إذا كف البريد من الونى
 وكنت إذا استأذنت ، تبغى جواره
 وقال : انتظر يا عم ، إنك مرجأ
 فبى ختم الله النبيين كلهم
 وإنى لأرجو أن تكون بيثرب

هو الله فانظريا أبا الفضل ما قضى
 تجلت دياجير الهموم دميمة
 ألا رب يوم ذقت من سود ما جنى
 وليل كما احتاج الجبان مفزع
 كدأبك إذ قالوا أصيب محمد
 فلما عرفت الحق أوفيت ناهضاً
 وترسله حرّاً طليقاً ، وإنه
 نهضت خفيف الجانبين ، ولم تكن
 يسرك ما سرَّ الرسول وما يكن
 هديت أبا سفيان ترحم نفسه
 وجئت به ، والجند بالليل راصد

(١) إشارة إلى قصة حجاج بن علاط السلمى رضى الله عنه ، وقد تقدمت .

فأسلم يُرضى الله من بعد نفرة
وفى ابن حزم وابن ورقاء شاهد
ثلاثة أقطاب صرفت قلوبهم
ولو أعرضوا لم يردع الحرب رادع
حققت دماء ، لو يُحلّى سبيلها
فأمت قريش ما لها من بقية
بِئْمَنِكَ يا عم الرسول تابعت
وكنت امرأ من قبل ذلك محسناً
عظيماً ترجّيه قريش لما بها
وإنك إذ تسقى الحجيج لسيد
لعثمان ما يرضى ، ومالك غيرها
وليس التى يأتى الخميلة غارساً
حُرِّمَت الرضى إن عبت عثمان إنه
له من عطاء الله كرز مبارك
يضمن بمفتاح البنية جهده
أمانة رب البيت لم تعط خائناً
أبا الفضل هذا ما أحب محمد
إذا أظمأ الله البلاد وأهلها

ولولاك لم يرح عن الحق نافرا
بمالك من فضل لمن كان ذاكرا
إلى الله تُحييهم ، وترجو المصائرا
ولم ينتزع أنيابها والأظافرا
جرت تحت أعلام الغزاة موائرا
وأمسى الذى اعتادت من العز دائرا
أياد يراها المسلمون ذخائرا
يقيم بجندواه الجلود العوائرا
إذا فزعت للأمر تخشى الدوائرا
يعلم سادات الرجال المفاخرا
ولاية من يعطى ويبذل كابرا (١)
كمثل الذى يأتى الخميلة هاصرا
على سنة غلباء تُعبي المكاثرا
يقيم لدين الله فيه الشعائرا
ويعرفه مجداً على الدهر غابرا
يريد بها دنيا ، ولم تؤت فاجرا
ظفرت به ، لا زال سهمك ظافراً
فباسمك يسقيها الغيوث المواطرا

(١) كان مفتاح الكعبة مع عثمان بن طلحة بن أبى طلحة من ولد عبد الدار بن قصى بن كلاب ، فلما جاء وفتحها للرسول الكريم ﷺ سأله عمه العباس أن يعطيه إياه ليجمع بين السقاية والسدانة فأبى وقال ما معناه : إنما أعطيكم معنى آل بيته ، ما تبذلون فيه أموالكم للناس ، لا ما تأخذون فيه من الناس أموالهم - ثم رد المفتاح إلى عثمان وقال : «خذوها (يعنى السدانة) خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم ، يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف » . وفى هذه الواقعة نزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨] الآية .

لعمري لقد غادرت غير منازع مناقب ذكراها تهز المنابر
 صدقتك ، إنى لو تناسيت حقها على ما عنانى ، لم أجد لى عاذرا
 أعننى بروح منك يارب واهدنى سبيلك ، إن أضللت فى الناس شاعرا
 دعوتك للإسلام أمسك مجده وأدرك منه ما طوى الدهر ناشرا

* * *

إسلام هند بنت عتبة زوج أبي سفيان

لما فرغ النبي ﷺ من مبايعة الرجال تقدم إليه النساء يباعنه ، وفيهن هند بنت عتبة زوج أبي سفيان ، وكان قد أهدر دمها لأنها مثلت بعمه حمزة رضي الله عنه يوم أحد ، ولاكت كبده ولم تقدر على ابتلاعها فلفظتها ، واتخذت القلائد من جلده! لأنه قتل أباه يوم بدر - تقدمت إلى الرسول الكريم ﷺ منتقبة خوفاً منه فعرفها ، وقالت له : أعف عما سلف ، عفا الله عنك ، يا نبي الله ، ثم بايعته . وبما يؤثر عنها أنه لما قال : «ولا تزنين» قالت : أوترني الحرة يا رسول الله ؟؟

يا هند حسبك مغنما وكفاك
أقبلت ، تُرخين القناع حيّة
أو لستِ هنداً ؟ قلت في خجل : بلى
داويت بالإسلام قلبك فاشتفى
لا تذكرى الكبد التي مارستها
ودعى قلائد يوم بدر والبسى
أخذ الهدى بك في سبيل محمد
ما كان بالمفتون حين شتمته
قلت : اقتلوه ، ولو أطاعك جمعهم
يا هند إن الحق أعظم صولة
ما مثله إن رُمّت في الدنيا أبا
من قدّم الدنيا ، فليس ببالغ

إن الذي يهدى النفوس هداك
تخفين نفسك والنبي يراك
لا تخجلي ، فالله قد عفاك
وغسلت من تلك الجريمة فاك
فأبت عليك ، لعلها تنساك
في بهجة الفتح المين حلاك
فخذى عن الشيخ الجليل أذاك (١)
وبلغت في سوء الصنيع مداك
لجرى الدم المسفوك من جرّاك
من أن يهابك أو يهاب أباك
يا بنت عتبة من أب يرعاك
ما قدّمت عند الرسول يداك

(١) لما رجع أبو سفيان إلى قريش من عند النبي ﷺ فقال لهم : هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به ، أسلموا تسلّموا ، قامت هند فأخذت بشاربه وقالت : اقتلوا الحميت (الزق الضخم) الدسم الأحمس ، قبحت من طليعة قوم - وفي رواية أنها أخذت بلحيته ونادت : اقتلوا الشيخ الأحمق ، هلا قاتلتم ودافعتم عن أنفسكم ويلاذكُم ؟

فيم اعتذارك ، والهدية سمحة
 بايعت أهدى العالمين طريقة
 ينسى الإساءة ، وهى جرح بالغ
 مهما تنله المحفظات من الآلى
 أعجبت إذ ذكر الفواحش هاديا
 إن تعجبي للعرض يُبذل هينا
 عرض الحرائر ما علمت وإنما
 يحفظنه ، ويددن عن ممنوعه
 تأبى التى منهن يقتلها الطوى
 وتصد معرضة تضح بنفسيها
 عار الزنا يُخزى الوجوه وشره
 يا هند إن الله أمضى حكمه
 أوتيت زادك من تقى وهداية
 وهواك فى تقوى الإله هواك (١)
 ورضيت منه مهذباً يرضاك
 ويعوذ بالخلق الكريم الزاكى
 جهلوا ، فليس بعاتب أو شاك
 فنهى اللواتى جثته ونهاك ؟
 وهو الحياة بأسرها فكذلك
 يرضى سواهن الزنا وسواك
 شهوات كل مخادع فتاك
 أن يشتري بذخائر الأملاك (٢)
 ولو أن مضجعها ذرى الأفلاك
 يرمى البلاد وأهلها بهلاك
 فكفاك سوء عذابه ووقاك
 فتزودى سبحان من نجاك

* * *

(١) أهدت إلى النبى ﷺ مع جارية لها جدين مشوين وقديداً ، وأوصتها أن تعتذر إليه على

لسانها وتقول : إن غنمنا قليلة الرالدة .

(٢) الطوى : الجوع .

إسلام عثمان أبى قحافة (١)

والد أبى بكر الصديق ﷺ

لما خرج رسول الله ﷺ من الكعبة وجلس فى المسجد والناس حوله ، ذهب أبو بكر ﷺ وجاء بأبيه عثمان - ويكنى بأبى قحافة - يقوده وقد كف بصره ، فلما رآه قال لأبى بكر : « هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتية ؟ » قال أبو بكر : يا رسول الله هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى أنت إليه ، ثم جلس بين يديه الشريفتين فمسح صدره وقال : « أسلم تسلم » ففعل ، وهنأ النبى ﷺ أبا بكر بإسلامه وقال : والذى بعثك بالحق لإسلام أبى طالب كان أقر لعينى من إسلامه .

شيخ يقلد إلى النبى على يد
هذا أبو بكر يقدم شيخه
قال النبى ألا رثيت لضعفه
لو لم يجئ لمشيت أشهد أمره
يا والد الصديق خذها نعمة
ما كنت بالمصروف عن دين الإلى
العاكفين على شرائع ربهم
الظالمين إلى الجهاد ، فإن دُعُوا
يتهافتون على جوانبها إذا
من كان يسعد فى الرجال بوالد

هى للنبى إذا رمى أعلى يد
يهديه ، إن الألعى ليهتدى
وتركته فى داره لم يجهد ؟
وأجله شيخاً كريم المشهد
سيقت إليك من النبى محمد
كفروا بالهة كأن لم تُعبد
من رُكع بيض الجباه وسجد
وردوا حياض اموت عذب المورد
نادى رسول الله أيكم الصدى ؟؟
فيمَن ولدت أبا قحافة فاسعد

(١) هو عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مره بن كعب بن لؤى . وأمه قَيْله بنت أذاه بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى . ويكنى « أبو قحافة » ومات فى المحرم سنة أربع عشرة من الهجرة فى خلافة عمر بن الخطاب . وكان ابن سبع وتسعين سنة [الطبقات ٧٨/٦ و ١٢/٨] .

من سؤدد الصديق أن زمانه لو لم يلده لكان خصم السؤدد
الحاضن الإسلام يجعل صدره كهفًا يقيه أذى العدو المفسد
يعطيه مهجته وصفوة ماله ويكون للحدث الجليل بمرصـد
قال النبيُّ هـنأ ، فقال وددتها كانت لعمك ذى الفعال الأمجد
هذا هو الإيثار ، فاعجب واعتبر وأعد على الدهر الحديث وردد

* * *

كعب بن زهير

وأخوه بجير رضى الله عنهما

هو كعب بن زهير بن أبى سلمى المزنى أحد أصحاب المعلقات ، كان يرعى غنماً له مع أخيه بجير ، وكان يهجو النبی ﷺ ، قال له بجير : اثبت أنت فى غنمنا ، ودعنى أذهب إلى محمد فأسمع كلامه وأعرف ما عنده ، وجاءه بالمدينة فهده الله للإسلام ، وبعث إلى كعب يخبره بذلك ، ويدعوه لمثل ما فعل (١) فأجاب كعب على رسالته لائماً ، وكان الرسول الكريم ﷺ قد أهدر دم كعب لما قال فيه ، فأقام يغالب نفسه ثم قدم فأسلم ، وقال قصيدته المشهورة بانث سعاد .

بجير كيف يخطئك السداد
ولا إن اللبيب لذو صلاح
تركت أخاك تنشده مراداً
لنفسك صالحاً ، نعم المراد
تقول له : أنبقى فى ظنون
تذود البيّنات ، ولا تذاد ؟
فدعنى وانتظر يا كعب إنى
لأخشى أن يطيح بنا العناد
أجئ محمداً فأرى : أغى
يراد بمن يليه أم رشاد ؟

(١) بعث بجير إلى كعب يقول : إن رسول الله قتل رجلاً ممن كانوا يهجونه ويؤذونه ، فإن كانت لك فى نفسك حاجة فطر إليه مسرعاً فإنه لا يقتل من جاءه تائباً ، وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجاتك من الأرض ثم كتب إليه :

فمن مبلغ كعباً ، فهل لك فى التى
تلوم عليها باطلا وهى أحزم ؟
إلى الله - لا العزى ولا اللات - وحده
فتنجو إذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت
من الناس إلا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شىء دينه
ودين أبى سلمى على محرم

فطابت نفسه ، وصفوا الفؤاد
تدين له الخلائق والعباد
كأن سطوره البيض الحداد
كمن صدفوا عن المثلى وحادوا
إذا أخذتك داهية نآد
له يا كعب والرامي يصاد
عسى منجى يُغيثك أو مصاد

* * *

وطال الليل وامتنع الرقاد
وغال قواه ذعر وارتعاد
فما ترسو الجبال ولا الوهاد
سقاك بكأسه السمح الجواد (١)
ولا دين سواه ولا اعتقاد ؟

* * *

فيورثه جنوئاً أو يكاد
وهدت ركنه الكرب الشداد
يرجى الخير منه ويستفاد
فعادت حين لا يُرجى معاد
فلا ركن يميل ولا عماد

أتى ، فرأى اليقين ، له جلاء
وأسلم ، لا يسرى لله نِداً
وأنفذه إلى كعب كتاباً
دعاه إليه يكره أن يراه
وقال : لئن أبيت فلا تلمنى
رميت محمداً فلا أنت صيد
إذا لم تأتنا فاذهب بعيداً

أتاه نذيره فعناه همٌ
إذا التمس القرار أبى عليه
يظن الأرض ترجف أو تنزى
وأرسل : يا بجير صبات لما
أدين أبيك تترك يا بجير

وساوس ذاهل يغشاه رعب
فلما ضاقت الدنيا عليه
أتى ببغى الأمان لدى كريم
تدارك نفسه منه بعفو
ولاذ بمعقل الإسلام كعب

(١) لما جاءت رسالة بجير أخاه كعباً كتب إليه :

ألا أبلغا عنى بجيراً رسالة
فبين لنا إن كنت لست بفاعل
على خلُق لم تلف أمّا ولا أباً
فإن أنت لم تفعل فلست بأسف
سقاك بها المأمون كأساً روية

صبأ الرجل : خرج من دين إلى دين .

فهل لك فيما قلت ويحك هل لكأ؟
على أن شىء غير ذلك دلوكأ؟
عليه . ولا تلقى عليه أخا لكأ
ولا قائل إما عثرت لعالكا
فأنهلك المأمون منها وعلكا

هلم فلاقه يا كعب رزقا من الرضوان ليس له نفاذ
لنعم الزرع زرعك حين تبغى جناه ، وحين يدركه الحصاد
لقيت كرامة ، وسعدت جدا فغنّ إذا ، وقل بانست سعاد
وخذها بردة للشعر فيها طريف العز والمجد التلاد

(*) ذكرت رواية أخرى لردّ كعب ، وهي :

من يبلغ عنى بجيرا رسالة ؟ فهل لك فيما قلت بالخيف هل لكا ؟
شربت مع المأمون كاسا رويةً أنهلك المأمون منها وعلك
وخالفت أسباب الهدى واتبعته على أى شئ وبب غيرك دلكا
على خلق لم تلف أما ولا أبا ولم تدرك عليه أخا لك
فإن أنت لم تفعل فلست بأسف ولا قائل إما عثرت لعالك

قال ابن اسحاق : وبعث بها إلى بجير ، فأنشدها إلى رسول الله - ﷺ - فقال رسول الله لما سمع « سقاك بها المأمون » : صدق وإنه لكذوب ، أنا المأمون . ولما سمع « على خلق لم تلف أما ولا أبا » قال : أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه ، قال : ثم كتب بجير إلى كعب الأبيات المذكورة سابقا فى هامش (١)

قال : فلما بلغ كعب الكتاب ضاقت به الأرض ، واشفق على نفسه ، وأرجف به من كان فى حضره من عدوه ، وقالوا هو مقتول ، فلما لم يجد من شئ يدا ، قال قصيدته التى يمدح فيها رسول الله - ﷺ - وقدم المدينة فنزل على صديق له من جهينة ، فغدا به إلى رسول الله - ﷺ - فى صلاة الصبح فصلى مع رسول الله - ﷺ - ثم أشار له إلى الرسول - ﷺ - فقال هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه . فذكر لى أنه قام إلى رسول الله - ﷺ - فجلس إليه ، ووضع يده فى يده ، وكان رسول الله - ﷺ - لا يعرفه . فقال : يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما ، فهل أنت قابل منه إن جئتك به ؟ فقال رسول الله - ﷺ - نعم . فقال : إذا أنا يا رسول الله كعب بن زهير . فوثب عليه رجل من الأنصار ، فقال : يا رسول الله : دعنى وعدو الله أضرب عنقه . فقال رسول الله - ﷺ - : « دعه عنك فإنه جاء تائبا نازعا » .

(*) وقال قصيدته التى أولها . . .

بانست سعاد فقلبى اليوم متبول متيمٌ عندها لم يفد مكبول

غزوة حنين

لما فتحت مكة اجتمع أشرف هوازن وثقيف يقولون : قد فرغ لنا محمد ، فالرأى أن نغزوه قبل أن يغزونا ، وجعلو أمرهم إلى مالك بن عوف - أسلم بعد ذلك - على أن يرجع فيما يريد إلى دريد بن الصمة لسنه وتجربته ، وكان عدد جيشهم ثلاثين ألفاً - خرجوا بالنساء والأولاد والمواشى - وكان خروج النبي ﷺ من مكة إلى هذه الغزوة يوم السبت سادس شوال من السنة الثامنة (١) في اثني عشر ألفاً ، وبعد أن رتب الجيش أعطى الرايات إلى على بن أبى طالب ، وسعد بن أبى وقاص ، وعمر بن الخطاب ، والحباب بن المنذر ، وأسيد بن حضير . وقد اشتد القتال في هذه الغزوة (٢) ، فراجع المسلمون ثم نصرهم الله .

لمن الجموع كثيرة تتألب ؟ مهلاً هوازن أين أين المذهب ؟
مهلاً ثقيف ركبت من غى الهوى وعماية الأوهام ما لا يُركب
مهلاً بغاة السوء ما لمحمد كفاء ، ولا منه لباغ مهرب
قلتم : قضى حاجاته ، وخلأ لنا فبدار ، إننا معشر لا نغلب
وبعثتموها ظالمين ، تهزكم نشواتها ، فردوا الموارد واشربوا

(١) في رواية أن الفتح كان لعشر بقين من رمضان قبل خروجه إليهم خمس عشرة ليلة ، وهكذا روى عن « ابن مسعود » ، وبه قال « عروة بن الزبير » ، واختاره « أحمد » ، « وابن جرير » في تاريخه ، وقال الواقدي : الخروج إلى هوازن لست خلون من شوال ، فانتهى إلى حنين في عاشره .

(٢) اشترك في هذه الغزوة أيضاً : نصر وجشم كلها وسعد بن بكر ، وناس من بنى هلال وهم قليل ، ولم يشهدوا من قيس عيلان إلا هؤلاء ، ولم يحضرها من هوازن : كعب وكلاب . ولم يشهدوا منهم أحد له اسم ، وفي بنى جشم : « دريد بن الصمة » وهو شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ، وفي ثقيف سيدان لهم ، وفي الأحلاف : قارب بن الأسود بن مسعود بن معتك ، وفي بنى مالك ذو الخمار : سبيع بن الحارث ، وأخوه أحمد بن الحارث . وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النضرى .

حمل ابن عوف في الكريهة أمركم
ولقد دهاكم من دريد أنه
فسألتموه الرأي يعصم مالكا
هيهات ، كلُّ الرأي - إن غضب الألى
سوقوا النساء ، وجندوا أنعامكم
وإذا الحديث الحق جاء كبيركم
شتم الألى صدقود ألا يدعوا
ورمى بهم في الحبس خرف حديثهم

فانهار كاهله ، وخر المنكب
شيخ تساس به الأمور مجرب
ويريه ما يأتى وما يتجنب
لا يرتضون سوى الجهاد - مخيب
ودعوا البنين بكل أرض تداب (١)
فالزور أولى ، والحمافة أوجب (٢)
ما لم يروا شططا ، وألا يكذبوا
فالأمر فوضى ، والصواب مغيب

* * *

اغضب دريد أو ارض ، لست كمالك
ملك القياد فلا مرد لأمره
اكذاك زعمك يا ابن عوف ؟ إنها
لكبيرة ، بل أنت ريحك تلعب (٣)

(١) أمرهم مالك بن عوف أن يسوقوا معهم موشيهم وأموالهم ونساءهم وأبناءهم ليمنعهم من
الفرار ، فلما نزلوا بأوطاس (مكان الواقعة) قال دريد بن الصمة : ما لى أسمع رغاء
الإبل ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ، وخوار البقرة ؟؟ قالوا : هكذا أراد
مالك ، فدعاه إليه ، وسفه رأيه ، وكان مما قاله : إنك رويعى ضأن ، فمالك
وللحرب ، هل يريد المنهزم شيء ؟ هى إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ،
وإن كانت عليك فضحت فى نفسك ومالك ، ثم أشار عليه بأمور لم يقبلها وقال : والله
لا أطيعك ، إنك قد كبرت وضعف رأيك فقال دريد لهوازن : أنا راجع إلى أهلى إذن ،
فمنعوه ، فقال مالك لهم : والله لتطيعننى يا معشر هوازن أو لاتكنن على هذا السيف
حتى يخرج من ظهري ، فقالوا : أطعناك ، وقال دريد .

يا ليتنى فيها جذع ، أخب فيها وأضع أقود وطفاء الزمع . كأنها شاة صدع
(٢) أرسل مالك بن عوف ثلاثة من رجاله يستطلعون أخبار المسلمين ، فرجعوا إليه
مذعورين ، فقال : ويلكم ما شأنكم ؟ قالوا : رأينا رجلا بيضا على خيل بلق ، فأصابنا
ما ترى ، ولئن أطعنا لترجعن بقومك ، فقال : أف لكم ، بل أنتم أجبن القوم ، ثم
حبسهم كيلا يشيع الخبر .

(٣) بعث النبى ﷺ عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى ليأتيه بأخبار القوم ، فلما انتهى إلى =

أزعمت أن محمداً لم يلقه من قبل قومك من يُخاف ويُرهب ؟
وظننت أنك إن لقيت جنوده لم تُغن عنه كتيبة أو مقنب
إن الذى حدثت قومك جاءه فلئن عجبت لما أصابك أعجب

* * *

هو ملتقى الجيشين ، فانظر هل ترى قوماً تظن عيونهم تتلهب ؟
ولع الرماة بهم ، فتلك سهامهم ملء القسى إلى النحور تصوب (١)
غفلت مواقعها عن الدم إذ جرى فكأنها بدم الرماة تُخضب
كرهوا السيوف ، وللوعى أبطالها تدعى ، فتستل السيوف وتضرب

* * *

حيدوا جنود الله ثم تقدّموا فالحرب فى أطوارها تتقلب (٢)
أنا تردُّ عن الفريسة نابها تبغى مقاتلها ، وأنا تنشب
تُزجى رواعدها البروق ، فصادق ينهل صيّبه ، وآخر خلّب
غرّارة ، يشقى الغبى بكيدها إن بان من غيب الأمور محجب
تُبدى من الحاجات ما لا تبتغى حذراً ، وتكتم ما تريد وتطلب
علم توارثه الثقات ، وزاده شيخ الوعى وأبو الثقات المنجب

* * *

حمى الوطيس أجل تبارك ربنا فافزع إليه ، هو الغياث الأقرب (٣)

= مالك بن عوف وعنده رؤساء هوازن سمعه يقول لهم : إن محمداً لم يقاتل قبلنا أحداً من
أبطاله الحروب إنما كان يلقي قوماً أغماراً فيظهر عليهم وإنا لغالبيوه ، وعاد عبد الله فقص
الحديث على النبى ﷺ .

(١) كانت هوازن رماة لا يكاد يخطئ لهم سهم ، فألحوا على المسلمين بالنبل .
(٢) هكذا حدث حين اشتد القتال ، وثبت النبى ﷺ فى مكانه مع طائفة من أصحابه ، منهم
أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والعباس وابنه الفضل ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد
المطلب (ابن عمه) وأسامة بن زيد ، وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان يدفع
بغلته إلى الامام ويقول : « أنا النبى لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » .

(٣) قال النبى ﷺ حين استحر القتال : « الآن حمى الوطيس » ، وقد رفع يديه فى هذا =

هذى كتائبه عليك تنزلت
بصروا بها ، فتزايلت أوصالهم
هم فى حنين يا محمد مثلهم
مدد السماء أعدّه لك منجد
سبحانه ، ما من إله غيره
ومضت إلى أعدئه تتوثب (١)
رعبًا ، وضاق سبيلهم والمذهب
فى يوم بدر صدعهم ما يرأب
لا جنده يفنى ، ولا هو يتعب
لو يستقيم الجاهل المتكعب

* * *

يا مولعًا بالحرب ، يستقصى المدى
سل بغلة حملت رسول الله هل
طاروا عليها مدبرين ، ولم يطر
يطل يرى موج المنايا حوله
تجرى ظنون القوم فى حركاته
كل امرئ يأتى الأمور عظيمة
ما العبقرية فى مراتبها العلى ؟
متألق ، من لم يسر فى نوره
أين الألى ملأ الفضاء سوادهم
غنموا الفرار ، فما يرى من بعدهم
خير أتيح ونعمة مشكورة
فى وصفها منه ابيان المسهب
حمدت فوارسها العتاق الشرب ؟ (٢)
ومضوا فلولا ، وهو راس يرقب
فعزيمة تطفو ، وقلب يرسب
فيفوت غاية من يظن ويحسب
فإليه فى الدنيا العريضة ينسب
هو فى سماء العبقرية كوكب
أودى الظلام به وطاح الغيّه (٣)
وأضلّهم ساداتهم فتحزبوا ؟
إلا المغانم ، تستباح وتنهب (٤)
سيقت على قدر ، ورزق طيب

= الموطن وقال : « اللهم أنشدك ما وعدتني ، اللهم لا ينبغي أن يظهرنا علينا ، اللهم كنت
وتكون ، وأنت حى قيوم ، اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم . اللهم لك الحمد ، وإليك
المشكى ، وأنت المستعان » .

- (١) أنزل الله الملائكة فى هذه الغزوة ، وقد اختلف فى عدتهم فقليل : خمسة آلاف ، وقيل :
ثمانية آلاف ، وقيل : ستة عشر ألفاً .
(٢) الشرب : جمع شارب وهو الضامر .
(٣) أودى : أهلك والغيه : الظلمة .
(٤) غنم المسلمون من الإبل أربعة وعشرين ألفاً . ومن الغنم أكثر من أربعين ألف شاة . ومن
الفضة أربعة آلاف أوقية ، وعدداً قليلاً من البقر .

راحت بأيدي المسلمين ، وإنهم
تُقضى الديون بها ، فلا ابن أمية
ويقام دين الله فى القوم الألى
لأحق من يُعطى الجزيل ويوهب
يشكو المطال ولا حويطب يعتب (١)
فتنوا بأصنام تقام وتنصب

قتلى هوازن هل تفجع مالك
قم يا دريد فقل لقومك خطبة
انظر إلى الأسرى وسلهم : ما لهم
ويح النساء ومن ولدن ألا فتى
اسمع دريد فقد أهاب محمد
لا تقتلوا الأولاد ، ما فيهم لنا
أسخرت بالبطل الصغير فهل نجا
أعطاك سؤلك ، ما تردّد سيفه
إن ضاق صدرك حين تذكر أمه
ومضى لمصرعكم ينوح ويندب ؟ (٢)
تجلو الهموم ، فقد عهدتك تخطب (٣)
نكبوا ، وكان الظن ألا ينكبوا
يحمى الذمار ؟ ألا كمى محرب (٤)
يحنو على النشء الضعيف ويحدب (٥)
خصم ، ولا منهم أثيم مذب
منه بمهجته الكبير الأشيب (٦)
ولأنت سؤل غرارهِ والمأرب
فلصدرها لو كنت تعلم أرحب

(١) استقرض النبی ﷺ قبل خروجه من مكة إلى هذه الغزوة خمسين ألف درهم من صفوان ابن أمية ، وأربعين ألفاً من عبد الله بن ربيعة ومثلها من حويطب بن عبد العزى فرقها فى أصحابه من أهل الضعف ، ثم ردها مما غنم فى حين .

(٢) قتل من المشركين فى هذه الواقعة أكثر من سبعين رجلاً قبل الهزيمة وثلاثمائة بعدها ولم يقتل من المسلمين غير أربعة .

(٣) كان دريد بن الصمة من فحول الشعراء ، وهو صاحب القصيدة التى يقول فيها .

أمرتهم ، أمرى بمنعرج اللوى
وهل أنا إلا من غزبة أن غوت
فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد
غويت ، وإن ترشد غزبة أرشد

(٤) المحرب : الشجاع الشديد الحرب .

(٥) نهى النبی ﷺ عن قتل الأولاد رحمة بهم .

(٦) هو ربيعة بن ربيع السلمى . أخذ بخطام جمل دريد فقال له : ما تريد ؟ قال : أريد أن أقتلك ثم ضربه بالسيف فلم يصب منه شيئاً ، فقال دريد يسخر به : وبئس ما سلحتك أمك خذ سيفى فاضربنى به ، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة فقتله ، فلما أخبر أمه قالت : هلا تكرمت عن قتله ؟ إن له فضلاً .

قالت: أنقّلته ، ربّعة ؟ إنه شيخ له فضل يُعدُّ ومنصب (١)

* * *

ما بال سيف الله ؟ أين مكانه ؟
سأل النبي فقيّل : عند جراحه
فمشى إليه يعوده فى موكب
بوركت خالد ما رأّت عين دُمّا
قم فى جراحك ، إنها لك قوة
قم للشدائد ، ما تلين صلابها
لك همّة ما تستطاع ونجدة
من يجهل الرثيال . ينفذ نأبه
أغيّب عن نظر النبي ويعزّب ؟ (٢)
لو يستطيع أتى يهشّ ويطرب
لله فيه من الملائك موكب
كدم جرى من خالد يتصبّب
تدعُ القواضب وهى حيرى هيب
فلأنت صاحبها الأشدّ الأصلب
مذخورة للأمر ساعة يحزّب (٣)
فى كل مقتنص ، ويمضى المخلّب ؟

* * *

اشهد حنين بما رأيت ولا تخف
حدثتُ عنك ، وقلت : يا أرض اسمعى
ماذا أقول ؟؟ أنا العيى وإن جرى
خصمًا ينازع ، أو عدوّاً يشغب
فاهتزّ مشرقها وماج المغرب
قلمى بأبلغ ما يقال ويكتب

* * *

(١) المنصب : المنبت والمحتد.

(٢) أنقّلت خالدًا الجراحات فبقى فى مكانه . وقال النبي ﷺ : « من يدلنى على خالد » ،
فدلوه عليه فمشى إليه وتفل على جراحه .

(٣) حزّب : الأمر اشتد .

الأنصار يَبْكون

جاء النبي ﷺ بعد فتح مكة إلى الصفا ^(١) ، وجعل ينظر إلى البيت ، ثم رفع يديه يدعو الله بما أراد والأنصار حوله ، فقال بعضهم لبعض : إنه يحن إلى قريته وعشيرته ، وظنوا أنه سيقم بمكة ، فجزعوا لذلك وبكوا ، وعلم الرسول الكريم بأمرهم فقال لهم : «هاجرت إلى الله وإليكم ، فالمحيا محياكم ، والممات مماتكم» ، ففرحوا بذلك وطابت نفوسهم .

ما للدموع على التظن تذرف ؟
لا تنكروا حبَّ النبي لإلهه
أحسبتموه يريد عنكم مصرفاً ؟
لما فزعتم قال : يا قوم اسكنوا
دار الحياة ومنزل الموت الذى
الجار واف ، والهوى متألف
ودياره الأولى ، ولا تتأسفوا
مهلاً ، فليس عن الأحبة مصرف
هى يثرب ما دونها مُتخلف
مالى سواه ، فإن جهلتم فاعرفوا

* * *

فرحوا ، وأشرقت الوجوه فما ترى
صدقوا نبيهم الهوى فقلوبهم
أنصاره فى الحادثات إذا طغت
هم أنصفوه مشرداً يجد الأذى
وتكنفوه يعظّمون مكانه
ما عز منزل قادم أو زائر
شدوا عرى الإسلام حتى استحكمت
كانوا أساس بنائه وعماده

(١) عن ابن عباس قال : أقمنا مع رسول الله - ﷺ - [يقصد بمكة بعد الفتح] فى سفر تسع عشرة ليلة نقصر الصلاة . قال ابن عباس . فنحن نقصد ما بقينا بين تسع عشرة فإذا ازددنا أقمنا [البخارى ، ح : ٤٢٩٩] .

انظر بناء الله حول رسوله وصف الذرى إن كنَّ مما يوصف
 فى كل سور منه جند يرتقى يغزو الألى كفروا ، وموت يزحف
 صَبُّوا على المستضعفين نكالهم وجرى القضاء ، فهم أذلُّ وأضعف (١)

* * *

يا معشر الأنصار ما من صالح إلا لكم فيه يد أو موقف
 لكم المواقف ما يذاع حديثها إلا يُهلُّ بها الزمان ويهتف
 لا الشعر مُتَّهمٌ إذا بلغ المدى يُطرى مناقبكم ، ولا أنا مسرف
 أو ما كفاكم ما يقول إلهكم فى مدحكم، ويضمُّ منه المصحف ؟

* * *

هَدَمَ الْعَزَى وَسُوعَ وَمَنَاةَ

كانت هذه الأصنام الثلاثة أعظم أصنام قريش بموضع يقال له : « نخلة » على ليلة من مكة ، وكان عمرو بن لحي قال لهم : إن الرب يشتى عند اللات ويصيف عند العزى فعظموها وبنوا لها بيتًا يهدون إليها كما يهدون إلى الكعبة ، ويطوفون وينحرون عنده .

بعث النبي ﷺ بعد الفتح وهو ما يزال بمكة خالد بن الوليد مع بعض أصحابه لهدم العزى (١) ، وعمرو بن العاص ومعه طائفة أخرى لهدم سواع ، وسعد ابن زيد الأشهلي لهدم مناة ، فهدموها ، وعادوا مأجورين . وكان ذلك في شهر رمضان من السنة الثامنة هجرية .

إلى العزى فقد بلغت مداها وإن على يدك لمنتههاها
أزلىها خالدٌ واهدم بناء أقيم على جوانبها سفاهها
بناه الجاهلون لها ، ودانوا بها من دون خالقهم إلهها
مذممة تساق لها الهدايا تظل دماؤها تسقى ثراها
رماها ابن الوليد فأى شر أزال ؟ وأى داهية رماها
وأين غرور سادتها ؟ وماذا أفاد دعاؤه لما دعاها ؟ (٢)
(١) كان هدمها لخمس بقين من رمضان عام الفتح . وكان سننها من بنى شيبان من بنى سليم حلفاء بنى هاشم .

(٢) لما علم سادنها بمقدم خالد علق سيفه عليها ثم اشتد في الجبل الذى هى فيه ، وجعل يقول :

أيا عز شدى شدة لا سوى لها على خالد ألقى القناع وشمري
أيا عز إن لم تقتلى المرء خالدًا فبؤى بإثم عاجل أو تنصرى

لما انتهى خالد من هدمها رجع فأخبر الرسول ﷺ فقال له : ما رأيت ؟ قال : لم أر شيئا . فأمر بالرجوع فرجع خالد فلما نظرت إليه السدنة وهم حجابها امعنوا هربا في الجبل وهم يقولون : يا عزى خبلية ، يا عزى عوريه وإلا فموتى برغم . قال البيهقي : فأثاها خالد فإذا امرأة عريانة ماثرة شعرها تحثو التراب على رأسها ووجهها ، فعممها بالسيف حتى =

أجل يا ابن الوليد لقد دهاها
ويا عمرو اتخذ لسواع بأسا
وينتزع الغواية من نفوس
هديت ضلالة شابت عليها
تطاوالت القرون وما تناهت
رأه وليئه كذباً فولّى
وقال : شهدت أن الله حق
جعلت محمداً سببى فلانى
من الهون المبرح ما دهاها (١)
يذلّ من الطواغيت الجباها (٢)
ألحّ ضلالها ، وطغى هواها
هذيل بعد ما قضت صباها
فقل لسواع دهرك قد تناهى
يسائل نفسه : ماذا عراها ؟ (٣)
وأنّ النفس ينفعها هداها
أرى أسبابه شدّت عراها

* * *

مناة ، مناة . . مالك من بقاء
رماك الله من زيد بن سعد
أما نفضتكَ من خوف وذعر
تبارك هادم الأصنام ، إنى
تُضلّ العالمين ، وقد أتاهم
وما للنفس تؤثر أن تُحلّى
وأى شقيّة بلغت مناهها ؟ (٤)
بمن ترمى الجبال له ذراها
عرانين المشلّل إذ لواها ؟
أرى الأصنام تهدم من بناها
كتاب الله ينذرهم أذاها
سوى الإيمان يلبسها حلاها

= قتلها . ثم رجع إلى النبی - ﷺ - فأخبره . فقال : تلك العزى ، ولا تعبد أبداً . [البيهقى
فى الدلائل : ١١٧/٥ و ٧٧] .

(١) إشارة إلى قول خالد لما هدمها :

يا عز كفرانك لا سبحانك إنى رأيت الله قد أهانك

(٢) كان سواع هذا لهذيل ، قال ابن جرير : لما مات سواع بنت شيث بن آدم صورت صورته
وعظمت لموضعه من الدين ، ولما عهدوا في دعائه من الإجابة ، وهو أبو يغوث
ويعوق ونسر ، وكذلك صوروا هؤلاء بعد موتهم ، فظن الذين جاؤوا بعدهم أن لهذه
الصور عملاً في النفع والضّر فاتخذوها آلهة ثم عبدوها .

(٣) هو سادنه ، قال لعمرو : ما تريد ؟ قال : أريد أن أهدمه ، قال : لا تقدر على ذلك .
فلما هدمه قال السادن : أسلمت لله رب العالمين .

(٤) كانت مناة للأوس والخزرج وغسان وغيرهم من العرب على جبل اسمه (المشلّل) يقع =

أمّ سليم زوج أبي طلحة (١)

زيد بن سهل الأنصاري رضي الله عنهما

كانت رضي الله عنها حازمة وسطها بيرد لها ، وفي حزامها خنجر ، وكانت حاملا بابنها عبد الله بن أبي طلحة ، فقال لها زوجها : ما هذا الخنجر الذي معك؟ قالت : إن دنا مني أحد من المشركين بعجته به ، فقال أبو طلحة : ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم ؟ وأعاد عليه القول ، فجعل عليه الصلاة والسلام يضحك ، قالت له : بأبي أنت وأمي ، أقتل هؤلاء الذين انهزموا عنك فإنهم لذلك أهل ؟ (٢) فقال صلوات الله وسلامه عليك : « إن الله قد كفى وأحسن » .

لأم سليم يا أبا طلحة العذر وهل يأمن الإسلام أن يغدر الكفر ؟ سألت فقالت : خنجرى أتقى به أذى كل عاد من خلانقه الغدر أشق به فى حومة الحرب بطنه إذا رامنى بالسوء واستوعر الأمر أتعجب منها : كيف تحمى ذمارها وتدرا عنها الشر إن هاجها الشر ؟

= على ساحل البحر ، يهبط منه إلى قديد .

(*) خرج سعد فى عشرين فارسا حتى انتهى إليها وعليها سادن . فقال السادن : ما تريد ؟ قال هدم مناة ، قال : أنت وذاك . فأقبل سعد يمشى إليها وتخرج إليه امرأة عريانة سوداء نائرة الرأس تدعو بالويل ، وتضرب صدرها . فقال السادن : مناة دونك بعض غضباتك ويضربها سعد وفيقتلها ، ويهدم الصنم . ولم يجد فى خزانتها شيئا .

(١) هى بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار ، وهى « الغُميصاء » ويقال « الرُميصاء » ، « وسهلة » ورميلة وأنيفة ورُمَيْثَة « تزوجها مالك بن النضر فولدت له أنس بن مالك ، ثم خلف عليها أبو طلحة « زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد » فولدت له عبد الله وأبا عمير . وشهدت يوم حنين وهى حامل بعبد الله . وشهدت قبل ذلك يوم أحد تسقى العطش وتداوى الجرحى . وكان معها خنجر قد حزمته على وسطها [الطبقات ؛ ١٠ / ٣٩٥] .

(٢) تقصد « الطلقاء » وكان ذلك يوم فتح مكة [سير أعلام النبلاء ؛ ٢ / ٣٠٤] .

وتدعو رسول الله هل أنت سامع ؟
نعم ، أنت تحميها ولكن نفسها
ألم تر إذ قالت : أأقتل معشراً
وماذا عليها حين تكفيك أمرها
أرادتك للأمر الجليل ، ولن ترى
ألم تنتظم بالسيف عشرين فارساً
إذا طار منهم مدبر يتقى الردى
تخوض الدم المسفوك ، لا جسر دونه
أبا طلحة اسمع ما يقول ابن حرة
يقول : اطعني أماء من شئت وانصرى
فحييت عبد الله ما أنت كالذي
كلا أبويك استن سنة ماجد
إذا التمس الإسلام في كل حادث

فيفرح من رجع الحديث ويفتر
لها نخوة من ذاتها وبها كبر
تولوا ، فلا بأس شديد ولا صبر ؟
وترمى بك الأبطال والنقع مغبر ؟
كأم سليم حرة حازها حر
مغائهم شتى ، وأسلا بهم كثر ؟ (١)
تلقنتك منه في مطر الردى الصدر
ومالك كالإيمان في مثله جسر
إليه سرى من صفحتي جاره البشر (٢)
ببأسك ديناً من كتائبه النصر
يرى السيف مقروباً يأخذه الذعر (٣)
فطبت وطابا ، لا خفاء ولا نكر
يضيق به ذخراً ، فأنت له ذخـر

* * *

(١) قتل أبو طلحة في غزوة حنين عشرين رجلاً من المشركين فأعطاه النبي ﷺ أسلابهم وأسلحتهم .

(٢) ابنه عبد الله ، وجاره المذكور في البيت هو الخنجر .

(٣) مقروباً : أى في قرابه .

قدوم هوازن ورد سببها عليها

تربص النبي ﷺ بضع عشرة ليلة ينتظر قدوم هوازن فقدموا مسلمين ، وكان قد قسم أموالهم وسباياهم على أصحابه فلما سألوه إياها أخبرهم بما فعل ، وخبرهم بين الأموال والسبي ، فاختراروا الثاني ، وكلم النبي ﷺ المسلمين في ذلك فردوا ما كان معهم من هذا السبي ثم إنه ﷺ سأل هوازن عن رئيسهم مالك ابن عوف النضري : أين هو ؟ قالوا : مع ثقيف بالطائف ، فقال : « لو جاءني مسلماً لرددت عليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل » ، فأخبروه ، فجاء وأسلم ، ووفى له الرسول بما وعد .

هوازن أقبل ، ماذا التواني ؟	أدين العز ، أم دين الهوان ؟
خذى السبي الموزع واشكرها	بدأ لمهذب جم الحنان
دعا أصحابه بلسان صدق	إلى الحسنى ، فيالك من لسان
أجابوا منعمين ولم يضمنوا	بما ملكوا من البيض الحسان
وقال محمد أين ابن عوف ؟	سيحمد منتواه إذا أتانى
له إن أثر الإسلام ديناً	عطاء لا تجاوزه الأمانى
يعود بأهله ، ويزداد مالا	على مالى من الإبل الهجان (١)
فأقبل مسلماً ، ومضى بخير	جميل الذكر ، محمود المكان

* * *

حليمة أنت والشيما أم	وأخت ، فانظرا: ما تصنعان ؟ (٢)
أما لكما الكرامة عند مولى	كريم العهد موف بالضمان ؟

(١) الهجان من الإبل : البيض الكرام .

(٢) كانت حليمة مرضعة النبي الكريم ﷺ فى السبي وابتتها الشيما (أخته من الرضاع) فلما تقدمتا إليه بسط لهما رداه ، ثم أعطاهما نعماً وشاء وغلاماً وجارية ، وقيل : إنه وهب السبي للثانية .

وهل بعد الرداء يُمدُّ برُّ
أجلَّكمَا ، وأجزل من عطاء
رسول الله كيف وجدتمَاه ؟
عليه صلاة ربكما جميعًا
وتكرمة لذى خطر وشان ؟
يُعين على تصاريف الزمان
وماذا بعد ذلك تبغيَان ؟
وبورك في الرضاع وفي اللبن

أبا صُردَ لنعم العمُّ يرجو
ظفرت ، وفاز بالنعمة زهير
ولم أر حين تلتمس الأيادي
وما مُلكَ الشام ومن يليه
لقد نالت هوازن ما تمننت
غيث الناس من قاص ودان (١)
وهل لكمَا سوى ما ترجوان ؟
كمثل القول يحس والبيان
كمن وافيتما تستعطفان
وآبت بالسلامة والأمان

(١) كان أبو صرد ويكنى بأبي بركان عم النبي ﷺ من الرضاع تقدم إليه مع ابنه زهير فشفعا للسي، وقال زهير : لو أرضعنا للحارث بن شمر ملك الشام . و للنعمان بن المنذر ملك العراق ثم نزل بنا مثل ما رأيت لرجونا عطفه .

عجوز عيينة بن حصن

أبى عيينة بن حصن أن يرد عجوزاً كانت عنده من سبى هوازن وقال : هذه أم الحى فلعلهم يفدونها بمال كثير . وكانت هذه العجوز أم زهير بن صرد ، فجاء زهير وعرض عليه أن يأخذها بمائة من الإبل ، فأبى طمعاً فى الزيادة ، فتركها وذهب ، ثم غاب عنه ، ومر عليه معرضاً ، فقال له عيينة : خذها بالمائة ، فقال : لا أدفع إلا خمسين فأبى ، ثم غاب عنه ومر معرضاً ، فقال : خذها بالخمسين ، فقال زهير : لا أدفع إلا خمسة وعشرين فأبى . وما زال ذلك دأبهما حتى قال زهير : لا آخذها إلا بست نياق ، والله ما ثديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا فوها ببارد ، ولا صاحبها عند فوتها بواجد ولا درها بناكد ؛ أى : غزير فرضى عيينة وقال : خذها ، لا بارك الله لك فيها (١) .

عُيْنَةُ أَمْسَكَتِ الْعَجُوزَ تَرِيدُهَا عَتَادًا يَفِيدُ الْيَسْرَ مَنْ كَانَ مَعْسَرًا
ضَنَنْتُ بِأَمِّ الْحَيِّ تَغْلَى فِدَاءَهَا فَيَالِكَ رَأْيًا غَيْرَهُ كَانَ أَجْدَرُ
تَسُومُ زَهِيرًا (٢) أَنْ يَزِيدَكَ ضَلَّةَ عَلَى مَائَةٍ ، لَوْ كَانَ غِرًّا لِأَكْثَرَا
رِمَاكَ بِهِ مَكْرًا خَفِيًّا فَلَمْ يَزَلْ يَضِيقُ عَلَيْكَ الْأَمْرَ حَتَّى تَعْذُرَا
لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ غَنَى لَكَ ، لَوْ كُنْتَ امْرَأً مَتَبَصِّرَا
يَظَلُّ يَرِيكَ الزَّهْدَ فِي شَيْخَةِ لَهُ يَرَاهَا مِنَ الدُّنْيَا أَجَلٌّ وَأَكْبَرَا
فَتَدْعُوهُ : أَتَقْبَلُ ، لَسْتُ فِيهَا بِرَاغِبٍ إِذَا بَلَغَ الْأَمْرَ الْفِدَاءَ الْمَيَسَّرَا
فِدَاهَا بِسِتْ لَوْ أَبَيْتَ لَسَقَتَهَا إِلَيْهِ بَلَا شَيْءٍ وَحَسْبُكَ مَا تَرَى
أَلَيْسَتْ كَمَا قَالَ ابْنُهَا مَا لَمْثَلَهَا عَلَى الضَّنِّ إِلَّا أَنْ تَمُوتَ فَتَقْبُرَا ؟
أَمَّا وَالَّذِي لَوْ شَاءَ لَمْ تَعْصِ أَمْرَهُ لَقَدْ جِئْتَ امْرَأً يَا عَيْنَةُ مِنْكَرَا (٣)

(١) الخبر بطوله أورده الواقدي فى المغازى ص ٩٥٢ - ٩٥٤ ، وبعضه عند ابن هشام :

٤ / ٤٩٠ ، والصالحى فى سبل الهدى : ٥ / ٥٧٤ .

(٢) هو زهير بن صرد ابنها .

(٣) النبى ﷺ ، فقد عصى أمره فى إمساك هذه العجوز .

فنفسك فاحملها على البر إنه لأربح مما تحمل لأرض متجرا
وما طمعُ الإنسان فيما يفوته إذا ما دعا الداعي ، فولى وأدبرا ؟

* * *

قِسْمَةُ الْغَنَائِمِ

بدأ النبي ﷺ بالذين أسلموا يوم الفتح تألفاً لهم ، وتثبيتاً للإيمان في قلوبهم ، فأعطاهم من هذه الغنائم ما أرضاهم - وهم المؤلفة قلوبهم ، ومنهم أبو سفيان أعطاه فأجزل ، وسأله أن يعطيه لابنيه يزيد ومعاوية ففعل ، ومنهم حكيم بن حزام أعطاه مائة من الإبل ، ثم سأله فزاده مائة ، ثم سأله ثلاثة فكذلك ، وقال له : « يا حكيم إن هذا المال خضر حلو ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى » ، فأخذ حكيم المائة الأولى وترك ما عداها ، وقال : يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا ، فكان أبو بكر يدعوه في خلافته ليأخذ من الفء فيأبى . وكذلك كان في خلافة عمر رضى الله عنهما ، ولم يأخذ الأنصار وكبار المهاجرين شيئاً من هذه الغنائم ، فقال رجل من المنافقين : هذه قسمة ما عدل فيها ، وما أريد بها وجه الله تعالى ، وأخبر النبي فغضب وقال : « إذا لم أعدل فمن يعدل ؟ رحم الله أخى موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصير » ، واستأذن خالد بن الوليد وعمر بن الخطاب أن يضربا عنق هذا المنافق فقال : « لا تفعل ، فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ، لا يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى » .

أرأيت حكمة سيد الكرماء ؟ وعرفت شيخ السادة الحكماء ؟
تلك السياسة حزمها ودهاؤها ناهيك من حزم وفطر دهاء
مرياً محمد واقض ، ما لك عائب فى كل أمر ترتضى وقضاء
ولربما خفى الصواب ، فأسفرت عنه وجوه الرأى بعد خفاء

بدأ النبيؐ بغير من كانوا له خير الصحابة عند كل بلاء
يرجو مودتهم ، ويبنى منهم للدين صرح أمانة ووفاء

أعطى أبا سفيان وابنيه فما
وحبا حكيماً ما أراد ثلاثة
وأصابها مائة له من نفعها
قال : ارعويت فلست أرزأ بعدها
يُدعى ليأخذ من أبى بكر ومن
أندى سجايا الواهب المعطاء
ونهى هواه ، فكل خير حباء
ما جلّ عن عدّ وعن إحصاء
أحدًا ، وآلى حلفه الأمناء
عمر فمما يزداد غير إباء

* * *

يا ويح للعباس يغلب حلمه
أبدى الشكاة ، فكان صنع محمد
قال : اقطعوا هذا اللسان بنفحة
أن كان دون مراتب الرؤساء (١)
صنع الطبيب ، يريد حسم الداء
عنى ، وتلك سجيّة العظماء

* * *

صفوان أسلمَ فانجلت غمراته
لما رأى الإسلام يسطع نوره
ومشى على الأثر الكريم يزينه
صفوان سرفى نور ربك ، إنه
وأفاق بعد غواية وغباء (٢)
كره الضلال ، وضاق بالظلماء
خلق الهداة ، ومظهر الخنفاء
يهديك فى سير وفى إسراء

* * *

يا زيد قم بالأمر ، واكتب واجتنب
خطأ الغواة ، وكبوة الجهلاء (٣)

(١) العباس بن مرداس ، أعطى النبي ﷺ الأقرع بن حابس مائة من الإبل ، وعيينة بن حصن مثلها ، ثم أعطى العباس دون ذلك . وكان مثلهما رئيساً على قومه فغضب وقال :

أتجعل نهى ونهب العبيد بين عينة والأقـرـع ؟
فما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس فى مجمع
وقد كنت فى الحرب ذا تدرو فلم أعط شيئاً ولم أمنع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال النبي ﷺ : « اقطعوا عن لسانه وأعطوه مثل صاحبيه » - العبيد اسم فرسه .

(٢) صفوان بن أمية .

(٣) زيد بن ثابت أمره النبي ﷺ وكان من أعظم كتابه أن يحصى الذين بقوا بعد المؤلفة قلوبهم ويوزع عليهم ما بقى من الغنائم .

أحص الرجال ، وآت كلاً حقه مما أفاء الله ذو الآلاء

ما أكرم الأنصار والصحب الألى
نزلوا على حكم النبى وسرهم
قوم رسا الإيمان ملء قلوبهم
لا تملك الدنيا عليهم أمرهم
ما ضر من يسخو بمهجة نفسه
نالوا بفضل الله عند رسوله
إن الثناء إلى الرجال يسوقه
لأجل من إبل تساق وشاء

خسر الذى آذى النبى بقوله
أثم المنافق ، إنها لكبيرة
صبراً رسول الله لست بأول
موسى أخوك أصيب من أعدائه
إن أنت لم تعدل فمن ذا يرتجى
نفر الحفاظ بخالد ورفيقه
لولاك إذ جاوزت أبعد غاية
قلت : اسكنا لا تقتلاه فإنه
يُغلون فى دين الإله ، فيخرجوا
لا يذكر الأقوام أن محمداً
ظلم الرجال ، ولجّ فى الإيذاء
وكذاك يائس ناطق العوراء
ما حيلة الحكماء فى السفهاء ؟
بأشد ما ترمى قوى الأعداء
للعادل تحت القبة الزرقاء ؟
والموت مُصغ ، والمهند راء
فى الحلم ، جاوز غاية الأحياء
سيكون رأس الشيعة النكراء
منه خروج السهم يوم رماء
يجزى الألى صحبوه شرّ جزاء

تلك النبوة يا محمد فاضطلع
أدب وعلم ، تلك مدرسة الهدى
منها بأعباء على أعباء
فُتحت ، وأنت مؤدّب العلماء

غزوة الطائف

خرج النبي ﷺ من حنين إلى الطائف فى ألف من أصحابه فى شوال سنة ثمان ، وبعث أولا : الطفيل بن عمرو إلى « ذى الكفين » - صنم عمرو ابن حممة الدوسى يهدمه ، وأمره أن يستمد قومه ، ويوافيه بالطائف . فخرج سريعا إلى قومه فهدم ذا الكفين ، وجعل يحث النار فى وجهه ويحرقه ، ويقول : يا ذا الكفين لست من عبادكا ميلادنا أقدم من ميلادكا إنى حثوث النار فى فؤادكا

وانحدر معه من قومه أربعمئة سراجا ، فوافوا النبي - ﷺ - بالطائف بعد مقدمه بأربعة أيام ، وقدم بدبابة ومنجنيق . جعل خالد بن الوليد فى مقدمتهم ، وكانت ثقيف دخلت حصنها ، فنزل الجيش قريبا من هذا الحصن ، واقترب خالد ينادى : هل من مبارز ؟ فلم يخرج إليه أحد وناداه رجل مهم يقال له : عبد ياليل ، إن لدينا طعاما يكفيننا سنين فهل أنت متظر حتى ينفذ فنخرج إليك بسيوفنا مقاتلين ؟ ثم أعملت ثقيف السهام فقتلت من المسلمين رجالا منهم عبد الله بن أمية المخزومى أخو أم سلمة رضى الله عنها ، وجرحت آخرين ، وأشار سلمان الفارسى بصنع دبابتين من الجلد دخل فيهما جماعة من المسلمين ومضوا إلى الحصن لينقبوا سوره ، ففطنت ثقيف لذلك ، وأرسلت عليهما قطعاً من الحديد المحمى بالنار فخرج من كان فيهما ، وصبت عليهم السهام فقتل منهم من قتل ، وأشار سلمان كذلك بصنع المنجنيق ورمى الحصن به ، وقيل : إنه هو الذى صنعه بيده يومئذ ، وبقي الحصن محاصراً ثمانية عشر يوماً ، ولم يرد الله أن تستأصل ثقيف ، فأخرجهم حتى جاؤوا طائعين مسلمين مع غيرهم من الوفود ، وكان جملة من قتل فى هذه الغزوة من المسلمين اثنى عشر رجلا .

ثقيف انظرى : أين قصد الطريق ؟ وكيف يلقى السجاة الغريق ؟ مشى البأس فى هوله المستطير له لهب ساطع كالخريق مشى ترجف الأرض من حوله فأين الفرار وهل من مطيق ؟

ويا عبد ليل لماذا النعيق ؟
فكان فريقك شر الفريق
يعاب العدوُّ به والصديق
ويَرْحَبُ بالقادرين المضيق
غداة التنادى كغير الخليق
رمّوا بالطلّى كل غضب ذليق (١)
وذلك منهم خبال وموق (٢)
يخافون كل سفوح دفوق
غداة الوغى ، والهيوب الفروق (٣)

ثقيف ادخلى الحصن لا تهلكى
دعا خالد يستفزُّ الرجال
وكنت عليهم شهيداً بما
يضيق على العاجزين الفضاء
وليس الخليق بحرّ الجسّاد
رموا بالسهم ، ولو أنصفوا
حراس على الأنفس الهالكات
ضعاف القلوب ، قعود جمود
وما يستوى الهبرزى الجسور

تذوق الحصون به ما تذوق
فيالك من فارسى لبيق
بموت حبيس وبأس طليق
وعلمتهم صنعة المنجنيق
يشيعها من مكان سحيق

رأوا عجباً من عتاد الحروب
رماهم فتاها بدبابتين
رميت الألى حبس الفاتحون
وزدت ، فقلت : اضربوا الكافرين
تظل الحجارة مقذوفة

مننا عليه بعهد وثيق (٤)
فكلُّ مخلّى ، وكل عتيق
رعاة العهود ، حماة الحقوق

ونودوا : إلينا فمن جاءنا
فأقبل منهم بغاة الأمان
لهم منزل الضيف فى المسلمين

(١) الطلى : الأعناق .

(٢) الموق : الحمق فى غباوة .

(٣) الهبرزى : الأسد ، الفروق : الشديد الفزع .

(٤) نادى منادى الرسول الكريم ﷺ : أيما رجل خرج إلينا من الحصن فهو حر . فخرج منهم رجال فأعتقهم ، ودفع كل واحد منهم إلى رجل من المسلمين يمونه .

عيينة ما قلت للمشركين ؟ وهل يقتنى الحمد إلا الصدوق ؟
 كذبت النبيّ فقلت المحال وجئت من الأمر ما لا يليق
 وأزلفتها توبة تبتغى بها الخير ، والخير نعم الرفيق
 تبين عيينة عقبى الأمور لعلك تعقل أو تستفيق (١)
 سيأتى بهم ربهم مسلمين فما من ضلال ، ولا من فسوق
 ولو شاء لاجتثهم أجمعين فبادت أصول ، وجفت عروق

* * *

يقول الفوارس : كيف الرحيل وما شرقت بالدماء الحلق ؟ (٢)
 رويدًا رويدًا جنود النبي فقد ينفع الناس ما لا يروق
 ولله ما شاء فيما يسوق من الحادثات ، وفيما يعوق

* * *

(١) عيينة بن حصن ، استأذن النبي ﷺ أن يأتيهم فى حصنهم ليدعوهم إلى الإسلام فأذن له ، وذهب فأوصاهم بالصبر والثبات ، ثم عاده فسأله النبي ﷺ : «ماذا قلت ؟» قال : دعوتهم إلى الإسلام وأمرتهم به ، وحذرتهم النار ودللتهم على الجنة . قال : «كذبت ، إنما قلت كذا وكذا» قال : صدقت يا رسول الله ، وإنى أتوب إليك .

(٢) لم يؤذن لرسول الله - ﷺ - فى فتح الطائف ، واستشار نوفل بن معاوية الديلى ، فقال : ما ترى ؟ فقال ثعلب فى حجر ، إن أقمت عليه أخذته ، وإن تركته لم يضرك . فأمر رسول الله - ﷺ - عمر بن الخطاب . فأذن فى الناس بالرحيل . فضج الناس من ذلك وقالوا : نرحل ولم يفتح علينا الطائف ؟ فقال رسول الله - ﷺ - « فآغدوا على القتال » فآغدوا ، فأصاب المسلمين جراحات ، فقال رسول الله - ﷺ - « إنا قافلون غدا إن شاء الله » فسروا بذلك وأذعنوا ، وجعلوا يرحلون ، ورسول الله - ﷺ - يضحك . فلما ارتحلوا ، واستقلوا ، قال : آيون ، تائبون ، عابدون لربنا حامدون . وقيل يا رسول الله ادع الله على ثقيف . فقال اللهم اهد ثقيفا وائت بهم ثم خرج رسول الله - ﷺ - إلى الجعرانة ثم دخل محرما بعمره ففضى عمرته ثم رجع إلى المدينة .

عين أبي سفيان

أصابت عين أبي سفيان رضي الله عنه بسهم في هذه الغزوة ، فأتى النبي ﷺ وعينه في يده ، وقال : يا رسول الله هذه عيني أصابت في سبيل الله ، فقال : « إن شئت دعوت فردت عليك ، وإن شئت فعين في الجنة » ، قال : في الجنة ورمي بها من يده ، وأصابت عينه الثانية يوم اليرموك في قتال الروم .

هنيئاً أبا سفيان لا الذخر هين ولا الزجر ممنون ولا أنت مغبون^(١)
هو الغنم لم يقدر لغير موفق له مشهد في حومة الحرب ميمون
حملت أبا سفيان عينك في يد بها الخير في كل المواطن مقرون
وجئت رسول الله لا الوجه شاحب ولا العطف مزور ، ولا القلب محزون
تقول له .. عيني التي أنت ناظر مضت في سبيل ، والحافز الدين
فقال : إذا أحببت فالرد ممكن بقدرة رب أمره الكاف والنون
وإلا فأخري عنده إن لقيته وذلك وعد عند ربك مضمون
فأثرت هذى ، ثم ألقيت بالتي حملت ، وما في الحق أن يؤثر الدون
ستبعها في وقعة الروم أختها إذا حان منها بعد ذلكم الحين
فخير على خير ، ونعمى تزيدها من الله نعمى ، سرها عنك مكنون
هنيئاً أبا سفيان لا الرمح آسف ولا السيف مكروب ، ولا العزم موهون
عطاؤك في الهيجاء لم يعط مثله من الناس إلا صادق البأس مأمون

* * *

(١) المنون : المقطوع .

سِراقَةُ بَنِّ مَالِك

عند انحذار النبي ﷺ إلى الجعرانة لقيه سراقه بن مالك وهو واضع الكتاب الذي كتب له عند الهجرة بين أصبعيه ، ورافع صوته بقوله : أنا سراقه وهذا كتابي ، فقال الرسول الكريم : « هذا يوم وفاء ومودة ، أدنوه مني » ، ففعلوا وأسلم رضى الله عنه .

أرفع كتابك يا سرا	قفة إنه علم النجاة
هو جنة لك من سيو	ف الضاربين ضلى الكماة
عهد النبي فأى ذخ	مر مثله للحادثات (١)
أسدى الجميل ومَن يَأ	خذ نفسه بالمكرمات
ويقيم أعلام الهدى	للتابعين من الهداة
لو شاء قتلك يا سرا	قفة لم تذوق طعم الحياة
إذ جئت تطلب قتله	وتطيع فيه هوى الغواة
أرأيت حلم محمد	وعرفتَه جم الأناة ؟
أدرك بدين الله نفـ	سك ، واستقم قبل الفوات
دين المفاسد والمآ	ثر والخلال الصالحات
دين الغطارفة الأما	جد ، والجهابذة الثقات
دين الرشاد بأسره	والخسائر من ماض وآت
الله ربُّ المعـ	ين ، فما اتبع الترهات ؟

(١) هذا هو العهد الذى أعطاه الرسول الكريم ﷺ إلى سراقه بن مالك لما اعتذر إليه من إرادة قتله ، وقال له : يا محمد إنى لأعلم أنه سيظهر أمرك فى العالم وتملك رقاب الناس ، فعاهدنى على أن تكرمنى إذا جئتك يوم ملكك ، وهو الذى أشار إليه الشاعر فى الجزء الأول من هذا الكتاب بقوله :

فزت (بالعبد) فاغتنمه وأبشر بسوارى كسرى فديت البشيرا

إن كنت ذا عقل فحسب بك نظرة فى الكائنات
 تلك المعالم واضحة والشواهد بيّنة
 دع ما مضى لك يا سرا قة من جنيات العصاة
 أيام تضرب فى الغوا ية بالعشى والغداة
 أنت اتقيت الله رب ك ، فاعتنم عقبى التقاة (١)

(١) التقاة : اسم من التقوى .

غزوة تبوك

كانت في شهر رجب من السنة التاسعة ، بلغ النبي ﷺ أن الروم جمعوا جموعاً كثيرة بالشام ^(١) ، وأن طلائعهم بلغت اللقاء فاستنفر المسلمين للقائهم ، وأوصى بالتعاون على تيسير أسباب هذه الغزوة البعيدة الشقة ^(٢) وسد حاجاتها ، فجهز عثمان بن عفان عشرة آلاف رجل ، أنفق عليهم عشرة آلاف من الدنانير . غير الإبل والخيول والزاد ، وجاء إلى النبي ﷺ بألف دينار صبها في حجره ، وجاء أبو بكر بجميع ماله ، وهو أربعة آلاف درهم ، فقال له النبي ﷺ : « هل أبقيت لأهلك شيئاً ؟ » قال : أبقيت لهم الله ورسوله ، وجاء عمر بنصف ماله ، وعبد الرحمن بن عوف بمائة أوقية ، والعباس وطلحة بمال كثير ، وعاصم بن عدى بسبعين وسقاً من التمر . وعلمت النساء فقدمت إلى النبي ﷺ ما استطاعت تقديمه من الحلوى في إيمان قوى ، وحمامة بالغة ، واستخلف على المدينة محمد بن مسلمة ، وتخلف المنافقون ومعهم عبد الله بن أبي ابن سلول فلم يخرجوا مع الجيش ^(٣) ، وكان عدده ثلاثين ألف رجل - وقيل أكثر ^(٤) - وعقد النبي ﷺ الألوية

(١) جهزت الروم معها : لحم وجذام وعاملة وغسان .

(٢) جاء في السيرة أن المسافة بين المدينة وتبوك أربع عشرة مرحلة .

(٣) وجاء البكاؤون وهم سبعة يستحملون رسول الله - ﷺ - فقالوا : لا أجد ما أحملكم عليه ، فقتلوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون وهم : سالم بن عمير ، وعلبة بن زيد وأبو ليلى المازنى ، وعمرو بن عتبة ، وسلمة بن صخر ، والعرباض بن سارية . وفي رواية : عبد الله بن مغفل ، ومعقل بن يسار . وفي رواية : البكاؤون بنو مقرن السبعة ، وهم من مزينة . وابن إسحاق يعد فيهم : عمرو بن الحمام ابن الجموح .

(٤) خلف في المدينة « على بن أبي طالب » على أهله ، فأرجف به المنافقون ، وقالوا : ما خلفه إلا استقلاً وتخففاً منه . فأخذ سلاحه ، ولحق بالرسول - ﷺ - وأبلغه ما قيل . فقال له : « كذبوا ، ولكنى خلفتك لما تركت ورائى ، فارجع فاخلفنى فى أهلى وأهلك ، أفلا ترضى أن تكون منى بمزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لا بنى بعدى » [البخارى - المغازى - غزوة تبوك ، ح : ٣٧٠٦ و ٤٤١٦ ، ومسلم ؛ ح : ٢٤٠٢] .

والرايات . فدفع لواءه الأعظم إلى أبي بكر ، ورايته العظمى إلى الزبير ، وجعل راية الأوس لأسيد بن حضير ، وراية الخزرج للحباب بن المنذر ، وبلغ الجيش تبوك فعسكر فيها انتظاراً للقاء العدو ، فلم تبد له بادية ، وبعد بضع عشرة ليلة استشار النبي ﷺ عمر بن الخطاب هل يمضى بالجيش لمهاجمة جموع الروم ؟ أم يدعهم إلى ميقاتهم فأشار عمر بهذه ، وكانت غزوة تبوك آخر غزواته ، صلوات الله عليه . وأقام بها عشرين ليلة يصلى بها ركعتين .

لمن تجمع الروم أبطالها ؟	وتحمل للحرب أثقالها ؟
ألجأ عليلين نفوس العباد	ودائع يقضون آجالها ؟
إذا استعجلوها ببيض الطبى	فلن يملك القوم إمهالها
جنود تُقدّم أرواحها	وتبذل فى الله أموالها
لئن جاوزت غاية العاملين ،	لقد بارك الله أعمالها
ومن مثل عثمان يرمى النفوس	إذا آدها الأمر أو عالها ؟ (١)
كثير النوال ، رحيب المجال	إذا رام منزلة نالها
أبا بكر اخترت أبقى الثراء	وجنبت نفسك بلبالها
تمنيته نعمة سمحة	فألبسك الله سربالها
وإن لصحبك فى الباذلين	مناقب ندمن إجلالها (٢)

* * *

ألح النساء علي حليهن	وأقبلن فى ضجة يالها
نبي الهدى أتلم الحقوق	فنأبى ، ونؤثر إهمالها ؟
وتذهب منا ذوات الحجال	تجرجر فى الحى أذيالها ؟
لقد طاف طائفها بالفتاة	فأرقها ما عنا آلهها
فما أمسك البخل دملوجها	ولا ملك الحرص خلخالها

(١) آده الأمر : بلغ منه المجهود . وعاله : غلبه وثقل عليه .

(٢) أدمن الرجل الشيء أدامه .

مشى الجحفل الضخم فى جحفل يحب الحروب وأهوالها
وخاف من الحر أهل النفاق فقالوا : البيوت وأطلالها (١)
وأهلكهم شيخ أمياخهم بشنعاء يائم من قالها (٢)

* * *

بنى الأصفر استبقوا للوغى واخلوا النفوس وآمالها (٣)
وقفت من الرعب ، ما تقدمون وما هاجت الحرب أغوالها
فكيف بكم بين أنيابها إذا جمع الله آكالها ؟
رأى عمر رأيه فى الرحيل فلا تكثر الروم أوجالها
لهم دون مهلكهم مدة من الدهر ، يقضون أحوالها
تبوك اشهدى نزوات الذئاب وحى الأسود وأشبالها
أما ينبغى لك أن تعرفى شيوخ الحروب وأطفالها ؟

* * *

هى الملة الحق ، لن تستكين ولن يدع السيف أقتالها (٤)
رأت ملة الكفر تغزو النفوس فجاءت تمزق أوصالها
لها من ذويها حماة شداد يبيدون من رام إذلالها
فلن يعرف الناس أمثالهم ولن يشهد اندهر أمثالها
ولن تستبين سبيل الهدى إذا اتبع الناس ضلالها

(١) قال بعضهم لبعض : لا تنفروا فى الحر وكان الحر شديداً عند الخروج إلى هذه الغزوة
فنزلت الآية الكريمة ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾

[التوبة: ٨١] أى نؤثر أو نلزم البيوت وأطلالها على حذف الفعل

(٢) هو عبد الله بن أبى ابن سلول قال : يعزو محمد بنى الأصفر على جهد الحال ، والحر
والبلد البعيد إلى ما لا طاقة له به ، يحسب أن قتالهم معه اللعب والله لكأنى أنظر إلى
أصحابه مقرنين فى الحبال .

(٣) قيل للروم : بنى الأصفر ! لأنهم ولد روم بن العيص بن إسحاق نبى الله عليه السلام ،
وكان يسمى الأصفر لصفرة به .

(٤) أقتالها : جمع قتل ، وهو العدو والمقاتل .

فمن كان يحزنه أن تبید قوى الشرك ، فليبك أطلالها
لأهل المفصل من آیه موارد يُسقون سلسالها
تردُّ القلوب إلى ربها وتفتح للنور أقفالها

* * *

فى دار سويلم اليهودى

اجتمع قوم من المنافقين ^(١) فى دار سويلم اليهودى يقولون كما قال عبد الله بن أبى ابن سلول ، وعلم النبى ﷺ بأمرهم فأرسل إليهم عمار بن ياسر وقال : « أدرك القوم فقد احترقوا » فجاءهم فأنكروا ، وجاؤوا إليه ﷺ فأخبرهم بما قالوا ، فجعلوا يعتذرون ويقولون : كنا نخوض ونلعب ، فأنزل الله تعالى ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ الآية [التوبة: ٦٥] .

سويلم ما قولُ بيتك يُفتَرى
ألا ابن أبى رأيه ، ما وراءه
حقود رمى بالشؤم كل منافق
أحسن رسول الله ما كان منهم
فقال لعمار أرى القوم أوقدوا
ألا قم فأدركهم ولما يصيبهم
فلما أتاهم أنكروا ، ثم أقبلوا

بالسنة تبغى الفساد فتكذب ؟
لذى نهية رأى ، ولا عنه مذهب ^(٢) ؟
فيالك من شر على الناس يُجلب
وجاء يريد الله بالحق يدأب
لأنفسهم ناراً بعينى تلهب
عذاب غليظ ما لهم منه مهرب
بأقوال فجَّار عن الحق ترغب

(١) منهم : ودیعة بن ثابت أخو بنى عمرو بن عوف ، ومنهم رجل من أشجع حليف لبنى سلمه يقال له : مخشى بن حمير . قال بعضهم لبعض : اتحسبون جلاد بن الأصفر كقتال العرب بعضهم بعض ؟ والله لكأنا بكم غدا مقرنين فى الجبال ، إرجافا وترهيبا للمؤمنين فقال مخشى بن عمير : والله لوددت أنى أقاضى على أن يضرب كل منا مائة جلدة . وأنا نفلت أن ينزل فىنا قرآن لمثالتكم هذه . وقال رسول الله ﷺ - لعمار بن ياسر : « أدرك القوم . فإنهم قد احترقوا . فسلهم عما قالوا . فإن أنكروا ، فقل بل قاتم كذا وكذا » . فانطلق إليهم عمار . فقال لهم ذلك . فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون فقال « ودیعة بن ثابت » كنا نخوض ونلعب . فأنزل الله فيهم الآية ٦٥ من سورة التوبة قال مخشى بن حمير : يا رسول الله !؟ أقعد بى أسمى واسم أبى ، فكان الذى عفى عنه فى هذه الآية ، وتسمى عبد الرحمن . وسأل الله أن يقتل شهيدا ، لا يعلم بمكانه ، فقتل يوم اليمامة ، فلم يوجد له أثر .

(٢) النهية : العقل .

فقال رسول الله بل قلت الذي علمت ، وما يخفى على المغيب
فقالوا على غيظ النفوس وحقدها ألا إنما كنّا نخوض ونلعب
وعادوا خزيًا نادمين ، وإنهم إلى الشرِّ إلا أن يتوبوا لأقرب

* * *

الجدّ بن قيس

ندبه الرسول الكريم للخروج في هذه الغزوة فاستأذنه في التخلف وقال له :
لا تفتنى (١) فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل أشدّ عجباً بالنساء مني ، وإنني
لأخشى أن لا أصبر إذا رأيت نساء بني الأصفر ، فأعرض عنه النبي ﷺ ، فأقبل
عليه ابنه يقول له : والله ما أحرك سوى النفاق .

خَفِ الله يا جدّ بن قيس ولا تُطع
كذبت رسول الله تضرمر غير ما
تقول له : ائذن لي ولا تبغ فتنتي
وإن نساء الروم يغلبنني على
فأعرض عنه غير راض وساءه
وجاء ابنه يُصليه نار الملامة

هواك ودعها خطة هي ما هي
تقول : وما تخفى على الله خافيه
فإنني امرءٌ أعطى النساء عنانيه
عفا في ، فدعني ، ما لهن وماليه
فُجور امرئٍ يبدي الفجور علانيه
فيالك من نار على المرء حاميّه

لك الويل يا جدّ بن قيس فإن تتب
وقيت ، وإن تفسق فمالك واقيه

(١) ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي اَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾ [التوبة: ٤٩] .

البكاؤون

هم سبعة من الفقهاء جاؤوا إلى النبي ﷺ يسألونه أن يحملهم إلى تبوك فقال لهم : « لا أجد ما أحملكم عليه » ، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً . . ورق لهم قوم من كرام الصحابة فحملوهم (١) .

أبوا أن يقعدوا والجيش يُزجى فيوشك أن يكون له انطلاق
وليس لهم سوى القرآن يُتلى فلا خيل ولا إبل تساق
فلاذوا بالنبيّ وناشدوه ليحملهم ، فضاق بهم وضاقوا
تولّوا تستهلّ على لحاهم دموع ملء أعينهم تراق
أتعوزهم لدى الزحف المطايا ويسبقهم إلى الله الرفاق ؟
فرقّ لهم من الغازين قوم رموا منهم بخطب لا يطاق
وجاؤوا بالرواحل فاستراحوا من الهمّ المبرح واستفاقوا
أمن يهديه إيمان وتقوى كمن يريده غش أو نفاق ؟

(١) هم [سالم بن عمير - علبة بن زيد - أبو ليلي المازني - عمرو بن عتبة - سلمة بن صخر - العرياض بن سارية] .

(*) وفي رواية : [عبدالله بن مغفل - معقل بن يسار] .

(*) وفي رواية : البكاؤون : بنو مقرن السبعة وهم من « مزينة » .

(*) وابن اسحاق يعد فيهم : عمرو بن الحمام بن الجموح .

أبو خيثمة

كان ممن تخلف عن النبي ﷺ فدخل يوماً على زوجته فوجدهما قد رستا العريش بالماء ، وهياتا طعاماً وماء بارداً ، وكان يوماً شديد الحر ، فقال : أياكون رسول الله ﷺ في الحر وأبو خيثمة في ظل بارد ، وماء مهياً ، وامرأتين ناعمتين؟؟ والله لا كان هذا ، ثم أخذ سيفه ورمحه ولحق بالنبي ﷺ في تبوك^(١) .

لك الله أقبل أبا خيثمة فلله صنعك ما أكرمه
قعدت ، فلما كرهت القعود نفرت حثيثاً إلى الملحمه
دخلت العريش على نعجتك فسبحان ربك ما أعظمه
نعيم يروق ، وظل يشوق وعيش يسرك أن تغنمه
فذكرك الله حرّاً الجهاد وألهم قلبك ما ألهمه
فقلت : أيمضى الرسول الكريم يكابد في الله ما جشمه
وأبقى هنا في هوى نعجتي وحب العريش كذى الملامه ؟
وسرت فأدركته في تبوك وللجيش من حوله هممه
يقولون : من ذا ؟ وما خطبه ألا إنه أبو خيثمه
ألم يك في المعشر القاعدين ؟ فماذا عراه ؟ وما أقدمه ؟
هو الله يهدي نفوس الرجال ويرزقها البرّ والمرحمه

(١) خرج أبو خيثمة في طلب الرسول - ﷺ - حتى أدركه حين نزل تبوك وقد كان أدرك أبا خيثمة : عمير بن وهب الجمحي في الطريق يطلب الرسول - ﷺ - فترافقا حتى إذا دنا من تبوك ، قال أبو خيثمة لعمير بن وهب : إن لى ذنبا ، فلا عليك أن تتخلف عني حتى أتى رسول الله - ﷺ - ففعل حتى إذا دنا من رسول الله - ﷺ - وهو نازل بتبوك ، قال الناس : هذا راكب على الطريق مقبل ، فقال رسول الله - ﷺ - كن أبا خيثمة . قالوا : يا رسول الله هو أبو خيثمة . فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله - ﷺ - فقال له : « أولى لك يا أبا خيثمة » فأخبر رسول الله خبره ، فقال له : خيرا ودعا له .

[مسلم ؛ ح : ٢٧٦٩ من حديث كعب بن مالك ، وابن قيم الجوزيه - فقه السيرة ص

أبو ذر الغفاري رضي الله عنه

تخلف به بغيره عن الجيش لما أصابه من الإعياء ، فأخذ متاعه وحمله على ظهره ، ثم سار حتى أدرك النبي ﷺ ، ورآه بعض الصحابة مقبلاً فقالوا : يا رسول الله ، هذا أبو ذر قد جاء ، فقال : « رحم الله أبا ذر ، يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده » ، فكان كما قال ، فقد مات رضي الله عنه بالربذة حين أخرجه عثمان بن عفان في خلافته إليها بعد أن كان في الشام لشكاية من معاوية ، ولم يكن معه فيها إلا امرأته وغلّامه ، فقال لهما عند موته : غسلاني وكفناني ، ثم اجعلاني على قارعة الطريق ، وقولا لأول من يمر بي : هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على دفنه ، ففعلوا ذلك ، وأقبل عبد الله بن مسعود في رهط من أهل العراق ، فوجدوا الجنازة على الطريق قد كادت الإبل تطؤها ، فقام إليهم الغلام وقال لهم ما أراد أبو ذر أن يقول ، فبكى ابن مسعود ونزل هو وأصحابه فواروه ، ومن قول الرسول الكريم ﷺ فيه : « ما أظلت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء من ذى لهجة أصدق من أبي ذر » وكان من الأقدمين في الإسلام .

لو أن الذرَّ يلمسه لهدّه (١)
فأوهن عظمه ، وأذاب جلده
عليه ، ولم يدعك الضعف عنده
ورضت الأمر إذ أبصرت جدّه
وأصدق همة ، وأشدَّ نجده
بلغت رسوله ولقيت جنده
أخ في الله ، يخشى الله جهده
بصاحبنا الذي ما خان عهده
ليمشى وحده ، ويموت وحده
وسبحان الذي يختار عبده

أبا ذر رحلت على بغير
براه السير حالا بعد حال
عمدت إلى متاعك ، لم تدعه
شدت قواك إذ وهنت قواه
وسرت ، فكنت أصلب منه عزماً
مشيت تريد وجه الله حتى
رأوك تؤمُّهم فرداً ، فقالوا
وقال : أتى أبو ذر فأهلاً
ألا إن الذي يسعى إلينا
ويبعث وحده من بعد هذا

طلحة بن عبيد الله

كان طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه في هذه الغزوة مع المسلمين ، فنحر لهم جزوراً وأطعمهم منها ، وكانوا في حالة شديدة من الجوع ، فقال له النبي : « أنت طلحة الفياض » وسماه يوم أحد « طلحة الخير » ، ويوم حنين « طلحة الجود » ، وذلك لكثرة إنفاقه على العسكر .

صرت تدعى بطلحة الفياض	طلحة الخير ، طلحة الجود ، أبشر
في مجال السخاء بعد انتهاء	نفحة بعد نفحة ، وانتهاء
رى ، وهذى تبوك ملأى الوفاض	في حنين يد ، وفي أحد أخذ
ش ، وتشفيه من أذى وارغاض	من جزور نحرتها تطعم الجيد
وهو مستحصد العزيمة راض	ذاق من شدة الطوى ما كفاه
فما هم مرة باعتراض	حزبته الأمور في طاعة الله
ء ، وخير الأمور ما هو قاض	عالم أن أفضل المقادير ما شا
برق مبارك الإيمان	لك في المسلمين يا ابن عبيد الله
ح ، وتجري الصلات ملء الحياض	تستهل الصنائع الغر إن لا
في مروءته غناء المواضى	هكذا المؤمن الموفق يغنى
حق سمح اليدين قبل التقاضى	يدفع الحادث الجليل ، ويقضى الـ

قدوم يحنة بن رؤبة صاحب أيلة

ومعه أهل أذرح وجرباء ومقنا

قدم على النبي ﷺ يحنة بن رؤبة صاحب أيلة ومعه أهل أذرح وجرباء ومقنا من قرى الشام فعرض عليهم الإسلام فأبوا ، وصالحوه على الجزية . فكتب لهم العهود بذلك ، وكان مع يحنة بغلة بيضاء أهداها إليه صلوات الله وسلامه عليه ، فكساه برداً من ثيابه الشريفة .

يحنة إن تؤمن فخير ، وإن تُرد
أتى بك من أكناف أيلة ما أتى
دُعيت إلى الإسلام ، فاخترت جزية
ولو كنت ممن يبتغي جانب الهدى
وما رغب المأمون فيها هدية
أتيت بقوم لو رأوا منك ناصحاً
أتأبون دين الحق يا آل أذرح
ألا فاشهدوا يا آل مقنا وأيقنوا
خذوا من عهود الذل ما الله ضارب
وأدوا إليه المال ، لا تبخلوا به
وسيروا بأهلكم على الخطة التي

سوى الحق ، فاعلم أن رأيك عازب
وليس لمن يمت في الناس غالب
تنال بها الأمن الذي أنت طالب
هُديت ، ولكن المزلّ خائب
كسأك بها البرد الذي أنت صاحب
لما عاب منهم خطة الجد لاعب
وجرباء حتى يجلب الخيل جالب ؟
بأن سوف تنهى الجاهلين العواقب
عليكم ، وما الداعي إلى الله كاتب
ولا تغدروا ، فالأس يقظان دائب
رضيتم لهم ، إن الطريق للاحب

أخا البغلة البيضاء ليتك كتتها
أنعطى من العز البهيمة رزقها
يُحَنَّة هذا ما قضى الله فاعتبر

لعلك تدري كيف تعلو المراتب
ويحرم منه المرء ؟ تلك العجائب
وكيف اعتبار المرء ، والعقل ذاهب ؟

خالد بن الوليد والأكيدر

أرسل النبي ﷺ خالد بن الوليد من تبوك إلى دومة الجندل لغزو الأكيدر بن عبد الملك الكندي ، فقتل أخاه واستنزلته هو من حصنه ، ثم جاء به إلى النبي ﷺ فأسلم ، وكتب له ولأهل دومة الجندل كتاب دعوا فيه إلى الإسلام فمن أبى فعلية ما على المشركين ، ولما قبض الرسول الكريم ﷺ ارتد الأكيدر فبعث إليه أبو بكر خالد بن الوليد فقتله .

أخالد إنك ذو نجدة
إلى معشر كفروا بالكتاب
دعاك الرسول فأنت الرسول
أمامك حصن طويل الذرى
ومر بالأكيدر يقذف به
قتلت أخاه وألقى إليك
وجئت به سيد الفاتحين
هداه إلى الله بعد الضلال
وأعطاه من عهده موثلاً
فصبراً أكيدر إن الزمان
ستنقض عهدك دأب الشقى
فيرميك ربك يا بن الوليد
بصاعقة من يذوقها يقل
أتفعل ويحك ما لو عقلت
أكيدر ليس لنفسٍ وقاء

فهياً إلى دومة الجندل
وحادوا عن المذهب الأمثل
وليس له عنك من معدل
فخذ به صمصامك الأطول
إليك على كبره من عل
جناح الذليل فلم يُقتل
فأوغل فى قلبه المقفل
وبعد العمى ، لم يكذب ينجلي
يقيه ، فيالك من موئل
سيكشف عن غدك المقبل
وتجمع فى غيبك الأول
ويشفيك من دائك المعضل
كأن الصواعق لم ترسل
لأعرضت عنه ولم تفعل ؟
إذا ما ابتلى الله من يبتلى

خطبة رسول الله ﷺ (١)

عند منصرفه من تبوك

خطب الرسول فكل سمع منصت فى الخافقين ، وكل قلب خاشع
قل يا محمد كل شئء مطرق يرجو المزيد ، وكل شئء سامع
قل ما يعلمك الذى هو عالم أن النفوس إلى الفساد نوازع

(١) الخطبة : حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخير الملل ملة إبراهيم ، وخير السنن سنة محمد ، وأشرف الحديث ذكر الله ، وأحسن القصص هذا القرآن ، وخير الأمور عوازمها ، وشر الأمور محدثاتها ، وأشرف الموت قتل الشهداء ، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى ، وخير الأعمال ما نفع ، وخير الهدى ما اتبع ، وشر العمى عمى القلب . واليد العليا خير من اليد السفلى . وما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى . وشعر المعذرة حين يحضر الموت . وشر الندامة يوم القيامة ومن الناس من لا يأتى الجمعة إلا دبرا ، ومنهم من لا يذكر الله إلا هجرا . ومن أعظم الخطايا اللسان الكذاب . وخير الغنى غنى النفس . وخير الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله - عزّ وجل - وخير ما قر فى القلوب اليقين ، والإرتياب من الكفر ، والنيابة من عمل الجاهلية ، والغلول من جثا جهنم . والسكر كى من النار ، والشعر من إبليس . والخمر جماع الإثم . وشر المأكّل مال اليتيم . والسعيد من وعظ بغيره ، والشقى من شقى فى بطن أمه ، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع . والأمر إلى الآخرة . وملاك العمل خواتمه ، وشر الروايا روايا الكذب . وكل ماهو آت قريب . وسباب المؤمن فسوق . وقتاله كفر ، وأكل لحمة من معصية الله . وحرمة ماله كحرمة دمه ، ومن يتأل على الله يكذبه . ومن يغفر يغفر له . ومن يعف الله عنه ، ومن يكظم الغيظ يأجره الله ، ومن يصبر على الرذية يعوضه الله ، ومن يتبع السمعة يسمع الله به . ومن يتصبر بضعف الله له ، ومن يعصى الله يعذبه الله . ثم استغفر ثلاثا .

[أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة : ٢٤١/٥ . وقال ابن كثير : هذا حديث غريب وفيه نكارة وفى إسناده ضعف] .

أدبُ بدين الله قومك إنه
 هذا تراث العالمين بأسرهم
 فلكل عصر منه ورد سائغ
 قل للذي ترك السبيل ، ألا استقم
 فإذا غويت فكل شيء ضائر
 الله أنزل في المفصل حكمه

دين لأشتات الفضائل جامع
 يجرى عليهم نفعه المتتابع
 ولكل جيل منه كنز رائع
 وعن العماية فليزَعك الوازع
 وإذا اهتديت فكل شيء نافع
 والحق يعرفه التقى الطائع

* * *

فى العقبة بَيْنَ تبوك والمدينة

خلا جماعة من المنافقين بأنفسهم وعدتهم اثنا عشر رجلا لما آذن النبى ﷺ بالرجوع من تبوك فقالوا : إذا عدل محمد عن بطن الوادى إلى العقبة وأبى إلا أن يسلكها وحده تبعناه فزحمناه فيها ، ودفعنا به عن راحلته - يريدون إيذاءه - فنبأه الله بذلك ، فلما بلغ العقبة أشار على المسلمين بسلوك بطن الوادى^(١) ، وسلكها هو بعد أن جعل زمام ناقته فى يد عمار بن ياسر وأمر حذيفة بن اليمان أن يسير خلفها ، فتسلل المنافقون خلفه ملثمين تحت جنح الظلام لإمضاء ما أجمعوا عليه^(٢).

يقول دعاة الشر ليت محمداً	إذا نحن عدنا يسلك الجانب الوعرا
إذن لدفعناه إلى الجانب الذي	تنكب ، نؤذيه ونُرهبه عسرا
ونبأه مولاه فإزداد قوة	على قوة ، واختار ما يجمع الشرا
فلما دنا من يشرب قال قائل	أطيعوا رسول الله وامثلوا الأمرا
على السهل فامضوا ، واركوا الحزن إنه	سيسلكه فرداً يريد بكم يسرا
وقال : تقدم ناقتى يا ابن ياسر	وسر خلفها يا ابن اليمان فما أحرى
وسار فجاء القوم يعدون خلفه	وقد نشر الإظلام من حولهم سترا
ونكر كل وجهه بلثامه	وما نكروا إلا الخيانة والغدرا
رموا ناقة الهادى بأشخاص جنة	تخوض إليها الليل فاتفضت ذعرا

(١) قال لهم : « من شاء منكم أن يأخذ ببطن الوادى ، فإنه أوسع لكم . وأخذ رسول الله - ﷺ - العقبة . وأخذ الناس ببطن الوادى إلا النفر الذين هموا بالمكر برسول الله .

(٢) بينما هم يسرون إذا سمعوا وكزة القوم من ورائهم قد غشوه . فغضب رسول الله - ﷺ - وأمر حذيفة أن يردهم . وأبصر حذيفة غضب رسول الله - ﷺ - فرجع ومعه محجن ، واستقبل وجوه رواحلهم ؛ فضربها ضرباً بالمحجن . وأبصر القوم وهم مثلثون ولا يشعر إلا أن ذلك فعل المسافر . فأرعبهم الله سبحانه حين أبصروا حذيفة . وظنوا أن مكرهم قد ظهر عليه ، فأسرعوا حتى خالطوا الناس .

- وأمرسى رسول الله يهوى متاعه
وقال : انطلق يا ابن اليمان فردهم
فكرّ عليهم كرة الليث ضارباً
إليكم إليكم شيعه الكفر إنكم
تولّوا سراعاً ، لم يصيوا شفاءهم
وجاء أسيّد لا يرى غير قتلهم
أأقتل قومًا ظاهرزنى وحاربوا
وجاؤوا على خوف يقولون ، ما بنا
وضجّوا بأيمان هي النار أوقدت
كفاهم عقاب الله ، والدعوة التي
- على الأرض ، إلا ما تماسك فاستدري (١)
ويا صاحبي لا تبتش والزم الصبرا (٢)
وجوه مطاياهم ، ولم يألهم زأراً
لأعداء رب الناس ، أعظم به كفراً
ولم يطفثوا من حقدهم ذلك الجمرا
فقال رسول الله لا تبغها نكرا (٣)
معى ؟ حسبهم أن يحملوا الإثم والوزرا
سوى الظن فاغفر ، إنها الفتنة الكبرى
بالسنة ظلت أكاذيبها تترى (٤)
يظلّ لظاها ينفذ الظهر والصدرا (٥)

* * *

- (١) استدري : بمعنى التجأ أو اعتصم . فقد سقط بعض المتاع وبقي بعضه .
(٢) عمار بن ياسر .
(٣) أسيّد بن حضير ، لما أصبح رسول الله ﷺ جاءه فقال له : يا رسول الله ما منعك البارحة من سلوك الوادى فقد كان أسهل من سلوك العقبة ؟ فقال : « أتدري ما أراد المنافقون » وذكر له القصة ، فقال : يا رسول الله قد نزل الناس واجتمعوا فمر كل بطن أن يقتل الرجل الذى هم بهذا ، فإن أحببت بين أسماءهم ، والذى بعثك بالحق لا أبرح حتى آتيك برؤوسهم ، قال الرسول الكريم : « إننى أكره أن يقول الناس : إن محمداً قاتل بقوم ، حتى إذا أظهره الله تعالى بهم أقبل عليهم يقتلهم » ، فقال : يا رسول الله هؤلاء ليسوا بأصحاب قال : أليس يظهرون الشهادة ؟
(٤) جمعهم النبى ﷺ وأخبرهم بما قالوه وما أجمعوا عليه فحلفوا بالله ما قالوا ولا أرادوا الذى ذكر فأنزل الله تعالى : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِإِيمَانِهِمْ يَنَازِلُوا ﴾ الآية [التوبة: ٧٤] .
(٥) دعا عليهم الرسول ﷺ فقال : « اللهم ارمهم بالدبيلة - وهى سراج من نار يظهر بين الأكتاف حتى ينجم من الصدور - وفى لفظ - شهاب من نار يقع على نياط قلب الرجل فيهلكه » .

فى المدينة

النبي ﷺ يعرض عن المنافقين ويأمر بمقاطعتهم

لما رجع النبى الى المدينة استقبله المنافقون الذين لم يخرجوا معه إلى تبوك بغير عذر ، فأعرض عنهم وقال لأصحابه : « لا تكلموا أحداً منهم ولا تجالسوهم حتى آذن لكم » ، فجعل الرجل يعرض عن أبيه وأخيه ، فاشتد الأمر عليهم ، وأخذهم من الهم والغم ما أخذهم .

من بعدما كرهوا الخروج فأحجموا	خفوا يلاقون النبى بيثرب
وتكشفوا ، فمُبَغَّضٌ ومنهم	فنأى وأعرض ، لا يريد لقاهم
سرح يبدد ، أو بناء يهدم (١)	وتقطعت أسبابهم فكأنهم
فتظل تطعن باللحاظ وترجم (٢)	سود الوجوه ، ترى العيون قتاماها
لو يقدرون من الحياء تلتثموا	يتلفتون إذا مشوا ، وإخالهم
وكأنما الأبناء ليسوا منهم	يتقلب الآباء فى حسراتهم
فالعيش سمٌ ناقع أو علقم	هجر وإعراض وطول قطيعة
يجفَى ويجتنب المسىء المجرم	هم أجرموا فهو الجزاء ، وهكذا
لأشد خطباً فى الرجال وأعظم (٣)	ويح الثلاثة إنهم مما لقوا

(١) السرح : المال السائم ، وتبدد : تفرق .

(٢) القتام : الغبار .

(٣) هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية رضي الله عنهم ، لم يكونوا من المنافقين ، وإنما تخلفوا لأمر بدا لهم وقلوبهم مع الجيش وقد أرجأهم الرسول الكريم ﷺ ينتظر أمر الله فيهم ، وهم الذين نزل فى شأنهم قوله تعالى : ﴿وَأَخْرَجَ مَرَجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٦] قال كعب . تغير علينا الناس حتى أنكرت فى نفسى الأرض ، فما هى بالأرض التى أعرف . فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحبائى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبيكان ، وأما أنا فكنت أشد القوم وأجلدهم . فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف فى الأسواق فلا يكلمنى أحد إلى آخر ما قال ، =

ودوا لو أن الأرض زالت فانطوت ثم انطوا ، فكأنهم لم يأثوا
ضاقت جوانبها ، فلا متأخر فيها لأنفسهم ولا متقدم

كل له في العالمين جزؤه ومن الجماعة حاكم لا يظلم
يقضون إن عقلوا قضاء صالحا هو للنفوس مهذب ومقوم
فإذا هموا جهلوا ، فليس لدائهم طب ، وليس لثلهم أن يحكموا
سبحان ربك ذي الجلالة إنه لم يوجب الشورى لمن لا يفهم
الرأى رأى ذوى المعارف والنهى ومن الرجال بهائم لا تعلم

= وقد عفا الله عنهم وتاب عليهم فأنزل قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ
أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾
[التوبة: ١١٧] .

مسجد الضرار

لما اقترب النبي ﷺ إلى المدينة علم أن بنى غنم بن عوف إخوة بني عمرو بن عوف أصحاب مسجد قباء بنوا مسجداً ينافسون به إخوانهم ، ويصرفون الناس إليه ، وأن أبا عامر الراهب الملقب بالفاسق هو الذى زين لهم ذلك . فقال لجماعة من المسلمين منهم وحشى قاتل حمزة ؛ « انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهلته فاحرقوه واهدموه » . ففعلوا ما أمرهم به .

يا بنى غنم بن عوف ما لكم
أغضبتم إذ بنى إخوانكم
فاتخذتم غيره تبغونه
وجمعتم فيه من أشياعكم
مفتري يهذى بقول الزور فى
يا بنى غنم بن عوف إنها
استفيقوا ، إنه قد جاءكم
قال مولاهم هلموا فاهدموا
وابعثوا النار عليه جهرة
تجعلون الدين كيداً وضاراً ؟
فى قباء مسجداً يهدى الحيارى ؟
فتنة للناس جهلاً واغتراراً ؟ (١)
كل غاو يجعل السوآى شعاراً
سيد الرسل ويؤذيه جهاراً (٢)
شيم الحمقى ، وأخلاق السكارى
من جنود الله أقوام غيارى
مسجد السوء جداراً فجداراً
إنما المؤمن من يصلية نارا

صدعوا بالأمر ، وازداد الألى
زين الفاحشة الكبرى لهم
طاوعوا الفاسق ذلاً وصغاراً (٣)
فأتوها ، لا يخافون البوارا (٤)

(١) ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلُقُنَّ إِنَّا أَرْدْنَا إِلَى الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾ [التوبة: ١٠٧] الآية .

(٢) كانوا يجتمعون فى مسجد الضرار ويعيبون النبي ﷺ ويستهزئون به .

(٣) قال لهم أبو عامر الراهب الذى لقبه الرسول الكريم ﷺ بالفاسق : ابنوا لى مسجداً وأعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح فإنى ذاهب إلى قيصر ملك الروم فأتى بجند من عنده لإخراج محمد وأصحابه من المدينة ، ولما فرغوا من بنائه دعوا النبي للصلاة فيه كما صلى فى مسجد قباء فنزلت الآية الكريمة مانعة له .

(٤) البوار : الهلاك .

oboiikan.com

عام الوفود

oboi.kan.com

وقد نصارى نجران

كانوا ستين رجلا وفدوا على النبي ﷺ^(١) ، عليهم أردية الحرير وخواتم الذهب ، ومعهم هدية بسط فيها تماثيل ، ومسوح ، فرد البسط وأخذ المسوح ، ولما رأى فقراء المسلمين ما عليهم من الزينة تشوفوا إلى الدنيا فنزلت ﴿ قُلْ أُوْنِبِكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [آل عمران: ١٥] الآيات .

أبوا الإسلام وصالحوه على ألف حلة فى صفر ، ومثلها فى رجب ، ومع كل حلة أوقية من الفضة ، وقالوا له : أرسل معنا أميناً ، فأرسل أبا عبيدة عامر ابن الجراح ، وقال لهم : « هذا أمين الأمة » .

وفد نجران إن أردت الرشادا	فأتق الله وأتبع ما أراد
وتأمل ، فتلك حجته البید	ضياء لم تبق ظلمة أو سواد
وضح الحق ، وانجلي الشك فانظر	إنه النور قد أضاء البلادا
إنه الدين قيماً يصلح الأمر	وينفى الأذى معا والفسادا
جئت فى زينة ، وبسطة حال	تزهيك الجياد إذ تتهادى
وهداياك من مسوح وبسط	زيد فيها الفن البديع وزادا
صدقت صنعة التصاوير فيها	وهى إفك ، سبيله أن يعادى

* * *

ردها الصادق الأمين تقاة	وقضى الأمر حكمة وسدادا
ودعاهم إلى التى هى أهدى	فأبى الظالمون إلاً عنادا
زعموا أنهم على الحق ، ماحا	دوا ؛ ولكنه عن الحق حادا

(١) دخلوا المسجد بعد صلاة العصر . فحانت صلاتهم ، فقاموا يصلون فأراد الناس منعهم . فقال رسول الله - ﷺ - دعوهم .

أَيُظَنُّ الْمَسِيحَ عَبْدًا وَقَدْ كَانُوا
 قَالَ : لَا تَكْذِبُوا عَلَيْهِ ، وَتَوْبُوا
 إِنْ عَيْسَى صَلَّى إِلَهُ عَلَيْهِ
 هُوَ مِنْ رُوحِ رَبِّهِ مُسْتَفَادٌ
 كَانَ فِي قَوْمِهِ رَسُولًا رَاضِيًا
 لَا أَبٌ كَالَّذِي زَعَمْتُمْ ، وَلَا ابْنٌ
 وَحَدُّوا اللَّهَ ، مَا لَكُمْ مِنْهُ وَاقٍ
 ضَلَّ مَنْ يَدَّعِي لَنْ هُوَ فَرْدٌ
 فَتَنَّتْهُمْ أَعْمَالُهُ ، وَهِيَ مِنْ قُدْرَةِ
 رُؤْيَتْ يَثْرَبُ بِوَفْدِ جَمَادٍ
 عَدَمَ الْعَقْلِ ، فَهُوَ يُمَعِنُ
 أَنْزَلَ اللَّهُ آيَةً ، لَوْ وَعَاَهَا
 لَمْ يَكُنْ دُونَ أَنْ يَبِيدَ مُحْيِصُ
 مَنَعَتْهُمْ أَجَالُهُمْ ، فَتَفَادُوا
 وَأَتَوْا مَذْعَنِينَ ، يَبْغُونَ صَلَاحًا
 سَيِّدَ الرُّسُلِ أَمَلَوْهُ فَفَازُوا
 اشْتَرَوْا مِنْهُ أَنْفُسًا نَجِجات

ن إلهًا أتى يدين العبادا (١)
 واتبعوا الحق ملة واعتقادا
 كان للحق قوة وعتادا
 وسبيل المخلوق أن يستفاد
 يتقى ربه ويرجو المعادا
 فدعوا الشرك وانبدوا الإلحادا
 واحذروا الخيل والسيوف الحدادا
 فى علاه الأبناء والأنثادا
 الله ، وشر الضلال أن يتمادى
 هل رأى العالمون وفدا جمادا ؟
 فى الجهل ويأبى فما يريد اثثادا
 راح بعد اللجاج يلقي القيادا (٢)
 ليته باهل النبى فبادا
 ما يؤد الحريص أن يتفادى
 يدفع الويل والخطوب الشدادا
 إنما أمّلوا الكريم الجوادا
 زادها البيع والشراء كسادا

(١) قالوا للنبي ﷺ : ما شأنك تذكر صاحبنا عيسى عليه السلام وتقول : إنه عبد الله ، فهل رأيت مثله أو أثبتت به ؟ وقال أحدهم : إنه ابن الله ، لأنه لا أب له ، وقال آخر : هو الله ؛ لأنه أحيى الموتى ، وأخبر عن الغيوب ، وأبرأ من الأدواء كلها وخلق من الطين طيرا ، قال : « إنه عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم » ، فغضبوا .

(٢) لما لجوا فى عنادهم أنزل الله تعالى : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧] وقوله : ﴿إِنْ مَثَلٌ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩] الآية ، وقوله : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١] ، دعاهم إلى المباهلة فأبوا خوفا من الهلاك وصالحوه على الجزية .

حُلِّلْ لَا تَكُونُ إِنْ هِيَ عُدَّتْ دُونَ أَلْفٍ ، وَلَا تَجِئْ فَرَادَا
يَبْعَثُ الْقَوْمَ مِثْلَهَا مِنْ لَجِينِ يَعْجِبُ النَّاظِرِينَ وَالنَّقَادَا
سِرَّ حَثِيثَا أَبَا عْبِيدَةَ وَأَمْلَأْ أَرْضَ نَجْرَانَ هِمَّةً وَاجْتِهَادَا
أَنْتَ أَنْتَ الْأَمِينُ عَزَّ بِكَ الصَّنَدُ عَنِ الَّذِي يَرْفَعُ الرِّجَالَ وَسَادَا
خَلَصْتُ لِلنَّبِيِّ مِنْكَ خِلَالَ أَفْعَمْتَ نَفْسَهُ هَوًى وَدَادَا

* * *

أَخْذُوا الْعَهْدَ رَحْمَةً وَسَلَامًا بَعْدَ أَنْ ضَلَّ سَعْيُهُمْ أَوْ كَادَا
يَبْلُغُ الْحَقُّ مَبْتَغَاهُ وَتَزْدَا دَقَّوَاهُ تَمَادِيًّا وَاطَّارَادَا
وَأُضِلُّ الرِّجَالَ مَنْ لَا يُلَبِّي دَاعِيَ اللَّهِ طَائِعًا إِذْ يُنَادِي

* * *

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ تَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ وَكُونُوا لِدِينِهِ أَوْتَادَا
أَرْغَبْتُمْ إِذَا أَقْبَلَ الْوَفْدُ فِي الدُّنْيَا يَا ، وَكُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ زَهَّادَا ؟
إِنْ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّةُ اللَّهِ فَلَا تَعْدِلُوا بِتَقْوَاهُ زَادَا
مَا لِلنَّفْسِ مِنْ غَبْطَةٍ أَوْ سُرُورِ بِمَتَاعِ تَخْشَى عَلَيْهِ النِّفَادَا

* * *

وقد الأشعرين

قدموا من اليمن مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في قدومه من الحبشة على
النبي ﷺ في خيبر ، ومعهم أبو موسى الأشعري قال لما رآهم : « أتاكم أهل
اليمن ، أرق أفئدة وألين قلوباً ، الإيمان يمان والحكمة يمانية يريد أقوام أن
يضعوهم ويأبى الله إلا أن يرفعهم » :

قدموا من اليمن مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في قدومه من الحبشة على	قدموا من اليمن مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في قدومه من الحبشة على
النبي ﷺ في خيبر ، ومعهم أبو موسى الأشعري قال لما رآهم : « أتاكم أهل	النبي ﷺ في خيبر ، ومعهم أبو موسى الأشعري قال لما رآهم : « أتاكم أهل
اليمن ، أرق أفئدة وألين قلوباً ، الإيمان يمان والحكمة يمانية يريد أقوام أن	اليمن ، أرق أفئدة وألين قلوباً ، الإيمان يمان والحكمة يمانية يريد أقوام أن
يضعوهم ويأبى الله إلا أن يرفعهم » :	يضعوهم ويأبى الله إلا أن يرفعهم » :
وقد الأشعرين الكرام	وقد الأشعرين الكرام
رمى برحاله للبين رام	رمى برحاله للبين رام
أقام رسوله دين السلام	أقام رسوله دين السلام
بركبك في حمى خير الأنام	بركبك في حمى خير الأنام
وفى العهد مأمون الذمام	وفى العهد مأمون الذمام
فهل لك بعد ذلك من مرام	فهل لك بعد ذلك من مرام
بعافية من الداء العقام	بعافية من الداء العقام
فمن غلق يفض ومن ختام	فمن غلق يفض ومن ختام
فما تلهو بأحلام النيام	فما تلهو بأحلام النيام
سما نسب بكم عالى المقام	سما نسب بكم عالى المقام
وأنطقهم بمأثور الكلام	وأنطقهم بمأثور الكلام
يشق على ذوى الهمم العظام	يشق على ذوى الهمم العظام
تجانبها سوى الموت الزؤام	تجانبها سوى الموت الزؤام
وهل شئ يكون بلا نظام	وهل شئ يكون بلا نظام

وَقَدْ ثَقِيفَ

كان في رمضان سنة تسع بعد غزوة تبوك ، وكان من خبرهم أنه لما عاد النبي ﷺ من محاصرتهم تبعه عروة بن مسعود فأسلم ، وسأله أن يرجع ليدعو قومه إلى الإسلام ، فقال له : « إنهم قاتلوك » ، قال : أنا أحب إليهم من أبقارهم وأبصارهم ، وذهب إليهم فقتلوه بعد أن أسمعوه كثيراً من الأذى ، فسمعه أحدهم يتشهد وقت السحر عند الفجر على غرفة في داره فرماه بسهم فمات ، وهو يقول : كرامة أكرمني الله بها ، وشهادة ساقها إلى ، فليس في إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ ، قبل أن يرتحل عنكم ، فادفنوني معهم ففعلوا ، وقال الرسول الكريم في حقه : « إن مثله في قومه كمثل يس » يريد المذكور في سورة يس إنه قال لقومه اتبعوا المرسلين ، فقتلوه .

أقامت ثقيف بعد مقتل عروة أشهراً ثم استولى عليها الذعر ، فأجمعوا أن يوفدوا رجالاً منهم إلى النبي ﷺ ، فجاؤوا وفيهم شرحبيل بن غيلان وعثمان بن أبي العاص ، وهو أصغرهم سنّاً ، فأسلموا . وسألوه أن يؤمر عليهم رجلاً فكان عثمان ، ورجعوا إلى قومهم ، وهم يكتمون إسلامهم كما أمرهم سيدهم كنانة ابن عبد ياليل ، وأخذوا يخوفونهم فأسلموا .

أقبلوا راشدين فالأمر جدُّ	أى نهج للحق لم يبد بعد ؟
أقبلوا راشدين ، ما لثقيف	وسواها مما قضى الله بدّ
يا ابن غيلان مرحباً جئت في الرك	ب وحادى الهدى يسوق ويحدو
أين من قومك الألى ركبوا الغى	فلم يثنهم عن الإثم رشد ؟
قتلوا عروة الشهيد على أن	آثر الله ، فهو للشرك ضد
جاء إثر النبي يشهد أن الله	حق عالى الجلالة فرد
وأتى قومه يظن بهم خيـ	را ، فمالوا عن السبيل وصدّوا

هكذا أخبر النبي ولكن
قال : دعهم لملك الملك واعلم
غره رأيه ، فلم يك حب
بورك الوفد إذ أتى الكوكب الدُّ
يتلقى السنا تبين به السل
ورد الدين صافياً ما يضاهيه
وقضى أمره ، فغادر منه
راح يخفى إيمانه ، ويهدد القد
ليس للشرك قوة تعصم النف
قال : يا قوم إنه يتلظى
سلمنا خطة تشق علينا
نهدم اللات صاغرين وتلغى
هاجهم جهلهم ، فقالوا : رويداً
قيل : فالحرب لا هودة فيها
هفا الذعر بالنفوس فلانوا
أقبلوا يرغبون فى ملة الله
عجبوا للآلى رموهم بمكر
سألوه أن يسلموا فأذاعوا
رضى الله عنهم ورعاهم

ليس للأمر حين يُقدر ردُّ
أنهم قاتلوك ، فالقوم لُدُّ
غير حب الأذى ، ولم يك ودُّ
رئى فى نوره يروح ويغدو
وضاء بعد الخفاء وتبدو
لمن يبتغى السلامة وردُّ
حيلة أحكمت ، ورأى أسدُّ
يوم رعباً ، وكل واه يهدد
س ، ولا فيه منعة تستمد
فى إباء ما ينقضى منه وقد
وهو عال فى قومه مستبدُّ (١)
ما درجنا عليه ، فالعيش رغد
ما لنا بالذى تقولون عهد
فاجمعوا أمركم إذن واستعدوا
بعد حين ، وللجهالة حدُّ
فلم يغنهم إباء وزهد
هو أقوى من مكرهم وأشد
ما أسروا وطاح بالهزل جدُّ
هم جميعاً لمة الحق جند

(١) سألوا الرسول الكريم ﷺ أن يترك لهم الصلاة ، فقال : « لا خير فى دين لا صلاة فيه » ،
وفى لفظ « لا ركوع فيه » وأن يترك لهم انزنا والربا وشرب الخمر فأبى ذلك ، وسألوه أن
يترك لهم الطاغية . . اللات « وهى صنمهم لا يهدمها إلا بعد ثلاث سنين ، وكانوا
يقولون لها الرتبة ، فأتى فسألوه أن يتركها سنة فأبى ثم سألوه أن يتركها شهراً واحداً
فأبى ، سألوا ذلك ليدخل الإسلام فى قومهم ، فلما عادوا إليهم أخبروهم بذلك ،
وخوفوهم ، فأخذهم الرعب ثم أسلموا بعد أن قالوا لهم : استعدوا للحرب إن أبيتم .

وفد بنى عامر بن صعصعة

جاء وفيهم عامر بن الطفيل ، وأريد بن قيس « أخو لبيد الشاعر » وجبار بن سلمى وكان عامر قال لأريد : إذا قدمنا على الرجل « النبی » ﷺ فإننى شاغل عنك وجهه ، فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف ، فلما قدموا جعل عامر يكلم الرسول الكريم ﷺ ويتنظر أن يمضى أريد أمره وقد يبست يده على السيف فلم يستطع سله وقال عامر للنبي : مالى إن أسلمت ؟ قال : « لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم » . قال أتجعل لى الأمر بعدك ؟ قال : « ليس ذلك لك ولا لقومك ، إنما الأمر لله يجعله حيث يشاء » فقال عامر : أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا ، قال : « يمنعك الله عز وجل » . ومكث أياما يقول : « اللهم اكفنى عامر بن الطفيل بما شئت ، وابعث به داء يقتله » فاستجاب الله له ، وأسلم جبار بن أبى سلمى رضى الله عنه فيمن أسلم :

بنى عامر ردوا عن الشر « عامرا »
أصاب هوى من نفس « أريد » فابتغى
وجاء بمكر لا محالة خائب
أناشدكم : هل صاحب الوفد منهما
هما أزمعا أن يأخذا الليث خادرا
دنا الأحقق المخبول ، منه وهذه
يشير إليه : ابن الطفيل ، أن اقتحم
أبى الله إلا أن يُعز « رسوله »
أطاع هواه جاهلا ، وخلا به
تسأله يا ابن الطفيل خلافة
لك الويل ما هذا الذى أنت قائل ؟

ولن يجد الباغى على البغى ناصرا
من الأمر ما يُعيبى الكمى المقامرا
وأخيب أهل السوء من كان مأكرا
« بنى عامر » إلا أثيما وفاجرا ؟
على غرة والجهل يعمى البصائرا
يد السوء منه تحمل السيف باترا
وماذا يرد السيف لو كان قادرا ؟
ويرجع من يبغى به السوء صاغرا
يخادعه كيما يرى الدم مائرا
وتطمع أن تدعى الشريك المشاطرا ؟
أكنت امرا من نفسه راح ساخرا ؟

وخذ حظك الأوفى من الخير شاكرا
أصابوه غنما من هدى الله وافرا
و « أريد » يلقى الحث خزيان خاسرا (١)
فهداً قواه ، إنه كان كافرا (٢)
« ثموداً » و « عاداً » والقرون الغوابرا
على جبل لاندك في الأرض غائرا
لقاء الردى عند التى جاء زائرا
يضيق بأمثالي ؟ إذن لست « عامرا »
ألقى عليه عادى الموت كائرا
توى على سرجه وانساب حران ثائرا
سوى حتفه المقدور قرناً مغاورا
سوى الخزي من ذكر لمن كان ذاكرا
ولم تشهد الأقوام تلك المفاخرا (٣)
فليس إلى شىء سوى الخسر صائرا
رمته بداء يترك الطب حائرا
فليس يرى شيئاً على الدهر ضائرا
عن الشر لو يخشى مرؤ السوء زاجرا (٤)
وتذهل منه اللب لو كان ناظرا
يبيد ، ويبقى غلب البأس قاهرا

« جبار » استقم واشهد فربك واحد
وبشر رعاك الله صحبك أنهم
ودع « عامراً » يهوى به الداء خاسئاً
رماه الذى يرمى القوى فيهداها
بصاعقة مما رمى الله إذ رمى
رماه بها نارياً لو تنزلت
أبى « عامر » من شيمة جاهلية
يقول : أطاعونا وموتاً بمنزل
جوادى جوادى ليس غير متنه
وجاؤوا به يزجيه « عزريل » فاس
يجول عليه يحمل الرمح ما يرى
فما هو إلا أن هوى غير معقب
مضى الأمر لم يسمع عكاظ نداءه
إذا المرء لم يؤمن ولم يخش ربه
ألحّت عليه دعوة من محمد
رسول الهدى والخير من يرغ حقه
لقد كان فيما قال أريد زاجر
رأى آية تغتال همة نفسه
كلالة رب ، كل أصيد غالب

(١) أصيب عامر بالطاعون وهو راجع إلى بلاده ، فلجأ إلى بيت امرأة من سلول ، وجعل يقول لأصحابه : يا بنى عامر ، أغدة كغدة البعير ، وموتا فى بيت امرأة ، اتنوني بفرس ثم ركبته وأخذ رمحه ، وصار يجول عليه حتى سقط ميتاً ، وخرج أريد من داره بعد رجوعة ومعه بعير له ، فأرسل الله عليهما صاعقة فأحرقتهما .

(٢) الضمير راجع إلى أريد .

(٣) كان لعامر مناد بسوق عكاظ يتنادى : هل من راجل فتحمله ، أو جائع فنطعمه ، أو خائف فنؤمته .

(٤) قال عامر لأريد بعد خروجهما من عند النبى ﷺ : ويلك يا أريد ، أين ما كنت أمرتك به ! قال : والله ما هممت بالذى أمرتنى به إلا دخلت بينى وبين الرجل حتى ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف .

ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه

بعث بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله (١) ﷺ فسأله عن الإسلام فأكثر ، وهذاه الله فأسلم ، ثم رجع إلى قومه فقال لهم : إن الله تعالى قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتاباً استنقذكُم به مما كنتم فيه ، وقيل : إنه أول ما تكلم سب اللات والعزى ، فقال له قومه : مه يا ضمام ، اتق البرص ، اتق الجذام ، اتق الجنون ، فقال لهم : ويلكم ، والله إنهما لا يضران ولا ينفعان ، ثم وصل ذلك بما تقدم من القول ، ونطق الشهادتين ، فأسلموا جميعاً .

أنخ البعير فقد بلغت المسجد واخشع ضمام ، فانت في حرم الهدى (٢)
أضلت حين سألت : أين محمد ؟ أفما رأيت الكوكب المتوقدا ؟
إن كنت تعرف مطلع النور الذى صرع الظلام ، فقد عرفت محمدا
هو ذاك فاصدع يا ضمام بنوره ليل العمى ، وحذار أن تترددا
اسأله ، واسمع ما يقول ، وواله واتبع شريعته إماماً مرشدا
اجمع قواك فقد بلغت المتهى وانقع صداك ، فقد أصبت الموردا
(١) قال محمد بن عمر : وكانت وفاته سنة خمس .
(٢) جاء على جمل فأناخه على باب المسجد ثم عقله ، وكان النبی ﷺ مع بعض أصحابه ، فقال : أيكم ابن عبد المطلب أو أيكم محمد ؟ ، قالوا : هذا ، الأبيض المشرب بحمرة المتكى على مرفقه ، فدنا منه وقال : إني سائلك فمشدد عليك ، وجعل يسأله قال : أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك . وإله من هو كائن بعدك الله بعثك إلينا رسولا ؟ قال اللهم نعم . قال ... الله يأمرك أن نعبد وحده ولا نشرك به شيئا وأن نخلع هذه الأنداد التى كان آباؤنا يعبدون معه ؟ قال : اللهم نعم . قال .. ألكه أمرك أن تأمرنا أن نصلى هذه الصلوات الخمس ؟ قال : اللهم نعم . قال ابن عباس : ثم جعل يذكر فرائض الإسلام ينشده فى كل فريضة كما ينشده فى التى قبلها حتى إذا فرغ أعلن إسلامه . ثم إنصرف قال النبى - ﷺ - حين ولى : إن يصدق ذو العقيقين - الضفيران من الشعر - يدخل الجنة [سيرة ابن هشام : ٥٧٣ / ٤ ، ابن الأثير فى أسد الغابة : ٥٧ / ٣ ، الطبقات : ١٨٣ / ٥] .

قل ما تشاء ، فلن يضيق بسائل
كل الذى قال النبى وقلته
ولقد سعدت بها شهادة مؤمن
حمد النبى وصحبه لك شيمة
ولربما ازدان الفتى بسجينة
يرجو الصواب وإن ألحَّ وشددا
حق ، وحسبك مغنماً أن تشهدا
ما كنت لو كبرتُ عليك لتسعدا
ما كنت تطمع قبلها أن تُحمدا
كانت له شرقاً أشم وسوددا

* * *

رضى الهدى ديناً وعاد بنعمة
وضح السبيل لقومه فتدفقوا
خلصوا على يده فيالك من يد
أبشر ضمام فأنت جاوزت المدى
يدعو إلى الله النفوس الشُّردا
زمرّاً يريدون النجاة من الردى
فتحت لدين الله باباً موصدا
وبلغت فى الحسنى المكان الأبعدا

* * *

وفد بنى عبد القيس من بلاد هجر بالبحرين

جاؤوا إلى النبي ﷺ قبل فتح مكة ، وفيهم الجارود ، وكان نصرانياً ، وقال له : إن كنت نبياً فأخبرنا بما أضمرنا ، فأخبرهم ، فأسلموا ، كان رئيسهم عبد الله بن عوف الأشج ، وكان أصغرهم سنّاً ، وفيه دمامة ، ولحظ هذا المعنى فى نفس النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، إنه لا يستقى فى مسوك - جلود - الرجال وإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه .

قال لهم صلوات الله وسلامه عليه : « مرحباً بالقوم الذين جاؤوا غير خزايا ولا ندامى » ، ثم أمرهم بإقامة الدين ، ونهاهم عن الخمر ، فألحوا ليأذن لهم فأبى ، وذكر لهم صفة بلادهم فتعجبوا ، وكان فيهم شيخ مجنون فمسح على ظهره ودعا له فبرئ ، وكسى شاباً وجمالاً .

مرحباً بالوفد وافى من هجر	يبغى الدين ، ويأبى من كفر
لا خزايا ، لا ندامى ، إنهم	زمرة ما مثلها بين الزمر
ظفروا إذ قبلوا خير يد	وخيار الناس أولى بالظفر (١)
نزل الحق على شاعرهم	ساطع الحجة وصّاح الاثر (٢)
صدق الجارود إن الله قد	أرسل القوم إلى هادى البشر
جاء فى إنجيل عيسى ذكره	فأتى ينظر مصداق الخبر
لم يزل يسأله حتى بدا	من يقين الامر ما كان استتر
زادهم من علمه ما زادهم	ولديه من مزيد مُدْخَر

(١) تبادر القوم يقلون يد الرسول الكريم ﷺ ورجله .

(٢) الجارود وكان قد قرأ الكتب فعرف فيها صفة النبي ﷺ فقال فيه أبياتا فيها :

يا نبى الهدى أتاك رجال	قطعت فدفدا وآلا فألا
تتقى وقع شر يوم عبوس	أوجل القلب ذكره ثم هالا

كشَفَ اللهُ له عما انطوى
هذه الأرض وهذا نخلها
أثروا الإسلام ديننا وانقضى
أمرؤ بالخير طراً ما لهم
لهجوا بالخمير ، ثم ازدجروا
وفد عبد القيس لا تعدلُ بكم
ليس في الخمر شفاء لأمري
احذروها إنها المكر الذي
هى للأقوام شرٌّ وأذى
ليس من برٍّ فأرضى ربه
حسبكم ما كان منها وكفى
فى رسول الله إذ نبأكم
انتهوا عن كل ما عنه نهى

فى زوايا الغيب عنه فظهر
تترأى فيه أنواع الثمر
ما أضلَّ القوم من دين نُكر
منه بد ، ونُهبوا عن كل شر
وعن الخمر غنى للمزدجر
ظلمة الرأى عن النهج الأغر
من سقام أو وقاء من ضرر
مكر الشيطان فى ماضى العصر
وهى للبغضاء نار تستعر
مثل من أرضى هواه وفجر
ما رأيتم أو سمعتم من عبر
ببلايا الخمر آيات كُبر (١)
وافعلوا من كل أمر ما أمر

اسألوا هذا الفتى عن شيخكم
صورة زالت وأخبرى برزت
اسألوا الحاضر عمن غاب ، أو
ذهب المجنون مهدود القوى
قدرة الله تجلَّتْ فى يد

واسألونى عن أعاجيب القدر (٢)
من تصاوير الملوك المقتدر
فاسألوا الغائب عمن قد حضر
وأتى العاقل مشدود المرر (٣)
لعظيم الجاه ميمون الأثر

(١) نهاهم عن شرب الخمر ، فقال له الأشج : يا رسول الله إن أرضنا ثقيلة وخمة ، وإننا إذا لم نشرب هذه الأشربة عظمت بطوننا ، فرخص لنا فأبى ، وقال : « إذا ثمل أحدكم من شربه قام إلى ابن عمه فضرب ساقه بالسيف » ، وكان فى القوم رجل وقع له ذلك ، وهو جهم بن قثم فعجبوا .

(٢) هو الشيخ نفسه بعد أن صلح أمره ببركة الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

(٣) المرر : جمع مرة وهى قوة الخلق - بفتح الحاء - وشدته .

وقد بنى حنيضة

جاؤوا ومعهم مسيلمة الكذاب يسترونه بالثياب ، سأل النبي ﷺ أن يشركه في الأمر « النبوة » وكان في يده عسيب فقال : لو سألتني هذا ما أعطيتكه . ولما عاد إلى اليمامة ادعى أنه أشركه معه ، وصار يهذى بما يضاهي به القرآن الكريم كقوله : لقد أنعم الله على الحبلى فأخرج منها نسخة تسعى ، من بين شغاف وحشا ، وقوله : والطاحنات طحنًا والعاجنات عجنا ، والخابزات خبزًا ، والشاردات ثردًا ، اللاقعات لقمًا ، ووضع عنهم الصلاة ، وأحل لهم الخمر والزنا ، وعمل أعمالا للبركة فكانت شؤمًا ، وكتب إلى النبي ﷺ يقول له : أما بعد فإنني قد أشركت في الأمر معك ، وإن لنا نصف الأمر ولقريش نصف الأمر ، وليس قریش قومًا يعدلون ، فكتب إليه ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين ، وكان ذلك في آخر سنة عشر (١) .

بنى حنيضة ما أشقى مسيلمة
جئتم به في ثياب ملؤها دنس
ترمى به الأرض شيطانًا وتقذفه
يا ويله إذ تريه النجم في يده
رام النبوة ، شطر للذي اجتمعت
قال النبي له لو جئت تسألني
أنا النبي ، وما أمري بمشترك
أضلّه غيهب للجهل مرتكم
خفّوا إلى الحق يرتادون منبته
وما أضلّ الألى أمسوا له تبعا
تكاد تلفظه من هول ما صنعا
رجسا مغطى وشرا جاء مبتدعا
نفس مضلّة هاجت له طمعا
فيه ، وشر له ، يا سوء ما اخترعا
هذا العسيب الذي عاينت لامتنعا
فاعص الهوى وارثدع إن كنت مرتدعا
أحاط بالقوم حينًا ثمت انقشعا
وليس كالحق مرتادًا ومتتجعا

(١) عن نعيم بن مسعود عن أبيه قال : سمعت رسول الله - ﷺ - حين جاءه رسولا مسيلمة الكذاب بكتابة يقول لهما : « وأنتما تقولان بمثل ما يقول ؟ قالوا : نعم . فقال : أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما .

وجاء فى فتنة عمياء زينها
 إن الفساد جميعاً والضلال معاً
 تلقفَ الناسَ يغويهم ويكذبهم
 يقول : إن رسول الله أشركه
 وراح يدعو إلى دين يُزيّنه
 ألغى الصلاة وأعطى الناس بغيتهم
 دين الفجور ومكروه الأمور ألا
 لو راح صاحبه يرمى به جبلاً
 ما الطاحنات وتاءات يرددها ؟
 صبراً حنيفة إن الله قاتله
 له الغرور وسوء لرأى فانخدعا
 إلى اليمامة فى أجلاده رجعا (١)
 فهل رأوا مثله من كاذب برعا ؟
 فى الأمر يحمل شطراً منه فاضطلعوا
 أشقى الدعاة جميعاً من إليه دعا
 من الزنا ومن السمّ الذعاف معاً
 لا بارك الله فى الدين الذى شرعوا
 يعلو الجبال من الأخلاق لانصدعا
 لا كان من فاجر لا يغرف الورعوا
 ولا مردّ لأمر الله إن وقعا (٢)

* * *

(١) أجلاذ الإنسان وتجايله جماعة شخصه .

(٢) عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله - ﷺ - : « بينا أنا نائم إذ أتيت بخزائن الأرض

فوضع فى يدي سوار من ذهب . فكبرا على وأهمانى . فأوحى إلى أن أنفخهما .

ففنختهما فذهبا ، فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما ، صاحب صنعاء ، وصاحب

اليمامة . [البخارى - المغازى باب وقد بنى حنيفة : ٢١٥/٥ ، ومسلم - كتاب الرؤيا ؛

ح : ٢٢٧٣] فقه السيرة ص ٤٢٤ .

عدى بن حاتم

كان عدى بن حاتم شريفًا فى قومه يأخذ المرباع - ربع الغنائم - على عادة سادات العرب ، فلما سمع بقدوم جيش المسلمين إلى بلاده لحق بالشام لىبقى على دين النصرانية مع أهله وترك أخته سفانة ومعناها الدرة ، فلم يأخذها معه . وجىء بها إلى النبى ﷺ ، سبية مع السرية التى أرسلها لهدم « الفلس » صنم طى والإغارة عليها فقامت إليه تذكر أباه ، وما كان له من أعمال مشكورة ، وتسأله أن يمن عليها ففعل ، فأسلمت وكساها ثم حملها وأعطاهها مالا ، فذهبت إلى أخيها ، وأشارت عليه بالدخول فى دين الله ، فجاء وأسلم .

إلى الله فارغب يا عدى بن حاتم	ودع دين من يبغي العمى غير نادم
إلى الله فارغب واتبع دينه الذى	يدين به المبعوث من آل هاشم
خرجت حذار القتال من آل طيء	وما أنت من بلوى القتيل بسالم
كفى النفس قتلا أن تضل حياتها	وتذهب حيرى فى مدب الأراقم
أما ضقت ذرعًا إذ علمت من العمى	مكانك ، أم أنت امرؤ غير عالم
عدى استمع أنباء أختك واستعن	برأى يُجلى ظلمة الشك حازم
صغا قلبه فاخترها خطة هدى	تجنّب من يختارها كل لائم (١)
وسارت مطاياها تؤم محمداً	وضاء الخوايا والخطى والمناسم (٢)
فأنزله فى داره وأحلّه	محلاً تمنى مثله كل قادم (٣)

(١) صغا قلبه مال ، والمعنى أنه مال إلى الإسلام .

(٢) الخوايا جمع حوية وهو كساء يحشى به شيم النبات ثم يوضع حول سنام البعير ، ومناسم الإبل أخفافها .

(٣) انطلق النبى ﷺ بعدى إلى بيته ، ثم ناوله بيده الشريفة وسادة من آدم محشوة ليفاً فأجلسه عليها ، وجلس هو على الأرض ، وقال له : « أسلم تسلم » ثلاث مرات ، قال عدى : إني على دين فقال : « أنا أعلم بدينك منك » ثم ذكر له المرباع وأنه محرم فى =

وقال له : إنى لأعلم بالذى
ألم تأخذ المربع ، وهو مُحَرَّم
فقال : بلى إنى إلى الله تائب
لأنت رسول الله ما فيك مِرَّة
تداركتُ بالإسلام نفسى فأصبحتُ
هو العصمة الكبرى ، إذا لم تفز بها

تأمل عديُّ ما يقول محمد
سيبسط دين الله فى الأرض ظله
وسوف يفيض المال فى كل موطن
وتخرج ذات الخدر ما إن تروعها
فتقبلُ من بصرى إلى البيت ما لها
هو الله ، فاعرف يا عديُّ سبيله

* * *

ونبه من القوم العدى كل نائم
ويحكم من ساداتها كل حاكم
وأرض ، فما من آخذ أو مُزاحم
إساءة جانٍ ، أو مضرة جارم
على الضعف وال من حماة المحارم
ودعُ خطرات الوهم من كل واهم

* * *

= دين النصرانية ، وقال له : « لعلك يا عدى إنما يمنعك من الدخول فى هذا الدين ما ترى ، تقول إنما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة له ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عددهم ، أتعرف الحيرة ؟ » قال عدى: لم أرها ، وإنما سمعت بها ، قال : « فوالله » ، وفى رواية : « والذى نفسى بيده ليتمن هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة تطوف بالبيت من غير جوار أحد » إلى آخر ما قل صلوات الله وسلامه عليه .

عُرْوَةُ بَنِ مَسِيكَ الْمَرَادِي وَأَسْمُهُ فُرُوءَةٌ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ

ترك ملوك كندة وراء ظهره ، ووفد على النبي ﷺ ، وكان بين قومه مراد وبين همدان قبيل الإسلام وقعة أصابت فيها الثانية من الأولى ما أرادت في يوم يقال له الروم ، فقال له النبي ﷺ : « هل ساءك ما أصاب قومك يوم الروم ؟ » قال : يا رسول الله ، من ذا يصيب قومه ما أصاب قومي يوم الروم ، ولا يسوءه؟ فقال له : « أما إن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيراً » ، وقد استعمله على مراد وزبيد ، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله ﷺ .

تترك الملوك ملوك كندا وانتحى
حسيب عروة ، إنه لم لك مقدم
عطف النبي عليك وانبسطت له
ما كان يوم الروم من أوطاره
ما أورث الإسلام قومك ، زادهم
الجاهلية قد عفت آثارها
كانت لهم موتاً ، فتلك حياتهم
هذا رفيقك ما لقومك غيره
إنني جعلت لخالد صدقاتهم
ولقد أقمتك عاملاً ، فكن امراً
سيراً على بركات ربكما ولا

من يترك التيجان واهية العرى
ين ، وحسبك ما تشاهد أو ترى
نفس تريك مكانه والمظهرا
بل هز نفسك واعظاً ومذكرا
خيراً ، وكان لهم أجل وأكبرا
فيهم ، وأصبح عهداً قد أديرا
في دولة الإسلام عالية الذرى
نعم الرفيق إذا اللبيب تخيراً
تجبي إلى ، فما أحق وأجدرا
للخير في كل الأمور ميسراً
تنبأ إذا أحد ونى أو قصراً

وفد بنى زييد

جاؤوا ومعهم عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، وقد كان قال لابن أخيه قيس
المرادي : إنك سيد قومك ، فانطلق بنا إلى محمد لنبلو أمره ، فإن كان نبيا كما
يقول فلن يخفى عليك ، فأبى عليه قيس وسفه رأيه ، وجاء عمرو فأسلم ، فلما
علم قيس قال : خالفني وترك أمرى ورأى ، وتوعد عمرا فقال عمرو من أبيات :
فمن ذا عاذرى من ذى سفاه أريد بنفسه شد المزاد
يريد حياته ، ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد

وفد الفارس الذى تفرق الأبط
جاء عمرو وأبى قوم كعمرو
ماله فى الرجال كفؤ إذا ما
راع صمصامه وشاع له فى الأرا
قال : يا قيس أنت سيد قوم
أيما خطة أردت فلا تعد
سر معى تنظر الذى راح ينهى
إنه إن يكن نبيا فلن يخد
ومن الحق أن يكون مطاعا
قال : يا عمرو هل أصابك مس
ما أنا بالذى يلين عنانى
إن تكن مُدعنا لمن فتن النبا
ذهب الفارس الزبيدى فردا
يطلب الساحة التى يُطلب الخي
مهبط الوحي ، يرتع الروح فيها
رضى البسر والمروءة ديننا
ال منه وتفزع الفرسان
حين تدعى القروم والشجعان
حمى الضرب واستحرق الطعان
ض ذكر مجلجل رنان
ليس فيهم لغيرك اليوم شان
دل عنها . وحيثما كنت كانوا
أن تقام الأصنام والأوثان
فى علينا الدليل والبرهان
فعلينا الولاء والإيمان
فتمادى الهراء والهذيان ؟
لابن أنثى إن لأن منك العنان
س فما بى لمثله إذعان
وتقضى النداء والبهتان
ر بأرجائها ، ويرجى الأمان
كل حين ويسطع الفرقان
فصفت نفسه وطاب الجنان

زال عنه الأذى ، فما خطب قيس ؟ إن قيسا لثائر حرَّان
قال : يا ويحه ، آآمره أم رى ، فمنه الإباء والعصيان ؟
لأذيقنَّه الجزاء أليما فيرى موضعى ، وكيف يُدان

* * *

هكذا تصنع الجهالة بالناس س ، فتعمى العقول والأذهان
ومن الناس مبصرون يرون الحـ ق ومنهم عميان

* * *

وَقَدْ كُنْدَةٌ

كانوا ثمانين أو ستين رجلا ، فيهم الأشعث بن قيس ، جاؤوا وعليهم جيب الحرير من صنع اليمن ، وقد سرحوا شعورهم فلما دخلوا على النبي ﷺ حيوه تحية الجاهلية « أبيت اللعن » فقال : « لست بملك ، وإنما أنا محمد بن عبد الله » ، قالوا : لا نخاطبك باسمك ، قال : « أنا أبو القاسم » ، فقالوا : يا أبا القاسم إنا خبأنا لك شيئا فما هو ؟ وكانوا خبأوا عين جرادة في ظرف سمن ليختبروه ، فقال : « سبحان الله إنما يفعل ذلك بالكاهن » ، قالوا : كيف نعلم أنك رسول الله ، فأخذ كفا من حصباء وقال : « هذا يشهد أني رسول الله » فسيح الحصى في يده ، فأسلموا وتلا عليهم ﴿وَالصَّافَّاتُ صَفًّا﴾ [الصافات: ١] حتى بلغ قوله تعالى : ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ [الصافات: ٥] فسكت ودموعه تجري ، فقالوا : أمن مخافة من أرسلك تبكى ؟ قال : « إن خشيتي منه أبكتني ، بعثني علي صراط مستقيم مثل حد السيف ، إن زغت عنه هلكت » ، ثم تلا : ﴿وَلَيْنَ شَيْئًا لَّنْذَهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ الآية [الإسراء: ٨٦] ، ثم نهاهم عن لبس الحرير ، فشقوقه من أعناقهم وألقوه .

ألا إن هذا وفد كندة قد أتى
رواء من العيش الرخى وبهجة
دنا ثم حيا سيد الرسل بالتى
يقول : أبيت اللعن قول الألى خلوا
أباها رسول الله منهم تحية
وقال : دعوها عادة جاهلية
خذوا هذه عنى فإنى محمد
فقالوا له : ندعوك باسمك ؟؟ إنه
فماذا به تُكنى ؟ فقال لهم : أنا
دعوه ، فقالوا يا أبا القاسم استجب

عليه من النعماء أودية الحبر
من الكحل فى الأجنان أو مرسل الشعر
تحيا بها أهل الصوالج والسرر
من المعشر الضلال فى سالف العصر
رأها من اللغو المذم والمهذر
فلا أنا ذو ملك ، ولا بى من أشر
وانى ابن عبد الله من ذلك النفر
لعمرك أمر ما يلائمنا عسر
أبو القاسم ادعونى بها كنية تسر
أنت رسول الله يهدى بك البشر ؟

خبأنا من الأشياء ، نبلو ونختبر ؟
ومهلا ، فهذا شاهد صادق الخبر
فلم يك فيها بالعيى ولا الحصر
وقالوا : شهدنا ، ما بك الآن من نكر
هدى من كتاب محكم الآى والسور
من البر والإيمان ، والدمع منهمر
إلى الناس منه دمع عينيك يبتدر ؟
وأية نفس تأمن الله إن مكر
فمالى من واق يقينى ولا وزر
وإن جد كل الجد منه على خطر
فلله علم الغيب ، والغيب منتظر
وما تستطع من صالح الأمر فادّخر
كذلك يجزى الله من برّ أو فجر
ولا شىء لا ما نهى عنه أو أمر
إذا اتبعوه - من سبيل ولا أثر
هو الدين لا دين المخيلة والبطر
كدأب اللواتى فى المقاصير والستر ؟
وإن أشبهوا الأحياء موتى من الخور
تقلّب فى أحشائهم كل ذى ظفر

فإن يك حقا ما تقول ، فما الذى
فقال : رويدا ، إننى لست كاهنا
ومدّ يمين الخير يملؤها حصى
قضوا عجباً ممّا يسبّح ربه
هداهم إلى دين الحياة وزادهم
تلا ما تلا ، فالقلب لله خاشع
فقالوا : أمن خوف الذى أنت مرسل
فقال : أجل ، إنى أخاف عذابه
بُعِثْتُ بدين إن أمل عن صراطه
صراط كحدّ السيف لا يبرح الفتى
فلا تغترّر نفسى بشاهد حالها
من الخير فاستكثر لنفسك واستزد
لكلّ امرئ من شأنه ما أعده
نهى القوم عن لبس الحرير نبيهم
أطاعوه لا ييغون غير سبيله
وإن الذى ينهى النفوس عن الهوى
أدأب الآلى فى الحرب يصلون نارها
إذا ترك القوم الجهاد رأيتهم
وإن لم تكن أظفارهم جنة لهم

وفد أزد شتوة

قدم على الرسول الكريم ﷺ جمع من الأزد ، وفيهم صرد بن عبد الله الأزدى وكان أفضلهم ، فجعله أميرا على من أسلم من قومه ، وأمره أن يجاهد بهم من يليه من المشركين من قبائل اليمن ، فخرج حتى أتى مدينة جرش من مدائنهم حاصرها بمن معه من المسلمين قريبا من شهر ، ثم رجعوا عنها ، فظن أهلها أنهم ارتدوا منهزمين ، فانطلقوا وراءهم ، فأدركوهم عند جبل يقال له : شكر فقتل المسلمون منهم خلقا كثيرا .

هنا يا سَراة الأزد ، حطُّوا رحالكم
هنا البرُّ والتقوى ، هنا الخير كله
هنا المنزل الميمون ، ما من مُوقِّق
أجل يا ابن عبد الله عينيك واقتبس
تبين هداك الله ، إنك ناظر
هداكم به ربُّ تدارك خلقه
وولأك أمر القوم تمضى مجاهدا
شكت جرش طول الحصار وما اشتكت
رجعتم تريدون المكيدة ، فاعتري
رأى شكر من خطبهم وبلانكم
أكنتم كما ظنوا تخافون بأسهم ؟
هُم البدن بدن الله ضلَّت فما لها

فما أطيب المشوى ، وما أشرف الحمى
لن كان يرجو أن يفوز ويغنىما
يريد سواه منزلا أو مخيما
من النور ما يجلو الغياهب عنهما
أجل بنى الدنيا جميعا وأعظما
فجاد به نورا مبينا وأنعما
بهم من يليهم من رجال ذوى عى
لكم هم يرمى بها الله من رمى
أذى الوهم من عمَّارها من توهمها
مشاهد هزته ، فحيا وسلما
ألم يكفهم أن يضحكوا السيف والدم ؟
سوى النحر تلقاء قضاء محتما (١)

(١) بعث أهل جرش رجلين إلى النبی ﷺ يتحسان أخباره ، فسألهما بأى بلاد الله شكر؟ فقالا : إن بلادنا جبلا يقال له كشر ، قال : « ليس بكشر وإنما هو شكر » ، قالا : فما شأنه ؟ قال : « إن بدن الله لتنحر عنده الآن » وأخبرهما الخبر ، فرجعا إلى قومهما ، فوجداهم ، قد أصيبوا فى اليوم والساعة اللذين تلقيا فيها الخبر ، وذكراهم ذلك ، فجاؤوا فأسلموا .

كذلك قال الصادق البرُّ إنه ليلقى الذى يُلقى من القول ملهما
أكان حديثا للرسولين ساقه لقومهما ، أم كان جيشا عرمرما ؟
هما نبأهم ، فارعوا عن ضلالهم وقالوا رسول جاء بالدين قيما
وأصبح نور الله ملء ديارهم يضىء لهم ما كان من قبل مظلما

* * *

رسول ملوك حمير وحامل كتابهم

جاء رسول ملوك حمير وحامل كتابهم إلى النبي ﷺ بعد غزوة تبوك ، وفى الكتاب إخبار بإسلام الحارث بن عبد كلال والنعمان ومعاشر وهمدان قبيلة وأنهم قتلوا المشركين ، فكتب إليهم يوصيهم بالصلاة والزكاة وجمع الكلمة على الحق ، وأنه قد أرسل إلى زرعة ذى يزن يوصيه خيرا برسله ، معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عباد ، وعقبة بن نمر ومالك بن مرارة وأصحابهم ، 'فأنه قد جعل أمرهم إلى معاذ فلا يرجعن الأراضيا .

جاء الرسول كتابه بيمينه وافى إمام المرسلين مبشرا بعثوا إليهم رسولهم وكتابهم قالوا اعتصمنا باليقين فزادنا ولقد قتلنا المشركين نريده أقيال حمير لان جانب عزهم سن السبيل بسيفه ولسنه لا شئ كالحق المسلح للفتى الليث فى محرابه وكتابه رجع الرسول على هدى برسالة فيها قوى الإسلام محكمة العرى فيها شعائره ومظهر مجده أخذ الملوك بواضح من هديه ورمى إليهم بالوصية سمحة إن أكرموا رسلى الذين ترونهم أوصيت زرعة أن يكون لهم يدا

واليمن فى فمه وفوق جبينه بالمؤمنين من الملوك بدينه أن ليس متبّع لهم من دونه دين الهدى ، والمرء عند يقينه فتحا يشجّ الشرك فى عرينه لمسلط لين الظبى من لينه فتهافت الأقوام فى مسنونه يشفيه من كلب الهوى وجنونه والليث فى أشباله وعرينه فيها الهدى يحو الظلام لحينه لمن ابتغى الخيرات فى تمكينه ونظام دولته وأسّ شؤونه متبلّج لم يأل فى تبينه يقضى الأمين بها زمام أمينه يرجون فضل الله عند ديونه كيد القرين يشدّ أزر قرينه

ولقد جعلت إلى معاذٍ أمرهم فجعلته لزعيمة وضمينه

* * *

لا يرجعنَّ إلىَّ إلا راضيا والله عون نصيره ومعينه
يا حارث اشكر فضل ربك إنه أعطاك حظًا زاد في تحسینه (١)
أو لست أول مسلم من حمير وردَّ الهدى ، ومضى بصفو معينه ؟
وأقام للشرك المذمَّم مأتما يستعذب الإسلام رجع أنينه ؟
أبشر بخير غير مقطوع الجنى من ربك الأعلى ، ولا ممنونه

* * *

(١) كان الحارث أول من أسلم وقاتل المشركين من حمير فأنى عليه النبي ﷺ في كتابه وقال له: « أبشر بخير » .

رسول فروة بن عمرو الجذامي

وفد رسول فروة على النبي ﷺ يخبره بإسلامه ، وحمل إليه هديته ، وهى بغلة بيضاء يقال لها : فضة ، وحمار يقال له : يعفور ، وفرس يقال لها : الظرب ، وثياب معها قباء مرصع بالذهب . وكان فروة عاملاً للروم على من يليهم من العرب ، فلما أسلم أخذوه وحسوه ، ثم ضربوا عنقه وصلبوه بعد أن قال له الملك : ارجع عن دين محمد ، ونحن نعيدك إلى ملكك ، قال : لا أفارق دينه فإنك تعلم أن عيسى عليه السلام بشر به ، ولكنك تضمن بملكك .

هذا السبيل ، فأين يذهب من أبى ؟
ليس الذى ركب الغواية فالتوى
أحسنّت فروة إن دين محمد
هذا رسولك جاء بهدية
أنت السعيد بها ، ولو أتبعها
ماذا يغىظ الروم من مستبصر
سجنوه حين رأوه يطلق نفسه
وتكنّفوه ليفتنّوه فزاد فى
لو يعقل الملك الغبى لما رأى
قال : اعتزل دين الذين هم العدى
لك عند قومك ما تحب وتشتهى
المجد والشرف الرفيع ، وما ترى
قال : اقتصد ما أنت أنت ولا أنا
إنى اصطفت محمدًا وهو الذى
وأراك تعلم غير أنك مولع
قال : اقتلوه ، فراح يلقي ربه

أو ليس نور الله قد كشف الدجى ؟
كمن استقام ، ولا الضلالة كالهدى
لهو الذى يشفى القلوب من العمى
فيها لنفسك كل ما تهب المنى
كل الذى لك لم تزد إلا غنى
صرف العنان عن الغواية وارعوى ؟
فى المعشر الطلقاء من سجن الهوى
إيمانه ما جرّعه من الأذى
رأى الألى ضلوا السبيل ، ولا غوى
إن كنت تؤثر أن تُردّ على رضى
فى ذلك الحرم الممنّع الحمى
من نعمة خضراء دائية الجنى
أنا ، قد مضى من أمرنا ما قد مضى
أوصى به عيسى فنعم المصطفى
بالمك تكره أن يكون له المدى
فرحًا ، بما حفظ الأمانة واتقى

صلبوه من حنق عليه ، فويحهم أفلم يكن فى قتل فروة ما كفى
نعم الشهيد ، وبئس ما صنعوا به وسيعلمون لمن يكون المنتهى
تلك العقيدة حكمها وسبيلها إما سبيل المؤمنين أو الردى

* * *

وفد بنى الحارث بن كعب

بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بنى الحارث بن كعب بنجران ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم فخرج حتى قدم عليهم ، وبعث الركبان يضربون في كل وجه ، ويقولون: أيها الناس أسلموا تسلموا ، فأسلموا ، وقام فيهم يعلمهم شرائع الإسلام ، وكتب بذلك إلى النبي ﷺ ، فكتب إليه أن يوافيه ومعه وفدهم فجاءوا وفيهم قيس بن الحصين . . ذو الغصة . . وحين اجتمعوا به قال : بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية ؟ قالوا : كنا نجتمع ولا نفرق ولا نبدأ أحدا بظلم ، قال : « صدقتم » وأقر عليهم زيد بن الحصين . ومات ﷺ بعد رجوعهم إلى قومهم بأربعة أشهر .

يا بنى الحارث بن كعب سلام جاءكم خالد بدعوة حق عظمت نعمة النبي عليكم كل ما تكره النفوس من البغ لا يحلُّ القتال إلا بحق أنتم القوم ما عليكم ملام وعجيب إذا بدا الحق طلقاً يا بنى الحارث بن كعب نزلتم ها هنا ، ها هنا يطيب المقام أرأيتم عزَّ النبوة فيما لا النبيُّون أول الدهر نالوا قال وهو العليم إذ كلَّم القو بم كنتم في الجاهلية تستعلون فأجابوه : ذلكم أننا كنا	أذهب الرجسَ عنكم الإسلامُ فاستجبتم ، معابكم إحجام فاعرفوا دينه كيف يقام سئ وسوء الصنيع فيه حرام وهو حق مؤكَّد وذمام قُضِيَ الأمر واستراح الحسام أن تضلَّ العقول والأحلام في حمى الله منزلاً لا يرام هذه يثربُ وهذا الإمام عرف الناس أو رأى الأقوام بعض هذا ولا الملوك العظام م ، ومن مثله يطيب الكلام بالنصر حين يحمى الضرام جميعاً تضمُّنا الأرحام

صادقِي البأس ، للقلوب اتحاد حين تمضي وللمصفوف التئام
 صخرة ما تطير أو تتفرّى إن تفرّى الحصى وطار الرغام
 ثم كنّا لا نبدأ الناس بالظلم ، نَعاف الذى يعاف الكرام
 نكره الشر قادين ونأبأ ه للشر فى النفوس اضطرام
 قال : حقا صدقتم ، وما كان ليِرجى للظالمين دوام
 إن زيدا أميركم فاعرفوه واستقيموا ، لكل أمر نظام
 سنّة الله ليس للقوم بدٌّ من رئيس يُلقى إليه الزمام
 عُدْ بخير يا ابن الحصين ونُعمى إنك اليوم للرئيس الهمام

رفاعة بن زيد الخزاعي

وفد على الرسول ﷺ ، وأهدى إليه غلاما كان معه ، وأسلم وحسن إسلامه ، فأرسل معه كتابا إلى قومه بأنه موكل بدعوتهم إلى الإسلام لمن يجيب الدعوة مهلة شهرين فأسلموا .

أقبل رفاعة لا مُعَرَّجَ لامرئ
جئت الرسول المجتبي من ربه
أكرمت نفسك فانطلقت تريده
يبني الحياة على أساس ثابت
إن شئت أن ترقى بنفسك صاعداً
وهو الجناح فإن ظفرت به فطر
لا تنهض الهمم الكبار بغيره
سعد الغلام كما سعدت وربما
عزت بسيد العوالم أرضها
أمضى إليك بأمر قومك ، فاضطلع
وخذ الكتاب مباركاً ما مثله
اقرأ متندداً عليهم ، وادعهم
ولن عصاك مدى ، فإن بلغوا المدى
أو ما كفى شهر يجر ورء

يبغى الذى تبغى ولا متلوم
وقدمت تتبعه فنعم المقدم
ديننا هو الشرف الأجل الأعظم
من قوة الله التى لا تهدم
فعليك بالإيمان فهو السلم
واطو الجواء فأنت أنت القشعم
سبباً ولا تسمو النفوس الحوم
خدم السعيد فكان ممن يخدم
وسماؤها وهو الأعز الأكرم
واعزم رفاعة إن مثلك يعزم
كتبت يد فيما يخط ويرقم
أن يتبعوك إلى التى هى أقوم
فالله يقضى ما يشاء ويحكم
شهرًا لمن يبغى المحجة منهم ؟

لله قومك يا ابن زيد أنهم
نور على نور ونعمى زادها
علمت خزاعة بعد جهل فاهتدت
إن تذكروا فضل الرجال وأيهم

سمعوا الكتاب فشايعوك وأسلموا
من فضله الأوفى الكريم المنعم
والى الحقائق يهتدى من يعلم
أربى فأنت السابق المتقدم

وفد همدان

وفد منهم على النبي ﷺ جمع فيهم مالك بن نط ، وكان شاعرا مجيدا ، فلقوه عند مرجعه من تبوك عليهم مقطعات من الحبرات . . ثياب قصار من برود اليمن . وعمائم عدنية ، على الرواحل المهوية والأرحبية ، وجعل مالك يرتجز بين يديه .

إليك جاوزنا سواد الريف فى هبوات الصيف والخريف

مخططات بجبال الليف

وقد أمره الرسول الكريم ﷺ على من أسلم من قومه ، وفى رواية مرجحة أنه أرسل إليهم خالد بن الوليد يدعوهم إلى الإسلام ، فأقام ستة أشهر وهم لا يجيبون فبعث إليهم عليا كرم الله وجهه ، وأمر خالد بالرجوع إليه ، فصف على أصحابه وقرأ عليهم كتاب النبي ﷺ فأسلموا جميعا ، وكتب بذلك إليه فخر ساجدا ثم رفع رأسه وقال : السلام على همدان مرتين :

هو وفدهم ، وهم الفريق الطيب	ما فاتهم من كل خير مطلب
طابت منابتهم ، فطاب صنيعهم	إن الرجال إلى المنابت تنسب
إلا يطيعوا خالداً إذ جاءهم	فلكل أمر موعده يتقرب
سدوا السبيل عليه ستة أشهر	وأتى على بالكتاب فرحبوا
همدان أهل للجميل وعندهم	غوث الصريخ ، ونجدة ما تكذب (١)
نصر الحماة الصادقين وصبرهم	والحرب حرى والفوارس هيب
شهد النبي لهم فتلك صفاتهم	تملى محاسنها على وأكتب
يرضون ملته فيسجد شاكرًا	لله جل جلاله يتقرب
ويذيقهم برد السلام مُردداً	عذبا كماء المزن أو أعذب

(١) جاء فى السيرة أنه ﷺ قال : « نعم الحى همدان ، ما أسرعها إلى النصر وأصبرها على الجهد ، وفيهم أبدال وفيهم أوتاد » .

أوتاد هذى الأرض أو أبدالها
يمضى الزمان وهم ولاية أمورها
تلك الولاية ، لا ولاية معشر
جاؤوا عليهم رونق ونضارة
صنع البرود لهم فأحسن صنعها
تهفو يمانية على أجسادهم
من كل وضاح الجبين معمم
زانوا الرحال بما أفاءت مهرة
جاؤوا بشاعرهم فمن أنفاسه
حيًا رسول الله يظهر حبه
حيا الشمائل كالحماثل ، فالربى
حياه مرتجزًا ، وإن لمالك
قل يا أخا همدان واشهد أنه
هو ذلكم ما من رسول غيره
ما فيه من شك ، وليس كمثله
أنت الأمير على الألى اتبعوا الهدى
خذهم بأداب الكتاب وكن لهم
واعمل لربك جاهدا ، لاتأله

منهم ، فمشرقها لهم والمغرب
فى دولة أبدية ما تذهب
يبقون ما غفل الزمان القلب
يصف النعيم لباسهم والركب
وأجادها صنع اليدين مُدرب (١)
فتكاد حسنا بالنواظر تنهب
وكأنه مما يهاب معصب
من نسلها الغالى وأنجب وأرحب (٢)
أرج كنفع الطيب أو هو أطيب (٣)
إن الكريم إلى الكريم محبب
تبدى البشاشة ، والخمائل تطرب
لأعز ما ملك البيان المعجب
للحق مالك دونه متنكب
فيميل عنه أخو الرشاد ويرغب
للعالمين معلّم ومهذب
والحق من همدان أو أنت الأب
مثلا من الشيم الرضية يضرب
دأبا ، فليس يفوز من لا يدأب

(١) يقال رجل صنع اليدين وصناع اليدين إذا كان حاذقا فى الصنعة .

(٢) الرواحل المهرية تنسب إلى قبيلة أو بلدة يمنية يقال لها مهرة وهى نجائب تسبق الخيل

وأرحب قبيلة أو مكان تنسب إليه النجائب الأرحبيات .

(٣) هو مالك بن النمط ومن شعره .

صوادر بالركبان من هضب قردد
رسول أتى من عند ذى العرش مهتد
أشد على أعدائه من محمد

حلفت برب الراقصت إلى منى
بأن رسول الله فينا مصدق
فما حملت من ناقة فوق رحلها

وَقَدْ تَجَيَّبَ

تجيب ويجوز بفتح تائها قبيلة من كندة ، جاء وفدها إلى النبي ﷺ وكانوا ثلاثة عشر رجلا يسوقون صدقات أموالهم . فسر بهم وأكرم مثواهم ، قالوا : إنا جئنا بحق الله في أموالنا ، فقال : « ردوها فاقسموها على فقرائكم » ، فقالوا : ما جئنا إلا بما فضل عنهم ، فقال أبو بكر : ما قدم علينا مثلهم . فقال الرسول الكريم ﷺ : « إن الهدى بيد الله عز وجل فمن أراد به خيرا شرح صدره للإيمان » ، وسألوه عن القرآن والسنن فزاد سرورا بهم ، واستأذنه في الرجوع ، ودعوه ، فأرسل إليهم بلالا بأسنى الجوائز ، وقال : « هل بقى منكم أحد ؟ » ، قالوا : غلام خلفناه على رحالنا ، قال : « أرسلوه » ، فأقبل يقول : قد قضيت للناس حوائجهم فاقض لى حاجتى ، وهى أن تسأل الله أن يغفر لى ويرحمنى ، ويجعل غناى فى قلبى ، ففعل وأمر له بجائزة .

تجيب بعثت الوفد ، أما سبيله فسمح ، وأما منتواه فصالح أتى فى ذمام الله يؤتیه حقه من المال يهديه سنًا منه واضح فأكرم مثواهم ، وأعلى مكانهم رسول لمن يبغى المحجة ناصح وقال لهم : ما بى إلى المال حاجة وحسبى من الخيرات وما الله مانح خذوه فروده إلى فقرائكم فينعم مكروب ، وينهض رازح فقالوا : كفيئناهم ، فما منهم امرؤ له حاجة تطوى عليها الجوانح وقال أبو بكر : هم القوم ما رأيت كمقدمهم منا العيون اللوامح وسر رسول الله حسن صنيعهم فما مثله إذ يمدح القوم مادح فلما استزادوه من الحق زادهم ولن تسأم الحق العقول الرواجح رأوا موردًا عذبًا فألقوا بأنفسهم ظماء بها من وقدة اللوح لافح (١) فما مثلهم فيمن هدى الله وارد ولا مثله فيمن شفى الداء ناصح هم استأذنه فى الإياب وودعوا تُشيعهم منه العطايا الدوالج (١) اللوح : العطش .

بلال انطلق خلف الرجال فأعطهم
وسلمهم : أفيهم من تأخر رفته ؟
فقالوا : غلام فى الرجال مخلف
وجاء يقول القول براً وحكمة
قضيت رسول الله حاجة قومنا
سل الله أن يرضى ، فيغفر حوبتى
بهذين فادع الله لى ، ثم بالغنى
دعا بالذى ودّ الفتى وأجازه
صفا قلبه من كل شىء يشوبه
وإن له بعد النبىء لمشهدا
سيكفى أبا بكر تقلب قومه
هم النفر الأخيار ما فى رجالهم
أقاموا كراما ثم عادوا أعزة
فما فاتهم خير ولا نال سعيهم
ألا إنه هو الإسلام لا مجد مثله
أغنى به فليطرب الدهر ولتدع
وإنى لأقضى للعروبة حقها
وماذا على الأعداء إن قام ماجد
نصبت لها نفسى فما لان جانبى
لك الحمد ربى إنها لك نعمة
فيارب هل للشعر بعدى خليفة
أرى الجد أودى إذا أبى الجد أهله
ألخوا على الأخلاق فانقض ركنها

جوائزهم ، إن التقى لرابح
فيعطى ، ويلقى قومه ، وهو فارح
على وجهه وسم من الخير لائح
فواعجبى ، أين النهى والقرائح ؟
ولى حاجة بالباب ، والله فاتح
ويرحمنى ، إنى إلى ذاك طامح
غنى القلب ، إن المعدم القلب طائح
فلم يبق من حاجاته ما يطارح
وطابت بتقوى الله منه الجوارح
يهون به عاد من الخطب فادح ^(١)
إذا جهل الأقوام والجهل فاضح
شقى ولا ناء عن الرشد جامح
لهم شرف عال ، مقيم وبارح
من الناس غاد فى البلاد ورائح
وإن صاح بالبهتان والإفك صائح
تطاربها هذى الطيور الصوادح
وإن لجّ مفتون ، وأرجف كاشح
يناضل عن أحسابها وينافح ؟
وجئتُ فما ضاقت على المنادح
وإنى لما يرضيك منى لكادح
يقوم به إن غيبتنى الصفائح ؟
فلم يبق إلا ما تعود مازح
وحاقت بأبناء البلاد الجوائح

(١) لما ارتد من ارتد بعد وفاة النبى قام فى قومه يذكرهم الله والإسلام فلم يرتد منهم أحد .

بقية الوفود

توالت وفود الله تختار دينه دعاها فلبت تبتغى الحق مذهبا هداها إلى الإسلام رأى مسددا إذا المرء لم يزجر عن الغي نفسه وشر سجايا النفس أن تؤثر العمى ترامت بهم آمالهم ومطيرهم جليل الأيادي ، ما يعب نزيله إذا جاءه المكروه والههم جائم وإن راح يستسقى به الغيث مُسنت لكم جاحدا لما رأى نور وجهه به عرف القوم السبيل إلى الهدى وفى ظله الممدود حطوا ذنوبهم طهارى عليهم من سنا الحق بهجة بنى الدهر ناموا آخر الدهر أو هبوا أبى الله إلا أن يؤيد دينه إذا أخذ السبيل الأتى سبيله وما الدين إلا ما محا الشر والأذى وما يستوى البحران : هذا مذاقه قضاها لنا رب السماء شريعة

وترضاه رباً ما لها غيره رب وجاءت يظلُّ الركب يتبعه الركب فلا شغب يؤذى النفوس ولا حرب فلا الطعن يهديه السبيل ولا الضرب وتكره أن يستل أدواءها الطب إلى واسع الأكناف منزله رحب قرى فاضل من جوده ، وندى سكب كفى ما به ، حتى كأن لم يكن كرب تقشع عنه الجذب ، واطرد الغصب (١) تجلى العمى عن عينه وصحا القلب فلا مسلك وعر ، ولا مركب صعب فعادوا ولا وزر عليهم ولا ذنب لها وهج باق على الدهر لا يخبو تكشف الظلماء ، وانجابت الحجب فليس لمن يأباه عقل ولا لب فلا الشرق مسدود الفجاج ولا الغرب فلا أمة تشكو الشقاء ولا شعب أجاج ، وهذا طعمه سائغ عذب مظهرة ، لا الظلم منها ولا الغصب

(١) أسنت القوم أصابهم الجذب ، وهكذا كان بنو فزارة عند مجيء وفداهم فدعا لهم النبي ﷺ فأمطروا.

لنا ديننا نسمو به ، وكتابتنا إلى حيث لا الأديان تسمو ولا الكتب
 رعى الله قومًا ما رعوا غير حقه ولا راعهم فيه ملام ولا عتب
 يُحبّونه حبًّا تلين قلوبهم به وهو فيها متل إيمانها صلب
 فمن يك عن حال المحبّين سائلا فتلك سجايهم ، وهذا هو الحب
 تعلم سجايا القوم واسلك سبلهم أولئك حزب الله ، ما مثله حزب

* * *

كتب النبي ﷺ إلى الملوك

أرسل النبي ﷺ ثمانية كتب إلى تسعة من الملوك يدعوهم إلى الإسلام ، فمنهم من أسلم ومنهم من أخذته العزة بالإثم ، وهم هرقل ملك الروم على يد دحية الكلبي ، وكسرى ملك فارس على يد عبد الله بن حذافة ، والنجاشي على يد عمرو بن أمية الضمري ، والمقوقس ملك القبط بمصر على يد حاطب بن أبي بلتعة ، والمنذر بن مساور العبدى بالبحرين على يد العلاء بن الحضرمي ، وجيفر وعبد ابنا الجلندي ملكا عمان على يد عمرو بن العاص ، وهوذة بن علي صاحب اليمامة على يد سليط بن عمرو العامري ، والحارث بن أبي شمر الغساني بدمشق على يد شجاع بن وهب .

والبأس بينهما يثور ويعصف	الكتب تترى ، والكتائب تدلف
فإذا العروش بهم تميد وترجف	الله وكل بالملوك رسوله
أم تلك أجنحة تظل ترفرف ؟	أهى القلوب تلج فى خفقاتها
ترمى بهم همم نواهض قذف	رسل النبي بكل أرض جوّل
دين لهم صلب ورأى محصف (١)	حملوا القلوب الصمّ يعصمهم بها
تمضى فتصدع ما تشاء وتقصف	ترمى الجلامد والحديد بقوة
ويهابها المستكبر المتغطف (٢)	يخشى العتيّ المستبد نكالها
لك حاجة ما دونها متخلف	سرّ فى ذمام الله دحية إنها
وأبت عمايته فما تتكشف	أيقظ هرقل فقد تطاول نومه
دين ، وليس له شريك يعرف	أيقظه إن الله ليس كدينه

(١) المحصف : المحكم .

(٢) المتغطف : المتكبر .

أخذ الكتاب وراح يسأل كلما
 ماذا أراد الله ، ما شأن الذى
 قل يا أبا سفيان لا تطع الهوى
 أبدى هرقل لقومه أن قد صفا
 غضبوا فقال : رويدكم ما بى سوى
 بعث الكتاب فقال : إني مسلم
 واختارها مما يحب هدية
 قال النبی : رسالة من كاشح
 وهدية ساءت وساء حديثها
 وضع اليقين له يلح ويلحف (١)
 بعث الكتاب ، بأى شيء يوصف
 ودع الملام لمن يجور ويجنف (٢)
 منه إلى الإسلام قلب منصف (٣)
 أن أستبين ، وأين منا المصرف ؟
 لكنهم قومي الألى أتخوف
 ألقى بها من مكره يتزلف (٤)
 يبدى الرضى ، ومنافق يتكلف (٥)
 فالزور من أسمائها والزخرف

* * *

كسرى لك الولايات ، ماذل تبتغى ؟ ماذا تظن ؟ بمن تُغاثُ وتسعف ؟

(١) كان هرقل يومئذ ببيت المقدس وعنده أبو سفيان . . قبل إسلامه « وبعض أصحابه .
 فسألهم عن أقربهم نسبا إلى النبي ﷺ ، فقال أبو سفيان : أنا أقربهم إليه فإنه ابن عمى
 قال له : إنه منى ، وصف أصحابه وراءه ليردوه عما يخالف الحق من مقالته ، وأقام
 ترجمانا يسأله عن نسب النبي ﷺ وأخلاقه وأعماله وعن الذين يتبعونه ، فقال الحق
 ونطق بالصواب .

(٢) يجور ويجنف بمعنى يميل عن الطريق .

(٣) روى أن هرقل لما عاد إلى حمص . وكانت دار ملكه أمر متاديا ينادى : ألا إن هرقل قد
 آمن بمحمد واتبعه ، فخف الجنود فى سلاحهم وطافوا بقصره يريدون قتله ، فأرسل
 إليهم إني أردت اختبار صلابتكم فى دينكم ، وقد رضيت فرضوا عنه ، وثمت رواية
 أخرى تنفق وهذه الرواية فى معناها وإن خالفتها فى بعض ألفاظها .

(٤) قبل النبي ﷺ هديته وقسمها بين المسلمين

(٥) كتب إلى النبي ﷺ يقول : إني مسلم ولكنى مغلوب على أمرى ، فقال : « كذب عدو
 الله ليس بمسلم » وقد حارب المسلمين فى غزوة مؤتة .

مزقت من كتب النبی تمیمة
وذخيرة يجد الذخائر كلها
أطلبت من باذان رأس محمد ؟
سترى اليقين على يد ابنك فانتبه
صدق النبی وذاق كسرى حتفه
ورأى الهدى باذان بعد ضلالة
نبذ الهوى فصحا ، وأصبح مسلما
لا خاب جد القوم إن ألهم
وأتى النجاشي الكتاب فلم يكن
شرف أتيح له وعز زانه
وأبى المقوقس أن يفارق دينه
بعث الهدايا يتقى بحسانها

فيها منابع رحمة لا تنزف (١)
بيديه حين يصيبها المتلقف
إن لم يتب ؟ بل أنت غاو مسرف
لك موعد عما قليل يأزف
من شيرويه فما له من يعطف
فمضى على البيضاء لا يتعسف
ودعا الألى معه فلم يتخلفوا
جمع القلوب على الهدى فتألفوا
من يصد عن الصواب ويصدف (٢)
إن التقى هو الأعز الأشرف
يخشى الذي يخشى الغبى المترف (٣)
ما يتقى ذو البغضة المتلطف

(١) مزق كسرى كتاب النبی ﷺ وكتب إلى باذان أحد أمرائه باليمن أن سر فاستتب الرجل الذي يزعم أنه نبي ويكتب إلى فإن أبي فابعث برأسه . فبعث باذان كتاب كسرى إلى النبی مع قهرمانه ومعه رجل آخر طالبا أن يذهب معهما إلى كسرى فأخبرهما بأن ابنه شيرويه سيقتله ورجعا بالخبر إلى باذان فلما قتل أسلم هو ومن معه [هنا ما يفيد أن هذا التعليق من عمل « نعيم » .

(٢) بعث النبی ﷺ بكتابه إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام ، وقد سألته في كتاب آخر أن يزوجه من أم حبيبة رضي الله عنها ففعل .

(٣) أرسل النبی ﷺ كتابه إلى المقوقس عند منصرفه من الحديبية فلما قرأه قال لحاطب بن أبي بلتعة : إن كان نبيا فما له لا يدعو على من خالفه فيهلكوا ؟ قال له حاطب : وما بال عيسى لم يدع على الذين أخذوه ليقتلوه ؟ قال : أحسنت ، حكيم جاء من عند حكيم ثم بعث إليه هدايا ومنها مارية أم ولده إبراهيم وكتابه الذي قال النبی ﷺ حين قرأه : « من الخبيث بملكه ولا ملك له » ، والمترف : الذي أطفته النعمة وأفسدته .

ضن الخبيث بملكه وغدا يرى يد عزه فى ملكه تتصرف
 هذا الذى قال النبى وهكذا صنع الذى يبنى العروش وينسف
 والمنذر اتخذ السبيل مسدداً قبل الكتاب يخفُّ فيه ويوجف (١)
 سأل النبى فقال ما أنا فاعل بالقوم إذ ضلوا السبيل وزيفوا ؟
 فقضى إليه الأمر يأخذهم به ويقيمه بالحق لا يتحرف
 للمسلمين أمورهم ، وله على من ضلّ جزية عادل لا يُجحف
 وطحا بجيفر جهله وعناده فأبى على عمرو وأعرض يأنف (٢)
 ورآه يهدر بالوعيد ، فراعته وأتى غد فانقباد لا يتوقف
 وانساق يتبعه أخوه وإنه لمهذبّ سمح الخلال مثقف
 وأتى اليمامة بالكتاب رسولها فكذاك يهذى الطامح المتعجرف (٣)
 طغيان شاعرها وجهل خطيبها وغرور صاحبها المييد المتلف (٤)
 طلب المحال من النبى ولم يزل ذو الجهل يولع بالمحال ويشغف

(١) أسلم المنذر قبل مجيء كتاب الرسول الكريم ﷺ إليه ، وكتب يخبره بذلك ويقول : إن عنده قوما من المجوس واليهود ، فماذا يفعل فجاءه كتابه : أن اترك للمسلمين ما أسلموا عليه ومن أقام على مجوسيته أو يهوديته فعليه الجزية ، وأخب الرجل فرسه وأوقفه : جملة العدو والسرعة .

(٢) لقي عمرو عبداً أخا جيفر وكان أسهل الرجلين فجرى بينهما حديث لأن له قلب عبد ولكنه قال : الأمر لأخى جيفر فهو أكبر منى سنا ، فوصل إليه وقرأ الكتاب فأغلظ فى القول فهدده عمرو فاستمهلته إلى الغد فلما كان الغد أسلم هو وأخوه .

(٣) المتعجرف المتكبر والذى يركب الناس بما يكرهون من الأمور .

(٤) لما قرأ الكتاب قال : إني خطيب قومي وشاعرهم والعرب تهابنى ، فليجعل لى بعض الأمر فلما عاد سليط وخبر النبى ﷺ ، قال : « لو سألتنى سيابة - قطعة من الأرض - ما فعلت بار وبار ما في يديه » ، مات بعد ذلك بمدة قصيرة .

يهذى ببعض الأمر يقطعه له
والحارث المأفون طاح بلبه
ألقي الكتاب وقال : ملكى ليس لى
انظر شجاع الخيل والجند الألى
واذكر لصاحبك الحديث فربما
ثم استعدَّ وجاء قيصر وافد
حمقاء يطغى الغيظ بين سطورها
ركب الغرور وقال : إنى قاذف
قال ازدجر ، ما أنت من أكفائها
فأفاق واتخذ الخداع سجية
بعث السلام مع ابن وهب وادعى
قال : ادّخرنى يا شجاع فإن لى
إنى لمتبع سبيل محمد
سمع النبى حديثه فتكشفت

والأمر ما قطع الحسام المرفف
خبل يصاب به العقول فتضعف
كفء فينزع من يدى ويخطف (١)
تلقى العدو بهم تكرر وتزحف
كف المناجز ، وارعوى المستهدف
بصحيفة منه تصرُّ وتصرف (٢)
وتشب بالشنان منها الأحرف
بالجيش يثرب فهى قاع صفصف
واسكن فإنك للغوى المرجف
لا يستحى منها ولا يتعفف
دعوى الذى يرخى القناع ويغدف (٣)
قلبا إلى دين الهدى يتشوف
وإليك ردفك بالكرامة يردف
نفس مقنعة ، وقلب أغلف

(١) لما قرأ الكتاب رمى به وقال : من ينزع عنى ملكى ؟ إنى سائر إليه ولو كان باليمن لجئته
ثم أمر بالناس وبالخيل ، فلم تزل تعرض عليهم حتى الليل ثم قال لشجاع : أخبر
صاحبك بما ترى ، وكتب بذلك إلى قيصر وكان عنده دحية الكلبي بكتاب رسول الله
ﷺ فيها قيصر عن المسير .

(٢) تصر وتصرف : تصوت كناية عن الحدة والغيظ .

(٣) أمر الحارث لشجاع بمائة مثقال ذهب وقال له : سلم على النبى ﷺ ، وقل له : إنى
متبع دينه ، فلما سمع النبى ﷺ قوله قال : « بار ملكه » ، وأغدقت المرأة قناعها على
وجهها : أرسلته كناية عن المداجاة والمغالطة .

ملك يببىد ومالك يرجى إلى أجل يحين وموعد ما يخلف (١)
 يابى الغوى الرشء يرفع شأنه فإذا هوى ألفيته يتأسف
 للحق مئذنة وداع مسمع فى كل شىء بالخلائق يهتف
 عجب الملوك لكابرين سمت بهم همم تميل عن العروش وتعزف
 المتقون هم الملوك وإن أبوا رغد الحياة ولينها فتقشفوا
 عكفوا على آى الكتاب فأفلحوا والجاهلون على المآثم عكف

* * *

السرايا

obeikan.com

سرايا زيد بن حارثة

السرية الأولى

كانت عقب وقعة بدر على عير لقريش فيها أبو سفيان ، وصفوان بن أمية وعبد الله بن أبي ربيعة ، وحويطب بن عبد العزى ، وكانت العير ذاهبة إلى الشام عن طريق غير التي تسلكها من قبل فخرج إليها زيد بن حارثة فى مائة راكب فأصابها وهرب القوم وبلغ الخمس ما قيمته عشرون ألف درهم ، وكان دليلهم رجلا من أسارى بدر ثم هرب ، جىء به إلى النبى ﷺ فعرض عليه الإسلام فأسلم :

نهض الغزاة فأين تمضى العير ؟ أعلّى الغمام إلى الشام تسير ؟
زيد بن حارثة يطير وراءها ما ظنها بالنسر حين يطير ؟
مهلا أبا سفيان إن طلابكم عسر وإن مصابكم لكبير
صفوان يرعد خيفة وحويطب مما عراه مروء مذعور
زولوا بأنفسكم فتلك حتوفها غضبى إليها بالسيوف تشير
هى غارة البطل المظفر ما لكم منه إذا خاض الغمار مجير
ظنوا الظنون به فلما استيقنوا زالوا عن الأموال ، وهى كثير
أمت تساق إلى النبى غنيمة لله فيها فضله المشكور
هذا دليل العير غودر وحده خلف الألى خذلوه ، فهو أسير
الله أطلقه على يد منقذ هو للأسارى المرهقين بشير
عقدت من الإسلام فوق جبينه تاجاً عليه من الجلالة نور
من علم القوم العكوف على الهوى أن الحياة جهالة وغرور

تلك المغنم ، ما لها كمحمد فى الناس من أحد إليه تصير
هى قوة للمسلمين ومظهر للقائمين على الجهاد خطير
بوركت يازيد بن حارثة فما لك فى الموالى الصالحين نظير
إيه أمير الجند ليس كمثله جند ولا مثل الأمير أمير

* * *

السترة الثانية

كانت إلى بنى سليم بالجموم اسم لناحية من بطن نخل سار فى جنده إلى ذلك المحل ، فأصابوا فيه امرأة من مزينة دلتهم على محلة من محال القوم ، فأصابوا فيها إبلا وشاء وأسروا منها جماعة منهم زوج المرأة ، ثم عادوا إلى المدينة ، فوهب النبى ﷺ لها نفسها وزوجها :

بنى سليم أعدوا الخيل واحترسوا
زيد بن حارثة ، زيد بن حارثة
هل عندكم إن تغشَّتكم سريته
مشى إليكم فهل قرَّتْ منازلكم ؟
لولا التى انطلقت تهديه ما عُرِفَتْ
فما الجموم وما ضمت منازل
أين الأناسى جل الله ، هل مسخوا
ما ثم إلا الألى أدركتهم قنصاً
عد بالأسارى وبالغنم التى قسمت
يا زيد ما حق من دلتك إذ صدقت^(١)
من النبى عليها ثم أكرمها
نالت بنعمته من بعلها هبة

إن كان ينفعكم كرُّ وإقدام
خطب جليل ، وجرح ليس يلتام
للسيف سيف ، وللضرغام ضرغام ؟
واستمسكت منكم الأعناق والهوام
منكم ومنهن آيات وأعلام
إلا ظنون خفِّيات وأوهام
لما رأوك فهم - يا زيد - أنعام ؟
لم يغنه إذ هوى خوف وإحجام
لك القواضب ، إن الغنم أقسام
أسر تضيق به ذرعاً وإرغام
فى مشهد كله منُّ وإكرام
زالت لها كرب شتى وآلام

* * *

بنى سليم ، أفى دين الفسوق لكم
ما أخيب النفس فى الدنيا وأخسرها
يا للبلاء ، أيعصى الله ليس له
إلا ذنوب تغشَّاكم وآثام ؟
إن أخطأ النفس إيمان وإسلام
كفو وتعبد أوثان وأصنام ؟

(١) بياض بالمصورة .

السّرية الثالثة

كانت إلى العيص وهو محل بينه وبين المدينة أربع ليالى ، أقبلت غير لقريش من الشام فيها أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت النّبي ﷺ ، فخرج إليها زيد فى سبعين ومائة راكب ، فقدموا به وبالعير إلى المدينة ، واستجار بزینب فأجارته ، وسألت النّبي ﷺ أن يرد عليه ماله ، ففعل ، وعرض عليه بعضهم الإسلام ليغنى أموال أهل مكة فأبى ، وذهب إليهم ، فأعطى كل ذى حق حقه ، ثم أعلن إسلامه هناك ، وقدم على النّبي ﷺ فرد عليه زينب .

يا أبا العاص ، أى أرض تريد ؟ إن ما تبتغى لصعب شديد
سُدّت السبل يا أبا العاص فانظر أين تمضى إذا وأين تحيد ؟
أرأيت الحديد يزجيه زيد مستطير السنا ، عليه الحديد ؟
إيه يا ابن الربيع تلك جنود تنهاوى عن جانبيها الجنود
ليس للعير غيرها فدع العير وعد سالما وأنت حميد
بعدت مكة . فلا تردّها وإلى يثرب فثمّ الورود
جاء صهر النّبي فى ناب مولا ه ولليث حكمه إذ يصيد
رام من زينب الجوار فقالت إن فى ذا الحمى يجار الطريد
ومشت تخبر الرسول وترجو عنده الخير والفؤاد كמיד
قال : إنى أجرتة فله ما شئت عندى ، وماله مردود
أكرميّه فما عليك جناح وامنحيه الجميل وهو بعيد
إنه مشرك ، فأنت حرام شرعة الله ، فليكن ما يريد

قال قوم : أسلم يا أبا العاص تغنم مال قوم هم العدو اللدود

قال : كلا ، فلست أبداً ديني
وتولّى فجاء مكة ما يُجحد
قال : يا قوم ليس بي من جحود
فخذوه ، فقد وفيت ، ورب البـ
أشهد الآن موقنا مطمئناً
بعث الصادق الأمين رسولا
بكتاب فيه الشرائع تهدي النا
ما حياة الشعوب في الشرك فوضى ؟

بالتى يأنف الشريف الرشيد
فيها مقامه المشهود
إنه مالكم إليكم يعود
يت سبحانه على شهيد
أنه الله ربنا المعبود
يهدم الشرك دينه فيبيد
س أعلامها ، وفيها الحدود
الحياة الإيمان والتوحيد

* * *

يا أبا العاص عدت براً تقياً
اعتزل ما مضى لنفسك في دنـ
أنت صهر النبي لا الودمـ
زال ما كان من حجاب فـ
ليس من حاجة لم تُتج لك بعـ
ساعفتك المنى ، وطاب لك العـ

فهنيئاً لك الميعاد السعيد
يا الخطايا ، فأنت خلق جديد
نوع ، ولا الباب موصد مسدود
لا الإسلام ينهى ، ولا الكتاب يذود
د ولا ثمّ مطلب منشود
يش ، ألا هكذا تواتى الجدود

* * *

السرية الرابعة

كانت إلى بنى ثعلبة بالطرف .. مكان .. بعثه النبي ﷺ في خمسة عشر رجلا فلم يجد أحدا ، لأنهم ظنوا أن الغزى لهم هو الرسول الكريم ﷺ ، فهربوا ، وأصابته هذه السرية نعماء وشاء عادت بها إلى المدينة ، وقد خرج القوم في طلب زيد بن حارثة فلم يدركوه .

بنى ثعلبة هبوا	فإن الليث قد عزموا
رماكم بابن حارثة	رسول الله حين رمى
زعمتم أنه هو زعم من يهـ	لذى وما علما
فطارت قبل مقدمه	نفوس أشعرت لما
ونعم أخو الوغى زيد	إذا ما جدد فاقترحا
يخوض النقع مرتكما	ويحمى السيف والعلمما
تولى جمعهم فرقا	ولو لاقاه ما سلمما
لبئس الجمع ما صدقت	قواه وبئس ما زعمما
تلمسه ابن حارثة	فلا صددا ولا أمما
تسرب في مخابئه	فكان وجوده عدمما
هلم هلم يا زيد	هلم الشاء والنعمما
رويد القوم هل طلبوا	سوى ما يعجز الهمما ؟
مضوا في إثره ، ومضى	يجر حسامه قُدما
فما بلغوه إذ جهدوا	ولا رزأوه ما غنمما
رويداً عابدى الأضنا	م ، إن الله قد حكمما
رضيتم ظلم أنفسكم	فأرادكم وما ظلمما

السّريّة الخامسة

كانت إلى جذام بمحل يقال له : « حسمى » وراء وادى القرى ، سببها أن دحية الكلبي رضي الله عنه أقبل من عند قيصر ملك الروم . ومعه من عنده مال وكساء ، فلما كان بهذا المحل لقّيه النهيد وابنه فى ناس من جذام فقطعوا عليه الطريق وسلبوه ما معه ، فسمع بذلك نفر من مسلميهم من بنى الضبيب فنفروا إليهم واستنقذوا منهم ما أخذوه من دحية فأخبر النبي ﷺ فبعث زيدا فى خمسمائة رجل ، ورد دحية معهم فأقبل حتى هجم على النهيد وابنه ورجاله فقتلوهم جميعا ، وأخذوا من النعم ألف بعير ، ومن الشاء خمسة آلاف ، ومائة امرأة وصبى ، وجاء بنو الضبيب فقال رجل منهم لزيد : إنا مسلمون ، فقال له : اقرأ أم الكتاب إن كنت صادقا فقرأها ، وذهب منهم جماعة إلى النبي ﷺ يقولون مثل ذلك ، فأرسل علي بن أبى طالب بسيفه إلى زيد ليطلق سباياهم ، ويرد عليهم الإبل والشاء ففعل .

أما ومضارب البيض الرقاق	تضىء النقع للجرد العتاق
لقد غرّ الهنيذُ بنى جذام	فما للقوم مما جرّ واق
دعا سفهاءهم فمشوا إليه	وما التفت لهم ساق بساق
لصوص ما يبالون الدنيايا	إذا عقدوا العزائم لانطلاق
أحاط بدحية منهم أناس	تعدّهم الذئاب من الرفاق
مضوا بحباء قيصر وهو جمٌ	فما منه لدى الكلبيُّ باق
أتى مستصرخا فأصاب مولى	يغيث صريخه مما يلاقى
وما لمحمد كفاء إذا ما	سقى الأبطال كأس الموت ساق
دعا زيدا فأقبل فى جنود	تبينت إلى الملاحم فى اشتياق
إلى حسمى فما للداء حسم	إذا لم ترّقّه بدم مراق

إليه يابن حازثة إليه
لدحية حقه والسيف ماض
عبيد الشرك أوثقهم فقرؤا
ألا إن الهنيذ دليل منه
وهل نظر ابنه لما تردى
توالى القوم فى الهيجاء صرعى
فأهلا بالشوى تساق نهبا
وياويح الحلائل والذرارى

* * *

أتى النفر الأماجد من ضبيب
فقال إمامهم إنا جميعا
هو الإسلام يجمعنا فلسنا
ألا اكشف ما بنا بازيد عنا
وجاء الكتاب ببيئات
وسار إلى رسول الله منهم
فقال : إلى السرية يا ابن عمى
وذا سيفى فخذ دليل صدق
مضى أمر النبىء فيالخطب
أينصر كل لص من جذام
تعالى الله لا يرقى إليه

وقد شد البلاء عرى الخناق
من الدين القويم على وفاق
بحمد الله من أهل الشقاق
فليس بمستطاع أو مطاق
فما يُرمى بكفر أو نفاق
بغاة الخير والكرم الدُفاق (١)
فإن تلحق ، فنعم أخو اللحاق
فيالك من دليل ذى ائتلاق
تكشف ليله بعد أطراق (٢)
ويقهر رافع السبع الطباق ؟
من العالين فوق الأرض راق

(١) الذعاق: الكريه الذى لا يطاق .

(٢) يقال : سيل دفاق إذا ملأ الوادى .

(٣) أطرق الليل ركب بعضه بعضا .

السَّريَّة السَّادسة

كانت إلى مدين قرية سيدنا شعيب صلاة الله وسلامه عليه ، وهى تجاه تبوك
وقد أصابت هذه السرية سببا عادت به إلى المدينة ، وفرق المسلمون فى بيعه بين
الأمهات والأولاد وسمعهم النبى ﷺ يكون فأمر ألا يفرقوا بينهم :

يمينا ما لمدين من قرار فبعدا للقطين وللديار
شعيب كيف أنت ، وأين قوم عصوك ؟ وما الذى فعل الذرارى ؟
هم اتخذوا الهوى ربًا وساروا من العهد القديم على غرار
أتى الإسلام ، فاجتنبوه حرصا على دين المهانة والصغار
وصدُّوا عن سبيل الله بغيا وكان البغى مجلبة الدمار
سما زيد إليهم بالمنايا تريك مصارع الأسد الضواري
تأمل يا شعيب أما تراه شديد البأس ، ملتهب المغار ؟
توقى القوم صولته فضنوا بأنفسهم ، وجادوا بالفرار
لبئس الجود تلبسه سوادا وجوه القوم من خزى وعار
تلفتت النساء ولا رجال سوى السُّرج الزواهر كالدرارى
وضجت تستغيث ، ولا غياث سوى العبرات والمهج الحرار

تولى الجند بالسبى المخلّى وبالنصر المحجّل والفخار
فيالبضاعة للكفر تُزجّى وبالشوق يجمع كل شار
ويالك من بكاء كان حقًا لدين الله داعية افترار
تسى الأم تعزل عن بنيتها لمولى غير مولاهم وجار

أبى البرُّ الرحيم فقال : رفقا
فأمسك كلَّ دمعٍ مستهلٍّ
تتابعَت المواهب والعطايا
فغنم بعد غنم ، وانتصار
أصاب الدهر بغيته ، وأمست
وتلك إهابة الهمم الكبار
وسكن كل قلب مستطار
على قدرٍ من الرحمن جار
ينير المشرقين على انتصار
تجلَّتْ حكمة الفلك المدار

* * *

السَّيِّئَةُ السَّابِعَةُ

كانت في رمضان من السنة السادسة ، وسيبها أن زيد بن حارثة رضي الله عنه خرج في تجارة إلى الشام ، ومعه بضائع لأصحاب النبي ﷺ ، فلما كان بوادي القرى لقيه ناس من فزارة فضربوه هو وأصحابه ، وأخذوا ما كان معهم ، ثم قدم إلى النبي ﷺ فبعثه إليهم في جيش داهمهم ، وأعمل فيهم القتل .

أمنك فزارة انبعث الغزاة ؟
لعمرك ما ابن حارثة بحل
أثاروا الشر لا هو يبتغيه
أصابوهم على ثقة وأمن
وجاؤوا يشتكون إلى أبي
رسول الله ليس له كفاء
دعا زيدا هلم إلى قتال
قد الأبطال للهيجاء واصبر
إليها يا ابن حازنة إليها
مشى البطل المقدف لا اتئاد
يخف بها إلى الأعداء بيضا
أقامت حائط الإسلام ضخما
وجاءت بالفتوح محجلات

فما تغنى السيوف ولا الحماة ؟
وإن زعم القراصنة الجفاة (١)
ولا أصحابه الغر الهداة
فلا سيف يُسل ولا قناة
على الأعداء تخرجه الشكاة
إذا التقت الفوارس والكماء
تُنال به من القوم الترات (٢)
فنعم الصبر فيها والثبات
ولا يحزنك ما صنع الطغاة
تضيق به السيوف ولا أناة
عليها من مناقبها سمات
تدين له الجبال الراسيات
له في ظلها الضافي حياة

(١) القراصنة : اللصوص ، والجفاة : الغلاظ القلوب والطباع .

(٢) الترات : جمع ترة وهي الذخل أو الظلم فيه .

توقَّتها فزارة وهى حتم فما عصمت مقاتلها التقاة (١)
 رأوها بعد ما هجعوا بليل لها فيهم وللقدر انصلات (٢)
 هداها فى الدجى منهم دليل تسدَّه الأواصر والصلات (٣)
 لواه عن السبيل قضاة ربَّ له الحِكم الصوداع والعظا
 يسوق الأمر ظهره عناء وباطنه كما اقترح العُناة
 كمثّل الورد ، أوله أجاج وآخر مائه عذب فرات
 ظبى طرقت جماجمهم بيّاتا وما خيف الطروق ولا البيات (٤)
 توثبت الختوف ، فلا فرار وأبرقت السيوف ، فلا نجا
 نقيع شقاوة يسقاه قوم هم الشرب المدمم والسقا
 تردّوا فى مصارعهم فأمسوا كسرب الوحش صرّعه الرما
 وحقّ بأمر قرفة ما أرادت بأكرم من تُفدّى الأمهات (٥)
 أرادت قتله فجرى عليها قضاء القتل ، واتصف القضا

(١) التقاة : اسم من الالتقاء .

(٢) المنصت : الماضى فى شأنه لا يلوى على شيء ، ومن السيوف القاطع الصقيل .

(٣) كان دليل السرية رجل من بنى فزارة ، وكانوا قد جعلوا لهم ناظورا يقعد على جبل عال فيقول لهم حين يصبحون : اسرحوا اسرحوا لا بأس عليكم ، فإذا أمسوا قال لهم : ناموا لا بأس عليكم ، وكان ينظر مسيرة يوم . فلما كانت السرية على مسير ليلة من القوم أخطأ دليلها الطريق وسارت فى طريق آخر فإذا هى بمقبرة منهم فأخذتهم بالسيوف .

(٤) البيات أخذ العدو ليلا .

(٥) كانت أم قرفة هذه سيدة فى قومها وهى بنت ربيعة بن بدر الفزارى ضرب بها المثل فى المنعة فقيل : أمتع من أم قرفة ، كان يعلق فى بيتها خمسون سيفاً لخمسين رجلاً كلهم لها محرم ، ومن أخبارها أنها جهزت ثلاثين راكبا من ولدها وولد ولدها وقالت لهم : اغزوا المدينة واقتلوا محمداً ، أخذت وريعت رجلاها بحبلين شدا إلى بعيرين فشقاها وسبيت ابنتها .

فيالك منظرا عجباً تناهت
 أحيط بها وبابنتها جميعاً
 لتلك جزاؤها المردى وهذى
 تساق ذليلة من بعد عزٍّ
 هو ابن الأكوع البطل المرجى
 قنيصة نافذ الأظفار ضارٍ
 هى الهبة الكريمة صادفتها
 يمين محمد لا خير إلا
 حباها خاله فى غير ضنٍّ
 رسول الله أكرم من أناخت
 بنى دين السلام بكل ماضٍ
 لإنقاذ النفوس من البلايا
 تأملت الحياة وكيف تبقى
 فأدبني اليقين وهذبتنى
 هنيئاً يا ابن حازئة وأنى ؟
 سموت فما تطاولك الأمانى
 ظفرت من النبى بخير نعمى
 بلشَّم زان وجهك واعتناق
 على النور الذى انجلت الدياجى

به الصور الروائع والصفات
 فما نجت العجوز ولا الفتاة
 لها الأسر المبرح والشتات
 كما سيقّت غداة النحر شاة
 سباها حين أسلمها الرعاة (١)
 له فى كل ذى ظفر شبابة
 يمين ما تفارقها الهبة
 له فيها معالم بينات
 وأين من الضنين المكرمات ؟
 به الآمال وانتجع العفاة
 به وبمثلّه ارتفع البُناة
 تلحُّ على مباضعها الأساة
 حقائقها وتمضى التُّرّهات
 وصاة الله بوركت الوصاة
 وما ترقى إليك التهنئات (٢)
 ولا ترجو مذاك النيّرات
 تطيب بها النفوس الصالحات
 شفاك فما بجارحة أذاة
 به وعليك يا زيد الصلاة

(١) سلمة بن الأكوع هو الذى أسره الفتاة بنت أم قرفة . سألها رسول الله ﷺ ، فوهبها له ،

ووهبها هو لخاله حزن بن أبى وهب فولدت له عبد الرحمن بن حزن .

(٢) جاء زيد بن حارثة رضيه فقرع باب الرسول الكريم ﷺ فقام إليه يجر ثوبه حتى اعتنقه

وقبله وسأله فأخبره بما وهب الله من النصر والغلبة .

سرايا خالد بن الوليد رضي الله عنه

وهي ثلاث ، أولاها لهدم العزى ، والثانية إلى بنى جذيمة ، والثالثة إلى أكيدر بدومة الجندل ، وقد ذكرت الأولى في الفتح العظيم ، والأخيرة في غزوة تبوك بعث خالد في خمسين وثلاثمائة رجل إلى بنى جذيمة بناحية « يللم » ليدعوهم إلى الإسلام ، وكان النبي ﷺ يومئذ بمكة ، وكانوا قد قتلوا الفاكه عم خالد في الجاهلية وأخاه ، وقتلوا والد عبد الرحمن بن عوف ، وكانوا شرارا يسمون لعقة الدم ، وكان في هذه السرية جمع من بنى سليم قوم مالك بن الشريد الذى قتله بنو جذيمة قبل ذلك هو وأخواه فى موطن واحد ، فنشأت عن ذلك حالة كان لها أثرها فى أنفسهم ، فلبسوا السلاح وخرجوا إلى خالد ومن معه ، يظنون شرا ويظن بهم كذلك ، وكانوا قد أسلموا فلم يعلم النبي ﷺ وأصحابه بإسلامهم ، فلما دعاهم خالد إلى الإسلام ، قالوا : صبأنا ، يريدون أنهم رجعوا عن جهالتهم إلى الإسلام ، ولكن هذا المعنى لم يقع فى نفس خالد على الوجه الذى أرادوه ، فأعمل فيهم القتل والأسر . وذهب جماعة منهم إلى النبي ﷺ يذكرون خبرهم ، وما صنع خالد بقومهم ، فغضب وبعث علي بن أبى طالب ، ومعه مال يدي بهم قتلهم ورسالة إلى خالد أن يكف عنهم ، ويطلق أسراهم :

بنى جذيمة ما فى الأمر من عجب	جرى القضاء على ما كان من سبب
أظلكم خالد لا شئ يبعثه	إلا الجهاد يراه أعظم القرب
لما دعاكم إلى الإسلام حين دعا	قلتم : صبأنا ، فلم يأت ، ولم يحب
إن كان للمرء من أعمامه نسب	فالدين عند ذويه أقرب النسب
بنو سليم وإن خفتهم فليس بهم	ويابن عوف سوى الأوهام والريب
فيالها غمرة ما أسود جانبها	حتى تجلت سراعا عن دم سرب
سئ النبي بها فالنفس آسفة	والقلب مما أصاب القوم فى تعب

ما مثله من دم جار ولا عصب
 بأسٌ جميعٌ ، ورأى غير منشعب
 بغت على فئة ، فالله فى الطلب
 ما كان فيها لدين الله من أرب
 من كل صوب ، فلم يرشد ولم يُصب
 وأنت فيما عنانى منه أعلم بى
 وانشر عليهم جناح العاطف الحذب
 يُرضى النفوس ويشفيها من الغضب
 عهد وثيق وحبل غير مضطرب
 دين الإخاء على الأيام والحقب

* * *

واستحكم الودَّ وانحَلَّتْ عرى الشغب
 ما ليس ينفذ من همٍّ ومن وصب
 هل زادها الله إلا سوء منقلب

المسلمون دم الله أو عصب
 هم فى الحوادث إن قُلُّوا وإن كثروا
 كلُّ حرام على كل فإن فئة
 أثارها خالداً شعواء عاصفة
 رمى بها وغواشى الظنَّ تأخذه
 إليك أبرأ ربِّي من جنايته
 قم يا على فوافِ القوم معتذرا
 وخذ من المال ما يقضى الديات وما
 حق علينا دم القتلى ونحن على
 القوم إخواننا فى الله ، يجمعنا

ردَّ الإمام نفوس القوم فائتلفت
 بالجاهلية مما هيض جانبها
 سلها وقد رجعت حسرى مذممة

* * *

سرايا محمد بن مسلمة رضي الله عنه

السرية الأولى

كانت إلى القرطاء ، وهم بطن من بكر بن كلاب ، خرج إليهم محمد بن مسلمة في المحرم من السنة السادسة ومعه ثلاثون راكبا فيهم عابد بن بشير فأغار عليهم ، وأخذ منهم نعما وشاء وسبيا ، ولم يتعرض للنساء ، ثم عادت السرية ومعها ثمانية بن أثال الحنفى نسبة إلى حنيفة سيد أهل اليمامة أسيرا ، فربط بسارية من سوارى المسجد وأمر النبي ﷺ أهله بإطعامه ، وجعل له لبن ناقة يأتيه صباحا ، وما زال يتعهد ببره وفضله ، ويقول : « ما عندك يا ثمامة ؟ » ، فيقول : إن تقتل تقتل ذا كرم ، أو ذا دم ، وإن تعف تعف عن شاكرك ، فإنه قد جاءه قبل ذلك رسولا من مسلمة بيغته . فعصمه الله منه ، وقد أمر بإطلاقه فاغتسل وأسلم وذهب إلى مكة معتمرا ، فأخذته قريش ، وقالت : لقد صبأت عن ديننا ، فقال : إنما أسلمت وتبعت خير دين ، ولن تصل إليكم بعد اليوم حبة من اليمامة حتى يأذن رسول الله ﷺ ، فهموا بقتله ثم رأوا أن يخلوا سبيله ، فحبس عنهم ما كان يأتيهم من اليمامة حتى أضرهم الجوع ، وأكلوا العلهز وهو الدم يخلط بأوبار الإبل فيشوى ، فكتبوا إلى النبي ﷺ ينشدونه الرحم ، فبعث إليه يأمره أن يخلى بينهم وبين ما يريدون ففعل ، وفي ذلك نزل قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ ﴾ [المؤمنون: ٧٦] :

محمد يا ابن مسلمة سلام	و محمد من شعائره الدوام
إلى القرطاء لا كانوا رجالا	هم البرحاء والداء العقام
رجال السوء لا حق يودى	خالقهم ولا دين يقام
تنهت القواضب والعوالى	بأيدي الفاتحين : وهم نيام
بنى بكر ألما تبصروها	يشبّ ضرامها البطل الهمام

ألا إن السرية فاحذروها
هم الأبطال عدتْهم قليل
تقدّم عابد ومشى إليهم
فتلك جماجم القتلى وهذى
وخُلّيت النساء فلا ذمار
وليس لعرض مغلوب وقاء
أعفاء النفوس ذوى حفاظ
هو الإسلام إحسان وبرٌّ
تخلّوا عن حلائلهم فردّت
بنى بكر غدا الوادى خلاء
وأين ثمّامة بن أثال هلاّ
يسام الهون ما جزعتْ عليه
أما بصُرتْ بسيدها ذليلاً
أصاب من الرسول حمى منيعا
أصاب قرىّ يحدث عن جواد
أصاب كرامة وأصاب خيراً
تعهد له كريم أريحى
ثمّامة كيف أنت وأى نعمى
أما مكنتُ ، منك وكنت خصما

ليهرب بأسها الجيشُ اللّهام
ومشهدهم كثير لا يرام
عبادُ الله ، واستعر الصدام (١)
فلول القوم ليس بها نظام
لبكرىّ يَصان ولا ذمام
ولكنّ الألى غلبوا كرام
عليهم كل فاحشة حرام
وأخذ بالمروءة واعتصام
عليهم ، تلکم المنّ الجسام
فأين الشاء والكوم العظام ؟
حمته حنيفة مما يسام ؟
ولا بكت اليمامة إذ يضام
عبّوسَ الوجه يعلوه القتّام
وكهفا فيه للهمم ازدحام
يصيب الرىّ من يده الغمام
فلا مثوى يذم ولا مُقام
له فى كل آونة لمّام
ظفرت بها فأعوزها التمام ؟ (٢)
تفاقم شره ، وطغى العرام ؟

(١) عابد بن بشير رضي الله عنه بعثه محمد بن مسلمة فى طليعة السرية ثم كر بها وراءه .

(٢) البيت وما بعده مسوق على لسان النّبي الكريم صلى الله عليه وآله .

طحائبك من مسيلمة خبال
 يقول : لو أردت اليوم قتلى
 وإن يكن منك مغفرة وعفو
 هداه إلى سبيل الله هاد
 ثمامة لا تخف ما عشت شرًا
 إلى البيت العتيق فسرّ رشيدا
 تأجج في صدور القوم غيظ
 أتلّم يا ثمامة إن هذا
 ثمامة خنتنا وصبأت عنا
 لأنت لنا عدوً ننقيّه
 ألا فدعوا الجهالة واستفيقوا
 حذارٍ فما ثمامة غير غضب
 يقول لكم : لئن لم تتبعوني
 أسدّ عليكم الأسواق حتى
 أبوا فأذاقهم منه عذابا
 أذاب الجوع أنفسهم فضجّوا
 أهابوا بالنبي ، ألا أغثنا
 أغثنا إنها يا خير مولى
 رمينا من ثمامة بالدواهي
 نهاه فلا دمّ في الحى يُشوى
 تدارك فضله منهم نفوسًا
 فأمسى الأمر فيهم مستقيما
 فلا رسن يردّ ولا زمام
 فلا شكوى لدى ولا ملام
 شكرتك والقوى له احتكام
 له بمخائل الخير أئسام
 تجلّى النور وانقشع الظلام
 ولا يحزنك عتب أو خصام
 له في كل جانحة ضرام
 وإن كذبتنا لهو الأثام
 فليس لصدع أنفسنا التئام
 فلا صلح يكون ولا سلام
 فما يُغنى عن اغيث الجهام
 لكم في حادّ الموت الزؤام
 لسوف يُبيدكم منى انتقام
 يصيح جياعكم : أين الطعام ؟
 غراما ما لدائبه انصرام
 وضجت في جلودهم العظام
 فما يرضيك إن يشقى الأثام
 عرى الأرحام ليس لها انفصام
 وفي يدك الكنانة والسهام
 ولا شيخ يجوع ولا غلام
 تمتّ لو تداركها الحمام
 ولو عرفوا المحجة لاستقاموا

السرية الثانية

وتسمى سرية ذى القصة . . موضع قريب من المدينة . . كانت إلى بنى ثعلبة
وبنى عوال لما بلغهم محمد بن مسلمة وأصحابه كمنوا لهم ، ثم انقضوا عليهم
وهم نيام فأعملوا فيهم الرماح . وجرحوا محمدا ثم جردوه من ثيابه ، وهم
يظنون أنه قد مات ، ومر به بعض المسلمين فاسترجع ، فلما سمعه تحرك فحمله
إلى المدينة . وبعث النبي ﷺ أبا عبيدة بن الجراح ، فلم يجد أحدا من القتلى ،
ووجد نعما وشاء فرجع بها .

ويح ذى القصة ماذا يشهد ويح من وقعة لا تحمدُ
يابنى ثعلبة ما خطبكم ؟ أكذى تقرى الليوث الهجْدُ ؟
إنه الجبن وأخلاق الألى يحسبون الختل حربا توقد
فقدوا البأس فدبوا خفية وانتضوها أنفسا لا تفقد

* * *

ياجريح الحق ، هل متَّ وهل قُضِيَ الأمر ، وحم الموعد
فرح القوم ، فقالوا : مغنما ساقه الجد ورأى محصد
جرّدوا الفارس من أثوابه ليت شعري أى سيف جردوا
عرف السيف فتى من قومه ضجَّ يسترجع مما يشهد
أيها الميت تحرك لا تخف حضر الفادى ، وجاء المنجد
بورك الحامل ، ما أحسنها من يد معروفيها لا يجحد

* * *

يارسول الله بشري إنها نعمة تزجى ، وخير يوفد
وبريد من بنى ثعلبة وعوال بالغوالى يبرد

جعلوا للسيف فيهم حكمه فله من هامهم ما يحصد
ليتهم كانوا رجالا فأبوا إذ دنا موعدهم أن يبعدوا

ذهب الخشد فلم ينظر سوى نعم تُزجى ، وشاء تُحشد
ساقها ، ما جعلت من همّه همّه تلك النفوس الشُّرد
اللواتى تبعث الشرّ فإن عصف الشر تولّت تركد
بئسما توردها أهواؤها من حياض مُرّة ، ما تورّد
فتنة الشرك ، وما من فتنة مثلها بين البرايا توجد
ليس غير الله فى سلطانه من إله يُتقى أو يعبد
مالك الملك ، تعالى ماله فى علاه من شريك يعهد

السرية الثالثة لقتل كعب بن الأشرف

كانت في ربيع الأول من السنة الثالثة ، وكان كعب من أشد الناس عداوة للرسول الكريم ﷺ وللمسلمين ، وكان يهجوهم ويحرض المشركين على قتاله ، عاهد على ألا يعين عليه أحدا فنقض العهد ، وخرج بعد وقعة بدر إلى قريش يبكي قتلاهم ، ويستفزهم للحرب ، ومن سيئاته أنه صنع طعاما ، ودعا إليه النبي ﷺ على نية الفتك به ، فنبأه الله فلم يأكل منه ، وكان لعنه الله كثير المال ، يعطى الأحبار ويصلهم ، فلما قدموا إليه بعد هجرة النبي ﷺ سألهم : ما يظنون به ؟ قالوا : هو الذي كنا ننتظره ، فغضب ولم يعطهم ثم رجعوا إليه وخدعوه بما يرضيه من القول ، فرضى عنهم ووصلهم ، قال النبي ﷺ : « من يتدب لقتل كعب بن الأشرف ؟ » فقال محمد بن مسلمة : أنا يا رسول الله ، فقال له : « إن كنت فاعلا فشاور سعد بن معاذ » ، فأشار عليه سعد أن يذهب إليه يشكو حاجته ، ويطلب أن يسلفه طعاما ، فمكث ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب ، وأتى أبا نائلة ، وعباد بن بشر ، والحارث بن أوس ، وأبا عبيس بن جبر أن يصحبوه ، ثم جاؤوا إلى النبي ﷺ يستأذنه في أن يقولوا لكعب ما يرضيه ، فأذن لهم ، وذهبوا إليه فقتلوه وحملوا رأسه إلى النبي ﷺ ، وجاءه اليهود مذعورين ، يقولون : قتل سيدنا ، وعقدوا صلحا :

يا ناقضَ العهد لا شكوى ولا أسف	الله منتقم والسيف منتصف
تهجو النبي وتغري المشركين به	مهلا ، لك الويل ، ماذا أنت مقترف ؟
كم جيفة خرجت من فيك منكرة	لما تردت ببدر تلکم الجيف
إن الوليمة أخزى الله صانعها	كانت ضرارا ، فلا ود ولا لطف
أحسبون رسول الله يجهلها	مكيدة فضحت أسرارها السجف ؟
بل أظهر الله ما تخفون فانكشفت	يا ويلكم ، أي خاف ليس ينكشف ؟

لقد هممتم بمن لا حىَّ يعدله
ياويل من ظنَّ أن الله يخذله
ياكعب ما لك تؤذيه وتنكره
جعلت مالك للأخبار مفسدة
رموك بالحق لما رحت تسألهم
فقلت: عودوا، فما عندى لكم من صلة
حسبى الحقوق ، فمالى لا يجاوزها
عادوا يقولون : ما أشقاه من رجل
ثم انشؤا ينطقون الزور ، فانقلبوا
بئس العطاء وبئس القوم، أمرهم
هم اليهود ، لو أن المال لاح لهم
هبَّ ابن مسلمة للحق ينصره
فقال : دونك سعدة إن هممت بها
قضى ثلاثة أيام على سغب
وجاء فى صحبه يستأذنون على

إن نُوزع المجد بين الناس والشرف
وأنه من يمين الله يُخسّطف
وما الولوع بقول الزور ، والشغف ؟
يُمّتاح فيها الأذى حيناً ويُغترف (١)
وأعلنوا من يقين الأمر ما عرفوا
جفَّ المعين ، فلا قصد ولا سرف
إلى الفضول ، وما عن ذاك منصرف
لا يرتضى القول إلا حين ينحرف
بالمال يصدف عنه المعشر الأنف (٢)
وأمر سيدهم فى الغىّ مؤتلف
فى عين موسى كليم الله ما صدفوا
وللرسول يريه كيف يزدهف (٣)
شاوره فيها ، فنعم الحاذق الثقف
وللمجرب ذى التدبير ما يصف
تقوى من الله ، ما مالوا ولا جنفوا

(١) جاءه أخبار اليهود ليأخذوا صلتهم على عادتهم ، فقال لهم: ما عندكم من أمر هذا الرجل «النبي» قالوا : هو الذى كنا نتظره ، ما أنكرنا من نعوته شيئاً . قال : قد حرمت كثيرا من الخير ارجعوا إلى أهليكم فإن الحقوق فى مالى كثير ، فرجعوا عنه خائنين ، ثم رجعوا إليه ، وقالوا : إنا عجلنا فيما أخبرناك به ، وليس هو المتظر فرضى عنهم ووصلهم . وجعل لكل من تابعهم من الأخبار شيئاً من ماله .

(٢) الأنف : جمع أنوف وهو الشديد الأنفة .

(٣) ازدهف : تقحم فى الأمر والحمل احتمله ، والشئ ذهب به وأهلكه ، وللکلمة معان أخرى .

قال الرسول لكم فى القول مأربكم ماذا على الدرّ بما يؤهم الصدف ؟
هى القلوب فإن طابت سرائرها فما بأفواهكم عيب ولا نطف (١)

* * *

مضوّاً فقالوا لكعب : أنت موثلنا أنت الحمى المرتجى فى الأزل والكنف (٢)
أما ترانا جيعا ، لا طعام لنا حتى لقد كاد يغشى أهلنا التلف (٣)
لم يُبقى صاحبنا شيئا نعيش به فالزاد متّهب ، والمال مُجترّف
إن أنت أسلفتنا ما نستعيد به روح الحياة ، فغيث ودّقه يكف
قال : الحلائل رهن ، لا طعام لكم إلا بهن ، فقالوا : مطلب قذف (٤)
تأبى علينا سجايانا ، ويمنعنا هذا الجمال الذى أوتيت والترف
قال : البنون ، فقالوا : لا تكن عسرا البؤس أهون مما رمت والشظف
خذ السلاح وإن كلفتنا شططا إن الشدائد فيها تسهل الكلف
لم يدر مأربهم ، إذ يسخرون به وإذ يريدونها دهماء تلتحف
قال : ارتضيت ، فقالوا : غمة ذهبت عنا غياهبها ، وانجابت السدف (٥)

(١) النطف : العيب والشر والفساد .

(٢) الأزل : الشدة والضيق .

(٣) قال له أبو نائلة : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء ، عادتنا العرب ، ورمتنا عن قوس واحدة فقطعت عنا السبيل حتى جاءت العيال وجهدت الأنفس ، وسألنا الصدقة ، ونحن لا نجد ما نأكل ، وسائر ما عندنا أنفقنا على هذا الرجل وعلى أصحابه ، إني أريد أن تبيعنى وأصحابى طعاما ونرهنك ونوثق لك ، قال : ارهونى نساءكم ، قالوا : كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ولا نأمنك عليهن ، قال : فابناءكم ، قالوا : هذا عار علينا ، نرهنك السلاح فرضى .

(٤) القذف من الأمكنة والمواضع ما يزل عنه ويهوى والشيء يبعد ويتقاذف .

(٥) السدف الظلم جمع سدف .

وأرجأوه إلى إبان مـورده
جأؤه بالليل مسرورا بغرفته
ورنَّ صوت أخيه عند مضجعه
فهبَّ يركض ، وارتاعت حليته
أنت امرؤ ذو حروب لا يلائمه
إنى لأسمع صوتا لست آمنة
قال : اسكتي ، ودعيني ، إنه لأخي
وراح يلقاه ، والإسلام مبتسم
وافاه فى صحبه يدنى الخطى عبقا
قالوا : أتمشى إلى شعب العجوز ففى
وانظر إلى القمر الزاهى وبهجته
ساروا إلى الشعب ، والأقدار تتبعهم
حتى إذا قعدوا ظلت بموقفها

يعبُّ من سمه المردى ويرتشف
وليس ينجى الفتى من حتفه الغرف (١)
أخرج إلينا ، أما تنفكُ تعتكف ؟
مهلا ، فإن فؤادى خائف يجف
أن يستجيب ذوى الأضغان إن دلفوا
كأنه الدم يجرى أو هو الجدف (٢)
يخشى على فيرعانى وينعطف
والشرك متَّسم بالحزن مرتجف
كأنه ذات دلَّ زانها هيف
هذا الخلاء جنى للنفس يخترف ؟
واعجب له بعد هذا كيف ينكسف
على هدى الله ، ما زاغت ، ولا اعتسفا
وأقبل الموت عن أيمانها يقف

(١) انتهوا إلى حصن كعب ، وكان قريب عهد بعرس ، فهتف به أبو نائلة - وهو أخوه من الرضاع فوثب فى ملحفته ، فأخذت امرأته بطرفها . وقالت : إنك رجل محارب ، وإن أصحاب الحرب لا يزلون فى هذه الساعة ، إنى أسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم ، قل : إنه أبو نائلة ولو وجدنى نائما ما أيقظنى ، ونزل ينفخ منه ريح الطيب فتحدث معهم ساعة ، ثم قالوا هل لك يا ابن الأشرف أن تمشى إلى شعب العجوز - اسم موضع كان قريبا منهم - نتحدث به بقية ليلتنا . وكانت ليلة مقمرة ، فقال : إن شئتم ، ثم مشى ساعة ، وأدخل أبو نائلة يده فى باطن رأسه ، ثم شم يده ، وقال : ما رأيت كالدليلة طيبا أعطر ، ثم عد لمثلها فاطمان ، ثم أخذ فى الثالثة بشعره وقال : اضربوا عدو الله ، فضربوه ، وصاح صيحة منكرا ، وصاحت امرأته يا آل قريظة والنضير مرتين فلم يبق حصن إلا أوقدت فيه نار .

(٢) الجدف : القبر .

وتلك كف أخيه فوق مفرقه
يشمُّها ، ويقول القول يخدعه
ظَلَّتْ سيوف رسول الله تأخذه
يا حسنها صيحة من فيه يرسلها
لم تستطع عرسه صبراً فجأوبها
بنى قريظة هبوا من مضاجعكم
عدا الرجال على كعب ، فوالهفا
تبكى عليه ، وماذا بعد مصرعه
إن الذي كان يثنى عطفه صلقاً
عادوا بهامته ، تُلقَى مذمَّة
كان اليهود على آثارهم ، فأبت
الله أكبر والحمد الجزيل له
ريعت يهود ، فجاءت تبغى حلفا
هيهات ، ما لك من عهد ولو حملت

كأنها من جنى الزهر تقتطف
فى الطيب ، وهو له من خلفه هدف
تشق ما ضربت منه وتنتقف (١)
كادت تخر لها من داره السقف
صوت يجلجل : أودى السيف اللقف
بنى النضير انفروا للثأر وازدنبو
أين الحماة ؟ وماذا يصنع الهف ؟
إلا البكاء ، وإلا الأدمع الذرف ؟
أمسى صريعا ، فلا كبر ولا صلف
عند الرسول ومنه الصد والنكف (٢)
أن يدركوا همم ترمى بهم عُصف
نصر جديد ، وفضل منه مؤتنف (٣)
عودى يهود ، فنعم العهد والحلف
ملء البسيطة من أيمانك الصحف

(١) نقف الشيء أو انتقفه بمعنى شقه ، وكان محمد بن مسلمة ابن أخيه من هذه الناحية .
(٢) جزوا رأسه واحتملوه فى مخلاة كانت معهم ، واجتمعت اليهود من كل ناحية فأخذوا على غير الطريق فقاتوهم ، فلما بلغوا بقيع الفرقد كبروا ، وقد قام النبى ﷺ تلك الليلة يصلى ، فلما سمع تكبيرهم كبر وعرف أنهم قتلوه ، ثم انتهوا إليه ، فأخبروه بمقتله ، فقال : « أفلحت الوجوه » ، قالوا : ووجهت يا رسول الله ، ورموا برأسه - يديه .
فحمد الله على قتله . ونكف عنه : أنف منه .

(٣) المؤتنف بمعنى المستأنف أى الجديد المبتدأ .

عبّاد ، قل إن في الأشعار تذكرة وإن أحسنها ما أورث السلف (١)
غنّ الرفاق بوحى الحق تنشده مضى النعيب وأودى الشاعر الخرف (٢)

(١) عباد بن بشر رضي الله عنه ، قال في هذه الواقعة :

ووافى طالعا من رأس خدر
فقلت : أخوك عباد بن بشر
لشهر إن وفي أو نصف شهر
وما عدموا الغنى من غير فقر
وقال لنا : لقد جثم لأمر
مجربة بها الكافر نفرى
به الكفار كالليث الهزير
فقطره أبو عبس بن جبر
بأنعم نعمة وأعز نصر
همو ناهيك من صدق وير

صرخت به ، فلم يعرض لصوتي
بعثت له . فقال من المنادى؟
وهذى درعنا رهنا فخذها
فقال معاشر سغبوا وجاعوا
فأقبل نحونا يهوى سريعا
وفى أيماننا بيض حداد
فعانقه ابن مسلمة المردى
وشد بسيفه صلتا عليه
وكان الله سادسنا فأبنا
وجاء برأسه نفر كرام—

(٢) النعيب : صوت الغراب .

سرايا أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه

السرية الأولى

كانت إلى بنى سعد بن بكر بفدك « قرية بينها وبين المدينة ست ليال » ، بلغ النبي ﷺ أنهم يريدون أن يمدوا يهود خيبر على أن يجعلوا لهم تمرها ، فلما اقترب الإمام والذين معه وكانوا مائة رجل من هذه القرية وجدوا رجلا فسألوه عن بنى سعد ، فقال : لا علم لى بهم فشددوا عليه ، فأقر أنه عين لهم ، ثم دل المسلمين عليهم ، ولكنهم خافوهم فلم يظهروا للقائهم ، وغنمت السرية خمسمائة بعير وألفى شاة .

يا بنى سعد بن بكر مرحباً بادروا القوم فراى وثبى (١)
غشيتكم من يهود فتنة كالحبى الجون يُرخى الهيدبا (٢)
إن فى خيبر من سحر القنا عدد التمر ومن يبض الظبى
هى للأبطال أزكى مطعمما يا بنى سعد وأشهى مشربا
هل ترون اليوم إلا مقنبا من حماة الحق ، يتلو مقنبا (٣)
إنه يوم « على » فاصبروا أو فحيدوا عنه يوما أشهباً (٤)
يا « بنى سعد بن بكر » إنه مارج الهيجاء يزجى اللهبا (٥)
احذروها واحموا أنفسكم لا تكونوا فى لظاها حطبا

(١) الثبى الجماعات .

(٢) الحبى : السحاب المتراكب يشرف من الأفق على الأرض والجون الأسود أو الأبيض ، وكلاهما من صفات السحاب ، والهيدب : ما يرى كأنه فوق الأرض من السحاب إذا تدلى .

(٣) المقنب : جماعة الخيل .

(٤) يوم أشهب وأمر أشهب : أى : صعب .

(٥) المارج : النار لا دخان فيها .

دلّه منكم عليكم رجل « عينكم » صيرها عينا لكم
 زحف الجيش فذبتهم فرقا ليس غير النهب ، ما يمنعه
 « نكبة التمر » فلولا شؤمه أفما جريتم القوم الألى
 هم وباء الأرض ، أو طاعونها غضب الله عليهم ، فرضوا
 هالك من ظن ممن يعتدى وأضلّ الناس فى دنياه من
 خشى القتل ، وخاف العطيا فاعجبوا للأمر كيف انقلبا
 وارتمى البأس ، فطرتهم هربا منكم اليوم امرؤ أن ينهبها
 لم يذق آلامها من نكبا خلّقوا للشرّ فيمن جرّبا ؟
 شرعوا السحت ودانوا بالربا (١) ربّى زدهم كل يوم غضبا
 ويعادى الله إن لن يغلبا وضح الحق ، فولّى وأبى

(١) السحت : المائل الحرام ، والكسب الدنيء يجلب العار ، سمي بذلك لأنه مسحوت البركة أو لأنه يسحت ، أى يستأهل صاحبه بشؤم .

السّرية الثّانية

كانت لهدم « القلس » صنم طيئ والإغارة عليها ، بعث إليهم فى خمسين ومائة رجل من الأنصار فهدوا الصنم وأحرقوه واستاقوا الشاء والنعم والسبى ، وكان فى السبى أخت عدى بن حاتم الطائى واسمها « سفانة » ومعناها الدرة مر عليها النّبى ﷺ فقامت إليه وذكرت له أباه وما كان له من أعمال مشكورة ، ثم سألته أن يمن عليها ففعل ، وأسلمت فكساها ثم حملها وأعطائها مالا فذهبت إلى أخيها وأشارت إليه بالقدوم على النّبى ليدخل فى دين الله فجاء وأسلم (١) ، وقد وجدوا فى خزانة الصنم ثلاثة أسياف معروفة عند العرب وهى الرسوب واليمانى والحذم وثلاثة أدرع آلت إلى النّبى ﷺ :

إلى طيئ يا ابن عم النّبى	إلى معشر يعبدون الصنم
إلى الفلس ، فى جندك الغالين	فلن يلبث الشرك أن يصطلم (٢)
أضل العقول ، وأعمى القلوب	وأشقى النفوس وهذا الهمم
أرى طيئاً خذلت ربها	فما من ملاذ ، ولا معتصم
فيالك رباً يذوق الهوان	فيغضى عليه ولا ينتقم
مضى عزّه ، وانطوى مجده	فزال الجلال وبار العظم
وأصبح تذروه هوج الرياح	فتلك تفاريقه ما تلمّ
وهاتيك أسلابه أطلقت	وكانت حبائس منذ القدم
سيوف بقين طوال العصور	ودائع للوارثين الأمم

(١) هذه القصة مذكورة فى باب الوفود .

(٢) اصطلم الشيء استأصله .

مللن لدى الفلس عهد الظلام
أضواء الرسوب به واليمانى
وما نظرت أعين الدارعين
رجعت بها يا ابن عم النبى
وبالسبى مغتنما ، ما رأى
ومرّ النبىّ بسفانة
وقالت : نشدتك فامن علىّ
أنا ابنة من كان فى قومه
وما بك فى حاتم من ريبة
يفك العناة ويعطى العفاة
ويُفشى السلام ويرعى الذمام
فقال لها : صفة المؤمنين
كريم يحب حسان الخلال
مننت عليك فإن تفرحى
فقلت شهدت مع الشاهدين
رأيت السبيل فآثرته
كساها وأركبها واستهل
فراحت بخير وراح الثناء
وجاءت أخاها فقالت عدىّ

فأصبحن ميراث ماحى الظلم
وأشرق فى راحتيه الخدم
كأدراعه الغاليات القيم
وبالشاء محلوبة والنعم
حماة المحارم إذ يغتنم
فقامت إليه تبث الألم
فما حق مثلى أن يُهتَضم
عقيد السخاء حليف الكرم
بلى إنه للجلود العلم
ويكسو العراة ويحمى الحرم
ويقرى الضيوف ويشفى القرم (١)
فلو أنهم كان فيهم رُحم
ويكره من حبها أن يُذم
فغيرك أولى بحزن وهم
فذلك دين الهدى ، لا جرم
وفارقت دين العمى والصمم
عليها بغمر من المال جم (٢)
يجول السهول ويطوى الأكُم (٣)
أرى الحق أخلق أن يُلتزم

(١) القرم : شهوة اللحم .

(٢) الغمر : الكثير .

(٣) الأكُم : جمع أكمة وهو التل يكون دون الجبل ، أو الموضع يكون أكثر ارتفاعا مما حوله .

وإني استقمت على واضح	من الأمر يا ابن أبي فاستقم
دع الشرك واذهب إلى يثرب	فثم هدى الله باري النسم
هناك هناك جلاء العمى	ورى الصدى وشفاء السقم
هناك النبی العظيم الجلال	هناك الرسول الكريم الشيم
هناك النجاة لهلكى النفوس	فطوبى لمن رامها فاعتزم

* * *

السّرية الثالثة

كانت إلى بلاد مذحج . . أبو قبيلة من اليمن . وهى من بلاد اليمن بعث إليها فى ثلاثمائة فارس عقد النبى ﷺ له لواء وعممه بيده ، فلما بلغها فرق أصحابه فأتوا بنهب وغنائم وأطفال ونساء ونعم وشاء وغير ذلك ، ثم لقيهم قدعاهم إلى الإسلام فأبوا ورموا المسلمين بالنبل والحجارة ، فصف أصحابه ، ودفع لواءه إلى مسعود بن سنان ، ثم حمل عليهم فقتل منهم عشرين رجلاً فانهزموا وتفرقوا ، فكف عنهم ، ثم دعاهم إلى الإسلام فأسرع إلى إجابته ومتابعته نفر من رؤسائهم ، وقالوا : هذه صدقاتنا فخذ منها حق الله تعالى ونحن على من وراءنا من قومنا . فعاد فوافى النبى ﷺ بمكة فى حجة الوداع .

بنى مذحج ما ثم من مُتردّد هو الدين أو حدّ الحسام المهتد
ألا فانظروا سيف الإمام وبأسه تروا عجباً من مشهد ليس بالدّد (١)
بليتم بمعقود اللواء على يد يشدّ عليها مالك الملك باليد
بنى مذحج ما ظنكم بمذحج تعممه للحرب كف محمد ؟
غزاكم بما لا تعرف الحرب غيرهم إذا انتسب الأبطال فى كل مشهد
أصابوا من الأسلاب والسبى ما ابتغوا وأنتم بمنأى بين صرعى وهجّد
فلما لقوكم قال صاحب أمرهم هو الحق من يؤثّره يرشد ويهتد
فإن تُسلموا فالله بينى وبينكم وإن تُعرضوا فالسيف غضب المجرد
صددتم صدود الجاهلية وردكم عن الحق رأى طائش لم يُسدّد
جرى النبل يهوى واستطارت حجارة تتابع شتى بين مَشْتَى وموحد
رميتم بها جند النبى وإنما رميتم بأحلام عواذب سُردّ

مضى السيف يجزيكم على الشرّ مثله
فوليتم الأدبارَ ، وارتدّ جمعكم
وآمن منكم معشر عاد جدّهم
وجاؤوا ، فقالوا : هذه صدقاتنا
ندين بأن البرّ لا شيء مثله
وأنا لكم عون على ما وراءنا
وندعو إلى الإسلام ننشر نوره
لك الشكر ، فارجع يا علىّ مظفراً

فلا دمكم بَسْلٌ ولا هو معتد
شرازم شتى كالشعاع المبدّد
سعيدا ومن يرغبُ إلى الله يسعد
فخذها بإحسان ، وإن شئت فازدد
ونبذل حق الله غير منكّد (١)
نناجز منهم كل غاوٍ ومُفسد
ونورد منهم قومنا خير مورد
وبشّرُ رسول الله يشكر ويحمد

* * *

(١) المنكد : القليل العسر .

سرية أبي سلمة إلى قطن

هو عبد الله بن عبد الأسد القرشي المخزومي ، بعثه النبي ﷺ إلى قطن ، «جبل بناحية فيد - اسم ماء لبني أسد » فى المحرم من السنة الرابعة ، ومعه مائة وخمسون رجلا من المهاجرين والأنصار ، منهم أبو عبيدة ، وسعد ، وأسيد بن حضير وأبو نائلة لطلب طليحة وسلمة ابنى خويلد الأسديين ! لأنهما كانا يدعوان قومهما ومن أطاعهما لحربه ، وكان قيس بن الحارث ينهاهما عن ذلك فلا ينتهيان، فلما بلغت السرية أرض بنى أسد خاف القوم فهربوا وأصاب المسلمون إبلًا وغنما فأخذوها .

يا ابنى خويلد أى شرّ هجتم
أفتدعوا إلى قتال محمد ؟
ما كان قيس فى النصيحة جاهلا
ينهاكما أن تفعلّا ، ويخافها
بعث النبى الجيش تحت لوائه
هو ذاك عبد الله فى أصحابه
فتأهبّا يا ابنى خويلد واجمعا
للحرب جمعكما . ولا تتندما

سرى دليل الجيش فى بركاته
هى منتواه فليس يبغي غيرها
يا دائبًا يصل الدياجر بالضحى
إن الألى جعلوك رائدهم أبوا
درجوا على دين الفداء فما بهم
عند الحفيظة ما يعاب ويحتمى

(١) هو الوليد بن زبيد الطائى .

(٢) أعطى من الغنمة ما أرضاه .

يرمى بمهجته العجاج الأفتما ؟
 أم أصبحوا ملء المضاجع نُومًا ؟
 حذر العدى وتقدما لا تحجما
 للحرب ، تستلب الكمى المعلما ؟
 فهلكتما ، وكذلك يهلك ذو العمى
 لأجل منزلة ، وأعظم منكما
 كيدا يرد ، ولا أصابوا مجرما
 سبحانه ، أسدى الجميل وأنعما
 ولو أنه اتخذ الكواكب سلما

أين الرجال ، ألا فتى ذو نجدة
 أين الرجال ؟ أفارقوا أوطانهم
 يا ابنى خويلد جرّدا سيفيكما
 يا ابنى خويلد أين ما أعددتما
 أعددتما الجين المذلّ لتسلما
 أسلمتما النهب السليب ، وإنه
 رجع الغزاة به كراما ، ما لقوا
 الله طهرهم وصان سيوفهم
 هم حزيه ، لا حزب إلا دونهم

عبد الله بن أنيس الأنصارى رضى الله عنه

بعثه النبي ﷺ وحده فى المحرم من السنة الرابعة لقتل أبى سفيان بن خالد الهذلى الذى جمع الجموع لحربه ، ولم يكن عبد الله يعرفه ، فقال . صفه لى يا رسول الله فقال : « إذ رأيته هبته وفرقت منه ، ووجدت له قشعريرة وذكرت الشيطان » ، ثم استأذنه إن يقول له ما يرضيه فأذن له ، وأمره أن ينتسب إلى خزاعة ، وكان بموضع قريب من عرفة يقال له : عرنة ، فأخذ سيفه وخرج إليه فوجده كما وصف ، وقال له ما أرضاه حتى اطمأن إليه فقتله ، وجاء برأسه إلى النبي ﷺ :

سـريـة أنـت وحـدك فاجـعل سـجايـاك جنـدك
لا تخش يا ابن أنيس فليس سفيان نـدك
احشد قـواك وخـذك فليس يـستـطـيع ردك
إن غـره حـد عـزـد فـسـوف يـعـرف حـدك
يـهـول فى الوـصف جـدا حـتى لـيـعـظـم عـندك
لـكـنـه الله أـعلى عـليه فى البأس جـدك
أقبل فـتى البأس أقبل واعـمل لربك جـهدك

أخـذتـه بـخـلاب كـذبتـه فـيـه وـدك
أوردته البـقول حـلوا ولو درى عـفاف وـدك
ويـلمـه من غـبى لو كان يـعـرف قـصدك
أحـبـب به من رـسـول لـقـتـله قـد أعـدك
يـظـن أنـك ضـد له ، فـدونـك ضـدك
بـوركت يا ابن أنيس من فـارس ما أشـدك
ضـربـته فـتـردى وـكان ذـلك وـكـدك

وعددت لام جدد إلا أراه يحسد مجددك

سفنيان هل كنت طودا فمن رماك فهدك ؟
 أم كنت للشمر ذخرا تخشى الطواغيت فقدك ؟
 أودى بك ابن أنيس فأقفر الحى بعديك
 ورد عـــــــزك ذلا فما تُصعّر خديك
 ملأت صدرك حقدا فهل شفى السيف حقك ؟
 وميت من قبل وجدا فهل محا الموت وجدك ؟
 أين الجموع ؟ أتدرى من خط فى الترب لحديك ؟
 وأين رأسك ؟ هـلاً صدقت نفسك وعدك ؟
 أغواك جهلك حتى لقيت فى النار رشديك
 أنضجت نفسك غيظا فاليوم تُنضج جلدك
 يغيظك الدين حقاً فأنت تقدح زندك
 هيّجت للشمر وقدا فأين غادرت وقديك ؟

يا صاحب الغار من ذا بنصره قد أمديك (١)
 أليس ربك ؟ فاجعل له على الدهر حمديك
 ردّ العدى ، لم يفوزوا وأنت بالفوز ردك
 ألق الهدية واسحب فى ساحة الفخر بردك
 دعا الرسول وأثنى فاحمد - لك الخير - رفديك
 وقل : تباركت ربى يسّرت للخير عبيدك

(١) أسرع القوم خلف عبد الله بن أنيس رضي الله عنه بعد أن قتل سفيان فاخترأ فى غار كان فى طريقه، ونجاه الله منهم .

سريّة عكاشة بن محصن

بعثه النبي ﷺ إلى الغمر . . « غمر مرزوق » ، وهو ماء لبنى أسد على ليلتين من « فيد » ومعه أربعون رجلا ، فى ربيع الأول من السنة السادسة ، فخافهم القوم وتركوا مساكنهم وأصاب المسلمون غنما وإبلا فعادوا بها إلى المدينة :

عكاشة ما فى الغمر من متخلف	خلا الغمر من عجارة فهو مقفر
تناذر أهلوه سيوفك ، فانجلوا	وغودر وحشا خاليا ليس يُعمر ^(١)
خذ الشاه والإبل السمان ، فإنهم	إلى أجل ، ما دونه متأخر
فإما حمى الإسلام ، أو حدٌ قاضب	على متنه منهم دم يتفجر
عكاشة عد بالجنّد غير مخيّب	كفى القوم خزيا أن يفروا ويدبروا
لكل امرئ من نفسه ما تودّه	وما يك من شيء ، فربك أكبر
له الدين والدنيا ، وما بعد هذه	فلا شيء إلا ما يشاء ويقدر

(١) تناذر القوم : أنذر بعضهم بعضا .

سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل

وهي حصن وقرى من طرف الشام بينها وبين دمشق خمس ليال ، وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة ، كانت هذه السرية في شعبان من السنة السادسة ، سيرها النبي ﷺ بعد أن عمم أميرها عبد الرحمن بن عوف ﷺ بيده الشريفة ، ثم أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء ، وقال له ولمن معه : « اغزوا جميعا في سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا ، فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم » ، فمكث عبد الرحمن ثلاثة أيام يدعو القوم إلى الإسلام فيأبون إلا السيف ، ثم أسلم رئيسهم الأصبع بن عمرو الكلبي ، وكان مسيحيا ، وأسلم معه كثيرون ، وتزوج ابنته وقدم بها إلى المدينة فولدت له بعد عشرين سنة وبضع من الهجرة أبا سلمة الحافظ الثقة والعالم الكبير .

يا بن عوف سر حثيثا باللواء
سر حثيثا يا ابن عوف إنها
سُبقوا للحق ما يأخذهم
ويحهم ماذا عليهم لو رضوا
اتَّق الله ، ولا تبغ الأذى
إن للحرب لديه أدبا
من يدعُه لا ينل مجدا وإن
واقدم الجيش بعزم ومضاء
دومة الجندل والقوم البطاء
ذلك النور ، ولا هذا الرُّواء
شرعة الله ، ودين الخنفاء ؟
واتَّبع ما قال خير الرحماء
ينزُّ السيف ويحمي الضعفاء
فتح الأرض ، وأقطار السماء

* * *

أعرض القوم ، وقالوا : ديننا
ليس غير السيف يقضى بيننا
ورأى سيدهم ما هاله
إنه الأصبع لا يخدعه
يا بن عوف ، ديننا ، لا ما تشاء
وهو أولى يا ابن عوف بالقضاء
من أمور لا يراها الجهلاء
باطل الوهم ومكروه الهراء

قال :أسلمت ، فياقوم أشهدوا واهتدوا ، فالله حق لا وراء
 شرع الدين الذى وصى به عمدة الرسل وشيخ الأنبياء
 هو دين الله حقًا ، ما به إن رضينا أو أبينا من خفاء

أسلمت من قوميه طائفة وأبنت طائفة كل الإباء
 ما على ذى همّة من حرج إن تراخى الجد أو زاغ الرجاء
 كل أمر ، فله ميقاته طابت الأنفس ، أم طال العناء

يا ابنة الأصبغ هذا ما قضى ربك الأعلى ، فنوزى بالرفاء
 ملّة فضلى ، وبعل صالح حبذا القسّم . وما أسنى العطاء
 إنه أمر النبىّ المجتبى معدن التقوى ، ومولى الأتقياء (١)
 يابن عوف ، لو رأى الغيب امرؤ لراى عيناك ما تحت الغطاء
 لك من زوجك كنز جليل من كنوز الله أغنى الأغنياء
 يُستمد العلم منه والهدى ويقام الدين قدسى البناء
 نعمة لله ، ما أعظمها فله الحمد جميعا والثناء

(١) قال الرسول الكريم ﷺ لعبد الرحمن بن عوف « إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم » .

سرية عبد الله بن عتيك الخزرجي الأنصاري

كانت لقتل أبي رافع عبد الله ، أو سلام بن أبي الحقيق اليهودي ، وهو من الذين حزبوا الأحزاب يوم الخندق وأعان المشركين بالمال الكثير ، بعثه النبي ﷺ إليه في شهر رمضان سنة ست ، وقيل : في ذى الحجة سنة خمس بعد وقعة الأحزاب ، ومعه عبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة واسمه الحارث بن ربيعي ، والأسود بن خزاعي ، ومسعود بن سنان الأسلمي من الخزرج ، فذهبوا إلى خير فلما أمسوا جاؤوه في حصن له ، فقال ابن عتيك لأصحابه : دعوني أحتال للدخول عليه ، ثم تقنع بثوبه ، فظنه البواب من أهل الحصن الذين خرجوا لطلب حمار فقد منه فأدخله ، ثم أخذ المفاتيح التي علقها البواب وراء الباب بعد إغلاقه ، فلما ذهب عن أبي رافع أهل سمره صعد إليه ابن عتيك يفتح الأبواب ويغلقها وراءه ، ثم انتهى إليه فإذا هو وسط عياله في بيت مظلم ، وقال لامرأته : إني جئته بهدية ، ثم ضربه فلم يقتله ، وصاح أبو رافع ، فخرج ابن عتيك ثم عاد ، وقد غير صوته يسأله عن سبب صياحه ، ثم قتله ، وخرج فسقط وانكسرت ساقه فاختم ، وخرج اليهود باحثين ، ثم عادوا وهو كامن ، وبقي إلى أن يسمع الناعي ، فلما نعى انطلق إلى أصحابه ، ثم عادوا ، ومسح النبي ﷺ على رجله ، فكأنما لم تصب .

ولا يدع الخصم المشاغب ناجيا
لنفسك من تلك العقابيل شافيا
تريد بدين المسلمين الدواهي
فلست بلاق من حمامك واقيا
يريدك مغتالا ، ويلقاك غازيا
فأجمع ألا يصحب الدهر غاويا
دما فاجرا في مسبح الكفر جاريا

أبا رافع لا يرفع الله طاغيا
جمعت من الأحزاب ما شئت ، تبغى
ورحت تصب المال في غير هينة
هو ابن عتيك إن جهلت وصحبه
يدب وقد جن الظلام مقنعا
كأن حمار الحصن أوتى رشده
أعان عليك السيف يكره أن يرى

يقول له البواب: مانك جالسا ؟
 إلى الحصن فادخل ، ست تارك بابيه
 فقام ولو يدري خبيثة نفسه
 ولاحت لعينه الأقاليد فانتحى
 فلماً غفا السمار أقبل صاعدا
 سقاه بحدّ الهندونى حتفه
 وقد دخل الرهط الذى كنت رائيا ؟^(١)
 لأجلك مفتوحا ودعنى وما بيا
 أعض وريديه الحسام اليمانيا ^(٢)
 يضمُّ عليها مخلب الليث ضاريا ^(٣)
 إلى الأخرق المغرور ، يعلو المراقيا
 فبوركت من سيف ، وبورك ساقيا

* * *

هوت رجله من زلة قذفت به
 فما برحت حتى أصيب صميمها
 وبات يُوارى نفسه فى مكانه
 تنادوا : فقالوا فاتك من عدونا
 متى جاء ؟ كيف انسل فى غسق الدجى ؟
 من الجنّ هذا أم من الإنس ، ياله
 وراحوا سراعا مهطعين يهيجهم
 فما تركوا فى أرض خيبر بقعة
 وعادوا يعضّون البنان ولو رأوا
 إلى الأرض فى ظلماء تُخفى الداريا ^(٤)
 بصدع فأمسى واهن العظم واهيا
 ويزور فى برديه يخشى الأعاديا
 رمى السند الأعلى ، فلا كان راميا
 وماذا جرى ؟ من كان للحصن حاميا ؟
 مصابا ينسّينا الخطوب الخواليا ؟
 طلاب الذى ما زال فى الحصن ثاويا
 ولا غادروا مما هنالك واديا
 مكان الردى المجتاح ألفوه جائيا

(١) ظنه البواب من أهل الحصن . فقال له : إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإنى أريد أن أغلق الحصن فدخل فاخترأ يتربص لحاجته .

(٢) يريد بواب الحصن .

(٣) الأقاليد المفاتيح .

(٤) قال ابن عتيك رحمته الله يذكر ما حدث له بعد قتل أبى رافع : فجعلت أفتح الأبواب بابا بابا حتى انتهيت إلى الأرض فوقعت فانكسرت ساقى ، فعصبتها بعمامة ثم خرجت فكمننت فى موضع وأوقدت اليهود النيران وذهبوا فى كل وجه يطلبون حتى إذا أيسوا رجعوا فلما صاح الديك صعد الناعى على السور ينعى أبا رافع ، قال: فأتيت أصحابى أحجل . . إلخ .

فما زال حتى أذن الديك ، وانبرى
هنالك وافى صحبه ، فتحذبوا
فتى يركب الأهوال لا يتقى الردى
قصاراه أن يرعى أمانة ربه
شفى رجله مما بها ، فكأنها
أبا رافع ، ماذا لقيت بحفرة
عكفت على البغى المذمم والأذى
من القوم داع يرفع الصوت ناعيا
عليه ، وكان الظن أن لا تلاقيا
ولا يتوقى الحتف يلقاه عاديا
ويلقى رسول الله جذلان راضيا
بخيبر لم تكسر ولم يك شاكيا
طوت منك جبارا قضى العمر عتيا ؟
فدُب أسفا ، واعكف على النار صاليا

سَزِيَّة عبد الله بن رواحة الأنصاري

إلى أسير بن رزام اليهودي بخيبر

لما قتل أبو رافع أمرت اليهود عليها أسير بن رزام فغضب لقومه وسار في غطفان وغيرهم يجمعهم للحرب ، وبلغ النبي ﷺ ذلك فوجه عبد الله بن رواحة وبعض أصحابه في رمضان من السنة السادسة يستطلعون الخبر ، وعادوا بعد ثلاثة أيام يذكرون ما رأوه وسمعوا ، فبعثه إلى أسير في ثلاثين رجلا ، فعرضوا عليه أن يسير معهم إلى النبي ﷺ ليحسن إليه ويستعمله على خير فشاور قومه فرضى بعض وأبى بعض ، وسار معه جمع منهم ، فلما كان في الطريق ندم على سيره ، وأراد الفتنك بآبن رواحة فقتله ، وقتل المسلمون من كن معه إلا رجلا اشتد في الهرب ، وكان ذلك في شوال من السنة السادسة .

أأنت يا ابن رزام تغلب القدرا ؟ جرب لك الويل من غرٍّ وسوف ترى
جرب أسيرٌ ولا تجزع إذا عثرت بك التجاريب ، إن الحرَّ من صبرا
كذبت قومك ، إن الحق ليس له من غالب ، فاعتبر إن كنت معتبرا (١)
هيهات مالك إلا الغيُّ تتبعه والغى يتبعه في الناس من فجرا
بنس الأمير وبئس القود إذ جعلوا لك الإمارة كيما يدركوا الظفرا
الظافرون بنو الإسلام ، لا فزعا يرى العدى في الوغى منهم ولا خورا
هم الألى يلبسون الحرب زينتها إذا تعمرت وولّى الذادة الدُّبرا
ماذا تحاول بالأشياء تندبهم ؟ حاولت يا ابن رزام مطلباً عسرا

(١) قال لهم : ما سار محمد إلى أحد من يهود ولا بعث أحدا من أصحابه إلا أصاب منهم ما أراد ولكنني أصنع ما لم يصنع أصحابي ، قالوا : وما عسيت أن تصنع ؟ قال : أسير في غطفان فأجمعهم ونسير بهم إلى محمد في عقر داره ، فإنه لم يغز أحد في عقر داره إلا أدرك منه عدوه ما يريد .

ظننتها غزوة تخفى مكائدها
لو لم يوافى رسول الله مُخبرُهُ
كم فضّ جبريل من صمّاء مغلقة
فما احتيالك فى السرّ الذى ظهرها ؟
وافاه من ربه من يحمل الخبرا
أنحى على سترها المكنون فاشتهرها (١)

على أبى رافع ، فلتبك من أسف
ذلت يهود فما يُرجى لها خطر
دعها أُسَير لك الوليات من رجل
ألست تبصر عبد الله فى نفر
جاؤوك يا ابن رزام لو تطاوعهم
لكنك المرء لو ترميه صاعقة
ردّوا لك الخير تسديه إليك يد
قالوا : انطلق معنا إن كنت منطلقا
ما شئت من سؤدد عال ومن شرف
أبى وراجعه من نفسه أمل
ثم انثنى ينمادى فى وساوسه
واختارها خطة شنعاء مأكرة
أراد شرا بعبد الله ، فانبعثت
رآه أخون من ذئب فعاجله
واستبق نفسك إن كنت امرأ حذرا
على يدى من نهى فيها ومن أمر
ضلّ السبيل ، فأمسى يركب الغرّرا (٢)
أعظم به وبهم من حوله نفرا ؟
لاذهب الله عنك الرجس والوضّرا
تنهّاه عن نزعات الغىّ ما ازدجرا
ما مثلها من يد نفعا ولا ضرا
فأت الرسول وسله تبلغ الوطرا
على اليهود ويجزى الله من شكرا
أغراه بالسير حتى جدّ مبتدرا
يظن ذلك رأيا منه مُبتسرا (٣)
فحاق بالجاهل المأفون ما مكرا
منه صريمة عاد ينقض المرا (٤)
بالسيف يورده منه دما هدرا

(١) أنحى على الشئ أقبل .

(٢) الغرر التعرض للهلكة .

(٣) خرج أسير ومعه ثلاثون رجلا من اليهود مع رجل رديف من المسلمين وكان هو رديف عبد الله بن رواحة ، حتى إذا كانوا بقرقرة . موضع على ستة أميال من خير ندم أسير على مسيره ، وأراد الفتك بابن رواحة ففطن له وهو يريد السيف ، فاقتحم به عبد الله ثم ضربه فسقط . ومال أصحاب النبى ﷺ على أصحابه ، ورأى مبتسر: أى غير ناضج .

(٤) الصريمة : العزيمة .

وانقضّ أصحابه يلقون من معه من قومه فاستحر القتل واستعرا
 لم يترك السيف منهم وهو يأخذهم إلا حشاشة هاف يسبق البصرا (١)
 مضى مع الريح لا يأسى للكهم ولا يبالى قضاء الله كيف جرى
 كذلك الغدرُ يلقي الويل صاحبه وكيف يأمن عقبى السوء من غدرا ؟

* * *

(١) هو الرجل الذى هرب ، أفلت على رجليه وأعجز المسلمين شدا .

عمرو بن أمية الضمري يُوفد إلى مكة لقتل أبي سفيان

اختار أبو سفيان رجلاً من أجراً الناس وأقدرهم على الشر ، ثم أعطاه نفقة وبعيراً ، وبعثه لقتل النبي ﷺ ، فخرج يحمل خنجراً حتى جاءه فانحنى عليه يريد أن يفعل فأخذته الرهبة وكان أسيد بن حضير مع النبي ﷺ فشد على خنقه حتى ظهر الخنجر ، إذ كان يخفيه في ثيابه ، وقد استجار بالنبي ﷺ فعفا عنه وأسلم ثم ذهب فلم يعرف اسمه ولم ير بعد ذلك .

أرسل النبي ﷺ عمرو بن أمية الضمري لقتل أبي سفيان ؛ وكان فاتكاً في جاهليته شجاعاً في إسلامه ، فأخذ خنجراً ، وخرج معه رجل آخر اختلف في اسمه ، فقيل : هو سلمة بن أسلم ، وقيل : جبار بن صخر ، فجعل عمرو يتنكر بمكة حتى لا يعرفه أحد لشهرته فعرفه معاوية بن أبي سفيان وأشاع خبره ، فخف الناس يطاردونه ، فاخْتَبَأَ في غار وخرج فقتل رجلاً من الكفار ، ورأى رجلين منهم في طريقه إلى المدينة كانا يتجسسان على المسلمين ، فقتل أحدهما برمية سهم ، وأسر الآخر .

أبا سفيان أي دم تريد ؟	هي العنقاء مطلبها بعيد
بل العنقاء أقرب من مرام	هو الأمل المحبب أو يزيد
أغرك خنجرٌ بيدى شقى ؟	وما يدريك ، أيكما السعيد ؟
رأى رجلاً ترى الشم الرواسي	جلالته ، فترجف أو تميد
فلم تنفعه من فزع قواه	ولم ينهض به البأس الشديد
وشد خنقه بيدى أسيد	فلولا الفرق لانقطع الوريد
تلقاه بمخلب مكفهر	يشور فتقشعر له الجلود
وأظهر ما يوارى من سلاح	يدب بمثله الشنف الحقود (١)

(١) الشنف : المغض .

وأيقن أن دين الله حقٌ
أصاب الخير من بركات ربِّ
وجاءك يا أبى سفيان عمرو
هو البطل الذى عرفت قريش
يخادعهم ، وما تخفى عليهم
بدا لهم المغيب فاسترابوا
وأبصره معاوية فجلى
وشدوا خلفه فإذا سلكيك
وغيبه ببطن الأرض غار
أعين بصاحب لا عيب فيه
وجاء لحينه منهم غوى
يدير الكفر فى فمه نشيدا
أصاخ له ، فأوقد منه نارا
تلهب واستطار ، نيا النفس
رماها فى لهيب اليأس ربُّ

* * *

كلا الرجلين يا عمرو عدو
هما عين الخيانة من قريش
رمى عن النبى فمن صريع
فدونك إنه صيد جديد
وأنت يد النبى بها يذود
أراق حياته السهم السديد

- (١) دخل مكة ليلا هو وصاحبه سلمة بن أسلم أو جبار بن صخر، ومضى عمرو يطوف بالبيت فرآه معاوية بن أبى سفيان فعرفه وشاع خبره ، فقال أبو سفيان ورجال قريش: والله ما قدم عمرو إلا لشروطا ردوه .
(٢) سلمة بن أسلم أو جبار بن صخر .
(٣) رجل قتله أمية لقوله :

ولست بمسلم مادمت حيا ولست أدين دين المسلمين

ومن فزع مضيت به أسيرا على جزع ، يذلُّ ويستقيد
جلبت على أبى سفيان شراً فأصبح وهو محزون كميّد
تجرّع ثكل من فُقدا ذعافا وأهلكه الأسى فهو الفقيد
ستدركه الحياة ولا حياة لغير المؤمنين ولا وجود
رجال لا تُبديهم المنايا وكل من بنى الدنيا يبيد
هو الإيمان ، لا دنيا حلوبٌ يعاش بها ، ولا ملك عتيّد

* * *

سرية أبي بكر رضي الله عنه إلى بني كلاب

ويقال إلى : بنى فزارة بناحية « هرية » بنجد ، خرج إليهم فى شعبان من السنة السابعة فى رجال منهم سلمة بن الأكوع ، فبعد أن صلو الصبح شنوا الغارة عليهم فقتلوا وسبوا ، وكان من السبايا امرأة استوهبها سلمة بن أبى بكر فجعلها له ثم استوهبها النبى ﷺ من سلمة ، فوهبها له ، فأرسلها صلوات الله وسلامه عليه إلى مكة ففدى بها أسرى من المسلمين كانوا عند المشركين .

جرّد السيف أبا بكر فما	طُبع السيف ليبقى مُغمدا
تلك نجد خيم الكفر بها	فاستعن بالله واذهب منجدا
جاهد القوم وزلزل دينهم	أين دين الكفر من دين الهدى ؟
سرت فى بأس بعيد المرتضى	ماله فى الله جدّ أو مدى
إنها الحرب ، فسر لا تتند	ودع السيف وأعناق العدى
فارم يا ابن الأكوع القوم فما	خُلق المخلب لليث سدى
هدّم أسرا وسبب ، وسقى	من سقى منهم أفوايق الردى
جال فيهم جولة عاصفة	فهووا صرعى وأمسوا همدا
صدفوا عن ربهم سبحانه	وأبوا أن يُتقى أو يُعبدا
فجزاهم من نكال ما لقوا	وى كأن الله يجزى المفسدا

* * *

يا أبا بكر وأنت المرتضى	أعطته المرأة يشكرها يدا (١)
إن تكن سيّدة فى قومها	فكفاها أن أصابت سيّدا
عاد منصورا وسارت معه	فرقدا ، يتبع منه فرقدا
نظر الله إليها غبدا	لرسول الله فيها ما بدا

(١) زعم بعض الرواة أن هذه المرأة أم قرفة التى ردد ذكرها فى سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه ، وهو من أوهاهم .

قال : هبها لى ، فلم يخل بها
هبطت مكة فى حاجته
ومضى من أمرها ما سدا
فهى للصحب من الأسر فدى
من نفوس حرة ما قيّدا
سرّه أن أطلق الشرك بها

* * *

اذهبى ما أنت من شأن الألى
كذب الجهال فيما زعموا
أوردوا قومك ذاك المورد
ما المباتير المواضى كالمدى

* * *

سرايا غالب بن عبد الله الليثي

السرية الأولى

كانت في شهر رمضان سنة سبع إلى أهل الميعة بناحية نجد ، وهي على ثمانية برد من المدينة ، خرج إليها في مائة وثلاثين رجلا ، فهاجموا على أهلها في مساكنهم ، وقتلوا من تصدى لهم ، واستاقوا النعم والشاء ، وفي هذه السرية قتل أسامة بن زيد رضي الله عنه نهيك بن مرداس الأسلمي وقيل : الغطفاني ، بعد أن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فلامه النبي ﷺ فقال : إنما قالها تعوذا من القتل ، قال : « هلا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب ؟ » قال أسامة : لن أقتل بعده من قالها ، وفي ذلك نزل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتُ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ الآية [النساء: ٩٤] وورد بأن النبي ﷺ دفع الدية إلى أهله ، وأمر أسامة أن يعتق رقبة :

اسألى يا نجد أهل الميعة	كيف أمسوا بعد أمن ودعه
وانظري ما صنع الكفر بهم	من أذى يعجبه أن يصنعه
هو صنو الشر أو توأمه	ما ثوى في موطن إلا معه
ما الذى يعصمهم من غالب	جذوة الحرب وليث الميعة ؟
جاءهم يقدم من أبطاله	كل ماض لا يبالى مصرعه
يمنع الإسلام من أعدائه	دم يأبى له أن يمنعه
لو تمشى الموت فى برده	حين يمشى للوغى ما روعه
أخذوهم أخذة رابية	صادفت منهم نفوسا فزعه
ثم أبوا كالنجوم الزهر فى	نعمة مما أصابوا وسعه

يا رسول الله ، هل من تبعه ؟
 فجعلت السيف يعلو أخدعه
 وله بالكفر نفس مولعه
 فيرى السر ، ويدري موضعه ؟
 لست بالمؤمن حتى تدعّه
 يتقى الله ، ونفس موجهه
 وأبأها سنة مبتدعه
 ما رآه ظاهراً ، أو سمعه
 يعلم السر ويدري موقعه
 تتقيها كل نفس ورعه
 جاء في القرآن كيما تتبعه

يا ابن زيد ، قدّم العذر ، وقل
 رجل أجمع أن يخدعني
 أعلن الإسلام يحمي دمه
 قال : هل شق الفتى عن قلبه
 يا ابن زيد ، يا له من خلق
 ساءه اللوم ، فقلب آسف
 تاب مما سؤل الظن له
 ليس للمرء من الأمر سوى
 وخفايا الغيب لله الذي
 احتس ما الظن إلا شبهة
 واتبع الحق فهذا حكمه

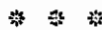
كسبيل المرء يبغى المنفعه
 حين ينأى عن هوان وضعه

ما سبيل المرء يرتاد الهدى
 ما نأى المؤمن عن عادته

السرية الثانية

كانت إلى بنى الملوح بالكديد . . اسم ماء بين عسفان وقديد . . خرج إليها في صفر من السنة الثامنة ، وكان من رجال هذه السرية جندب بن مكيث الجهني رضي الله عنه قال : لما بلغوا قديد وجدوا الحارث بن مالك الليثي المعروف بابن البرصاء فأخذوه ، فقال : إني جئت أريد الإسلام وما خرجت إلا لرسول الله ﷺ فقالوا : إن تكن مسلماً فلن يضرك رباط يوم وليلة ، ثم وضعوا عليه حارساً . وأمره أن يقتله إذا ظهر منه سوء ، وساروا حتى أتوا الكديد ، فجعله أصحاب جندب بن مكيث ربيعة لهم ، فأشرف على رأس تل فرآه رجل من بنى الملوح فرماه بسهمين ، وقع الأول بين عينيه فنزعه ، والثاني في منكبه فكذلك ، ثم نام القوم فحمل المسلمون عليهم سحراً ، فقتلوا منهم من قتلوا واستاقوا النعم ، واستصرخ القوم ، فاجتمع عدد كثير وحملوا على المسلمين فأرسل الله السيل في الوادي ، وادى قديد من غير سحابة ولا مطر فحال بينهم ، وأسلم ابن البرصاء وهو صحابي توفي آخر خلافة معاوية .

طاف الردى وتلاقى الشرب والساقى	بنى الملوح لا حمام ولا واق
فاستقبلوها بهامات وأعناق	أتكم المرففات البيض زائرة
يلف للحرب آفاقاً بآفاق	مشى بها غالب في غير ما وهن
فالشرك يرجف من خوف وإشفاق	رمت به همم الإيمان ممعنة
عند القديد ، أيمضى غير معتاق ؟	ما خطب هذا الذى لاقت فوارسه
فيما يريدون من ظلم وإرهاق	كلاً فإن يك حقاً ما يقول فما
إلى الرسول على عهد وميثاق	يقيم حتى يعودوا ثم يصحبهم
والسيف صاحب عذق غير مذاق	وإن يكن كاذباً فالسيف صاحبه



جاؤوا « الكديد » فما يعفى ربيبتهم والنوم يلهو بأجفان وأحداق

لساهر قام من ذعر على ساق
ولم يُجاوزه فى نزع وإغراق
ولأُترَعَ لدم فى الله مهراق
للعاكفين على الأصنام من باق
ما اختارها غير فُجَّار وفساق
هل جاء إلا بآداب وأخلاق ؟
ما تستطيع مداها همة الراقى
يرمي النفوس بأغلال وأطواق
وليس يظلم فى حبس وإطلاق

فالحق ذو وضّح باد وإشراق
حار الطبيب ، وأمسى رهن إخفاق
بها الدعاة ، فلبّى كل سباق ؟
بمعشر من قريش غير حُذّاق
يؤذى الطبيب ويُعيبى حكمة الراقى
مسجورة ذات أطواء وأعماق (١)
يستصرخ الحىّ منكم كل نعاق ؟
وادی قديد بسيل منه دقاق
ما كان من دهش جم وإطراق
كانت لخير البرايا خير مصداق
أن تدركوا جنده كل منساق
إلى الرسول يوالى سير مشتاق (٢)

ولاح بالليل فوق التلّ منظره
رمى بسهمين لم يُخطئ له نظر
انزعهما ابن مكبث لا تكن جزعا
ويا سيوف رسول الله لا تدعى
النازليين وراء الحق منزلة
ما ينكرون من الدين الذى كرهوا ؟
دين السجايا العلىّ تمضى بهم صعدا
دين هو الغلّ ينهى كل مبتدع
لا يحبس النفس إلا حين يطلقها

بنى الملوح ردّوا من غوايتكم
هو الشقاء لأدواء النفوس إذا
أتصدقون عن المثلى وقد هتفت
لولا العمى ما اقتديتم فى ضلالتكم
والناس من زعماء السوء فى خبل
يا ويلكم إن رضيتم جوف مظلمة
ماذا صنعتم بخيل الله حين دعا
طارت بكم غارة حرّى فأطفأها
لا تنكروا وقضاء الله يرسله
أعظم بها آية لولا جهالتكم
سيقت لنصرته الأقدار تمنعكم
وأنت يا أيها المزجى مطيّته

(١) المسجورة الموقدة والأطواء الآبار .

(٢) هو الحارث بن مالك اللبثى .

أصبت من نعمة الإسلام كنز هدى أغناك ربك منه بعد إملاق
فأسعد برزقك ، واشكر من حباك به سبحانه من عظيم الفضل رزاق

* * *

obeyikan.com

السرية الثالثة

لما عاد غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه من الكديد أرسله النبي ﷺ إلى موضع مصاب أصحاب بشير بن سعد « بفدك » في صفر سنة ثمان ومعه مائة رجل فأغاروا على بني مرة فقتلوا وغنموا ، وكان بشير رضي الله عنه قد سار إليهم في شعبان سنة تسع ، ومعه ثلاثون رجلا فما رأوا منهم أحدا وعادوا بالنعم والشاء فأدركوهم وجعلوا يرمونهم بالنبل ، فقتل من قتل وولى الباقيون إلا بشيرا ، فقد ثبت لقتالهم حتى جرح وسقط وبه رمق ، وعمد القوم إلى اختباره بضربة في كعبه فلم يتحرك ، فظنوا أنه قد مات ، وانصرفوا عنه لنعمهم وشائهم ، فتحامل هو فذهب في الليلة التالية إلى فدك فأقام فيها عند بعض اليهود حتى قوى ثم عاد إلى المدينة بعد أيام :

بنى مرة اقضوا أمركم قبل غالب	وذوقوا منايا القوم من كل ذاهب
بشير بن سعد والذين أصابهم	أذاكم رموكم بالقروم المصاعب
جهلتم جزاء البغى والبغى مركب	لذى الجهل يؤذى شؤمه كل راكب
خذوا جزاء من يد الله عادلا	يدمر منكم كل راض وغاضب
بليتم بخصم لا تنام سيوفه	عن الوتر إن نامت شفار القواضب
أبى على الكفار يسقيهم الردى	ويأخذهم بالخسف من كل جانب
حفى بدين الله يمنع حوضه	ويكفيه أضغان العدو المشاغب
هو الدم لا يشفى من الجهل غيره	إذا لم يُفد فيه ضروب التجارب
أجل يا ابن عبد الله إن الوغى لها	رجال يرون الحزم ضربة لازب
شدت قوى الأبطال بالموثق الذى	عقدت على تلك القوى والجواذب (١)

(١) عن حويصة رضي الله عنه قال : بعثنى ﷺ فى سرية مع غالب إلى بني مرة فأغرنا عليهم مع الصبح وقد أخذ علينا أميرنا أن لا نفرق وأخى بيتنا ، وقال : لا تعصوني ، فإنه ﷺ قال : « من أطاع أميرى فقد أطاعنى ومن عصاه فقد عصانى » .

وإلف على إلف من الدين راتب
أمين الهوى يرعى الذمام لصاحب
عل الجند آداب الكمي المحارب
بغير المنيا عن يدي كل ضارب
جرى الختف صرفا في دم منه ذائب
وللجاهل المغرور سوء العواقب
إلى الحق ترمى دونه غير هائب
وكننت وراء النهب أكرم آيب
يراه الفتى المقدام أسنى المطالب (١)
لما نلت من مجد على الدهر دائب
يحدث عن جد امرئ غير لاعب
ويالك من يوم جليل المناقب

فعهد على عهد من الله ثابت
أخ لأخ جمّ الوفاء وصاحب
ويالك إذ تلقى بما أنت قائل
أخذت رماة النبيل بالسيف ما رمى
سقاهم نقيع الختف من كل ماجد
لذي الحلم من حسن المثوبة ما ابتغى
دعاك رسول الله أصدق من دعا
فكنت أمام الجيش أكرم قادم
مقام تمنّاه الزبير ومطلب
ظفرت به يا توأم النصر توأما
مضى لك يوم فى الكديد مشهّر
فياحسنها من وقعة غالبية

* * *

(١) روى أنه ﷺ هيا الزبير بن العوام رضي الله عنه ، وقال له : « سر حتى تنتهي إلى مصاب أصحاب بشير » ، وهيا معه مائتى رجل ، فلما رجع غالب بن عبد الله من الكديد مؤيدا بالنصر استبقى الزبير وبعثه هو .

سَرِيَّةُ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وهى السرية الثانية له بعد التى ورد ذكرها فى السرية السابقة ، كانت إلى عين وجبار وهى أرض لغطفان وقيل : لفزارة ، خرج إليها فى شوال سنة سبع ومعه ثلاثمائة رجل ، وسبب خروج هذه السرية أن عيينة بن حصن أعد جمعا بأرض غطفان للإغارة على المدينة ، فلما بلغهم مسير بشير إليهم هربوا ، وأصاب هو وأصحابه نعمة كثيرة لهم فغنموها ، ثم لقوا الجمع وهو لا يشعر بهم فانهزم بغير قتال وتبعوهم ، فأسروا منهم رجلين أسلما وخلقى سبيلهما .

عيينة ماذا أنت - ويحك - صانع ؟
رويدك هل يغزو المدينة حائق
هى الصخرة العظمى فلا البأس نافع
لها من جلال الله حصن مَنَع
وفيهما رسول الله والنفر الألى
إذا وردوا الهيجاء فالنقع قاتم
بشير بن سعد يا عيينة قادم
أتاكم على بعد المزار حديثه
فررتم تريدون النجاة وقد بدا
وغادرتم الأنعام تعوى رعاتها
فيالك من نهب توَلَّى حماته
ويا للأسيرين اللذين نهاهما
هما أسلما ، لما بدا الحق واضحا
أطاعا رسول الله فاهتديا به
عيينة من يتزع إلى الرشدا لا يزل

وما ذلك الجمع الذى أنت جامع
ويطمع فيها يا عيينة طامع ؟
إذا جئت تبغيها ولا السيف قاطع
يردُّ الأذى عنها وجيش مدافع
يهون عليهم أن تهول الوقائع
وإن صدروا بالخيـل ، فالنصر لامع
فهل أنت بالجمع المضلل راجع ؟
فلا قلبَ إلا واجف منه جازع
لكم منه يومٌ هائل البأس رائع
وتندبها آثارها والمراتع
وأقبل يُزجى سربه المتتابع
عن الشرك ناه من هدى الله رادع
وللحق نور للعماية صاعد
وما يستوى فى الناس عاص وطائع
على لاحب منه ، فهل أنت نازع ^(١)

(١) اللاحب : الطريق البين .

سرية عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى بلاد بلى وعذرة

تقع هذه البلاد وراء هذه القرى ، بينها وبين المدينة عشرة أيام ، وبلى قبيلة كبيرة تنسب إلى بلى بن عمرو بن إكاف بن قضاة ، وتنسب عذرة إلى عذرة بن سعد بن قضاة ، وتسمى هذه السرية ذات السلاسل ! لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض مخافة أن يفروا ، والمراد أنهم تجمعوا وانضم بعضهم إلى بعض ، وقيل : لأن بهذه البلاد ماء يسمى .. السلسل .. كانت في جمادى الآخرة سنة ثمان ، وسببها أن جمعا من قضاة أرادوا الإغارة على المدينة . فبعثها النبي ﷺ تحت إمرة عمرو بن العاص وعددها ثلاثمائة رجل من سراة المهاجرين والأنصار ، فلما اقترب من القوم بعث رافع بن مكث الجهني إلى النبي ﷺ يستمده ، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في مائتين من أكابر المهاجرين والأنصار ، فيهم أبو بكر وعمر وأوصاه بطاعة عمرو ، فأراد أن يؤم الناس في الصلاة ، فأبى عمرو ، وقال : أنا الأمير ، فأطاع أبو عبيدة ، ومازال عمرو يصلى بالناس ، وحمل المسلمون على العدو ، فهربوا بعد أن اقتتلوا ساعة ، فقتلوا وغنموا ، وأمر عمرو أن لا يوقدوا نارا ، فأنكر عمر ذلك ، فقال أبو بكر : دعه ، فما بعثه النبي ﷺ إلا لعلمه بالحرب وأرادوا أن يتبعوا العدو ، وهو مدبر فمنعهم ، فلما عاد سأل النبي ﷺ فقال : كرهت أن يوقدوا نارا فيرى العدو قلتهم ، وأن يتبعوهم فيكون لهم المدد .

إلى ذات السلاسل من بلى	وعذرة فامض ، بورك من مضى
تدفق بالآلى جاشت قواهم	إليك تدفق السيل الآتى
إلى قوم من الأعداء تطوى	جوانحهم على الداء الدوى
تألب جمعهم من كل أوب	يحاول بالسيوف حمى النبى
أهزل من قضاة أم خيال	غوى جال فى جو غوى ؟
تولى الكفر أمر القوم فيه	فسوف يرون عاقبة الولى
جمعت لحربهم يا عمرو بأسا	بزلزل كل جبار عتى

رسولك جاء بالمدد القوي
 يمجُّ عَصَاة الموت الوحي^(١)
 تضيق به ، وما هو بالعصى
 وتلك سماحة الخلق الرضى
 من الأبطال يعصف بالرمى
 ولم تُغن الرباق عن الشوى^(٢)
 صواعق ما تكف عن الهوى
 لغير السيف والبطل الكمى
 ونلت ذؤابة الشرف العلى
 فنون المكر والكيد الخفى
 جنودك ، شيمة الحذر الذكى
 تخادعه عن الأمر الجلى
 وإذ ذهل الصفى عن الصفى
 يمزقها بحدٍّ لودعى
 يثير حمية الرجل الأبى
 ولا تعدل عن السنن السوى
 بصاحبه ، ولست له بسى
 يصرفها برأى عبقرى

* * *

أصاب أماراة الجند السرى
 على أدب من الخلق السننى
 فينكره التقى على التقى ؟

رأيت جموعهم شتى فهذا
 عليه أبو عبيدة فى سلاح
 نهاه محمد عن كل أمر
 ينازعك الإمامة ثم يرضى
 رميت الكافرين بكل ماض
 فزالوا عن حظائرهم سراعاً
 تواصلوا بالثبات فزلزلتهم
 هو البأس استطار فلا ثبات
 قضيت السؤل من قتل وغنم
 وكنت القائد الفطن الملقى
 منعت النار خيفة أن تعرى
 تدافع دون عدتهم عدوا
 ولم تتبع قضاة إذ تولت
 تقاتلها بسيف من دهاء
 رمى الفاروق من عجب بقول
 فقال له أبو بكر : رويداً
 رسول الله أكثر منك علماً
 وما للحرب إلا كل طب

أمير الجند يالك من سرى
 مشى الصديق والفاروق فيه
 وهل يقضى على اسم الله أمر

(١) الوحي السريع .

(٢) الرباق حبال بها عرى والشوى الشاء .

إذا استوت المراتب وهى شتّى
أجلّ يا عمرو ما بك من خفاء
شأوت السابقين إلى محى
وذلك فضل ربك ، زيد فيه
فما فضل اللبيب على الغبي ؟
إذا فزع الرجال إلى الكفى
يجاوز غاية الأمد القصى
على يده ، لذى الجد الحظى

* * *

سرية أبي عبيدة بن الجراح

وتسمى سرية الخطب ، وذلك لما أصابها من الجوع فألجأها إلى أكل الخطب ، وهو ورق السلم فإنها خرجت للجهاد ، ولم يكن معها من الزاد سوى جراب تمر زودها النبي ﷺ إياه ، وسماها البخارى سرية « سيف البحر » أى ساحله ، بعث أبو عبيدة فى رجب من السنة الثامنة بعد أن نقضت قريش عهد الرسول الكريم ﷺ ، وقبل فتح مكة ومعه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا من المسلمين فيهم عمر بن الخطاب إلى أرض جهينة ليلقى عيرا لقريش ، ويحارب حيا من هذه القبيلة فلما اشتد بهم الجهد ابتاع قيس بن سعد بن عباد من أحد رجال جهينة خمس جزائر بخمسة أوسق من التمر يؤديها أبوه عنه بالمدينة ، فتنحروا لهم ثلاثا ، وبقي اثنان عاد بهما إلى المدينة يتعاقب المسلمون عليهما :

ساروا سراعا فما فى القوم من وان
حُمَّ القضاء ، وخفت أسد خفان
عالى اللواء ، رفيع القدر والشان
موارد النصر ، تشفى كل حران
إلا القواضب تُسقى بالدم القانى
فبادر العير واضرب كل خوان
ما يزرع الشؤم من بغى وعدوان
أولو الحمية من صحب وإخوان
لكن ربك ذو فضل وإحسان
ما ليس ينفد من تقوى وإيمان
لكل ذى سغب فى الله طيَّان
يلقون فى البؤس عيش الناعم الهانى
نعم البناء ، وجلت قدرة البانى

هم سادة الحرب من شيب وشبان
حيدى جهينة أو بيدى مذممة
سرية الله ترمى عن يد بطل
أبا عبيدة أورها مظفرة
ما للحفيظة إن جاشت مراجلها
خانت قريش وأمسى عهدا كذبا
لا يعجب جناة الشر إن حصدا
لا تبتئس بجراب التمر يحمله
أعجوبة ما لها فى الدهر من مثل
إن ينفد الزاد أغناكم وزودكم
كلوا من الخطب ، نعم الخطب من أكل
حيّاكم الله من صيد غطارفة
هى النفوس بناها الله من شمم

تجنّى بها الحمد يستعلى به الجانى
جاءت على قدر فى خير إبان
قيس ووالده فى الجود سيان
غوث الليف ، وروح البائس العانى
لو لم تكن لأب للحق صوان
ما تحمل الأرض من إبل ومن ضان
ما قدم الناس من هذى وقربان

قيس لأمعن قيس أى إمعان
أبا عبيدة مهلا ، كيف تنهاني ؟
مولى العشيرة من قاص ومن دان
ويطعم الناس من عثنى ووحدان
أب أراه لغيرى خير معوان ؟
سمح الخلائق أراعاه ويرعاني
فعدّ نفسك عن وصف وتبيان

فلم تجد غير أبطال وفرسان
لاذت من الزاخر الطامى بأكنان
من الألى هم ذووها كل شيطان
أن لا يفوزا بأكفاء وأقران ؟
من الألى كرهوا الحسنى بخسران

إن استطاع له رداً بسلطان
بواحد سمرمدى الملك ديان ؟

وأنت يا قيس فانحرها مباركة
أسديتها يا ابن سعد خير عارفة
ما فى صنيعك من بدع ولا عجب
كلاكما وسيوف الله شاهدة
ما أقرب الحق مما يبتغى عمر
يقيضيه عنك ، وإن أربيت تجعله
ما مثل ما قدمت لله منك يد

أبا عبيدة لولا أن عزمت على
يقول إذ رحلت تنهيه وتمنعه
أنا ابن سعد ، وسعد أنت تعرفه
يكفى المهم إذا ضاق الكفاة به
أصنع الصنع محمودا فيخذلنى
لا يُبعد الله منه والدا حديبا
يا قيس إن رسول الله شاهده

رمت جهينة بالأبصار من فزع
لاذت بأكنانها القصوى ولو قدرت
وولت العير يخشى أن يحاط بها
مادا على القوم يرضى البأس إن غضبوا
آبوا بخير ، وآبت كل طائفة

للحق سلطانه ، فليأت منكروه
ما حجة الشرك ، والأكوان شاهدة

سبحانه ، لن يصيب الجاهلون على طول التوهم من ربّ لهم ثان
طاحت بهم غمرة ما تنجلي ، وطغت على عقول لهم مرضى وأذهان
تلك البراهين تترى كل آونة لو كان يتتفع الأعمى ببرهان

أخا جهينة ، عُدْ في منظر بهج عود امرئ مرح الأعطاف جذلان
تمرّ وكسوة معطاء ، وراحلة بشرى الصديق ، وبؤس (١) الجاسد الثاني
عرفت قيسا فتى مجدٍ ومكرمة صدقت ، إنك ذو علم وعرفان
نبئ جهينة واذكرها يدا عظمت فليس في الحق أن يجزى بنسيان

إذا تدفق دين المرء في دمه سرت معانيه في روح وجثمان
ما للدين يشرع من صدق ومن ورع كالدين يشرع من زور وبهتان

سُرِيَّةُ بَشِيرِ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى بَنِي تَمِيمٍ

أرسله النبي ﷺ إلى بني كعب لأخذ صدقاتهم ، وكانوا من بني تميم على ماء فمنعه هؤلاء من أخذها ، فعاد إليه بخبرهم ، فأرسل معه عيينة بن حصن بعد إسلامه - فى خمسين فارساً فأغار على بني تميم ، وأخذوا منهم رجالاً ونساء وصبياناً ، وعادوا إلى المدينة فجاء فى أثرهم من رؤسائهم عطاء بن حاسب ، والزبرقان بن بدر والأقرع بن حابس ، وأخذوا ينادون النبي ﷺ ، وهو فى داره : أن اخرج إلينا نفاخرك ونشاعرك ^(١) ، وكان يستعد لصلاة الظهر ، فلما خرج للصلاة تعلقوا به ، وبعد أن قضاها عاد إليهم ، فتكلم خطبائهم وشعراؤهم ، وأذن لثابت بن قيس وحسان بن ثابت ، فخطب الأول ، وقال الثانى شعراً ، ثم إنهم أسلموا فرد الأسارى إليهم ، وأعطوا الجوائز السنية ، وأقاموا مدة بالمدينة يتعلمون القرآن .

سبيلك فى مرضاة ربك يا بشر	وفى حقه فاد أب وإن فدح الأمر
عليك بنى كعب فخذ صدقاتهم	ولا تألهم نصحا ، لهم ولك الأجر
أطاعوك فى ذات الإله ، وأقبلوا	كراما ، يرون الدين أن يُبذل البر ^(٢)
فما لتمييم ساء ما صنعت بنو	تميم أما للقوم رأى ولا حجر ^(٣)
أبوا أن يؤدوا الحق واهتاج جمعهم	فعبَّ عباب البغى واحتدم الشر
يقول بنو كعب ، دعونا وديننا	وهيهات لج الشرك واستكبر الكفر

(١) نزل فى هذه الواقعة قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراء الحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحجرات : ٥] .

(٢) أخذ بشير صدقات بنى كعب ، فقال لهم بنو تميم - وكانوا معهم على ماء - : لم تعطوهم أموالكم ؟ فقالوا لهم : إنا قد أسلمنا ولا بد فى ديننا من دفع الزكاة ، فأخذوا سلاحهم ومنعوا من أخذ الصدقة ، وقالوا والله لن ندع بعيرا واحدا يخرج .

(٣) الحجر العقل .

لك الله يا بشر ، فعد غير آسف
أتيت رسول الله تروى حديثهم
أعد ابن حصن للوغى وأمه
إذا ذاقه فى غمرة الحرب قرنه
أغار عليهم فاستباح نفوسهم
تساق سباياهم وأنعامهم معا
تود لو أن القوم يستنقذونها
أقاموا على غيظ ، وعاد عينة
عليه من النصر المحجل بهجة
يظل أسارى القوم فى دار «رملة»
رأوا سوء عقباهم ، فأقبل وفدهم
تصيح ذرايرهم وتبكي نساؤهم
أتوا دار أمضى الناس رأيا وهمة
ينادونه فى ضجة من ورائها
ألا اخرج إلينا ، وانظر اليوم أيننا
فلما رأوه خارجا علقوا به
قضاها صلاة يحمل الروح نشرها
وعاد حميدا ينظر القوم حوله
يقولون قول الجاهلين ، وقلما
عطارده مهلا ، وإنه صحبك ، إنما

لربك فيهم حكمه ، ولك العذر
فهيجت بأسا مثلما يقدر الجمر
بكل شديد البأس ، مطعمه مر
تنكب يلوى أخدعيه ويزور
وأموالهم ، فليظروا : لمن الخسر ؟
بأعينهم من كل أوب وهم كثر
وهيهات لجّ الرعب واستفحل الذعر
مغائمه شتى ، وأثارة غر
إذا اثلفت أوضاحها ، ضحك النصر
مجازيع مما يصنع الحبس والأسر^(١)
وضحّ الأسارى : إننا مسنا الضر
وجهد الأسى أن تهطل الأدمع الغزر
لنائبة تعتاد ، أو حادث يعرو
ولو ملكوا صبرا لأغناهم الصبر
له الشرف العالى الذرى وله الفخر ؟
ولم يشنهم صوت الأذنين ولا الزجر^(٢)
فلا أرج يحكى شذاها ولا نشر
لهم صلف ما ينقضى ، وبهم كبر
يفيد الهراء القوم أو ينفع الهجر
أردتم مقاما دونه الشعر والنثر^(٣)

(١) هى رملة بنت الحارث .

(٢) كان بلال يؤذن لصلاة الظهر .

(٣) قال عطار ، وقيل غيره من خطبائهم : الحمد لله الذى له علينا الفضل وهو أهله ،
والذى جعلنا ملوكا : ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل =

إلا إن قول الصدق ما قال ثابت
خطيب رسول الله ما فيه مريّة
غلبتم فأسلمتم فبشرى بنعمة
خذوا السبي والأسرى وهذا عطاؤكم
أحبُّوا رسول الله يا قوم إنه
عطوف على ذى الضعف ، يؤتيه فضله
أقيموا على الفرقان تتلون آيه
كتاب يضىء السبل ، فى كل مطلع
خذوا زادكم منه ، وعودوا لقومكم

وحسان فاشهد إنما يشهد الحر
وشاعره ما مثله شاعر برّ
حباكم بها رب له الحمد والشكر
عطاء كريم ما لآلائه حصر
محبتة غنم ، ومرضاته ذخّر
عفوٌ حلیم ، ما يضيق له صدر
فذلك نور الله ما دونه ستر
لكل ابن ليل من مطالعه فجر
فما ثمّ زاد مثله أيها السفر

* * *

= المشرق عددا ، فمن مثلنا فى الناس . . . إلخ ومما قاله ثابت بن قيس بن شماس خطيب
رسول الله ﷺ : الحمد لله الذى خلق السموات والأرض مضى فيهن أمره ووسع كرسيه
علمه ، جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمهم نسباً وأصدقهم قلباً وأفضلهم
حسباً ، فأنزل عليه كتابه واثمنه على خلقه ، وقال الزبيرقان :

نحن الكرام فلا حى يعادلنا منا الملوك وفينا تنصب البيع
وقال الأقرع بن حابس :

وأنا رؤوس الناس من كل معشر وأن ليس فى أرض الحجاز كدارم
وقال حسان :

نصرنا رسول الله والدين عنوة على رغم عات من بعيد وحاضر

سرية أبي سفيان والمغيرة بن شعبه رضي الله عنهما لهدم اللات

أرسلهما النبي ﷺ بعد رجوعه من تبوك ، لهدم اللات صنم ثقيف فى بضعة عشر رجلا فهدموها ، وأراد المغيرة أن يسخر بثقيف ، فلما علاها ليهدمها بالمعول ألقى بنفسه ، فقالوا : قتلته ، وخرج النساء حسرا ييكون عليها .
هدموها وأخذوا حليتها وكسوتها ، وما كان فيها من ذهب وفضة وطيب ، وأقبلوا على النبي ﷺ فحمد الله : -

ثقيف اجمعى للات ما شئت من عزم
أتاها أبو سفيان يرمى كيائها
وإن لها عند المغيرة همة
علاها بنعليه ، وألقى بنفسه
ظننتم به شرا ، وقلتم أصابه
ألا فانظروها ، كيف أضحت صخورها
تهدؤ وتبكيها العقائل حُسرا
وهل منعت أسلابها إذ أصابها
له من دم الكفار ما شاء ربه
هم البغى والظلم المذموم والأذى
علت قبة الإسلام ، واعتز جنده
هو الدين ، لا دين الجهالة والعمى
قضى الله ألا يعبد الناس غيره
وليس له غير الذى عاب دينه
سيصليه نارا يُنضج الجلد حرها
ولا تسلموها للمعاول والهدم
بخطب يزيد الكفر رغما على رغم
تبیت لها الكفار صرعى من الهم
يخادع من لا يستفيق من الوهم
من اللات ما ينهى الغوى عن الإثم
تطير فضاضا من صلاب ومن صم
فهل عندها بالمائم الضخم من علم ؟
رسول هدى يزداد غنما على غنم ؟
ومن مالهم ، فى غير بغى ولا ظلم
وما ثم من عيب شنيع ومن ذم
فمن شرف واف ، ومن سؤدد جم
وهل يستحب الجهل من كان ذا حلم ؟
فما لسواه من قضاء ولا حكم
وأعرض عنه من عدو ولا خصم
ويذهب يوم الدين باللحم والعظم

سرية أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما

كانت هذه السرية إلى « أبني » ناحية بالبلقاء من أهل الشام ، وهي آخر السرايا ، أمره النبي ﷺ يوم الإثنين السادس والعشرين من صفر من السنة الإحدى عشرة بالتهيؤ لغزو الروم . فلما كان من الغد دعاه ، وقال له : « سر إلى موضع قتل أبيك فأوطنهم الخيل ، وقد وليتك أمر هذا الجيش » ، فلما كان يوم الأربعاء حم وصدع صلوات الله وسلامه عليه ، فلما أصبح يوم الخميس عقد له لواء وقال له : « اغز باسم الله وفي سبيل الله » ، وخرج أسامة فدفع اللواء إلى بريدة بن الحصيب ، وتهيأ المهاجرون والأنصار للخروج ، وفيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعد بن أبي وقاص ، واستنكف قوم من تأمير أسامة ، وقالوا : غلام ، وكان سنه ١٧ أو ١٩ أو ٢٠ سنة وبلغت النبي ﷺ مقاتلتهم ، فغضب كثيرا وخرج ، وقد عصب رأسه وصعد المنبر ، وقال :

« أما بعد ، أيها الناس ، فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ؟ ولئن طعتم في إمارته فقد طعتم في إمارة أبيه من قبله ، وإيم الله إن كان خليقا بالإمارة وإن ابنه من بعده خليق بالإمارة ، وإن كان من أحب الناس إلي ، وإنه لمظنة كل خير ، فاستوصوا به خيرا فإنه من خياركم » .

وكان هذا يوم السبت عاشر ربيع الأول ، وأمر النبي ﷺ أبا بكر بالتخلف ليصلي بالناس ، فلما كان يوم الأحد اشتد وجعه ، فجاء أسامة وطأطأ فقبله ، ثم رجع إلى معسكره « بالجرف » ثم عاوده يوم الإثنين فقال له : « اغد على بركة الله » ، فودعه وخرج ، وأمر الجيش بالرحيل ، فأرسلت إليه امرأته فاطمة بنت قيس تقول : لا تعجل ، فإن المرض قد اشتد على الرسول ﷺ ، فأقبل وأقبل معه عمر بن الخطاب ، وأبو عبيدة ، وانتهوا إليه ﷺ - وقد توفي - وعاد الجيش إلى المدينة ، وعاد بريدة باللواء ، فغزوه عند النبي ﷺ ، فلما بويع لأبي بكر أمر بريدة أن يذهب باللواء إلى بيت أسامة ، وأن يمضي أسامة لما أمر به ، فخرج

وسار أبو بكر رضي الله عنه يودعه ماشيا ؛ وقد نصره الله وأيده :-

سر يا أسامة ما لجيشك هازم أنت الأمير وإن تعتّب واهم
قالوا : غلام للكتائب قائد وفتى على الصّيد الخضارم حاكم
غضب النبي وقال : إنى بالذى جهل الغضاب الساخطون لعالم
إن يجهلوه فقد عرفت مكانه والعدل عندي ، لا محالة قائم
ولئن رموه بما يسوء فقد رموا من قبل والده ولجّ الناقم
نقموا الإمارة فيهما ، وهما لها أهل ، فكلُّ أحوذى حازم
الخير فيه وفى أبيه فآمنوا ياقوم ، وانطلقوا لما أنا عازم

ساروا وظلّ مع النبي خليله والخطب بينهما مقيم جائم
ينتاب مضجعه وينظر ما الذى صنع القضاء فهمه متراكم
مرض النبي طغى عليه ، فقلبه يغشاه موج للأسى متلاطم
ودرى أسامة فائضى فى جيشه والحزن طام والدموع سواجم

مات الرسول المجتبى ، مات الذى أحيانا نفوس الناس وهى رماثم
مات الرسول فكل أفق عابس أسفا عليه ، وكل جوّ قاتم
مات الذى شرع الحياة كريمة والناس شر والحياة مآثم
مات الذى كانت عجائب طبه تشفى العقول ودواؤها متفاقم
طاشت لمصرعه عقول رجّح ووهت قوى مشدودة وعزائم
دنيا الممالك بعد عصر محمد حزن يجدد ، والعصور مآثم
صلى عليك الله إن قضاءه حتم ، وإن زعم المزاغم حالم

عاد ابن زيد بالكتائب ما لوى من عزمه الحدث الجليل العارم
يمشى الخليفة لائذا بركابه وكأنما هو سائق أو خادم

لا تمش إني إن فعلت لغنام
لك ، فاقض أمرك ، لا نبا لك صارم
دعني فللإسلام حق لازم
تحت اللواء ، فهالك أو سالم

يرعاه للإسلام ربّ راحم
هى ما ترى وهو الجهاد الدائم
فالمسلمون بواتر ولهاذم
هل كان قبلك للكواكب لائم ؟
ما ذاق لذتها مشوق هائم
مُرّ مذاقته ، ووجد جاحم

فى عزه العالى ، فنعم الهادم
منهم بربك ، إنه لك عاصم
رشفاك منهم جيشك المتلاحم
وفعلت فعلك ، والأنوف رواغم
وأذلهم ، وكذلك يُجزى الظالم
من بعد ما ظلموا ، فما لك لائم

وانعم ، فبال محمد بك ناعم
يلقاك مبتهجا ، وركبك قادم
صنعوا ، وحسبك أن يُفيق النائم
إن الذى عاب الغلام لنادم
شرف له فوق النجوم دعائم

وأبى الأمير ، فقال : دونك مركبى
ولئن أبيت لأنزلن كرامة
قال الخليفة : ما أراك بمنصفى
أنا من جنودك ، لو ملكت رأيتنى

قُضِيَ الوداع ، وعاد مشكور الخطى
سريا أسامة فالقواضب لم تمت
وإذا البواتر واللهاذم أعوزت
يا لائم القمر المنير مودعا
هى يا أخا الشوق المبرح قبلة
ولقد تكون وفى حلاوتها أسى

زُلْزِل جنود الروم ، واهدم ملكهم
قتلوا أباك ، فلا تدعهم : واعتصم
ولقد هزمت جموعهم ، فتفرقوا
وأجلت خيلك فى عِراض ديارهم
قتلٌ وأسر ، هدّ من عزماتهم
ولئن أزلت ديارهم ونخيلهم

عد يا ابن زيد باللواء مظفّرا
هذا أبو بكر مشى فى صحبه
هم هناؤك ، وأنت أهل للذى
اشكر صنيع الله يا شيخ الوغى
حبّ الرسول لك البشارة ، إنه

ماذا يقول ذوو الحفيظة بعد ما شكرت أمية ما صنعتَ وهاشم
 عفوا فتلك حميةٌ عربية أعيا الأوائِلَ عهدَها المتقادم
 للمرء من نور الحقائق ما يرى لا ما تريه وساوس ومزاعم
 والناس عند فعالهم إن يفعلوا خيرا ، فأحرار النفوس أعظم
 لا حكم للأنسَاب أو للسن في ما قال فيهم مَادِح أو واهم

* * *

obeikan.com

فهرس الديوان

obeikan.com

فهرس الديوان

الموضوع	الصفحة
التقديم أحمد محرم	٥
أحمد محرم شاعر الوطنية المصرية	٦
أحمد محرم والتاريخ للبطولات الإسلامية	١١
مطلع النور الأول من أفق الدعوة الإسلامية	٢١
المطعم بن عدى	٢٤
فى غار حراء	٢٦
فى دار الأرقم بن أبى الأرقم	٢٧
إرادة قتل الرسول ﷺ وهجرته إلى المدينة	٢٨
فى الغار الأكبر غار ثور	٣٢
أبو بكر وحيه الغار	٣٤
سراقة بن مالك يريد قتل النبى ﷺ	٣٦
بريدة بن الحصيب وأصحابه يأتون بعده	٣٨
فى خيمة أم معبد	٣٩
فى قباء	٤٠
حى بنى عمرو بن عوف	٤٢
من قباء إلى المدينة	٤٣
جفنة أن زيد بن ثابت	٤٧
مساكن قبائل يثرب عند الهجرة	٤٨
المهاجرون فى ضيافة الأنصار	٤٩
مسجد المدينة	٥٢
أبو بكر يؤدى ثمن الحائط الذى أدخل فى المسجد	٥٤

الموضوع	الصفحة
بلال يؤذن للصلاة	٥٦
المؤاخاة بين المهاجرين ولأنصار	٥٨
اليهود والمنافقون	٦١
خريطة غزوة بدر	٦٧
غزوة بدر الكبرى	٦٨
مصرع أبي جهل	٨١
صدى الواقعة في مكة	٨٣
سواد بن غزية «حليف بنى النجار»	٨٥
أصحاب القليب	٨٧
شهداء بدر	٩١
ذكرى هذه الغزوة المباركة	٩٤
الذكرى الثانية	٩٧
غزوة بنى قينقاع	٩٩
غزوة السويق	١٠٤
غزوة أحد	١٠٧
مقتل حمزة رضي الله عنه	١٢٢
الرماة	١٢٧
زياد بن عمارة	١٣١
مصعب بن عمير	١٣٣
المؤمنون والمنافقون	١٣٥
عبد الله بن جحش رضي الله عنه	١٤٢
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم	١٤٤
غزوة حمراء الأسد	١٤٩
غزوة بنى النضير	١٥٧

الموضوع	الصفحة
غزوة ذات الرقاع	١٦١
غزوة بدر الآخرة	١٦٧
غزوة دومة الجندل	١٧٠
غزوة بنى المصطلق	١٧٥
إسلام الحارث بن ضرار رضي الله عنه	١٧٩
بركة أم المؤمنين جويرية	١٨١
بين الخزرج والمهاجرين	١٨٣
عبد الله بن أبي بن سلول	١٨٧
قصة أم المؤمنين عائشة	١٩٠
غزوة الخندق	١٩٧
بعد حفر الخندق	٢٠٤
عباد الله بن بشر رضي الله عنه	٢١٠
نعيم بن مسعود الأشجعي وجنود الله	٢١٢
غزوة بنى قريظة	٢١٩
ثابت بن قيس رضي الله عنه والزبير ابن باطا رضي الله عنه	٢٢٨
سعد بن معاذ رضي الله عنه في خيمة رفيدة الأسلمية	٢٣١
رفيدة الأسلمية رضي الله عنها	٢٣٥
سعد بن عباد رضي الله عنه	٢٣٧
غزوة بنى لحيان	٢٣٩
غزوة ذي قرد	٢٤٧
غزوة الحديبية	٢٥٨
خزاعة وبنو بكر	٢٧٢
أم كلثوم رضي الله عنها	٢٧٤
أبو بصير وأصحابه رضي الله عنهم	٢٧٨

الموضوع	الصفحة
غزوة خيبر	٢٨٤
كتر بنى النضير	٢٩٢
المخلفون	٢٩٣
عبد الله أبى بن سلول	٢٩٤
صفية أم المؤمنين رضي الله عنها	٢٩٥
رجوع المهاجرين من الحبشة	٢٩٨
أم حبيبة رضي الله عنها	٣٠١
أهل فذك	٣٠٤
بنو غطفان وسيدهم عيينة بن حصن	٣٠٦
حجاج بن علاط السلمى رضي الله عنه	٣٠٨
الشاة المسمومة	٣١١
المؤمنات فى جيش الرسول صلى الله عليه وسلم	٣١٣
غزوة وادى القرى	٣١٤
أهل تيماء	٣١٦
عمرة القضاء	٣١٨
أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها	٣٢١
إسلام خالد بن الوليد وعثمان بن أبى طلحة وعمر بن العاص رضي الله عنهم	٣٢٣
غزوة مؤتة	٣٢٧
الفتح الأعظم - فتح مكة	٣٣٥
حلف عبد المطلب	٣٣٦
بنو بكر وخزاعة إسلام أبى سفيان وحكيم ابن حزام وبديل بن ورقاء ...	٣٣٧
وقفه الفتح الأعظم	٣٤٣
العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه	٣٥٠
إسلام هند بنت عتبة زوج أبى سفيان	٣٥٤

الموضوع	الصفحة
إسلام عثمان أبى قحافة والد أبى بكر الصديق رضي الله عنه	٣٥٦
كعب بن زهير وأخوه يجير رضي الله عنه	٣٥٨
غزوة حنين	٣٦١
الأنصار يبيكون	٣٦٧
هدم العزى وسواع ومناة	٣٦٩
أم سليم زوج أبى طلحة زيد بن سهل الأنصارى رضي الله عنه	٣٧١
قدوم هوازن ورد سببها عليها	٣٧٣
عجوز عينة بن حصن	٣٧٥
فسمة الغنائم	٣٧٧
غزوة الطائف	٣٨٠
عين أبى سفيان	٣٨٣
سراقة بن مالك	٣٨٤
غزوة تبوك	٣٨٦
فى دار سويلم اليهودى	٣٩٠
الجد بن قيس	٣٩٢
البكاؤون	٣٩٣
أبو خيثمة	٣٩٤
أبو ذر الغفارى رضي الله عنه	٣٩٥
طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه	٣٩٦
قدوم يحنة بن رؤية صاحب أيله ، معه أهل أذرج وجرباء ومقنا	٣٩٧
خالد بن الوليد والأكيدر	٣٩٨
خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند منصرفة من تبوك	٣٩٩
فى العقبة بين تبوك والمدينة	٤٠١
فى المدينة التى يعرضه عن المنافقين ويأمر بمقاطعتهم	٤٠٣

الموضوع	الصفحة
مسجد الضرار	٤٠٥
عام الوفود	٤٠٧
وفد نصارى نجران	٤٠٩
وفد الأشعرين	٤١٢
وفد ثقيف	٤١٣
وفد بنى عامر بن صعصعة	٤١٥
ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه	٤١٧
وفد بنى عبد القيس من بلاد هجر بالبحرين	٤١٩
وفد بنى حنيفة	٤٢١
عدى بن حاتم	٤٢٣
عروة بن مسيك المرادى	٤٢٥
وفد بنى زبيد	٤٢٦
وفد كندة	٤٢٨
وفد أردشنة	٤٣٠
رسول ملوك حمير وحامل كتابهم	٤٣٢
رسول فروة بن عمرو الجذامى	٤٣٤
وفد بنى الحارث بن كعب	٤٣٦
رفاعة بن زيد الخزاعى	٤٣٨
وفد همدان	٤٣٩
وفد نجيب	٤٤١
بقية الوفود	٤٤٣
كتب النبى ﷺ إلى الملوك	٤٤٥
السرايا	٤٥١
سرايا زيد بن حارثة السرية الأولى	٤٥٣

الموضوع	الصفحة
السرية الثانية	٤٥٥
السرية الثالثة	٤٥٦
السرية الرابعة	٤٥٨
السرية الخامسة	٤٥٩
السرية السادسة	٤٦١
السرية السابعة	٤٦٣
سرايا خالد بن الوليد رضي الله عنه	٤٦٦
سرايا محمد بن مسلمة رضي الله عنه السرية الأولى	٤٦٨
السرية الثانية	٤٧١
السرية الثالثة لقتل كعب بن الأشرف	٤٧٣
سرايا أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه السرية الأولى	٤٧٩
السرية الثانية	٤٨١
السرية الثالثة	٤٨٤
سرية أبي سلمة إلى قطن	٤٨٦
عبد الله بن أنيس الأنصاري رضي الله عنه	٤٨٨
سرية عكاشة بن محصن	٤٩٠
سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل	٤٩١
سرية عبد الله بن عتيك الخزرجي الأنصاري	٤٩٣
سرية عبد الله بن رواحة الأنصاري إلى أسير بن زرام اليهودي بخير	٤٩٦
عمرو بن أمية الضمري يوفد إلى مكة لقتل أبي سفيان	٤٩٩
سرية أبي بكر رضي الله عنه إلى بني كلاب	٥٠٢
سرايا غالب بن عبد الليث السرية الأولى	٥٠٤
السرية الثانية	٥٠٦
السرية الثالثة	٥٠٩

الموضوع	الصفحة
سرية بشير بن سعد رضي الله عنه	٥١١
سرية عمر بن العباس رضي الله عنه إلى بلاد بلى وعذرة	٥١٢
سرية أبي عبيد بن الجراح	٥١٥
سرية بشير بن أبي سفيان رضي الله عنه إلى بنى تيم	٥١٨
سرية أبي سفيان والمغيرة بن شعبة رضي الله عنه لهمم اللات	٥٢١
سرية أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنه	٥٢٢
فهرس الديوان	٥٢٧

تم الصف والإخراج الفني
بمركز الصف للكمبيوتر
مصر - منية سمند - دقهلية

ت : ٥٠٦٤٩٢١٧/٨ ، محمول : ٠١٢٧٥١١٠٠٣

obeyikan.com

obeikan.com